



فهرس

الجزء السادس

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- المهيمع الثانى - في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كتاب الزمان
 وبيان معانيها؛ وهى نوعان... .. ٥
- النوع الأول - الألقاب الإسلامية؛ وهى صنفان ٥
- الصنف الأول - المذكرة؛ وهى ضربان ٥
- الضرب الأول - الألقاب المفردة المختصة فى اصطلاح الكتاب باسم
 الألقاب... .. ٥
- » الثانى - المركبة المعبر عنها فى اصطلاح الكتاب بالنعوت ... ٣٥
- الصنف الثانى - (وكتب خطأ الضرب الثانى) من الألقاب المفردة المؤنثة ٧٥
- » » - (لعل الصواب النوع الثانى كما به عليه) من الألقاب المفردة
 على الأصول ألقاب من يكتب إليه من أهل
 الكفر... .. وهى على ضربين ... ٧٨
- الضرب الأول - الألقاب المذكرة؛ وهى نمطان ... ٧٩
- النمط الأول - المفردة... .. ٧٩
- » الثانى - الألقاب المركبة ... ٨٣
- الضرب الثانى - من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة ... ٩٥
- الجملة السابعة - فى تفاوت الألقاب فى المراتب؛ وهى قسمان ... ٩٧
- القسم الأول - ما يقع التفاوت فيه فى الصعود والهبوط؛ وهو نوعان ٩٧
- النوع الأول - « » « بحسب القلة والكثرة... .. ٩٧
- » الثانى - ما يقع فيه التفاوت فى العلو والهبوط بحسب ما يقتضيه
 جوهر اللفظ أو ما وقع الاصطلاح عليه؛ وهو صنفان ٩٨

صفحة

- الصف الأول — الألقاب المفردة؛ وهى على أربعة أنماط ... ٩٨
- النمط الأول — التوايع ... ٩٨
- » الثانى — ما يقع التفاوت فيه بحسب لحوق ياء النسب
وتجوزده منها ... ٩٩
- » الثالث — ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة خير ياء النسب ... ١٠١
- » الرابع — » فيه التفاوت بحسب ما فى ذلك اللقب من
أقتضاء التشريف لعلو متعلقه ورفعته ... ١٠١
- الصف الثانى — الألقاب المركبة؛ وهى على ضربين ... ١٠٢
- الضرب الأول — ما يترتب بعضه على بعض لقباً بعد لقب؛ وله اعتباران ١٠٢
- الاعتبار الأول — أن يشترك فى رعاية الترتيب أرباب السيوف والأقلام
وغيرهم؛ وهو على ثلاثة أنماط (مواهب أربعة) ... ١٠٢
- النمط الأول — ما يضاف إلى الإسلام ... ١٠٢
- » الثانى — » إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ... ١٠٥
- » الثالث — » إلى الملوك والسلطين ... ١٠٦
- » الرابع — » لأمير المؤمنين ... ١٠٨
- الاعتبار الثانى — أن يختص الترتيب فى الألقاب بتنوع من المكتوب
له؛ وهو أربعة أنماط ... ١٠٩
- النمط الأول — ما يختص بأرباب السيوف ... ١٠٩
- » الثانى — » بالوزراء ومن فى معانهم ... ١١١
- » الثالث — » بالقضاة والعلماء ... ١١١
- » الرابع — » بالصلحاء ... ١١٢

صفحة

- القسم الثاني — مما تفتاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه
 بالتقديم والتأخير؛ وهو نونان ١١٥
- النوع الأول — الألقاب المفردة؛ وهي على ستة أنماط ١١٥
- النمط الأول — « التي تلي الألقاب الأصول ١١٥
- » الثاني — ما يلي العالي أو السامي من الألقاب ١١٦
- » الثالث — ما يلي لقب الوظيفة ١١٧
- » الرابع — ما يقع قبل لقب التعريف ١١٧
- » الخامس — « فصولا بين الألقاب المفردة والمركبة ١١٨
- » السادس — ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب
 المفردة ١١٨
- النوع الثاني — مما تفتاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير
 الألقاب المركبة؛ وهي على ثلاثة أنماط ١١٩
- النمط الأول — ما يلي لقب التعريف ١١٩
- » الثاني — ما يقع في آخر الألقاب المركبة ١١٩
- » الثالث — ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها ١٢٠
- الجملة الثامنة — في بيان عمل القب المضاف إلى الملك ولقب
 التعريف الخاص به ١٢٠
- » التاسعة — في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
 على قدر طبقاتها؛ وهي قسمان ١٢١

صفحة

- القسم الأول — الألقاب الإسلامية ١٢١
- الضرب الأول — « المتعلقة بالخلافة وما يلحق بها ؛ وهي
- ثلاثة أنواع ١٢٢
- النوع الأول — ألقاب الخلفاء ١٢٢
- « الثاني — « ولاية العهد بالخلافة ١٢٣
- « الثالث — « إمام الزيدية باليمن ١٢٣
- الضرب الثاني — الألقاب الملوكية ؛ وهي نوعان ١٢٣
- النوع الأول — « التي أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية
- « الثاني — « التي يكتب بها عن السلطان لغيره من الملوك ؛
- وهي على ثلاثة أصناف ١٢٥
- الصف الأول — ألقاب ولاية العهد بالسلطنة ١٢٥
- « الثاني — « الملوك المستقلين بصغار البلدان ١٢٥
- « الثالث — « المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب
- السلطانية ؛ وهي ثمان ١٢٦
- الصف الأول — ما يصدر بالألقاب المذكورة ١٢٦
- « الثاني — « المؤتة ١٢٩
- الضرب الثالث — من الألقاب الإسلامية ، الألقاب العاتة لسائر
- الطوائف ؛ وهي ثمانية أنواع ١٣٠
- النوع الأول — ألقاب أرباب السيوف من أهل المملكة وغيرهم ... ١٣٠
- « الثاني — من الألقاب الإسلامية الألقاب الديوانية ... ١٤٦

- منه
النوع الثالث — من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية ... ١٥٤
- » الرابع — من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ... ١٦١
- » الخامس — ألقاب التجار الخواجكية ... ١٦٥
- » السادس — من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات الرئيسية كرامة الطب ... ١٦٨
- » السابع — من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ... ١٧٠
- » الثامن — » » » النساء ... ١٧١
- القسم الثانى — المرتبة » أهل الكفر؛ وهى على ثلاثة أضرب ... ١٧٣
- الضرب الأول — ألقاب متديتهم؛ وهى نوعان ... ١٧٣
- النوع الأول — » بطارقة النصارى ... ١٧٣
- » الثانى — » رؤساء اليهود ... ١٧٤
- الضرب الثانى — ألقاب ملوكهم وتخص بالنصارى؛ وهى نمطان ... ١٧٤
- نقط الاول — الألقاب المذكرة ... ١٧٤
- » الثانى — » المؤنثة ... ١٧٩
- الضرب الثالث — ألقاب تواب ملوكهم وكخالصتهم؛ وهى على نوعين ... ١٨٠
- النوع الأول — » التواب ... ١٨٠
- » الثانى — » الكخالصة ... ١٨٠

صفحة

- الجملة العاشرة — في ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت
 في عرف الكتّاب؛ وهي على ضربين ١٨٣
- الضرب الأول — فيما يجرى من ذلك مجرى التفاضل، ويختلف باختلاف
 الأحوال والوقائع ويتنوع إلى أنواع ١٨٣
- » الثاني — ما يجرى من ذلك مجرى التشريف، ويختلف أيضا
 باختلاف الأحوال، ويتنوع أنواعا ١٨٦
- الباب الثاني — من المقالة الثالثة في مقادير قطع الورق وما يناسب
 كل مقدار منها من الأقلام؛ وفيه فصلان ١٨٩
- الفصل الأول — في مقادير قطع الورق؛ وفيه طرفان ١٨٩
- الطرف الأول — « » « في الزمن القديم ١٨٩
- » الثاني — في بيان مقادير قطع الورق المستعمل في زماننا
 (زمن المؤلف)؛ وفيه ثلاث جمل ١٩٠
- الجملة الأولى — في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب
 السلطانية بالديار المصرية ١٩٠
- » الثانية — في مقادير الورق المستعملة بديوان الإنشاء
 بالملك الشامية ١٩٢
- » الثالثة — في مقادير قطع الورق الذي تجرى فيه مكاتبات
 أعيان الدولة ١٩٣
- الفصل الثاني — من الباب الثاني من المقالة الثالثة في بيان ما يناسب
 كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
 من الأقلام الخ؛ وفيه طرفان ١٩٤

صفحة

الطرف الأول — فيما يناسب كل مقدار منها من الأعلام ... ١٩٤

» الثانى — فى مقادير الياض الواقع فى أول الدرج وحاشيته وبعده

ما بين السطور فى الكتابة ... ١٩٥

الباب الثالث — من المقالة الثالثة فى بيان المستندات وكتابة المخصصات

وكيفية التعمين؛ وفيه فصلان ... ١٩٧

الفصل الأول — فى بيان المستندات : وهى التوقيع على القصص

وما يجرى مجراها؛ وهو على ضربين ... ١٩٧

الضرب الأول — السلطانيات؛ وهى صنفان ... ١٩٧

الصنف الأول — ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء ... ١٩٧

» الثانى — ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء ... ١٩٩

الضرب الثانى — ما يتعلق بالكتب فى المظالم؛ والنظر فيه من وجهين ٢٠٢

الوجه الأول — فيما يتعلق بالقصاص ... ٢٠٢

» الثانى — فيما يتعلق بالنظر فى المظالم وما يكتب على القصص؛

... وهو ستة أنواع ... ٢٠٤

النوع الأول — ما يرفع إلى السلطان فى آحاد الأيام ... ٢٠٦

» الثانى — ما يرفع لصاحب ديوان الإنشاء ... ٢٠٦

» الثالث — ما يرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان

للحكم فى المواقب ... ٢٠٧

» الرابع — ما يرفع منها للتائب الكافل إذا كان ثم نائب ... ٢٠٨

» الخامس — ما يرفع من القصص إلى الأتابك إذا كان فى الدولة

أتابك عسكر وهو الأمير الكبير ... ٢٠٨

» السادس — ما يرفع منها للدوادار ... ٢٠٩

صفحة

- الفصل الثاني - في التمين وكيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على
 الرقاع والقصص ٢١٠
- الطرف الثاني - في كتابة المخصصات والإجابة عنها ٢١٢
- الباب الرابع - من المقالة الثالثة في الفوائح والخواتم والالواح ؛
 وفيه فصلان ٢١٧
- الفصل الأول - في الفوائح؛ وفيه ستة أطراف ٢١٧
- الطرف الأول - في البسملة ٢١٧
- » الثاني - في الجملة ٢٢٤
- » الثالث - في التشهد في الخطب ٢٢٦
- » الرابع - في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
 وعلى آله وصحبه في أوائل الكتب ٢٢٧
- » الخامس - في السلام في أول الكتب ٢٢٩
- » السادس - في أما بعد ٢٣١
- الفصل الثاني - في الخواتم والالواح؛ وفيه سبعة أطراف ٢٣٢
- الطرف الأول - في الاستثناء بالمشيئة بأن يكتب إن شاء الله تعالى ... ٢٣٢
- » الثاني - في التاريخ ٢٣٤
- » الثالث - في المستندات ٢٦٢
- » الرابع - في الجملة في آخر الكتاب ٢٦٥
- » الخامس - في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب
 وما يلحق بذلك ٢٦٧

مقدمة

الطرف السادس - في الحسبة في آخر الكتاب ٢٦٩

» السابع - في الواحق ٢٧١

المقالة الرابعة

في المكتبات ؛ وفيها بابان ٢٧٤

الباب الأول - في أمور كلية في المكتبات ؛ وفيه فصلان ٢٧٤

الفصل الأول - في مقدمات المكتبات ؛ وفيه ثلاثة أطراف ٢٧٤

الطرف الأول - في أصول يعمدها الكتاب في المكتبات ٢٧٤

» الثاني - في بيان مقادير المكتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز ٣١٥

» الثالث - في أمور تخص بالأجوبة ٣٢٣

الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الرابعة ، في ذكر أصول

المكتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ؛ وفيه طرفان ٣٢٧

الطرف الأول - في ذكر أصولها وترتيبها ٣٢٧

» الثاني - في ذكر لواحق المكتبات ولوازمها ٣٤٥

الباب الثاني - من المقالة الرابعة ، في مصطلحات المكتبات الدائرة

بين كتاب أهل الشرق والغرب والديار المصرية في كل

زمن من صدر الإسلام إلى زمننا (نصف المؤلف) ؛

وفي ستة فصول ٣٦٥

الفصل الأول - في الكتب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛

وفي ثلاثة أطراف ٣٦٥

الطرف الأول - في ذكر ترتيب كتبه صلى الله عليه وسلم في الرسائل

على سبيل الإجمال ٣٦٥

منه

الطرف الثاني - في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ... ٣٦٧

» الثالث - » » » » الكفر للدعاية

إلى الإسلام ... ٣٧٦

الفصل الثاني - من الباب الثاني من المقالة الرابعة في الكتب الصادرة

عن الخلفاء ؛ وهي على قسمين ... ٣٨٣

القسم الأول - المكتابات إلى أهل الإسلام ؛ وفيه تسعة [عشرة]

أطراف ... ٣٨٣

الطرف الأول - في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة

رضى الله عنهم ... ٣٨٣

» الثاني - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية ... ٣٨٩

» الثالث - » » » » بني العباس بيقداد ،

وولاية العهد بالخلافة ؛ وفيه ثلاث جمل ... ٣٩٢

الجملة الأولى - في بيان ترتيب كتبهم في الرسائل على سبيل الإجمال ٣٩٢

» الثانية - في الكتب العامة ... ٣٩٥

» الثالثة - في الكتب الخاصة بما يصدر عن الخلفاء ... ٤١٥

الطرف الرابع - في الكتب الصادرة من خلفاء بني العباس في الديار

المصرية بعد مصير الخلافة إليها ... ٤٢١

» الخامسة - في الكتب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار

المصرية ... ٤٣٢

» السادسة - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس ٤٤٣

صفحة

الطرف السابع — في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ... ٤٤٣

» الثامن — في الأجوبة ... ٤٤٧

» التاسع — في الكتب الصادرة عن ولاية العهد بالخلافة ... ٤٥٦

» العاشر — من المكتبات عن الخلفاء : المكتبات إلى أهل الكفر ٤٥٧

الفصل الثالث — من الباب الثاني من المقالة الرابعة في المكتبات

الصادرة عن الملوك ومن في معانهم مما الجارى عليه

الحال؛ وهو على قسمين ... ٤٦٤

القسم الأول — المكتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام؛

وفيه أطراف ... ٤٦٤

الطرف الأول — في مكتباتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... ٤٦٤

» الثاني — في المكتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء

المرايا إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٤٧٧

» الثالث — في المكتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء

المرايا أيضا إلى خلفاء بني أمية ... ٤٧٨

» الرابع — في المكتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم

إلى خلفاء بني العباس ... ٤٨٠

» الخامس — في المكتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار

المصرية ... ٥٢١

» السادس — في المكتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم

إلى خلفاء بني أمية بالأندلس ... ٥٢٤

» السابع — في المكتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب ٥٢٦

صفحة

الطرف الثامن — فى المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء

المرابا فى صدر الإسلام إلى من فى معنهم ... ٥٥٨

» التاسع — فى المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن فى معنهم

إلى الملوك ومن فى معنهم على ما كان عليه مصطلح

أهل المشرق ... ٥٥٩



(تم فهرس الجزء السادس من كتاب صبح الأعشى)

صَبْحُ الْأَسَدِ

الجزء السادس

دار الكتب الخديوية

كتاب

صحيح الأئمة

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء السادس

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

المهَيِّع الثاني

في ذكر الألقاب والتعوت المستعملة عند كُتَّاب الزمان، وبيان معانيها،
وَمَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَغَيْرِهِمْ
(وهي نوطات)

النوع الأول

(الألقاب الإسلامية، وهي صفات)

الصف الأول

(المذكورة، وهي ضربان)

الضرب الأول

(الألقاب المفردة المختصة في اصطلاح الكُتَّاب باسم الألقاب)

وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم ليسهل أستخراجها .

حرف الألف

(الأتايبكي) وهو من ألقاب أمير الجيوش وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ، كَالنَّائِبِ الْكَافِلِ وَنَحْوِهِ،

وهو بالأتايبك أَخْصُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْأَتَايبِكِ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَرْبَابِ الْوُطَّانِ،

وَأَنَّ أَصْلَهُ بِالطَّاءِ فَقُلِيتَ تَاءً فِي الْأَسْتِمَالِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ «الْأَبُ الْأَمِيرُ» وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ النِّسْبَةُ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ . نَعَمْ إِنْ نُسِبَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ كَانَتْ النِّسْبَةُ إِلَيْهِ حَقِيقَةً عَلَى بَابِهَا .

(الْأَثْنَى) مِنْ أَلْقَابِ مَلُوكِ الْمَغْرِبِ الَّتِي يُكْتَبُ إِلَيْهِمْ بِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ، مِثْلَهَا مَا يُوجَدُ فِي مَكَاتِبِهِمْ مِنَ الْأَلْقَابِ . وَهُوَ أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ مِنَ التَّقْوَى .

(الْأَيُّر) بِإِثْنَاءِ الْمُثْنَةِ مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ : مِنَ الْقَضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ وَنَحْوِهِمْ ؛ وَرَبَّمَا اسْتُعْمِلَ فِي أَلْقَابِ الصُّلَحَاءِ أَيْضًا . وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمُخَالَصِ، وَحِينَئِذٍ فَيُصْلَحُ أَنْ يَكُونَ لَقَبًا لِكُلِّ مَنْ نُسِبَ إِلَى الْمُخَالَصَةِ مِنْ أَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ جَمِيعًا ؛ وَالْأَيُّرُ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْأَيْلِ) بِالْمُثْنَةِ أَيْضًا مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ كَالْأَيُّرِ، وَمَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الْأَصِيلُ، وَمِنْهُ قِيلَ بِجَدِّ مُؤْتَلٍ وَأَيْسَلِ أَيْ أَصِيلٍ . وَحِينَئِذٍ فَيُصْلَحُ أَنْ يَكُونَ لَقَبًا لِكُلِّ ذِي أَصَالَةٍ مِنْ أَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ؛ وَالْأَيْلُ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الْأَجَلُ) يَكُونُ فِي الْأَصْطِلَاحِ مِنْ أَلْقَابِ السُّلْطَانِ كَمَا يَقَالُ السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الْأَجَلُ وَيَكُونُ مِنْ أَلْقَابِ السَّامِيِّ بِشِيرَاءٍ فَمَا دُونَهُ فَيَقَالُ : «السَّامِيُّ الْأَمِيرُ الْأَجَلُ» وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ وَهُوَ مِمَّا يُشْكِرُ عَلَى كُتَّابِ الزَّمَانِ : لِاسْتِعْمَالِهِ فِي الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . عَلَى أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاتِمِيَّةِ كَانَ هُوَ أَعْلَى الْأَلْقَابِ وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا، حَتَّى قَالَ ابْنُ شَيْثٍ فِي «مَعَالِمِ الْكِتَابَةِ» : إِنَّهُ عَظُورٌ عَلَى غَيْرِ الْوَزِيرِ . وَقَدْ كَانَتْ الْوِزَارَةُ فِي زَمَانِهِمْ بِمُتَابِعَةِ السُّلْطَانَةِ فِي زَمَانِنَا، فَتَصَرَّفَ فِيهِ الْكُتَّابُ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ فِي أَدْنَى الرُّتَبِ أَيْضًا؛ وَالْأَجَلُ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الأخص) من ألقاب أرباب السيف، والكُتب يستعملونه في أدنى الألقاب مما تسقط فيه ياء النسب : من السامى بنىراء فادونه ، على أن معناه رفيع : لأخذه من الخُصوصية : وهى الأفراد بالشئ، وكان الأحق أن يكون مختصاً بالأكرام المقرين دون غيرهم ، والأخصى نسبة إليه للبالغة .

(الأخوى) من الألقاب المختصة في الغالب بالمكتبات الإخوانية ، وربما وقعت في المكتبات المملوكية إذا كان قنر المملكين المتكاسين متقارباً ، وهو نسبة إلى الأخوة ، وكأنه جعله أخاه حقيقة .

(الأريب) من ألقاب أرباب الكلام . وهو فى اللغة العاقل ، ومنه قيل للدعاء أرب بكسر الهمزة وإسكان الراء لأنّ الدعاء من جملة العقل ، والأريب نسبة إليه للبالغة .

(الأرقى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من الرقى : وهو الارتفاع والمُلو فى الدرّج .

(الأزكى) من ألقاب ملوك المغرب أيضاً . وهو مأخوذ من الزكاة : وهى الزادة ، كأنه نسب إلى الزادة فى الرقة ونحوها .

(الأشرى) بالسين المهملة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من الشرو وهو سقاء من مروة ، ومنه قيل لمن أشتمل على ذلك سرى ، وبه لقب من لقب «سرى الدين» .

(الأسفهلار) بسينين مهملتين بينهما فاء ثم هاء من ألقاب أرباب السيف ، وكان فى الدولة الفاطمية لقباً على صاحب وظيفة تلى صاحب الباب ، على ما تقدم

بيانه في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية في المقالة الثانية . ومعناه «مقدم العسكر» وهو مُرَكَّب من لفظين : فارسيّ ، وتُركيّ ، فأُسِّفَه بالفارسية بمعنى 'المقدم' ، وسِلَّار بالتركية بمعنى 'العسكر' ، والعامة تقول لبعض من يقف بباب السلطان من الأعوان : (أسپاسلار) بالباء الموحدة ، وكأنهم راعوا فيه معنى 'المقدم' في الجملة ، والباء تعاقب الفاء في اللغة الفارسية كثيرا ؛ ولذلك قالوا : أَصْبِيَّانَ وَأَصْفِيَّانَ بالياء والفاء جميعا ؛ والأسْفَهْسِلَارِيّ نسبةٌ إليه للبالغة . وقد ذكر المقرئ الشهابيُّ بن فضل الله في بعض دسَائيره أن هذا اللقب يختصُّ بأمرء الطَّبَلخَاناه ، على أنه قد تُرِكَ استِعمالُهُ في زماننا ، وكأنهم كرهوا مشاركة بعض الأعوان فيه فأضربوا عنه لذلك ، أو لم يفهموا معناه فتركوه .

(الأسنى) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو مأخوذ من السَّناء بالمدّ : وهو الرفعة ؛ ويحوز أن يكون من السَّنا بالقصر : وهو الضياء .

(الاشترُف) من ألقاب المَقَام والمَقَرِّ في مصطلح كُتَّاب الزَّمان على ما تقدم ذكره ؛ وربما وقع أيضا في ألقاب ملوك المَغْرِب ، وهو أَفْعُلُ التفضيل من الشَّرَف بمعنى 'المُلْك' .

(الأصعد) من ألقاب ملوك المَغْرِب ، وهو أَفْعُلُ التفضيل من الصُّعود ضدَّ الهبوط .

(الأصيل) من ألقاب أرباب الأَقلام غالباً ، وربما وقع في ألقاب أرباب السُّيوف إذا كان لصاحب اللقب عَرَاقةٌ نَسَبٌ ؛ وهو فَعِيلٌ من الأَصْل بمعنى 'الحَسَب' ؛ والأَصْبَلِيّ نسبةٌ إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختصُّ بمن له ثلاثة في الرِّئاسة ، أبْنٌ عن أبٍ عن جدٍّ .

(الأعظم) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو مأخوذ من الضَّخامة ؛ والمراد بها هنا العظمة . وهي في أصل اللغة الفلظ واستعملت في العظمة تجوزاً .

(الأعز) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وقد يستعمل في ألقاب من لم يثبت فيه ياء النسب من السامى بغير ياء فما دونه كالأخص : فيقال « الأعزُّ الأخص » ونحو ذلك ؛ وهو أفعل التفضيل من العز .

(الأعظم) من ألقاب السلطان ، يقال فيه « السلطان الأعظم » ويقع في ألقاب ملوك المغرب أيضاً . وهو أفعل التفضيل من العظمة : وهي الكبرياء .

(الأعلى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعل التفضيل من العلو : وهو الارتفاع .

(الأعلم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعل التفضيل من العلم الذى هو خلاف الجهل .

(الأفخم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعل التفضيل من الضخامة : وهي العظمة والقوة .

(الأفضل) من ألقاب السلطان ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المغرب أيضاً . وهو أفعل التفضيل [من الفضل] بمعنى الزيادة ، والمراد الزيادة في الفضيلة .

(الأكل) من ألقاب السلطان أيضاً ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المغرب وفى ألقاب من لم يثبت فيه ياء النسب من السامى بغير ياء فما دونه ؛ والأكلى نسبة إليه بالغة .

(الإمام) من ألقاب الخلفاء كما يقال في المكتبات عنهم « من عبد الله وولَّيه الإمام الفلانى » وقد تقدم أن أول من تلقب به « إبراهيم بن محمد » أول من بويع له

بالخلافة من بنى العبّاس، ويقع أيضا في ألقاب كبار العلماء . وأصل الإمام في اللغة الذي يُقْتَدَى به ؛ ولذلك وقع على المجتهدين كالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة : وهم الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد . والإمامي نسبة إليه للبالغة .

(الأئمة) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وربما كُتِبَ به للتجّار ونحوهم في ألقاب الصّدر الأجل . وهو أفضل التفضيل من المجد : وهو الشرف أو الأصالة .

(الأميري) من ألقاب أرباب السيوف . قال في "عرف التعريف" : وَيُكْتَبَ به لكبار^(١) وإن كانوا من أرباب الأقاليم . وذكر في دستور له آخر أنه يكتب به لتقيب الأشراف ولا يُكْتَبَ له القضاة أصلا وإن كان من أرباب الأقاليم ؛ وقد تقدّم لقب الأمير مجزّأ عن ياء النسب وأصله المأخوذ منه في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف فأغنى عن إعادته هنا . وأعلم أنهم لم يستعملوا فيه النسبة لنفس الإمرة فلم يقولوا في النسبة إليه الإمري كما قالوا في النسبة إلى القضاء القضاة .

(الأمين) من ألقاب التجّار الخواجكة وألقاب الخُدام المعروفين في زماننا بالطواشيّة ، حُصِّصوا بذلك لأئتمان التجّار على الجوّاري والممالك في حال جلّهم إلى الملوك، وأئتمان الخُدام على الحرّيم والممالك بأبواب الملوك، وهو مأخوذ من الأمانة ضدّ الحيانة ؛ والأمين نسبة إليه للبالغة .

(الأوحد) يقع في الألقاب السلطانية ، ويكون من ألقاب أرباب الأقاليم لمن لا تبته الياء في ألقابه من السامي بخيراء فدونه ، وفيه ما تقدّم في الكلام على

(١) يبايع بالأصول وله لكبار الأمراء ، أو الوزراء .

الأجلّ من ألقاب الأفاضل على الكُتب في جمعهم الأعلى والأدنى في لقب واحد؛ والأوحدى نسبة إليه للبلاغة .

حرف الباء

(البارعُ) من ألقاب أرباب الأقلام، وهو فاعلُ من البراعة : وهي النهضة بالشئ والتقدم فيه ؛ والبارعُ نسبة إليه للبلاغة .

(البلّغ) من ألقاب أرباب الأقلام ، وأحسن ما يقع في ألقاب ذوي البلاغة من الكُتب ونحوهم ، وهو فاعل من البلاغة : وهي تأدية كُنه المراد بليغاً لا يُخفى ، وإطناج لا يُعَلّ ، والبلّغُ نسبة إليه للبلاغة .

حرف التاء

(التقيُّ) من ألقاب ملوك المغرب يقال التقيُّ الزكيُّ ونحو ذلك ؛ وربما استعمل بالديار المصرية في ألقاب أرباب الأقلام وأهل الصلاح ؛ وهو مأخوذ من التقوى كما تقدم في الأتقي .

حرف الجيم

(الجليل) من ألقاب مَنْ يُكتب له الحاجُّ كقَدَمِي الدولة ونحوهم ، ويقال فيه : «الحاجُّ الجليل» ونحو ذلك ؛ والجليلُ في أصل اللغة العظيمُ ، وكان مقتضى الوضع أن يكون لأعلى من هذه الزئبة .

حرف الحاء المهملة

(الحاجُّ) من ألقاب مقدّمى التولية ومهتاريّة البيوت ومَنْ في معناتهم وإن لم يكن قد حجَّ ، وإن كان موضوعُ الحاجِّ في العرف العام إنما هو لمن حجَّ البيت وإنما اصطلاح لم على ذلك حتى صار كالعلم عليهم .

(الحافظ) من ألقاب المحدثين ؛ وأصله من الحفظ ضد النسيان ، وأختص بالمحدثين لاحتياجهم إلى كثرة الحفظ لمتون الأحاديث وأسماء الرجال ونحو ذلك ؛ والحافظ نسبة إليه للبالغة .

(الحافل) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه الكثير الجمع ، أخذنا من قولهم وادِ حافلٌ إذا كثُر سبله .

(الحاكم) من ألقاب القضاة . قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" : وأصله من الحكمة بفتح الكاف : وهي حليمة مستديرة في الجسام تمنع الدابة من الجحري والشباب ؛ ثمى بذلك لأنه يرد الناس عن الظلم ؛ وأكثر ما يستعمله كتاب الزمان في عنوان المكتبات في تعريف المكتوب إليهم ، وفي أثنائها في وصف المكتوب بسببه ؛ والحاكم نسبة إليه للبالغة .

(الحائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعل من الحيازة ؛ وهي الحياطة ، والمراد الحائز للملك ، أو الحائز للفضائل ونحو ذلك .

(الحبر) من ألقاب أكابر العلماء . وهو بفتح الحاء وكسرهما لفتان ، والذي اختاره ابن قتيبة في "أدب الكاتب" الكسر ، وبه ثمي الحبر الذي يكتب به ، ولكن الجارى على السنة الناس الفتح ؛ والحبر نسبة إليه للبالغة .

(الحججي) بضم الحاء وكسر الجيم المشتدة وفي الأبرياء النسب من ألقاب أكابر القضاة والعلماء ، وهو منسوب إلى الحجّة بخفف تاء التأنيث منه على قاعدة النسب ، كما تخفف من طلحة ونحوه على ما هو مقرر في علم النحو . وبض جهلة الكتاب يثبت فيه تاء التأنيث مع النسب فيقول الحججي وهو خطأ ؛ ثم النسبة فيه

حقيقةً لأن المنسوب إليه وهو الحجة غير من له اللقب، ويموز أن تكون للبالغة بأن يجعل صاحب اللقب هو نفس الحجة تجوزاً وهو أبلغ .

(الحسيب) من ألقاب الشرفاء من ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضى الله عنها ، أخذاً من الحسب: وهو ما يعلّمه الإنسان من مفاخر آباءه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة ولذلك أختص في الاصطلاح بالشرفاء، إذ كان آباؤهم أعظم الناس مفاخر، لكن قد ذكر ابن السكيت في "إصلاح المنطق" أن الحسب يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف، وعلى هذا فلا يختص هذا اللقب بنوى الأنساب التي فيها عملاقة، والحسيب نسبة إليه للبالغة.

حرف الخاء المعجمة

(الخاشع) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وربما استعمل في العلماء، بل ربما استعمل في أرباب السيوف إذا كان المكتوب له متصفاً بذلك، بل ربما استعمل في ألقاب بطاريكة النصاري من الباب وغيره، على ما سبق ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . والخاشع في اللغة الخاضع والمتذل، والخاشع نسبة إليه للبالغة .

(الخوارج) من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم . وهو لفظ فارسي، ومعناه السيد؛ والخوارجي زيادة كاف نسبة إليه للبالغة، وكان الكافي في لغتهم تدخل مع ياء النسب .

(الخير) بفتح الخاء وتشديد الياء المثناة تحت، من ألقاب أهل الدين والصلاح . وهو في أصل اللغة خلاف الشرير، ثم غلب استعماله فيمن غلب عليه الخير؛ والخيري نسبة إليه للبالغة، وقيل أن يستعمله الكتاب إلا بآبات الياء في آخره .

حرف الذال المعجمة

(الذئبر) بضم الذال وإسكان الخاء من ألقاب أرباب السيوف ، وربما أُطلق على غيرهم . وأصله في اللغة لما يُذخَر من النقاش ، وهو مصدر ذَخَرْتُ الشيء أَذْخَرُهُ ، وكثيرا ما يُنلَط فيه فيجعل بالذال المهملّة . ومَن وقع له الوَهم في ذلك الشَيْخُ جمال الدين الأسنوي في "طبقات الفقهاء" فأورد صاحب "الذخائر" في الدال المهملّة ؛ والذئري نسبة إليه للبالغة ، وأكثر ما يستعمله الكتاب كذلك .

حرف الراء المهملّة

(الربّاني) من ألقاب الصوفيّة وأهل الصلّاح ، وربما لُقّب به العالم فيقال « العالم الربّاني » قال الجوهري ، وهو المتألّه والعارف بالله تعالى . قال تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ .

(الرحلة) بضم الراء من ألقاب أكابر العلماء والمحدّثين ، والرحلة في اللغة ما يُرَحَل إليه ، لُقّب بذلك لأنه في حَزْأَت يُرَحَل إليه لالأخذ عنه . أما الرّحلة بالكسر فالأرتحال ، والرحلى بالضم أيضا نسبة إليه للبالغة .

(الرئيس) بالهمزة على وزن فَعِيل من ألقاب عليّة الناس وأشرفهم ، ويقال : فيه رِيس على وزن قِيم قاله الجوهري . وأصله من الرّئاسة وهي رِفْعَةُ القدر وتُلوّ الرّتبة ؛ والرئيسي نسبة إليه للبالغة ، وغالب ما يستعمله الكتاب كذلك ، وهو من ألقاب أرباب الأقلام من العلماء والكتاب .

حرف الزاي

(الزاهد) من ألقاب الصوفيّة وأهل الصلّاح ، وهو في اللغة خلافُ الرّاغب ، والمراد هنا مَنْ أعرض عن الدنيا فلم يَلْتَمِسْ إليها ، والزاهدي نسبة إليه للبالغة .

(الرَّعِيمِي) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، كُتِبَ ألقاب السلطنة وَمَنْ فِي مَعَنَاهُمْ؛ وهو نسبة إلى الرَّعِيمِ بمعنى السيد والكافِلُ وَكَأَنَّهُ بولايته على القوم سادهم أو كَفَلَهُمْ وتولاهم ولم يستعملوا فيه الرِّعْمَ بغير ياء : لأنه إذا كان مختصاً بكار أرباب السيوف دون أُناسِهِمْ، وجب إثبات الياء للبالغة .

(الرَّزَكِي) من ألقاب المتدينين من أرباب الألقلام وغيرهم، يقال التقى الرَّزَكِي ونحو ذلك . وهو في أصل اللغة بمعنى الزاكي وهو الزائد وقد تَقَدَّمَ مثله في الأَزْكَى في حرف الألف .

حرف السين المهملة

(السالِك) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو فاعل من السلوك، والمراد سلوكُ مَبِيلِ الرِّشَادِ الموصل إلى الله تعالى، والسالِكُ نسبة إليه للبالغة .

(السامِي) من ألقاب المجلس، وقد تَقَدَّمَ الإشارة إليه في الكلام على الألقاب الأصول وأنه ينقسم إلى السامِي بالياء والسامِي بغير ياء فراجع منه .

(السَّافِرِي) قال في "عرف التعريف" : وهو من الألقاب الخاصة بالنوادر، على أنى قدر أَيْتَهُ في بعض الساميات الشامية قد كُتِبَ به لبعض التجار الخواجكية لِسَفَارَتِهِمْ بين الملوك وترددهم في الممالك بِحَلْبِ الممالك والجواري ونحو ذلك وهو منسوب إلى السَّافِر : وهو الرسول والمصلح بين القوم نسبةً مبالغة ولم يستعمله الكتَّاب مجزداً عن الياء : لأنه إذا كان خاصاً بهدين ورتبتهما عليه لا يَلِيقُ بها حذف الياء لم يناسب استعماله مجزداً عنها .

(السلطاني) من ألقاب الملوك فيثبت في ألقاب المقام الشريف ونحوه، فيقال المقام الشريف العالي السلطاني ونحو ذلك ؛ وهو منسوب إلى السلطان وقد تَقَدَّمَ الكلام عليه في الكلام على أرباب الوظائف .

(السيد) من الألقاب السلطانية يقال السلطان السيد الأجل ونحو ذلك ؛ ويقع في اللغة على المالك والزعيم ونحوهما ؛ والسيد نسبة إلى للبالغة ، وهو من الألقاب الخاصة بالجناب الشريف فما فوقه . قال في "عرف التعريف" ولا يكتب به عن السلطان لأحد .

حرف الشين المعجمة

(الشاهنشاه) من الألقاب الملوكة المختصة بالسلطان وأكابر الملوك . وهو لفظ فارسي معناه بالعربية «ملك الأملاك» وقد ورد النهى عن التسمي به ؛ وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ أَخْتَنَ أَمِيرٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمَلِكِ ، لَا مَلِكَ الْأَمَلِكِ إِلَّا اللَّهُ» . قال سفيان بن عيينة : معناه شاهنشاه ؛ ولذلك يحذفه المتدينون من الكتاب من الألقاب السلطانية ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التشيف" في مكتبة صاحب المغرب .

وأعلم أنه كان قد وقع في تلقيب الملوك بهذا اللقب نزاع بين العلماء في سلطنة السلطان «جلال الدولة» السلجوقي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة كما حكاه ابن الأثير في تاريخه «الكامل» وذلك أن السلطان جلال الدولة كان قد سأل أمير المؤمنين (القائم بأمر الله) الخليفة يومئذ في أن يحاطب بملك الملوك فامتنع ، فكتب قنوى للفقهاء في ذلك ؛ فكتب القاضي أبو الطيب الطبري ، والقاضي أبو عبد الله الصيمري . والقاضي ابن البيضاوي ، وأبو القاسم الكرخي يجاوزه ؛ ومنع منه أفضى القضاة أبو الحسن الماوردي ، وجرى بينه وبين من أفتى يجاوزه مراجعات ؛ وخطب بحلال الدولة بـ «ملك الملوك» وكان الماوردي من أخص الناس بحلال الدولة ، وكان يتردد إلى دار المملكة كل يوم فلما أفتى في ذلك بالمنع ، أقطع ولزم بيته خائفاً ،

وأقام مقطعا من شهر رمضان إلى يوم النحر؛ فاستنداه جلال الدولة، فحضر خائفاً فأدخله عليه وحده، وقال له : قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالاً وجاهاً وقرباً منا وقد خالفتهم فيما خالف حوايى، ولم تفعل ذلك إلا لمدم المحابة منك وأتباع الحق، وقد بان لى موضعك من الدين ومكانك من العلم، وجعلت جزاء ذلك لأكرامك بأن أدخلتك إلى وحدك، وجعلت إذن الحاضرين إليك، لينتفعوا عودى إلى مايتب . فشكره ودنا له وأذن لكل من حضر الخدمة بالانصراف .^(١)

(الشریف) من ألقاب المقر والجناب، من حيث إنه يقال المقر الشريف والجناب الشريف، وذكر في "عرف التعريف" أنه يختص بالأشراف أبناء فاطمة من على رضى الله عنهما، وكأنه يريد فى الألقاب المطلقة التى لا تلى المقر والجناب وهو فعيل من الشرف وهو العلو والزعة، قال ابن السكيت : ولا يكون إلا لمن له آباء يتقتمونه فى الشرف بخلاف الحسيب ومن هنا جعله الحناب أعلى رتبة من الكريم لاشتماله على قدر زائد لا يعتبر فى الكريم من عراقة الأصل وشرف المنجد، والشرف نسبة إليه للبالغة .

(الشهير) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه المشهور الظاهر، والمراد هنا من أشهر علوقه وزعته .

(الشيخ) من ألقاب العلماء والصلحاء وأصله فى اللغة الطاعن فى السن، ولقب به أهل العلم والصلاح توقيراً لهم كما يوقر الشيخ الكبير، والشيخ نسبة إليه للبالغة .

حرف الصاد المهملة

(الصاحب) من ألقاب الوزراء . قال فى "عرف التعريف" : وهو مختص بأرباب الأنلام منهم دون أرباب السيوف . وهو فى أصل اللغة اسم للصديق ،

(١) أورد ابن الأثير هذه العبارة فى كتابه الكامل (ج ٩ ص ١٧١) .

وأول مَنْ لُقِّبَ به من الوزراء كافي الكفاة إسماعيل بن جُباد، وذلك أنه كان يصحب الأستاذ ابن العميد، فكان يقال له بذلك «صاحب ابن العميد» ثم غلب عليه حتى أَسْتُمِعِلَ فيه بالألف واللام، ثم صار لُقِّباً على كل مَنْ وَلِيَ الوزارة بعده . على أن كُتِّبَ الإنشاء بالمالك الشامية يلقَّبون العلماء من قضاة القضاة وَمَنْ في معناهم بذلك، وهم على ذلك إلى الآن، بخلاف كُتِّبَ الديار المصرية، فإنهم يَقْصُرُونَهُ على الوزراء دون غيرهم كما تَهْتَمُّ الإشارةُ إليه . والصاحي نسبةٌ إليه للبالغة . وهو المستعمل عند كُتِّبَ الإنشاء، وبغير الياء في العرف العام .

(الصالح) من ألقاب أهل الصِّلَاح والصُّوفِيَّةِ يقال الشيخُ الصالحُ ونحو ذلك . وهو مأخوذ من الصِّلَاح ضدَّ الفساد، ولم يستعملوه بإثبات ياء النسب فلم يقولوا الصالحي، وكأنهم تركوا ذلك خوفاً من الاكتباس بالنسبة إلى البلد المعروف أو غيره .

(الصِّدْر) من ألقاب التُّجَّار ونحوهم . والمراد مَنْ يكون صَدْرًا في المجالس، وصِدْرُ كُلِّ شَيْءٍ في اللغة أوَّلُهُ، ومُبَرَّرٌ عَنْ صِدْرِ الْمَجْلِسِ بأَوَّلِهِ لَأَنَّهُ في الْحَقِيقَةِ أوَّلُ الْمَجْلِسِ وكل جانب من جانبيه يَتَوَلَّاهُ، والصِّدْرِيُّ نسبةٌ إليه للبالغة .

حرف الطاء

(الطاهر) من ألقاب ملوك المغرب، والمراد المتَّزِّه عن الأدناس .

حرف الظاء

(الظهير) من ألقاب كبار أرباب السُّيُوف كأعيان الأمراء من نواب السلطنة وغيرهم؛ وهو نسبةٌ إلى الظَّهِير بمعنى العَوْن للبالغة، ومنه قوله تعالى :

(لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) ولم يستعملوه مجزأ عن ياء النسب لاختصاص المظاهرة بأكابر أرباب السيوف، وهو بغير الياء لا يقع إلا على الأدوان منهم .

حرف العين

(العابد) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح . وهو فاعل من العبادة وهي الطاعة . وربما استعمل في أرباب السيوف والأقلام أيضا : لاختصاص متصيف منهم بذلك أو وقوعه أولا على متصيف به منهم ثم لزومه من بعده من أهل تلك المرتبة كما في نائب الشام، حيث كُتب ليُدْمِر الخوارزمي في نيابته بذلك، ثم لزم من بعده من نواب الشام والنائب الكافل على ما سياتى ذكره في المكتابات إن شاء الله تعالى .

(العادل) من ألقاب السُلطان، وهو خلاف الجائر، وذلك أعلى ما وُصف به الملك ونحوه من ولاة الأمور : لأن العدل به تقع عمارة الممالك، والعادلة نسبة إليه للبالغة، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف من النواب ونحوهم .

(العارف) من ألقاب أكابر أهل الصلاح، وهو خلاف الجاهل، ومنهم من يفرق بينه وبين العالم بأن المعرفة قد يتقنها جاهل والعلم لا يتقنسه جاهل، ولذلك لم يُطلق اسمُ العارف على الباري سبحانه وتعالى بخلاف العالم فإنه يُطلق عليه، والعارف نسبة إليه للبالغة .

(العاقد) من ألقاب ملوك المغرب، وهو في أصل اللغة اسم للمعين، يقال عَصَدْتُهُ أَعَصَدْتُهُ إِذَا أَعْتَمْتُهُ .

(العالم) من ألقاب السُلطان، وهو خلاف الجاهل . ثم هو في الحقيقة إنما هو من ألقاب العلماء إلا أنهم نعتوا به الملوك تعظيما، إذ العالم كل أحد يراحم على

الألقاب به ؛ والعالمى نسبة إليه للبالغة . وهو من الألقاب المشتركة في الاصطلاح بين أرباب السيوف والأقلام وإن كان المختص بها في الحقيقة العلماء .

(العالمى) من الألقاب التى يشترك فيها أرباب السيوف والأقلام ، ويوصف به المقام والمقر والجناب والمجلس فى إحدى حالتيه ؛ وهو من العلماء بالمد وهو الشرف . يقال على بكسر اللام يعلّى بفتحها إذا شرف ، ومنه قيل فى على ونحوه «علاء الدين» ويحتمل أن يكون من العلّو فى المكان يقال فيه علّا بفتح اللام يعلّو علّوا ؛ وسيأتى معنى الفرق بينه وبين السامى وإن كان بمعناه فى اللغة .

(العامل) من ألقاب أهل الصلاح ، والمراد المجد فى العمل المجتهد فى العبادة ؛ والعالمى نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام كالعالمى .

(العريق) من ألقاب ذوى الأصالة ، وأكثر ما يقع على أرباب الأقلام ، والمراد من له صراحة فى كرم الأصل ؛ والعريق نسبة إليه للبالغة .

(العزیز) من ألقاب ديوان الخلافة ، يقال فيه «الديوان العزیز» على ما سيأتى بيانه فى المكتبة إلى أبواب الخلافة ، وربما استعملوه فى الولد فقالوا الولد العزیز ، ولم يستعملوه مضافا إلى إباء النسب . .

(العُضد) من ألقاب أرباب السيوف ؛ وهو فى الأصل أسمٌ للمساعد ؛ وهو ما بين المُرَقِّق والكثيف ، واستعمل فى المعين والمُساعد لقيامه فى المساعدة مقام العضد الحقيق من الإنسان ؛ ثم الأقصَح فيه فتح العين مع ضم الضاد ، ويحوز فيه كسر الضاد وإسكانها مع الفتح أيضا وضم العين مع إسكان الضاد ؛ والعُضْدَى نسبة إليه للبالغة .

(الْعَوْنُ) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف، وهو نسبة إلى العَوْن وهو الظهير على الأمر المَعَاوُن عليه . ولم يستعملوه مجزأ عن ياء النسب لوقوع العَوْن على الواحد من أعوان صاحب الشرطة ونحوه .

(الْعَلَامَةُ) بالتشديد من ألقاب أكابر العلماء . قال الجوهرى : وهو العالم للناية ، وقُلَّ أن يُستعملوا إلا في ألقاب المكتوب بسببه ونحو ذلك ، وحذف الهاء منه لغة ، وليست بمستعملة بين الكُتَّاب أصلاً ؛ والعلامة نسبة إلى العَلَام أو العلامة للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختص بالمُعْتَمَد .

حرف الغين المعجمة

(الغَازِي) من ألقاب أرباب السيوف، وهو من الأسماء المقوصة كالفَاضِي ونحوه، وقُلَّ أن يُستعمل إلا في ألقاب السامى بغير ياء فإدونه .

(الغَوْتُ) بالناء المثلثة من ألقاب الصوفية، وهو عندهم لقب على القطب الذى هو رأس الأولياء؛ وأصله في اللغة من قول الرجل واغوثاه، وقُلَّ أن تستعمله الكُتَّاب بل لم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب أصلاً .

(الغِيَاثِي) من ألقاب أرباب السيوف ، وأكثر ما يُستعمل في الملوك ، وهو في اللغة الأسم من استغاثني فأغثته ، وأصله الغَوَاثِي بالواو قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها .

حرف الفاء

(الفاتح) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعلٌ من الفتح بمعنى النصر ، والمراد فتح الأمصار وتلكمها .

(الفاضل) من ألقاب أرباب الأقلام ، وأكثر ما يقع في ألقاب العلماء ، وربما وقع في ألقاب الكتّاب ، وهو خلاف الناقص ، والمراد زائد الفضل ، وبه لقب القاضي الفاضل « عبد الرحيم اليسانى » الكتّاب المشهور ، والفاضل نسبة إليه للبالغة .

(الفائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعل من الفوز بمعنى النجاة أو الفطر ، وقد يُسأخ في التلقب به فإن الفوز يطلق على الهلاك أيضا على ما هو مقرر في كتب اللغة ، ومثل ذلك يجب اجتنابه لما فيه من الاشتراك بين المحمود والمذموم ، إلا أنه غلب استعماله في النجاة حتى إنه لم يرد في القرآن إلا بمعناها ، ولذلك عول الكتّاب على استعماله .

(الفيق) من ألقاب العلماء وهو اسم فاعل من فقه بضم الفاء إذا صار الفقه له حجية ، ككرم إذا صار الكرم له حجية . قال المسيل^(١) في «شرح مختصر ابن الحاجب» : وإنما يقع على المجتهد دون المقلد ، أما إطلاقه على فقهاء المكاتب ونحوهم فعلى سبيل المجاز . على أن الكتّاب بالديار المصرية لم يستعملوا هذا اللقب إلا في القليل النادر ، بل كثير من جهلة الكتّاب وغيرهم يستصغرون التلقب به ويعتونه قسما ، وإنما يعظم به جدّ التعظيم أهل المغرب ، والفيقي نسبة إليه للبالغة ، وهو مستعمل في ألقاب العلماء .

(الفریدی) من ألقاب أكابر العلماء ، وهو نسبة إلى الفرید بمعنى المنفرد للبالغة ، والمراد المنفرد بما لم يُسأركه فيه غيره ، ولم يستعملوه مجردا عن ياء النسب .

(١) كذا بالأصول ولعله السبكي انظر شرح مختصر ابن الحاجب في كشف الظنون .

حرف القاف

(القاضِي) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القاضي للبالغة ، ثم في الحقيقة كان يجب أن يختص بالقضاة الذين هم حكام الشريعة دون غيرهم ، إلا أنه توسع فيه حتى استعمل في غيرهم من ألقاب أرباب الأقاليم .

(القُدوة) بكسر القاف وضمة لنة من ألقاب العلماء والصالحاء ، وهو بمعنى الأسوة . يقال : فلان قُدوة يُقتدى به ، والقُدوى نسبة إليه للبالغة ، وحذفت منه تاء التانيث المبدلة من الهاء على قاعدة النسب عند النحاة ، وكثير من جهالة الكتاب يُثبتون فيه تاء التانيث مع النسب فيقولون القُدوي ، وهو خطأ كما تقدم في الكلام على المجمة في حرف الحاء .

(القضايري) من الألقاب التي يستعملها بعض الكتاب في ألقاب من أجمع له رئاسة السيف والعلامة ، وهو نسبة إلى القضاء والأمير تشبيهاً بمنصب من يرى النسبة إلى المضاف والمضاف إليه جميعاً فيقول في النسبة إلى عبد شمس عبّسي ، وإلى عبد الدار عبدي ، ونحو ذلك ، وهو مذنب مرجوح على ما تقدم بيانه في المقالة الأولى في الكلام على النحو ، والأحسن فيه النسبة إلى كل منهما على أفراد ، فيقال القضاي الأمير ، أو الأمير القضاي ، وعلى العمل به فاللاق بملو الرتبة أن يقال القاضيري ليكون مرجحاً من القاضوي والأميري ، إذ كان القاضوي في المعنى أبلغ من القضاي لما في القاضوي من البالغة على ما تقدم بيانه .

(القضاي) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القضاء فلا مبالغة فيه .

(القُطب) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وهو عندهم عبارة عن رأس الأولياء الذي عليه مدارهم كما تقدم في الغوث ، وقيل أن يستعمله الحجاب ،

ولم يستعملوه مضافاً إلى إياء النسب فيما وقفت عليه أصلاً . والقُطْبُ في أصل اللغة كَوَّكَبٌ بين الجندى والفرقتين يدور عليه الفلك فيما قاله الجوهري . والتحقيق أنه نقطة متوهمة بالقرب من هذا الكوكب على ما هو مقرر في علم الهيئة ، ولذلك قيل لسيد القوم الذي عليه مدار أمرهم قُطْبُ بنى فلان ، ومن هنا عبروا عن مدار الأولياء بالقُطْب . وقيل أن يستعمله الحُجُب ، ولم يستعملوه مضافاً إلى إياء النسب فيما وقفت عليه .

(القَوَائِمُ) بفتح القاف من ألقاب أرباب السيوف . وهو نسبة إلى القوام وهو العدل . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ولم يستعملوه مجزئاً عن إياء النسب .

حرف الكاف

(الكافلُ) من الألقاب المختصة بنائب السلطنة بالحضرة ، يقال فيه النائب الكافل ونحو ذلك ، والكافل في اللغة الذي يكفل الإنسان ويعوله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ولُقِّبَ بذلك لأنه يكفل الرعية ويعولهم ، والكافل نسبة إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : وهو مختص بنائب سلطان أو وزير كبير . وذكر في دستور آخر أنه لا يكتب به لغيرهما .

(الكبير) من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام ، وهو في الأصل لخلاف الصغير ، والمراد هنا الرفيع الرتبة ، والكبير نسبة إليه للبالغة .

(الكريم) من ألقاب المقر والحناب ، ويشترك فيه أرباب السيوف والأقلام ، والكريم خلاف اللئيم فيما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال : الكرم هيض اللؤم ، ويحذف فيكون المراد بالكريم الخالص من اللؤم ، ومن ثم جعل دون الشريف .

في الرتبة، إذ في أشرف قدر زائد على ذلك، وهو اعتبار ثبوت رفعة القدر، بل اعتبار ذلك في آياته أيضاً كما قاله ابن السكيت على ما تقدم ذكره في الكلام على لقب الشريف، ويوضح ذلك أن الفقهاء قالوا يستحب في الزوجة أن تكون نسبية فعمله بعضهم على الصحبة النسب احترازاً بذلك عن بنت الزنا، وحمله آخرون على العراقة في النسب، والأول في معنى الكرم الذي لم يعتبر فيه سوى خلوصه من اللؤم، والثاني بمعنى الشريف الذي اعتبر فيه قدر زائد، ثم هو فعيل من كرم بضم الراء إذا صار الكرم له سجية كما تقدم في النقيض.

(الكفيل) من ألقاب أكابر تواب السلطنة، وهو أعلى من الكافل، لأن صيغة فعيل أبلغ من صيغة فاعل على ما هو مقرر في علم النحو والتصريف.

حرف اللام

(الليب) من ألقاب أرباب الأعلام، وهو فعيل من لب وهو العقل، والليب نسبة إليه للبالغة.

(اللدعي) بالفتح المعجمة من ألقاب أرباب الأعلام، وهو الذي القلب.

حرف الميم

(الماجد) من ألقاب أرباب الأعلام غالباً، وربما أطلق على غيرهم، وهو مختص بذوي الأصالة فقد قال ابن السكيت إن المجد لا يكون إلا بالآباء، والماجد نسبة إليه للبالغة.

(المالك) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف والأعلام. قال في "عُرف التعريف": ولا يكتب به عن السلطان لأحد، وهو نسبة إلى المالك الذي هو خلاف المملوك للبالغة، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب.

(المُتَاغِرُ) بالناء المثلثة من ألقاب السلطان، والمراد القائم بِسَدِّ الثُّغُور : وهي البلادُ التي في نَحْرِ العدو، أخذًا من التَّغَرُّ وهو السَّقْ، لأنه كاللباب على الخلق الذي يتنوع الوصول إليه إلا منه؛ والمُتَاغِرِي نسبةٌ إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .

(المُتَصَرِّفِي) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ في معانهم ، والمراد مَنْ ينفذ تصرفه في الأمور، ولم يستعملوه مجزأ عن ياء النسب .

(المُجَاهِدُ) من الألقاب السلطانية ، والمرادُ المُجَاهِدُ في سبيل الله تعالى، وربما أَسْتُعْمِلَ في ألقاب السامِي من غير ياء فما دونه كما تقدم في الغازي ، والمُجَاهِدِي نسبةٌ إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .
(المُجْتَهِدُ) من ألقاب العلماء ، والمرادُ به في الأصل مَنْ يَسْتَنْظِطُ الأحكامَ الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وَقَلَّ أَنْ يستعمله الكُتُوبُ والمُجْتَهِدِي نسبةٌ إليه للبالغة . وأكثُرَ أَسْتُعْمَلَهُ كذلك .

(المُحْتَرَمُ) من ألقاب العامة ممن يلقَّبُ بالصُّدْرُ الأَجَلُّ . فيقال : « الصُّدْرُ الأَجَلُّ الكبيرُ المُحْتَرَمُ » ونحو ذلك .

(المُحَقِّقُ) من ألقاب العلماء ، وربما أَسْتُعْمِلَ في ألقاب الصُّوفِيَّةِ ، والمراد أنه يأتي بالأشياء على حقائقها لِخِلَاقَةِ ذِيْنِهِ وَصِحَّةِ حُدُوسِهِ ؛ والمُحَقِّقِي نسبةٌ إليه للبالغة .

(المُخْتَارُ) من ألقاب أرباب السيوف غالبًا ، ويختصُّ بالسامِي بغير ياء فما دونه . وهو أَمُّ مفعول من الاختيار ، بمعنى أن الملوكة وأرباب الأمور يُخْتَارُونَهُ ، على أن اسم الفاعل منه أيضا المُخْتَارُ كلفظ المفعول على السواء وإنما تُرْشَدُ إليه القرائن .

(المخلُوم) من الألقاب المختصة بالمكاتبات، والمراد من هو في رتبة أن يكون مخلوماً لعلو رتبته وتُمَوَّعَلَهُ ؛ والمخلُوم - نسبةٌ إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ولا يُكْتَبُ به عن السلطان لأحد .

(المُدَبَّرِي) من ألقاب الوزراء ومن في معانهم ككُتَّاب السِرِّ ونحوهم ، وهو نسبة إلى المدبِّر بكسر الباء الموحدة : وهو الذي ينظر في الأمر وما تُؤَلِّمُ إليه عاقبته ، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب .

(المُدَقِّق) من ألقاب العلماء ، وهو الذي يُنَمِّمُ النظر في المسائل ويدقِّقه ؛ والمُدَقِّق - نسبة إليه للبالغة .

(الرُّابِط) من الألقاب السلطانية ، وهو مُفَاعِل من الرِّبَاط : وهو ملازمةُ قَرِّ العدوِّ ؛ والمُرَابِطِي - نسبةٌ إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، ككُتَّاب السلطنة ونحوهم .

(المُرَبِّي) من ألقاب الصوفية ، والمراد من يربِّي المريدين ويسلِّمهم ويعرِّفهم الطريق إلى الله تعالى .

(المرتضى) من ألقاب أرباب السيوف والأقلام ، ويختصُّ بالسامي بغير ياء فا حونه ، والمراد من يرضاه ولأه الأمور ويختارونه .

(المُرْشِد) من ألقاب ملوك المغرب ، وربما استُعمِل في ألقاب الصوفية ، والمراد من يُرْشِدُ الناس إلى الحق ويهديهم السبيل ؛ والمرشِدِي - نسبةٌ إليه للبالغة .

(المُسَدِّدِي) من ألقاب أرباب السيوف وألقاب الوزراء ومن في معانهم ، وهو بفتح الدال المشتدة نسبةً إلى المسدِّد ، وهو اسم مفعول من السَّدَد بالفتح : وهو

الصَّواب والقصد من القول والعمل . ويجوز أن يكون بالكسر على أنه اسمُ فاعِلٍ منه بمعنى أنه يُسَلِّدُ غيره ، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب .

(المسلِّك) بتشديد اللام المكسورة من ألقاب الصوفية ، وهو اسمُ فاعِلٍ من تسليك الطريق وهو تعريقها ، والمراد تعريقُ المريدين الطريقَ إلى الله تعالى ؛ وأصل التسليك إدخال الشيء في الشيء ، ومنه قيل فحيط مسلِّك ، لقب بذلك لإدخاله المريدين في الطريق ؛ والمسلِّك نسبة إليه للبالغة .

(المُشَيِّد) بتشديد الياء المكسورة من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، كُتُوب السلطنة ونحوهم ، وهو نسبة إلى المُشَيِّد فاعِل من التشديد وهو رفع البناء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفَصَّرَ مَشِيدٌ ﴾ أى مرتفع ، والمراد أنه يُسَيِّدُ قواعد المملكة ويرفعها ؛ ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب إذ لا يليق بالأدنين .

(المُشِير) من ألقاب الوزراء وأكابر الأمراء ومن ضاهاهم عن يؤخذ رأيه في الأمور . قال في "حرف التعريف" : ولا يُسمَحُ به لأحدٍ من أرباب السيوف ما لم يكن مقدِّمَ الف ؛ وهو نسبة إلى المُشِير : وهو الذي يؤخذ رأيه . وأُخْتَلِفَ في أصله المأخوذ منه قليل : من شُرْتُ العسل إذا استخرجته من كُوَارَةِ النحل ؛ لأنَّ الرأى يُسْتَخْرَجُ من المُشِير . وقيل من شُرْتُ الناقة إذا عرضتها على الحوض لأن المستشير يعرض ما عنده على المُشِير ، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب لاحتطاطه عن رتبة الأكابر .

(المُظَاهِر) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه المُعَاوَنُ أَخْذاً من المُظَاهَرَةِ : وهي المُعَاوَنَةُ .

(المُظَفَّر) من ألقاب السلطانية ، أَخْذاً من الظَّفَر وهو النَّصْر ؛ والمُظَفَّرُ نسبة إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف .

(المُعْرِق) بضم الميم وإسكان العين وكسر الراء من ألقاب ملوك المغرب، والمراد به من أَعْرِقَ في الكَرَم . على أن المُعْرِق قد يُطْلَق في اللغة على المُعْرِق في اللُّؤم أيضا فهو من الأضداد، ومثل ذلك يُحْتَفَب في التلقيب .

(المُعَزِّز) بزائين معجمتين الأولى منهما مشددة مفتوحة من ألقاب ملوك المغرب، وهو أَسْمُ مفعول من العَزَّ خلاف اللُّلَّ، ومنه قراءة من قرأ (وَيُعَزِّزُهُ وَيُوقِرُهُ) بزائين معجمتين .

(المُعْظَم) بفتح الظاء المشددة من ألقاب ملوك المغرب أيضا، وهو أَسْمُ مفعول من المَظْمَة وهي الجلالة، وربما أَسْتَعْمِلَ في ألقاب بعض ملوك الكُفَر على ماسياتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(المُعْظَم) بفتح الخاء المعجمة المشددة من ألقاب ملوك المغرب، وهو مأخوذ من القِظَامَة وهي الضَّخَامَة .

(المُقَوَّه) بفتح الواو المشددة من ألقاب البُلَغَاء من الكُتَّاب وغيرهم . وهو البليغ اللِّسَن ، والمُقَوَّهِي نسبة إليه للبالغة .

(المُفِيد) من ألقاب العلماء، وهو أَسْمُ فاعِل من الإفادة وهي إنالة الشخص مالم يكن حاصلاً عنده؛ والمُفِيدِي نسبة إليه للبالغة .

(المُقَدَّمِي) بفتح الدال المشددة من ألقاب أرباب السيوف . ويختص بمقدمي الألوف من الأمراء، والمراد أنه مُقَدَّم على مضاهيه من الأمراء والأجناد، ولم يستعملوه مجزأ عن ياء النسب .

(المُقَرَّب) بفتح الراء المشددة من ألقاب الخُدَّام والخواجِكَة ، والمراد أنه مقَرَّبٌ عند الملوك وَمِنْ في معنَاهم ، وهو من القَرَب خلاف البُعد ؛ والمُقَرَّب نسبة إليه للبالغة .

(المُكْرَم) بفتح الراء المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل من الكرامة .

(المَلِكِي) بفتح اللام من القاب المَلِك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء وَمِنْ في معنَاهم ؛ وهو نسبةٌ إلى المَلِك بكسر اللام وإنما قُضِحَتْ لامُهُ في النسب جرماً على قاعدة النسب في تَمَرُّ فأنه ينسب إليه تَمَرِي بفتح الميم على ما هو مقرر في علم النحو . على أن كثيراً من كُتَّاب الزمان يَظُنُّون فيه فيكسرون لامه في النسب أيضاً وهو خطأ . ثم النسبة إن كانت في حق المَلِك نفسه كقولهم في ألقاب المَلِك المَلِكِي ، فالنسبة فيه للبالغة ، وإن كانت في حق أحد من أتباعه كقولهم في حق بعض الأمراء ونحوهم المَلِكِي القلاني فالنسبة فيه على حقيقة النسب .

(المُجَدِّد) يفتح الجيم المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل من المجد وهو الشرف . وقد هتَمَّ في الكلام على الماجد عن ابن السكيت أنه يكون المجد للرجل وإن لم يتقدمه شرف آباءه .

(المُهْدِي) بكسر الهاء المشددة من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، نسبةٌ إلى المهد : وهو الذي يَهْدِي الممالك وَيُوَخِّئُهَا ، والنسبة فيه للبالغة ، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب :

(١) المقول في كتب اللغة عن ابن السكيت أن المجد والشرف لا يكونان إلا بالآباء والحسب والكرم يكونان للرجل وإن لم يكن له آباء كرام وقد نقل المؤلف نفسه هذا المعنى في غير هذا الموضع فكتبه .

(الْمُتَخَبُّ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ : وهو الْمُتَخَارِبُ ؛ والمتَخَيُّ نسبةٌ إليه للبالغة .

(الْمُنْقِذِيُّ) بكسر القاء المشددة وبالذال المعجمة من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معنَاهُمْ نسبةٌ إلى الْمُنْقِذِ : وهو الذى له معرفة بتنفيذ الأمور وَوَضْعُ الْأَشْيَاءِ في مواضعها ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(الْمُنْصِفِيُّ) من ألقاب الوزراء وولاة الأمور نسبةً إلى الْمُنْصِفِ : وهو الذى يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .
(الْمَنْصُورُ) من الألقاب السلطانية ، يقال منه «المؤيد المنصور» ونحو ذلك ، ومعناه ظاهر ، والمنصُورى نسبةٌ إليه للبالغة ؛ وهو من ألقاب أكابر أرباب السيف كُتُوبِ السُلْطَنَةِ ونحوهم .

(الْمُؤْتَمِّنُ) من ألقاب الخُدَّامِ والتُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ ، والمراد أن الخُدَّامَ يُؤْتَمِّنُونَ على الحرم والمَمَالِكِ فى الحَضَرِ ، والتُّجَّارُ يُؤْتَمِّنُونَ على المَالِكِ والجَوَارِى فى السَّفَرِ ، أو يُؤْتَمِّنُونَ على أخبار المَمَالِكِ وأحوالها ، فلا يُخْبِرُونَ عن مملكة بمملكة أخرى إلا بما فيه السَّنَاد .

(الْمَوْلَى) من ألقاب الكُتَّابِ ، وأكثر ما يجرى ذلك فى تعيين كاتب السر ونحوه .
فيقال : « المولى فلان الدين » والمراد هنا السيد ، والمولى نسبةٌ إليه للبالغة .
وهو من ألقاب أكابر أرباب السيف والأقلام . قال فى «عُرف التعريف» :
ولا يُكْتَبُ به عن السلطان لأحد . على أن المولى لفظٌ مشتركٌ يقع فى اللغة على السيد كما تَقْتَضِيهِ ويَعْبَرُ عنه بالمولى من أعلى ؛ ويقع على المملوك والعتيق ويعبَرُ عنه بالمولى من أسفل ؛ ويقع على المنضمِّ إلى القبيلة من غير أنفسهم ، كما يقال فى الإمام

البَخَارِيّ « الجُعْفَى مَوْلَاهُمْ » بمعنى أنه ليس من صُلْب القَيْسِلَة ؛ وَيُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَيْضًا . وَإِذَا كَانَتْ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْمَوْلَى مِنْ أَعْلَى وَالْمَوْلَى مِنْ أَسْفَل فَكَانَ الْأَحْسَنُ الْإِضْرَابَ عَنْهُ .

(المؤَيَّد) بفتح الياء المشتدّة من الألقاب السلطانية، وبالكسر من ألقاب السامية بإيلاء فإدونه، والمراد أنه يؤيّد الملك وينصره، وكلاهما مأخوذ من الأيّد وهو القوّة، والمراد أن الله تعالى يؤيّد ويقيّبه، ومنه قولهم في الدعاء: «أيّده الله تعالى» أى قوّاه، والمؤيّدَى بالفتح من الألقاب المملوكية نسبةً إلى المؤيّد بالفتح للبالغة؛ وبالكسر من ألقاب أكابر أرباب السيوف نسبةً إلى المؤيّد بالكسر للبالغة .

(المَلَاذِي) بالذال المعجمة من ألقاب الوزراء ومنّ في معناتهم من ولاة الأمور . وهو منسوب إلى المَلَاذِي بمعنى الملجأ نسبةً مبالغة، ولم يستعملوه مجزؤا عن ياء النسب .

حرف النون

(الناسِكُ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، ومعناه العابد أخذًا من التَّسْكُ وهو العبادة؛ والناسِكُ نسبةً إليه للبالغة . وهو من ألقاب الصلحاء أيضًا، وربما كُتِبَ بِهِ لِأَرْبَابِ السِّبْوَ وَالْأَقْلَامِ إِذَا كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى الصَّلَاحِ .

(النَّبَوِيّ) من ألقاب ديوان الخلافة وما في معناه من متعلقاتها، يقال فيه: «الدِّيَّانُ الْعَزِيزُ النَّبَوِيّ» ونحو ذلك . ويقع أيضًا في ألقاب ولاة العهد بالخلافة؛ وربما وقع في ألقاب الأشراف . وهو نسبة إلى النبوة لأنساب الخلافة العباسية إلى العباس عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأنساب الأشراف إلى أبنائه فاطمة رضي الله عنها .

(النَّسَبُ) من ألقاب الشُّرفاء أبناء فاطمة من علي بن أبي طالب رضى الله عنهما، والمراد العريق في النَّسَب؛ لقبوا بذلك لأنهم أعرقُ الناس نسباً، لأنسابهم إلى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم جوازُ نسبة أولاد بناته إليه بخلاف غيره، على ما هو مقرر في كُتُب الفقه. وقد أوضحنا ذلك في كتابي المسعى به الغيوب الموامع، في شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع، في أوائل النكاح؛ والنسبي نسبة إليه للبالغة.

(النَّصِير) من ألقاب أرباب السيوف للجلس السامى بالياء فن دونه. وهو بمعنى الناصر إلا أنه أبلغ منه، لأن صيغة فيل أبلغ من صيغة فاعل على ما هتتم؛ والنصيري نسبة إليه للبالغة في نصرة.

(النَّظَامِي) من ألقاب الوزراء ومن في معانهم، وهو نسبة إلى النظام وهو صورة الاجتماع والاكتمام، ومنه نظم المؤلف وغيره، والمراد أنه يكون به انتظام الأمور واكتتامها، وحيلئذ يكون النسب فيه على حقيقته، لأنه نسبة إلى خير صاحب اللقب؛ ويجوز أن تكون النسبة فيه للبالغة على معنى أن صاحب اللقب قد جعل من النظام تجوزاً، ولم يستعملوه مجزواً عن ياء النسب.

(التَّوْنِي) بضم النون وفتح الواو وسكون الياء المشتاة تحت وون في الآخر من ألقاب كُفَّال الممالك بالمالك القانية: كاتب السلطنة، وأمراء الأئوين، والوزير ونحوهم فيما كان عليه مملكة إيران إلى آخر مملكة أبي سعيد؛ والتونيني نسبة إليه للبالغة. قال في "التعريف": وهو بمثابة الكافلي في ألقاب الثواب. قال: وهو نعت يستعمل دائماً لأهل تلك البلاد ولا يستعملون الكافلي أصلاً.

(١) أى أطلق عليه النظام.

حرف الهاء

(المُمام) من ألقاب أرباب السُّيوف ، والمراد الشُّجاع ، والهُمائيُّ نسبة إليه للبالغة .

حرف الواو

(الوالديّ) من ألقاب المُستين من الأكبر ، وهو نسبة إلى الوالد ، وكأنه جعله والدًا له فتكون النسبة إليه على حقيقة النسب ، لأن النسبة فيه ليست إلى صاحب اللقب نفسه ، وربما قصد بذلك الوالد حقيقة ؛ وأكثر ما يقع هذا اللقب في المكتّبات .

(الوَرع) من ألقاب الصُّوفيّة وأهل الصلاح ، وربما لُقّب به أرباب السُّيوف والاقلام أيضًا إذا اتصفوا بذلك ؛ والمراد من يتّره عن الوقوع في الشُّبهات . وهو في اللغة الثقي ، يقال منه ورع ورع بكسر الراء فيهما ورعاً فهو ورع ؛ والورعيُّ نسبة إليه للبالغة .

(الوزير) من الألقاب الخاصة بالوزراء من أرباب السُّيوف والاقلام . وهو نسبة إلى الوزير ، وقد تهتم معناه واشتقاقه في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف .

(الولديّ) من ألقاب الأحداث من الرؤساء ، وهو نسبة إلى الولد ، كأنه جعله ولدًا له ، وربما وقع على الولد حقيقة ؛ وأكثر ما يقع في المكتّبات كما تهتم في الولديّ .

حرف اللام أَلِف

(الأمي) من ألقاب الأذكياء . قال الجوهرى : ومعناه الذكى المتوقد .

حرف الياء

(اليمى) من ألقاب النوادر وكتب السر والحاجب . قال فى "عرف التعريف" ولا يقال لغيرهم ، وهو نسبة إلى اليمين كأنه يمينُ السلطان الذى يتناول به الأشياء ، وإلا فجائس كتب السر بدار العدل عن يسار السلطان ، والنوادر والحاجب قائمان أمانة .

الضرب الثانى

(المرجبة المعبر عنها فى اصطلاح الكتّاب بالنعوت)

(وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا)

حرف الألف

(أتابك العساكر) من نعوت الأمير الأتابك ومن فى معناه كالتائب الكافل ومن فى رتبته . وذكر فى "عرف التعريف" أنه مما يختص بالتائب الكافل . وقد هتمت ذكر معنى الأتابك فى الكلام على الألقاب الأصول ؛ والعساكر جمع عسكر وهو الجيش .

(إسكندر الزمان) من الألقاب السلطانية ، والمراد بالإسكندر هنا الإسكندر ابن فيلبس اليونانى ، وهو الذى يؤرخ بظهوره على القوس وغلبيته إياهم على ماسياتى فى الكلام على التاريخ فى أواخر هذه المقالة .

كَانَ مَلِكًا عَظِيمًا مَلِكَ الشَّامِ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَالْعِرَاقَيْنِ، وَالسَّنَدِ، وَالْهِنْدِ،
وَبِلَادِ الصِّينِ، وَالثَّبَّتْ، وَنَرَسَانَ، وَبِلَادَ التُّرْكِ؛ وَذَلَّتْ لَهُ سَائِرُ الْمُلُوكِ؛ وَهَادَاهُ أَهْلُ
الْغَرْبِ، وَالْأَنْدَلُسِ، وَالسُّودَانِ؛ وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ
ذُو الْقَرْنَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ. قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ:
وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ مَلِكٌ عَظِيمٌ كَانَ قَبْلَ الْإِسْكَنْدَرِ بَزْمَنٍ طَوِيلٍ .

(أَثِيرُ الْإِمَامِ) مِنْ ألقَابِ أربابِ الأَقْلَامِ غَالِبًا، وَهُوَ أَثِيرٌ بِمَعْنَى مَأْتُورٌ، وَالْمُرَادُ
أَنَّ الْإِمَامَ يُؤَثِّرُهُ جُلَى غَيْرِهِ فَيَقْتَسِمُهُ عَلَيْهِ .

(اِعْتِضَادُ صِنَادِيدِ الزَّمَانِ) مِنْ ألقَابِ أربابِ السُّيُوفِ؛ وَقَدْ يَكْتُبُ بِهِ لِبَعْضِ
الْمُلُوكِ. وَالْاِعْتِضَادُ الْاِسْتِعَانَةُ، يَقَالُ: اِعْتَضَنْتُ بِفُلَانٍ إِذَا اِسْتَعَنْتُ بِهِ، وَالصِّنَادِيدُ
جَمْعُ صِنْدِيدٍ وَهُوَ الشُّجَاعُ .

(أَكْرَمُ تُجَيَّاتِ الْأَبْنَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ ألقَابِ الرُّؤَسَاءِ مِنْ أربابِ الأَقْلَامِ، وَأَكْرَمُ
أَفْضَلُ التَّفْضِيلِ مِنَ الْكَرَمِ خِلَافِ اللَّؤْمِ، وَالتُّجَيَّاتُ جَمْعُ تَجِيْبٍ وَهُوَ الْكَرِيمُ .

(أَجْمَلُ الْبُلَنَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ ألقَابِ أربابِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(الذَّابُّ عَنْ حَوَازَةِ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ ألقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ
مُسْلِمٍ يَقُومُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ. وَالذَّابُّ الدَّافِعُ، وَالْحَوَازَةُ بَفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالزَّيْ
الْمَعْجَمَةُ النَّاجِيَةُ .

(الْقَائِمُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ) مِنْ ألقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ. ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ"
أَنَّهُ يُكْتُبُ بِهِ إِلَى صَاحِبِ ثُوْبُسٍ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مُتَّصِفٍ بِذَلِكَ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(المجاهد عن الدين) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه ظاهر أيضا .
 (المعنى ملوك آل ساسان، وبقايا فراسياب وخاقان) من ألقاب عظماء ملوك الأطاجم .
 وقد ذكره في "التعريف" في ألقاب صاحب الهند . والمعنى بتشديد الفاء المكسورة
 المالحى للأثر، يقال عفت الرمح كذا بالتشديد إذا درسته ومحت أثره، وشدد للبالغة .
 وآل ساسان ملوك الأكاسرة وهم الطبقة الرابعة من ملوك الفرس
 الساسانية إلى أن غلبهم الإسلام وأقرع الملك من أيديهم ، يُنسبون إلى جدهم
 ساسان : وهو ساسان بن أردشير بهمن بن كيهستاسف من ملوك الطبقة الثانية
 فيهم ، على ما سيأتى بيانه في الكلام على مكتبة ملوك إيران، في المقالة الرابعة
 إن شاء الله تعالى .

وفراسياب بقاء في أوله ثم سين مهملة بعدها ياء ثم ألف وباء موحدة ملك عظيم
 من ملوك الترك، ويقال إن أصله من أبناء ملوك الفرس، وهو فراسياب بن طوج
 ابن أفريدون ، من الطبقة الأولى من ملوك الفرس ، وإن ابن عمه منوشهر غلب
 عليه بعد أن قتل أباه طوجا ففر إلى بلاد الترك وتزوج منهم ، وأتمت به الحال
 إلى أن ملكهم وعظم ملكه فيهم .

وخاقان بجاء معجمة وقاف ونون ملك من ملوك الترك أيضا كان في زمن
 كبرى أنوشروان فيما يقتضيه كلام أبي هلال العسكري في كتابه "الأوائل" حيث
 ذكر أنه كان بينه وبينه حرب .

(المواقف: المقدسة) من ألقاب الخلفاء في مخاطبتهم في المكتبات ونحوها،
 والمراد الأماكن التي يقف فيها الخليفة، كُني بها عن الخليفة تنويها عن التصريح
 بذكره؛ والمقدسة المطهرة، والمراد طهارتها عن الأدناس المعنوية .

(إمام الأئمة) من ألقاب العلماء ، وربما قيل «إمام الأئمة في العالمين» .

(إمام البلاء) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتّاب ومن في معانهم

(إمام المتكلمين) من ألقاب العلماء ، وهو بأهل المعقول أبقى لإطلاق علم الكلام على أصول الدين ، وإنما سمي بذلك لأنه لما وقع القول بخلق القرآن في صدر الإسلام ممن وقع كثر الكلام والخوض في ذلك فأُطلق على أصول الدين علم الكلام وبقي علماً عليه .

(أُوحدُ الأشراف) من ألقاب الشُّرفاء ، وربما قيل «أُوحدُ الأشراف في العالمين» أو «أُوحدُ الأشراف الطاهرين» أو «أُوحدُ الأشراف الماجدين» ونحو ذلك .

(أُوحدُ الأصحاب) من ألقاب الوزراء من أرباب الأقاليم ومن في معانهم ككتاب السِّر ونحوه وإن كان الصاحب يختص بالوزير في عُرف [كُتّاب الديار المصرية^(١)] على ما قهّم .

(أُوحدُ الأكابر) من ألقاب التجار الخَوَاجِكَة ، وربما كُتِبَ به لغيرهم من الرؤساء ، وربما قيل «أُوحدُ الأكابر في العالمين» .

(أُوحدُ الأئمة) من ألقاب العلماء ، وربما أُطلق على غيرهم .

(أُوحدُ الأئمة في العالمين) من ألقاب الكُتّاب ، والإئمة جمع أمين وهو خلاف الخائن .

(أُوحدُ الأئمة العلماء في العالمين) من ألقاب العلماء ، وربما اقتصر على أُوحد العلماء .

(١) يباين بالاصول والتصحيح من لقب الصاحب المتقدم في الاقواب المقررة .

(أَوْحَدُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أرباب الأعلام، وربما قيل «أَوْحَدُ الْبُلْغَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك والْبُلْغَاءُ جمعٌ يُلَیْغُ وقد تَهْتَمُّ معناه .

(أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ) وربما قيل «أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» أو «أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْأَنْبَاءِ» ونحو ذلك، ومعناه ظاهر .

(أَوْحَدُ الْحُقَافِظِ) من ألقاب المحدثين، وربما قيل «أَوْحَدُ الْحُقَافِظِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك .

(أَوْحَدُ الْخُطَبَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب الخطباء .

(أَوْحَدُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ) من ألقاب العلماء، وربما قيل «أَوْحَدُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» .
(أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ) من ألقاب العلماء، وربما أَسْتَعْمِلَ في غيرهم من أرباب الأعلام،
وربما قيل «أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ الْمُفِيدِينَ» أو «أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ الْعَارِفِينَ» ونحو ذلك .

(أَوْحَدُ الْكُجَرَاءِ) من ألقاب التجار الخَوَاجِكَةِ، ويموز أن يُسْتَعْمَلَ في غيرهم .
(أَوْحَدُ الْكُتَّابِ) من ألقاب الكُتَّابِ سواء كُتَّابُ الْإِنْشَاءِ وغيرهم .

(أَوْحَدُ الْمُتَصَرِّفِينَ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ في معانهم .

(أَوْحَدُ الْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف .

(أَوْحَدُ الْمُحَقِّقِينَ) من ألقاب العلماء .

(أَوْحَدُ الْمُتَكَلِّمِينَ) من ألقاب العلماء، وهو بعلماء الْمَعْقُولِ أَنْسَبُ .

(أَوْحَدُ الْمُفِيدِينَ) من ألقاب العلماء .

(أَوْحَدُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من الألقاب السلطانية .

(أَوْحَدُ الْوُطَّافِ) من ألقاب أهل التذكير والوعظ .

(أَوْحَدُ الْوَقْتِ) من ألقاب أرباب الأعلام، وربما قيل «أَوْحَدُ الْوَقْتِ وَالْأَوَّانُ» والوقت معروف، والأَوَّانُ الحِلْيُ، ويجمع على أَوْنَةٍ مثل زَمَانٍ وَأَزْمِنَةٍ .

حرف الباء

(بِرْكَةُ الْأَنَامِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ، وقد تُسْتَعْمَلُ للعلماء أيضا .

(بِرْكَةُ الدُّوَلَةِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ أيضا، وقد يقال «بِرْكَةُ الدُّوَلِ» على الجمع، وربما كُتِبَ به لأرباب الأعلام من العلماء وغيرهم . والمراد بالدولة المملكة القائمة، وأصلها من الدولة في الحرب وهي النَّصْرُ وَالغَلْبَةُ .

(بِرْكَةُ الْمَسَامِينِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ، وقد تُسْتَعْمَلُ لأهل العلم أيضا .

(بِقِيَّةُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب بقايا البيوتِ الرئيسة من أهل الأعلام وغيرهم، وربما قيل «بِقِيَّةُ الْأَكْبَارِ فِي الْعَالَمِينَ» .

(بِقِيَّةُ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ) من ألقاب الأشراف، وبه يُكْتَبُ إلى إمام الزيدية باليمن .

(بِقِيَّةُ السَّلَفِ) من ألقاب العلماء والصُّلَحَاءِ، وربما قيل «بِقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ» أو «بِقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرَامِ» والمراد بالسلفِ الآباءُ الْمُتَقَدِّمُونَ، أَخَذًا من قولهم سَلَفَ إِذَا مَضَى، وربما أُطْلِقَ على مَنْ تَقَدَّمَ فِي صَنْدَرِ الْإِسْلَامِ مِنَ الصُّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

(بِقِيَّةُ السَّلَاطَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف، وقد يقال فيه بِقِيَّةُ السَّلَاطَةِ الطَّاهِرَةِ الزُّكِّيَّةِ، وربما أُطْلِقَ على غيرهم . وبذلك يُكْتَبُ لصاحبِ تُوُسٍ لَأَدْعَاةِ أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَالسَّلَاطَةُ فِي الْأَصْلِ مَا اسْتَمْتَلَ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْمُرَادُ هُنَا النُّطْفَةُ لِأَنَّهَا مُسْتَمَلَّةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ .

(بَقِيَّةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب مَنْ لهُ سَلَفٌ فِي الْمُلْكِ ، كصاحبِ حِصْنٍ كَيْفًا مِنْ بَقَايَا الْمُلُوكِ الْأَيُّمِيَّةِ .

(بَقِيَّةُ الْأَمْعَابِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ أرباب الأَقْلَامِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(بَقِيَّةُ شَجَرَةِ الْقَهَّارِ) من ألقاب ذَوِي الْأَصْلَةِ الْعَرِيقِينَ فِي النَّسَبِ ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِابْنِ الْأَمْرِ صَاحِبِ الْإِتِّكُلِ .

(بَهَاءُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ ، وَبِهَاءِ الْحُسْنِ ، وَالْأَعْيَانُ جَمْعُ عَيْنٍ تَجَمُّعٌ عَلَى أَعْيُنٍ وَصُيُوفٍ وَأَعْيَانٍ ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْخِيَارُ ، إِذْ عَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ خِيَارُهُ .

(بِهَاءُ الْأَنَامِ) من ألقاب أرباب السيوف غَالِبًا ، وَرَبَّمَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَالْأَنَامُ الْخَلْقُ .

(بِهَاءُ الْعِصَابَةِ الْعَلَوِيَّةِ) من ألقاب الْأَشْرَافِ ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِأَمِيرِى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ الْمُشْرِقَيْنِ ، وَالْعِصَابَةُ بِالْكَسْرِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ وَتَجَمُّعٌ عَلَى عَصَائِبٍ . وَالْعَلَوِيَّةُ نِسْبَةٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حرف التاء المنشأة من فوق

(تَاجُ الْعَالَمَةِ وَالْحُكْمِ) من ألقاب الْقُضَاةِ ، وَالتَّاجُ مَا يُوضَعُ عَلَى الرَّاسِ . وَهُوَ مَعْرُوفٌ .

(تَاجُ الْأَمْنَاءِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّبِ الْأَمْوَالِ أَيْضًا .

(تَاجُ الْمُتَصَرِّفِينَ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(تَاجُ الْقُضَلَاءِ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الدَّسَائِرِ الشَّامِيَّةِ

« تَاجُ الْقُضَلَاءِ الْمُشْتَبِهِينَ » وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِمَنْ هُوَ فِي أَوَّلِ تَشَاوُهُ وَأَبْتَدَاءِ رِيَاسَتِهِ ، وَحَدَاثَةِ مَنَّتِهِ .

(تاج المِلَّة) من الألقاب التي يَشْتَرِكُ فيها أربابُ السِوْفِ والأقلامِ جميعًا .
والمِلَّةُ في أصل اللغة الدينُ والشريعة ، والمراد هنا مِلَّةُ الإسلام ، والألفُ واللامُ فيها
للمهد الذَّهْنِي .

حرف التاء المثلثة

(نِقْمَةُ النَّوْلِ) من ألقاب التُّجَّارِ الخَوَاجِكَةِ ، وربما قيل « نِقْمَةُ الدَّوْلَتَيْنِ » والنِّقْمَةُ
في اللغة الأَمِينُ وَخُصَّ ذلك بالتُّجَّارِ لتردِّعهم في المَمَالِك ، ويمحَسَّنُ أن يلقَّبَ به
المتَرَدِّدُونَ في الرِّسَالِ بين المُلُوكِ .

حرف الجيم

(جامعُ كَلِمَةِ الإِيْمَانِ) من الألقاب السلطانية .
(جامعُ طُرُقِ الوَاصِفِينَ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلَاح ، وربما قيل
« جامعُ الطُّرُقِ » ويصلُّحُ أن يكون من ألقاب العلماء أيضًا .
(جمالُ الإسلامِ) من ألقاب العلماء ، وربما قيل جمال الأكابر من ألقاب التُّجَّارِ
الخَوَاجِكَةِ ، وقد يستعملُ لأربابِ الأقلامِ ، والجمالُ في اللغة الحُسْنُ .
(جمالُ الذُّرِّيَّةِ) والمراد ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الذُّرِّيَّةَ تشمل أولاد
البنات ، وقد عدَّ اللهُ تَعَالَى عِيسَى عليه السلام [من ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ^(١)]
وهو أبْنُ بَنْتِهِ .

(جمالُ الصُّدُورِ) من ألقاب أربابِ الأقلامِ ، والصُّدُورُ جمع صَدْرٍ ، والمراد
صُدُورُ المَجَالِسِ .

(١) الزيادة لتسمي الكلام وسقوطها موهوم من النسخ .

- (جمالُ الأئمة) من ألقاب العلماء، وربما قيل «جمالُ الأئمة العارفين» .
- (جمالُ البارعين) من ألقاب أربابِ الأَقلام، والبارعين جمع بارع وهو الناهضُ .
- (جمالُ البُلغاء) من ألقاب كُتّاب الإنشاء ونحوهم .
- (جمالُ الطائفةِ الهاشمية) من ألقاب الشُّرفاء، والطائفةُ في أصل اللغة أَسْمُ للقطعة من الشيء . قال ابن عباس وتطأ على الواحد فما فوقه، والهاشمية نسبة إلى هاشم : وهو هاشمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ جدُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- (جمالُ العِترَةِ الطاهرة) من ألقاب الشُّرفاء أيضا، وربما اقتصِر على جمالِ العِترَةِ فقط . وعِترَةُ الرجل نَسْلُهُ وأهلُهُ الأَدْنَوْنَ، والمراد عِترَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- (جمالُ العَصْبَةِ الفاطمية) من ألقاب الشُّرفاء أيضا، والعَصْبَةُ بفتح العين والصاد واحدة العَصَبَات ، وهى فى أصل اللغة البُنُونُ والقِرابَةُ للأب . قال الجوهري : مُثِمُوا عَصْبَةً لَأَنَّهُمْ عَصَبُوا بالشخص بمعنى أنهم أحاطوا به : فالأُمُّ طَرْفٌ، والأَبُّ طَرْفٌ ، والعَمُّ جانبٌ ، والأَخُّ جَانِبٌ . والمراد هنا أبناءُ فاطمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهم أحدُ أفرادِ العَصْبَةِ . ولا يجوز أن يقال العَصْبَةُ بضم العين وإسكان الصاد : لأنَّ المراد بذلك الرجالُ ما بين العِشْرَةِ والأربعين كما قاله الجوهري . وبَنُو فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قد أَرَبُوا عن العدد في الشرق والغرب .
- (جمالُ العلماء) من ألقاب أهل العلم .
- (جمالُ التُّضَلَاءِ) من ألقاب أربابِ الأَقلام من العلماء والكُتّاب، وربما قيل «جمالُ التُّضَلَاءِ المُقِيدِينَ» ونحو ذلك ويختص حينئذ بالعلماء .
- (جمالُ الكُتّاب) من ألقاب كُتّاب الإنشاء وغيرهم من الكُتّاب .
- (جمالُ المتكلمة) من ألقاب الكُتّاب .

(جَلَّالُ الْوَرَعَيْنِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهلِ الصِّلَاحِ .

(جَلَّالُ أَهْلِ الْإِتِّئَاءِ) من ألقاب أكابر العلماء .

(جَلَّالُ الْإِسْلَامِ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ، ويُصْلَحُ أَنْ يَكُونَ لِقَبٍّ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِإِمَامِ الزَّيْدِيَّةِ بِالْبَيْتِ، وَرَبَّمَا قِيلَ «جَلَّالُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ» .

(جَلَّالُ الْأَشْجَابِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(جَلَّالُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِنَازِلِ الْخَاصِّ .

(جَلَّالُ الْحُكَّامِ) من ألقاب أكابر القُضَاةِ، وَالْجَلَّالُ فِي اللُّغَةِ الْعَظْمَةُ .

(جَلَّالُ الْعِثْرَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الشُّرَفَاءِ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ

الْمُشْرِتَيْنِ .

(جَلَّالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمَيْنِ) من ألقاب أهل العلم، وَرَبَّمَا قِيلَ «جَلَّالُ الْعُلَمَاءِ

الْعَالَمِينَ» وَنَحْوُ ذَلِكَ .

(جَلَّالُ الْكِبَرَاءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأَقْلَامِ .

(جَلَّالُ الْأُسْرَةِ الزَّاهِرَةِ) من ألقاب الْأَشْرَافِ . وَالْأُسْرَةُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ الرَّهْطُ،

وَالْمُرَادُ رَهْطُ بَنِي هَاشِمٍ، وَالزَّاهِرَةُ الْمُضِيئَةُ، وَبِهِ سُمِّيَ الْكَوْكَبُ الْمَعْرُوفُ بِالزُّهْرَةِ .

(جَهَّيْدُ الْخُلَاقِ) من ألقاب الْكُتَّابِ، وَرَبَّمَا قِيلَ «جَهَّيْدُ الْخُلَاقِ الْمُتَنَصِّرِينَ»

وَالْجَهَّيْدُ بِفَتْحِ الْجِيمِ ^(١) وَإِسْكَانِ الْمَاءِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ الْقَادِ لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلِذَلِكَ

يُقَالُ لِلصَّيْرِفِيِّ جَهَّيْدًا، وَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّهُ يُتَّقَدُّ الْأُمُورَ فَيُسْتَخْرِجُ جَيِّدَهَا مِنْ رَدِيئِهَا كَمَا

يُفْعَلُ الصَّيْرِفِيُّ .

(١) ضبط في القاموس الفيروزياخي بالكسر ثم قال شارحه كزبرج .

حرف الحاء المهملة

(حَاكِمُ الْحُكَّامِ) من ألقاب قُضاة القضاة .

(حَاكِمُ أُمُورِ وِلَاةِ الزمان) من ألقاب أرباب السُّيُوف ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(حَافِظُ الْأَسْرَارِ) من ألقاب كاتبِ السرِّ .

(حُجَّةُ الْأُمَّةِ) من ألقاب قُضاة القضاة وأكابر العلماء ، والحُجَّةُ في اللغة البرهان ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ والأُمَّةُ في أصل اللغة الجماعة ، والمرادُ هنا أُمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والمعنى أنه تَقُومُ به الحجة لأهل الإسلام على غيرهم .

(حُجَّةُ الْأَئِمَّةِ) من ألقاب أكابر العلماء ؛ والأئِمَّةُ جمع إمام ، وقد تقدّم أنه الذي يُقْتَدَى به .

(حُجَّةُ الْبُلَغَاءِ) من ألقاب أرباب الأقلام ، وهو بالكُتَابِ أَمْسٌ .

(حُجَّةُ الْعَرَبِ) من ألقاب النُّحْطَةِ واللُّغَوِيِّينَ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، كأنهم يَحْتَجُّونَ به لِلْعَرَبِيَّةِ .

(حُجَّةُ الْمَذَاهِبِ) من ألقاب أكابر العلماء ، وربما قيل « حُجَّةُ الْمَذَهَبِ » إذا أُريدَ مَنْهَبُهُ خَاصَّةً ، وهو دون الأول .

(حُجَّةُ الْمُفْتِينَ) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بالمُفْتِينَ مَنْ هُمْ أَهْلُ لِلْفَتْوَى في الأحكام الشرعيّة .

(حِرْزُ الْإِمَامِ) من ألقاب الزُّرَّاءِ وَمَنْ فِي معنَاهُم من حَقْلَةِ الْأَمْوَالِ . وَالْحِرْزُ فِي اللُّغَةِ الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ ، وَالْمُرَادُ بِالْإِمَامِ السُّلْطَانُ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ .

(حُصَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب السيوف كَتُوبِ السُّلْطَنَةِ وَنَحْوِهِمْ . وَالْحُصَامُ مِنْ أَسْمَاءِ السِّيفِ ، تُقَالُ بَنَّاكَ أَخْذًا مِنْ الْحَصَمِ وَهُوَ الْقَطْعُ .

(حَسَنَةُ الْأَيَّامِ) من ألقاب أكابر أرباب الأَقْلَامِ مِنَ الزُّرَّاءِ وَالْقُضَاةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . وَالْحَسَنَةُ خِلَافُ السَّيِّئَةِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْأَيَّامَ أَحْسَنَتْ بِالْإِمْتِنَانِ بِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي «شَهَابُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ» فِي بَعْضِ دَسَائِيرِهِ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِكُلِّ مَنْ لَهُ سَلَفٌ فِي الْكِتَابَةِ ، وَهُوَ بَعِيدُ الْمَأْخَذِ .

(حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب قُضَاةِ الْقُضَاةِ ، وَالْحَكَمُ بِمَعْنَى الْحَاكِمِ .

حرف الخاء المعجمة

(خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ) مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَالْمُرَادُ حَرَمُ مَكَّةَ الْمُشْرِقَةِ ، وَالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى سَاكِنَيْهَا أَفْضَلُ الْعِمْلَةِ وَالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ .

(خَالِصَةُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء ، وَالْخَالِصَةُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى الْخَالِصَةِ . يُقَالُ هَذَا لِي خَالِصَةٍ بِمَعْنَى خَالِصَةٍ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَطَبِيعُ [حَمَلٍ] قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِتَقِيَّ ﴾ .

(خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ . قَالَ فِي «عُرْفِ التَّعْرِيفِ» : وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَاكِمًا فِي مَقَامِ حَكَمِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ لَمَنْ هُوَ حَاكِمٌ .

(خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ .

(خالصة الإمام) من ألقاب الصوفية، وربما جعل من ألقاب العلماء أيضا، والمراد بالإمام الخليفة أو السلطان .

(خالصة سلف الأنصار) من الألقاب التي يكتب بها لابن الأحمر صاحب الأندلس : لأنه يذكر أنه من ذرية « سعد بن عبادة » الأنصاري رضي الله عنه ، ويصلح لكل من وافقه في ذلك ، وكان الأحسن أن يقال خلاصة بدل خالصة ، لما تقدم من أن المراد بالخالصة الخاصة . والمراد بالأنصار أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وهم الأوس والخزرج الذين هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة . (خطيب الخطباء) من ألقاب أكابر الخطباء، وربما كتب به لقضاة القضاة، إذا أضيف له خطابة جليلة، كخطابة جامع القلعة بالديار المصرية ، وخطابة الجامع الأموي بدمشق .

(خلف الأولياء) من ألقاب أولاد الصالحين .

(خليفة الأئمة) من ألقاب الشيعة، والمراد من يعتقدونه من الأئمة المعصومين كالإمامية ونحوهم . وبه يكتب لإمام الزيدية باليمن .

(خليل أمير المؤمنين) من ألقاب أولاد السلطان ، وربما كتب به لبعض الملوك، والخليل بمعنى الصديق .

(خلاصة الخلافة المعظمة) من ألقاب بعض الملوك ، والخلاصة الذي خلاص من الثقل ونحوه . ويقال فيه خلاص أيضا بنيرها .

(خلاصة سلف القوم) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، والقوم يختص في اللغة بالرجال دون النساء قال تعالى : (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) ثم قال : (وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ) .

(خَيْرَةُ الْإِسْلَام) من ألقاب أهل الصَّلاح فيما ذكره في "مُعرف التعريف" :
ويصلح لأهل العلم أيضا . والخيرة الأسم من قولك اختار فلان فلاناً ، والمراد أنَّ
الإسلام اختاره .

حرف الدال المهملة

(دليل المريدين إلى أوضح الطرائق) من ألقاب مشايخ الصُّوفية ، والمراد بالمريدين
مُكَلِّبُ الطَّريق إلى الله تعالى .

(داعي السَّعة بالبراهين الظاهرة إلى استِعْلام الحقائق) من ألقاب العلماء .

حرف الذال المعجمة

(ذُنُرُ الْإِسْلَام والمسلمين) من ألقاب المُلُوك ، وبه يُكْتَب لصاحب تُوس
وملك التُّرُور . والذُنُر في اللغة مصدر ذَنَرَت الشيءَ أَذْنَرُهُ يفتح الخاء إذا جعلته
ذخيرة .

(ذُنُرُ الْأُمَّة) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .
(ذُنُرُ النُّوَلَة) من ألقاب أرباب السيوف ، وقد يقع في ألقاب الصُّلَحَاء
والعلماء .

(ذُنُرُ الْفُزَاة والمجاهدين) من ألقاب أرباب السيوف أيضا .
(ذُنُرُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاء والعلماء ، والمراد طالِبُو الوصول إلى الحق
أو نحو ذلك .

(ذُنُرُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الملوك ، وبه يُكْتَب لإمام الزيدية باليمن فيما ذكره
في "التعريف" .

(ذُئِرَ الْمِلَّةُ) من ألقاب أرباب السيوف، وقد تقدم معنى الْمِلَّةُ .

(ذُئِرَ الْمَحَالِكُ) من ألقاب بعض الملوك . وربما قيل ذُئِرَ الْمَمْلَكَةُ .

(ذُئِرَ الْمُوحِّدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه ، وجعله في "عرف التعريف" خاصاً بالكافل ذُوْنَ غِيَرِهِ .

(ذُئِرَ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب الملوك، وهو ذُوْكَ حَلِيلِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

حرف الراء المهملة

(رَأْسُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أكابر كُتُبِ الْإِنشَاءِ ككتاب السَّيَرِ وَمِنْ يَجْرِي سَجَرَاهُ .

(رَأْسُ الصُّدُورِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام في الجملة من أهل العلم والكَتَابِ وَمَنْ يَجْرِي سَجَرَاهُ . والمراد رأس صدور المجالس .

(رَأْسُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من العلماء والوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، ويصلح لكلِّ عَلَى الْقَدْرِ فِي الْجُمْلَةِ ، وبه يُكْتَبُ إِلَى إِمَامِ الزَّيْدِيَّةِ بِالْمِنْ .

(رُحْلَةُ الْحِفَاطِ) من ألقاب الْمُحَدِّثِينَ ، وقد تَهَيَّأَ أَنْ الرُّحْلَةَ بضم الراء مأْرَحَلُ إِلَيْهِ ، وَالْحِفَاطُ جَمْعُ حَافِظٍ ، وَالْمَوَادُّ حِفْظُ الْحَدِيثِ .

(رُحْلَةُ الْقَاصِدِينَ) من ألقاب بَكَارِ أرباب الأقلام ، وهو بأهل الكرم والجود أَحْصَى ، والمراد مَنْ يُقْصَدُ بِالرَّحَالِ إِلَيْهِ .

(رُحْلَةُ الْمُحْصِلِينَ) من ألقاب العلماء ، والمراد مَنْ يَرْحَلُ إِلَيْهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْذِ عَنْهُ .

(رُحْلَةُ الْوَقْتِ) من ألقاب العلماء والمراد مَنْ أَنْفَرَدَ فِي الْوَقْتِ بِالرَّحِيلِ إِلَيْهِ لِأَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُ .

(رَضِيَ الدولة) من ألقاب الكُتّاب، والمراد من يُرَضيه أعيانُ الدولة بالتقريب .
ثم الظاهر أنه بكسر الضاد بمعنى مَرْضَى عند أعيان أهل الدولة . ويجوز أن يكون
يفتح الضاد على جعله هو نفس الرضا تجوزا .

(رَضِيَ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب الأعلام . والكلام فيه كاللّلام
في الذي قبله .

(رُكْنُ الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف . وبه كان يُكْتَب
للتائب الكافل على ما هو مذكور في "التعريف" والركن واحد الأركان وهو معروف .
(ركن الأمة) من ألقاب الملوك، وبه يُكْتَب للملك التكرور .

(ركن الملوك والسلاطين) من الألقاب الملوّكية وما في معنى ذلك من أرباب
السيوف . ونقل في "التعريف" أنه كُتِبَ به لبعض مشايخ التصوف ثم أنكره
وقال : الأولى أن يكون بَلْه (بركة الملوك والسلاطين) وما ذكره واضح . على أنه
في "عرف التعريف" قد أورده في ألقاب الصلحاء، وكأنهم راعوا في ذلك أنه
رُكْن لهم من حيث البركة والدعاء إلا أن الأول أظهر .

(رُكْنُ الأولياء) من ألقاب أهل الصلاح على أن المراد أولياء الله تعالى ويجوز
أن يكون من ألقاب أرباب السيوف وأرباب الأعلام أيضا على معنى أن المراد
أولياء الدولة .

(رئيس الكُبراء) من ألقاب الوُزراء من أرباب الأعلام ومن في معانهم . وأهل
الشام يستعملونه في أكابر أرباب الأعلام من قضاة القضاة ونحوهم، وقد تقدّم^(١)
المراد بالصاحب في الكلام على الألقاب المفردة .

(١) أى في حرف العاد المهمة وهذه الجملة غير مناسبة لشرح هذا القاب .

حرف الزاى المعجمة

(زعيم الجنود) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالثائب الكافل ، والزعيم الكفيل . والمراد هنا التكفل بالجنود والقيام بأمرها . ويجوز أن يكون بمعنى السيد ، يُقال لسيد القوم زعيمهم ، والأول أليق بالمقام ، والجنود جمع جند وهم الأعوان على ما هتلم .

(زعيم الجيوش) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كقواب السلطنة ونحوهم ، والجيوش جمع جيش وهو السكرك .

(زعيم الموحدين) من ألقاب صاحب تونس على تخصيص الموحدين ، والمراد بالموحدين فيه أتباع المهدي بن تومرت الذين من بقاياهم ملوك تونس ، كان المهدي المذكور قد سماهم الموحدين تعريضا بدم من كان قبله ببلاد المغرب ممن يدعى التجسيم على ما سيأتى ذكره في الكلام على مكتبة صاحب تونس في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى . ويجوز أن يراد بالموحدين هنا عامة أهل الإيمان ويكون المراد بالموحدين جميع المؤمنين . ويصح وقوع هذا اللقب حينئذ على غير صاحب تونس من الملوك ونحوهم ، ولذلك يُكتب به الملك التكرور على ما ذكره في " التعريف " .

(زعيم المؤمنين) من الألقاب التي يكتب بها الإمام الزيدية باليمن . ويصح وقوعه على غيره من ملوك المسلمين أيضا كما في « زعيم الموحدين » إذا جعل عاما في حق كل موحد على ما هتلم بيأته .

(زعيم جيوش الموحدين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، كقواب السلطنة بحلب ، وبه يكتب لصاحب حصن كيفا فيما ذكره في " التعريف " .

(زَيْنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ، وَالزَّيْنُ فِي اللُّغَةِ قَيْضُ الشَّيْنِ .

(زَيْنُ الْأَعْيَانِ) مِنْ أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ، وَالْأَعْيَانُ جَمْعُ عَيْنٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ .

(زَيْنُ الْأَكْبَرِ) مِنْ أَلْقَابِ الثُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(زَيْنُ الْأَنْامِ) مِنْ أَلْقَابِ صِغَارِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ ، وَرَبَّمَا كُتِبَ بِهِ لغيرهم .

(زَيْنُ الْأُئِمَّةِ) مِنْ أَلْقَابِ الْعُلَمَاءِ ، وَرَبَّمَا قِيلَ «زَيْنُ الْأُئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ» .

(زَيْنُ الْبُلْغَاءِ) مِنْ أَلْقَابِ الْكُتَّابِ وَنَحْوِهِمْ .

(زَيْنُ الْحُكَّامِ) مِنْ أَلْقَابِ الْقُضَاةِ .

(زَيْنُ الذُّوَابِ الْمَاشِيَةِ) مِنْ أَلْقَابِ الشُّرَفَاءِ ، وَالذُّوَابُ بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةُ جَمْعُ ذُوَابَةٍ بِالْهَمْزِ : وَهِيَ مَا يُرْتَعَى مِنَ الشَّعَرِ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَكَانَ الْأَصْلُ ذَاتِبَ [لِأَبْنِ الْأَلْفِ الَّتِي فِي ذُوَابَةٍ ^(١)] كَالْأَلْفِ الَّتِي فِي رِسَالَةٍ حَقَّقَهَا أَنْ تُبَدَّلَ مِنْهَا هَمْزَةٌ فِي الْجَمْعِ ، وَلَكِنَّهُمْ اسْتَقْلَوْا أَنْ تَقَعَ أَلْفُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْهَمْزَتَيْنِ فَأَبْدَلُوا مِنَ الْأُولَى وَآوَا . وَإِنَّمَا اخْتَصَّ هَذَا الْقَلْبُ بِالشُّرَفَاءِ لِأَنَّهُمْ مِنْ صِهْمِ عَرَبِ الْحِجَازِ ، وَعَادَةُ عَرَبِ الْحِجَازِ إِرْخَاءُ الرَّجَالِ الذُّوَابِ .

(زَيْنُ الرُّعَادِ) مِنْ أَلْقَابِ الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصِّلَاحِ .

(زَيْنُ الْعِبَادِ) مِنْ أَلْقَابِ أَهْلِ الصِّلَاحِ أَيْضًا .

(زَيْنُ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ) مِنْ أَلْقَابِ الشُّرَفَاءِ ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْعِتْرَةِ .

(زَيْنُ الْكُتَابِ) من ألقاب كُتَّابِ الإنشاء وغيره .
 (زَيْنُ الْمَجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل « زَيْنُ الْأَمْرَاءِ
 الْمَجَاهِدِينَ » وربما كُتِبَ به لبعض صفار الملوك ، كصاحب دُقْلَةَ ونحوه .
 (زَيْنُ الْمُنتَقِينَ) رأيت به في بعض الدساتير الشامية في ألقاب الكُتَّابِ ونحوهم ؛
 وهو صالح لكل حَبِثٍ مَرَقٍّ في العلوِّ .

حرف السين المهملة

(سِدَادُ الثُّغُورِ) من ألقاب الوزراء ، وهو بكسر السين وتخفيف الدال بعدها ،
 بمعنى أنه الذي تُسَدُّ به الثُّغُورُ ، أخذًا من سِدَادِ الْقَارُورَةِ وهو ما يُسَدُّ به قُنُهَا ، ومنه
 قول الشاعر :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ قَيِّ أَضَاعُوا * لِيَوْمِ كَرِيحٍ وَسِدَادٍ تَغِيرُ

وَيُحْكِي أَنْتَ الْمَامُونُ تَطْقُ بِمِثْلِ ذَلِكَ بَفَتْحِ السَّيْنِ بِحَضْرَةِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ فَرِيهِ
 عَلَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فكان النَّضْرُ يَفْتَحُ بِذَلِكَ ويقول : أَخَذْتُ
 بِإِفَادَةِ حَرْفٍ وَاحِدٍ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

(سَفِيرُ الْأُمَّةِ) من ألقاب الدُّوَادِرِ وكُتَّابِ السَّرِّ ، وقد تقدّم معنى السَّفِيرِ .

(سَفِيرُ الْبَوْلَةِ) من ألقاب المذكَورِينَ .

(سَفِيرُ الْمَلِكِ) من ألقاب من تقدّم ، وربما قيل « سَفِيرُ الْمَلِكَةِ » .

(سَفِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) كذلك .

(سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(سُلْطَانُ الْأَوَانِ) من الألقاب السلطانية الجليلة .

(سُلْطَانُ الْبَسِطَةِ) من الألقاب السلطانية، والبَسِطَةُ الأرض أخذًا من البَسْطَةِ وهي السَّعة ومنه قيل : تَبَسَّطَ فُلَانٌ في البلاد إذا سار فيها طولًا وعَرْضًا .

(سُلْطَانُ الْعَرَبِ وَالْحَجَمِ وَالْتُرْكِ) من الألقاب السلطانية أيضا . وهو غير محذور الوضع لأنَّ الْحَجَمَ في اللغة يقع على مَنْ عدا العرب في الجملة ولا يختص بالفرس على ما هو المعروف بين العامة وهو مقصودهم هنا ، فالْتُرْكُ من جملة العجم فكان يكفي أن يقال سُلْطَانُ الْعَرَبِ وَالْحَجَمِ ، وإنبأ حملهم على ذلك زيادة الإطراء والمدح .

(سَلِيلُ الْأَطْهَارِ) من ألقاب الشُّرَفَاءِ ، والسَّيْلُ الولدُ ، والمراد بالأطهار المبرِّعون عن الأدناس .

(سَلِيلُ الْأَكَابِرِ) من ألقاب أولاد الأكابر والرؤساء .

(سَلِيلُ الطَّيِّبِينَ) من ألقاب أرباب الألقلام من ذَوِي الْأَصَالَةِ .

(سَلِيلُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب أولاد الملوك ومن مَضَى له سَلَفٌ في الْمُلْكِ .

(سَيِّدُ الْأَمْرَاءِ الْمُقَدَّمِينَ) من ألقاب الأمراء مقدَّمي الْأَلُوفِ ، في الرِّتَةِ المتوسطة .

(سَيِّدُ الْأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كَتَوَابِ السُّلْطَنَةِ ونحوهم ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك عن الأبواب السلطانية .

(سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أصحاب الألقلام كتاب المرء ونحوه .

(سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَّامِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب الْقَضَاةِ .

(سَيِّدُ الْحُجَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب الألقلام كخناظر الخالص ونحوه .

(سيد الوزراء في العالمين) من الألقاب الخاصة بالوزراء .
 (سيد أمراء العالمين) من ألقاب الثواب المتوسطين .
 (سيف الإسلام والمسلمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما كتب به
 لبعض الملوك .

(سيف الحق) من ألقاب العلماء وأهل النظر .
 (سيف الخلافة) من الألقاب الملوكية ، وبه يكتب لملك التكرور .
 (سيف المناظرين) من ألقاب العلماء ، والمراد بالمناظرين أهل البحث
 والجدل ، أخذًا من النظر وهو الفكر المؤدى إلى الدليل .
 (سيف النظر) بمعناه أيضا .

(سيف أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف كقوات السلطنة ، وهو
 في الرتبة المتوسطة .

(منيف جماعة الشاكرين) من الألقاب الخاصة بصاحب تونس ، وهذا اللقب
 رأيته واردا في "التحيف" ولم أعرف له معنى ؛ وسألت "قاضي القضاة" في الدين
 ابن خلدون « هل يعرف لذلك معنى ؟ فقال : لا .

حرف الشين المعجمة

(شرف الأصفياء المقربين) من ألقاب كبار التجار الخواجكة .
 (شرف الثول) من ألقاب بعض الملوك ، ويصلى لغير الملوك أيضا .
 (شرف الأمراء في العالمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل شرف
 الأمراء الأشراف في العالمين إذا كان شرفا ، أو شرف الأمراء العربان في العالمين

إذا كان غير أمير عرب ، وربما قيل «شرف الأمراء المتقدمين» إذا كان مقدّم ألف ، وقد يقتصر على شرف الأمراء فقط .

(شرف الرؤساء في العالمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام كوزير الشام ونحوه ، وربما اقتصر على «شرف الرؤساء» ويكون من ألقاب التجار الخواجكة ونحوهم .

(شرف الصلحاء في العالمين) من ألقاب أهل الصلاح .

(شرف العلماء العالمين) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم ، وربما قيل «شرف العلماء في العالمين» .

(شرف الكتّاب في العالمين) من الألقاب الكتابية .

(شرف الملوك والسلطين) من الألقاب المملوكية .

(شمس الأفق) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام ، وهو بالعلماء ألقب ، لأن بهم يحصل النور كما يحصل بالشمس . وهو ما يتخيل انطباق السماء على الأرض بالنظر في كل ناحية فيه . وأصل الأفق الناحية ومنه قيل للتواحي آفاق ، وإنما خص الشمس هنا بالإضافة للأفق لأنها عند مطلعها تكون في النظر أعظم صورة .

(شمس الشريعة) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بالشريعة هنا شريعة الإسلام ، استعيرت الشمس لها لمشابتها لها في النور .

(شمس المعصر) من ألقاب العلماء والصلحاء ونحوهم .

(شمس المذاهب) من ألقاب العلماء الأكابر ، والمذاهب جمع مذهب وهو ما يذهب إليه المذهب ، وأصله في اللغة لموضع الذهاب .

(شيخُ المشايخ) من ألقاب العلماء وأهل الصَّلاح ، وربما قيل « شيخُ شيوخ الإسلام » .

(شيخُ الملوك والسلاطين) من ألقاب المُستَين من الملوك . وهذا اللقب رأيتُه في كتاب وقَّف عن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، بحث به نجمُ الدين أيوبُ والدُ السلطان صلاح الدين يوسف .

(شيخُ شيوخ العارفين) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصَّلاح ، ومرادهم بالعارفين العارِفون بالله تعالى .

حرف الصاد المهملة

(صالحُ الأولياء) من ألقاب إمام الزيدية باليمن ، ويصلح لأهل الصَّلاح أيضا .

(صَدرُ المدرِّسين) من ألقاب العلماء .

(صَدرُ مِصرَ والشَّام) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم ، وإنما خُصَّ هذان القطران بالذكر لكثرة علمائهما ، وربما قيل « صَدرُ مِصرَ والعِراقِ والشَّام » وربما اقتصر على صَدرِ الشَّام فقط إذا كان برسم وظيفة في الشَّام ونحو ذلك .

(صَفوةُ النُّوَلِ) من ألقاب من في معنى الوزراء كخاطر الخاَصِّ ونحوه .

(صَفوةُ الصُّلَحَاءِ) من ألقاب أهل الصَّلاح .

(صَفوةُ الأثقياء) من ألقاب الصُّلَحَاءِ أيضا .

(١) (صَفوةُ الملوك والسلاطين) من ألقاب أرباب الأقاليم كخاطر الشَّام ونحوه ، وربما كتب به للتجار الخواجكة .

(صَلاحُ الإسلام) من ألقاب الصُّوفية والعلماء .

(١) بله خاطر الخاَصِّ أو خاطر الجيش .

- (صلاح الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقطام ، كالوزراء .
 وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .
 (صَلَاحُ الدُّوَل) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ لصاحبُ تُوُس .
 وَيَصْلُحُ أَيْضاً لأكابر أرباب الأقطام من الوزراء وضيعة .
 (صَلَاحُ الْمَلَّةِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .

حرف الضاد المعجمة

- (ضياء الإسلام) من ألقاب العلماء والصلحاء ، وبما قيل «ضياء الإسلام والمسلمين»
 والضياء خلاف الظلام . وهو مخصوص بما كان مُضيئاً لذاته ، بخلاف النور فإنه يقع
 على ما هو مكتسبٌ النور ، ولذلك قال تعالى : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا ﴾
 فخص الضياء بالشمس لأن نورها لذاتها ، والنور بالقمر لأن نوره مكتسب من
 الشمس ، على ما هو مقتضى علم الهيئة .
 (ضياء الأنام) من ألقاب مَنْ تَحْتَمُّ ذكره .

حرف الطاء المهملة

- (طراز العصابة العلوية) من ألقاب الأشراف كأميرى مكة والمدينة المشرفين .
 والطراز في أصل اللغة علم الثوب . قال الجوهرى : وهو فارسيٌّ معربٌ ، كان
 صاحب اللقب جُعلَ علماً لتلك الطائفة كما جُعل الطراز علماً للثوب .

حرف الظاء المعجمة

- (ظِلُّ آفِهٍ فِي أَرْضِهِ) من الألقاب السلطانية ، والظل ما يحصل عن الشاخص
 في ضوء الشمس ، والمراد أن الخلق يستعظئون بالسلطان من حرِّ الجور كما يستظلُّ

المستظلُّ بظلِّ الشجرة ونحوها من حرِّ الشمس . وقال ابن قتيبة في "أدب الكاتب" أصل الظلِّ السِّر ومنه قولهم : أنا في ظِلِّك أى في سِتْرِكَ ، ثم أَسَمُ الظلَّ مخصوصاً بما قبل الزوال ؛ أما بعد الزوال فإنه يسمَّى فينا لأنه لا يَرُجِعُ من جهة الغرب إلى جهة الشرق أخذاً من قولهم قَاءَ إذا رَجَعَ .

(ظهيرُ الملوك والسلاطين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كقُتُوب السلطنة .

(ظهيرُ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف أيضاً ، وربما كُتِبَ به لبعض

الملوك كصاحب الأندلس ونحوه .

(ظهير الإمامة) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ إلى صاحب التُّكُور .

حرف العين المهملة

(عاقِدُ البُنود) من ألقاب النائب الكافِل ونحوه ، والعاقِد فاعل من العَقَدَ قَبَضَ الحبلَ ، والبُنود جمع بُنْد - يفتح الباء وإسكان النون - وهو العَلَم الكبير قال الجوهري : وهو فارسيٌّ معرب .

(عِزُّ الإسلام) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ إلى ملك التُّكُور .

(عِزُّ الإسلام والمسلمين) من ألقاب الرتبة الوُسْطى من قُتُوب السلطنة ومن

في معناتهم ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(عُدَّة الدنيا والدين) من ألقاب الملوك ، وبه يُكْتَبُ لصاحب تُوس .

والعُدَّة بالضم في اللغة ما أعدته لحوادث الدهر من المال والسلاح ونحو ذلك وهو

المراد هنا ، وربما أطلق على قَسِّ الأمتداد .

(عُدَّة الملوك والسلاطين) من ألقاب أصاغير أرباب السيوف .

(عَصْدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب متوسّطى أرباب السيوف، وقد تقدّم أن أصل العَصْدُ لما بين الساعد والكفّ .

(عَصْدُ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف من نواب السلطنة وغيرهم . وربما كُتِبَ به إلى بعض الملوك كملك التُّكُور .

(عَلَمُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء والوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . وقد تقدّم معنى العلم ومعنى الدولة .

(عَلَمُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلاح، وقد تقدّم أن المراد بالعلم الرأية وبالزُّهْدُ الإقْلَاعُ عن الدنيا .

(عَلَمُ الْعُلَمَاءِ الْإِعْلَامِ) من ألقاب أكابر أهل العلم، وربما قيل «عَلَمُ الْمُفَسِّرِينَ» أو «عَلَمُ النُّجَمَةِ» ونحو ذلك .

(عَلَمُ الْهَدَاةِ) من ألقاب إمام الزيدية باليمن، ويصلح لأكابر العلماء والصلحاء . والهداة جمع هادٍ وهو المرشد .

(عَلَمُ الْأَعْلَامِ) من ألقاب العلماء والصلحاء، ويصلح لأرباب السيوف أيضا .

(عِمَادُ الْحُكَّامِ) من ألقاب أكابر القضاة، وربما قيل «عِمَادُ الْحُكَّامِ الْبَارِعِينَ» أو «عِمَادُ الْحُكَّامِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك . وأصل العِمَادِ في اللغة الأُيُنَةُ الرُفِيعَةُ وأحدها عِمَادَةٌ، ومنه قيل فلان طویلُ العِمَادِ كأنَّ بناءه بالارتفاع صار عَظِيماً لِزَوَائِرِهِ .

(عِمَادُ الْعَرَبِ) من ألقاب أكابر أمراء العربان، كأُميرِالِ فَضْلِ ونحوه .

(عِمَادُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء وأكابر الوزراء ونحوهم .

(عماد الملة) كذلك .

(عماد المملكة) نحوه ، وهو دونه في الرتبة .

(عماد المحدثين) من ألقاب علماء الحديث النبوي علي صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وبه يُكتب لقضاء القضاة ومن في معانهم .

(عمدة الملوك والسلاطين) من ألقاب صغار أرباب السيوف ، وهو دون عمدة الملوك والسلاطين والعمدة في اللغة ما يُتمد عليه .

(عونُ العساكر) من ألقاب ناظر الجيش ونحوه ، والعون في اللغة الظهير والمعاون .

(عونُ جيوش الموحدين) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكتب لملك التكرور ، ويصلح لجبار أرباب السيوف من أهل المملكة أيضا .

(علاء الإسلام والمسلمين) من ألقاب العلاء والصلحاء ويصلح لأرباب السيوف أيضا .

والعلاء بالفتح والمبد مصدر علّا في الشرف ونحوه يعلى بفتح اللام ^(١) .

(عين المملكة) من ألقاب أرباب الأقلام ونحوهم .

(عين الأعيان) نحوه .

حرف الغين المعجمة

(غرّة الزمان) من ألقاب أرباب الأقلام ، والغرة في أصل اللغة بياض في جهة

الفرس فوق الدرهم ، شبه بالغرة في وجه الفرس لظهورها وتحسين الفرس بها .

(غوث الأنام) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه .

وقد تقدم معنى القوث .

(١) قوله بفتح اللام أي فيها وهي لغة في عل يعلى من باب تعب أنظر المختار .

(غِيَاثُ الْأَنَامِ) من ألقاب أكابر الملوك كصاحب الهند ونحوه . وقد تَقَدَّمَ
معنى الْغِيَاثِ .
(غِيَاثُ الْأُمَّةِ) منحوه .

حرف الفاء

(فَاتِحُ الْأَقْطَارِ) من الألقاب السلطانية، والْفَاتِحُ فَاعِلٌ من الفتح وهو معروف،
والْأَقْطَارُ جمع قُطْرٍ وهو الناحية والجانب، والمراد نواحي الممالك .
(فَارِسُ الْمَسَامِينِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، ذكره ابن شَيْثٍ من
تُكَلِّبِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ فِي "معالم الكُتَّابَةِ" .
(نَحْرُ الْأَنَامِ) من ألقاب أرباب الأقلام، ويحوز أن يكونَ من ألقاب أرباب
السيوف أيضا .
(نَحْرُ الْأَمْرَةِ الزَّاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مكة والمدينة المشرقيين،
وَأَمْرَةُ الرَّجُلِ بضم الميمزة وهبطه .
(نَحْرُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ، ويصلح لغيرهم من الرُّؤَسَاءِ أيضا .
(نَحْرُ الرُّؤَسَاءِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ .
(نَحْرُ السُّلَالَةِ الزَّاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف، كأميرى مكة والمدينة المشرقيين،
وَالسُّلَالَةُ الزَّاهِرَةُ تَقْدَمُ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَاهَا .
(نَحْرُ الصُّنُودِ) من ألقاب أرباب الأقلام، وربما كُتِبَ بِهِ لِلتُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ .
(نَحْرُ الصُّلَحَاءِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ واهل الصَّلَاحِ ..

- (فَخَرُّ الْمُبَادِّ) من ألقاب أهل الصَّلاح أيضا .
- (فَخَرُّ الْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف .
- (فَخَرُّ الْمُحَدِّثِينَ) من ألقاب أصحاب الحديث .
- (فَخَرُّ الْمُدَرِّسِينَ) من ألقاب العلماء، وبه يُكْتَبُ لِقَضَاءِ الْقَضَاءِ ونحوهم .
- (فَخَرُّ الْمُفِيدِينَ) من ألقاب العلماء أيضا .
- (فَخَرُّ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب بعض الملوك .
- (فَخَرُّ الشَّجَرَةِ الزَّيْئِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء، والمراد شجرة نَسَبِهِمُ الشَّريف .
- (فَخَرُّ النَّسَبِ الْعَلَوِيِّ) من ألقاب الشرفاء أيضا، وبه يُكْتَبُ لإمام الزيدية باليمن .
- (فَرْدُ السَّالِكِينَ) من ألقاب أهل الصَّلاح .
- (فَرْدُ الزَّمَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .
- (فَرْدُ الْوُجُودِ) من ألقاب العلماء وأهل الصَّلاح .
- (فَرْعُ الشَّجَرَةِ الزَّيْئِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء .

حرف القاف

- (قَامِعُ الْبِدْعَةِ) من ألقاب أكابر العلماء، وربما قيل «قَامِعُ الْبِدْعِ» وقد يقال «قَامِعُ الْبِدْعِ وَنَحْيُ أَهْلِهَا» والقامع فاعلٌ من قَمَعَ إِذَا ضَرَبَهُ بِالْمِقْمَعَةِ : وهى عَجَنٌ من حديد يُضْرَبُ به عَلَى رَأْسِ الْفِيلِ، وَالْبِدْعَةُ وَاحِدَةُ الْبِدْعِ : وهى خلاف السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ .

(قُدْوَةُ الْأَوْلِيَاءِ) من ألقاب أهل الصلاح .

(قُدْوَةُ الْبَارِعِينَ) من ألقاب أرباب الأعلام، وهو بالكُتَّابُ أليق، والبارع الماهر .

(قُدْوَةُ الْبُلَّاءِ) من ألقاب أرباب الأعلام . وهو بكُتَّابِ الْإِنْسَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ أَخْصٌ .

(قُدْوَةُ الْخَلَفِ) من ألقاب العلماء وأهل الصلاح، والخلف في اللغة الذي يليه بعد غيره ويقوم مقامه؛ والمراد خَلَفَ مَنْ سَلَفَ من علماء الأمة أو صالحها .

(قُدْوَةُ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصلاح، وربما قيل «قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ» أو نحو ذلك .

(قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أهل العلم، وربما قيل «قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ» ونحو ذلك .

(قُدْوَةُ الْفِرَقِ) من ألقاب العلماء، والمراد فِرَقُ أَهْلِ الْحَقِّ من أرباب المذاهب والمقائِدِ الصَّحِيحَةِ، والفِرَقُ جمع فِرْقَةٍ .

(قُدْوَةُ الْفُضَّلَاءِ) من ألقاب أكابر العلماء، والْفُضَّلَاءُ جمع فاضل وهو خلافاً للناقص .

(قُدْوَةُ الْكُتَّابِ) من ألقاب أكابر الكُتَّابِ كَالْوَزَرَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَعْلَامِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مَنْ كَاتَبَ السِّرَّ وَنَحْوَهُ .

(قُدْوَةُ الْمُجْتَهِدِينَ) من ألقاب كبار العلماء، وقد تقدم في الألقاب أن الاجتهاد عبارة عن استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

(قُدْوَةُ الْمُحَقِّقِينَ) من ألقاب أكابر العلماء، وقد تقدم معنى التحقيق .

(قُدوةُ المُسَلِّكين) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصِّلَاح، والمراد بالمُسَلِّكين المزمعون الطريق إلى الله تعالى كما تقدم بيانه .

(قُدوةُ المشتغلين) من ألقاب أهل العلم، والمرادُ الاشتغالُ بالعلم .

(قُدوةُ الموحِّدين) من الألقاب الخاصة بصاحب تُوُس : لوقوع الموحِّدين في اصطلاحهم على أتباع المهديِّ بن تومرت؛ وصاحب تُوُس الآن من بقاياهم كما تقدم .

(قَسيمُ أمير المؤمنين) من الألقاب السلطانية، وهو فعيل بمعنى فاعل فيكون معناه يُقاسم أمير المؤمنين، والمراد مقامته الأمر .

(قُطب الزهاد) من ألقاب أهل الصلاح؛ والقُطْبُ تقدم معناه .

(قُطب الأولياء) من ألقابهم أيضا، والأولياءُ جمع وليٍّ وهو خلاف العدو، والمرادُ أولياء الله تعالى .

(قَوَامُ الأمة) من ألقاب الوزراء ومن في معناهم، والقَوَامُ بالكسر نظام الشيء وعِمادُه ومِلاكه، يقال فلان قَوَامُ أهل بيته، ومنه قَوَامُ الأمر بمعنى نظامه .

(قَوَامُ الجُهور) قال في "عرف التعريف" : هو من ألقاب الوزراء؛ والجُهور من الناس جُلُهم، أخذًا من الجُهور وهي الرملة المختلطة المشرفة على ماحوطها .

(قَوَامُ النبوة) من ألقاب الكُتُب وهو بالكسر أيضا .

(قَوَامُ المصالح) من ألقاب أكابر الكُتُب من الوزراء ومن في معناهم، وهو بالكسر أيضا، والمصالح جمع مصلحة وهي خلاف المفسدة .

(قَوَامُ الإسلام) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو بالكسر كالذي قبله .

حرف الكاف

(كَافِلُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب بَكَرِ الثُّوَابِ كَتَّابٍ يَمْشِقُ ، وقد تقدّم معنى الكافل في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف .

(كَافِلُ المَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ) من ألقاب النَّائِبِ الكافل : وهو النَّائِبُ بمحضرة السلطان .

(كَافِي الدُّوَلَةِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، والكافي اسم فاعل من الكَفَاة .

(كَثْرُ الثَّنَى) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، والكثرة في أصل اللغة المال المدفون ، استعير لصاحب الألقاب لأنه كالثمن المكنوز لذلك الباب .
(كَثْرُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب العلماء .

(كَثْرُ الْعِلْمَاءِ) من ألقاب أهل العلم وربما قيل « كَثْرُ الْمُفَسِّرِينَ » أو « كَثْرُ الْمُتَفَقِّهِينَ » ونحو ذلك .

(كَثْرُ الْمُسْلِكِينَ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح .

(كَهْفُ الْأُسْرَةِ الزَّاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء ، والكهف الملبأ ، ومنه قولهم : فُلَانٌ كَهْفٌ . والأصل في الكهف البيت المنقور في الجبل ويجمع على كُهُوف ، وقد تقدّم الكلام على الأسرة والزاهرة .

(كَهْفُ الْكُتُبِ) من ألقاب أكابر الكُتُب كالوزير من أرباب الأعلام وكاتب السر ومن في معنهم .

- (كَتَفَ الْمَلَّةُ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .
 (كَوَكَبُ الأُشْمَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف كأميرى مكة والمدينة المشرفين
 والكوكب واحد الكواكب وهو يقع على النجوم والشمس والقمر .
 (كَوَكَبُ الذَّرِّيَّةِ) من ألقاب الشرفاء أيضا، والمراد الذَّرِّيَّةُ العلوية .

حرف اللام

- (لِسَانُ الْحَقِيقَةِ) من ألقاب الصوفية ، واللسان هنا جارحة الكلام ، والحقيقة
 خلاف المجاز ، وهي في الأصل عين الحق ، والمراد هنا معرفة الأمر على ما هو عليه .
 (لِسَانُ الْحِفَاظِ) من ألقاب المحدثين وألوعاظ ، والمراد المتكلم عنهم ، يقال فلان
 لسان القوم إذا كان متكلما عنهم ؛ ويموز أن يكون المراد اللسان الذى هو جارحة
 الكلام ويكون المعنى آتتهم للكلام كما أن اللسان آلة الكلام للتكلم ، ويموز أن يكون
 من اللسان بمعنى اللغة ، كما في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُبَيِّنَ قَوْمِهِ)
 ويكون المعنى أنه المترجم عنهم والمتكلم بلغاتهم المختلفة .
 (لِسَانُ النُّوَلَةِ) من ألقاب كاتب السر ومن في معناه ، واللسان فيه يمثل
 المعنيين .
 (لِسَانُ السُّلْطَانَةِ) من ألقاب كاتب السر .

- (لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ) من ألقاب العلماء ، والمتكلمون يموز أن يراد بهم كل متكلم
 في الجملة تعميما للدح ، ويموز أن يراد العلماء بعلم الكلام وهو أصول الدين ،
 لأن أصحابه هم أرباب النظر الدقيق والبحث لدقة متعلقه ، وهو الظاهر .

(لِسَانُ الْمَمْلُوكِ) من ألقاب كُتّاب السّرّ، والممْلُوكُ جمع مَمْلُوكَة وهو موضعُ الْمَلِكِ، والمعنى أنه يتكلم بلسان مَمْلُوكِ الْمَلِكِ .
(لِسَانُ مَمْلُوكِ الْأُمَصَارِ) من ألقاب كاتب السّرّ .

حرف الميم

(مَالِكُ زِمَامِ الْأَدَبِ) من ألقاب الْبُلَغَاءِ مِنَ الْكُتّابِ وَنَحْوِهِمْ، وَيَصْلُحُ لِكَاتِبِ السّرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ .

(مَالِحُ الْمَمَالِكِ وَالْأَقَالِمِ وَالْأُمَصَارِ) من الألقاب السلطانية، والمَالِحُ الْمُعْطَى، والمَمَالِكُ تَهْتَمُ بِبَيَانِهِ، وَالْأَقَالِمُ جَمْعُ إِقْلِيمٍ، وَلَهُ مَعْنَانِ أَحَدُهُمَا وَاحِدُ الْأَقَالِمِ السَّبْعَةُ الَّتِي تُسَمِّيَهَا الْحِكْمَاءُ، مَمْتَنَةٌ فِي طَوْلِ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الْمَقْرِبِ وَالْمَشْرِقِ . وَالثَّانِي الْوَاحِدُ مِنَ الْأَقَالِمِ الْغُرْبَةِ : كَمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِيهِمَا .

(مَتَعَمِّدُ الْمَصَالِحِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، وَالْمُرَادُ بِالْمَتَعَمِّدِ الْمُتَقَصِّدُ .
(مَجْدُ الْإِسْلَامِ) من ألقاب صغار أرباب السيوف .

(مَجْدُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب متوسطيهم .
(مَجْدُ الْأُمَرَاءِ) من ألقاب أصاغر أرباب السيوف كأمرء العشرين ونحوهم .
(مَجْدُ الرُّؤَسَاءِ) من ألقاب التجّار الْخَوَاجِكَةِ .

(مُجَلَّى الْغِيَابِ) من ألقاب أكابر العلماء، والمُجَلَّى بِالْتَشْدِيدِ الْكَاشِفُ، يَقَالُ : جَلَّ الْأَمْرُ إِذَا أَوْضَحَهُ وَكَشَفَهُ، وَمِنْهُ جَلَّوْتُ السِّيفَ وَنَحْوُهُ إِذَا كَشَفْتَهُ مِنَ الصَّدَأِ؛ وَالْغِيَابُ جَمْعُ غَيْبٍ وَهُوَ الظُّلُمَةُ الشَّدِيدَةُ، يَقَالُ : فَرَسٌ أَذْهَمَ غَيْبٌ إِذَا أَشْتَدَّ سَوَادُهُ .

(مَجْدُ الصُّدُور) من ألقاب التجار الخَوَاجِكَةِ .

(مُجَمِّلُ الْأَمْصَار) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم ، والمُجَمِّلُ فاعلُ الجمال ،
والأَمْصَارُ جمعُ مَصِيرٍ وهو الإقليم .

(مُجْهِدٌ نَفْسَهُ فِي رِضَا مَوْلَاهُ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح [والمرادُ به]
المُعْمِلُ نَفْسَهُ لِلْعَايَةِ . يقال : أَجْهَدَ جَهْدَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَيْ أَبْغَى غَايَتَكَ ، والمراد
بِالْمَوْلَى هُنَا الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(مُحْيِي السَّنَةِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .

(مُحْيِي الْعَمَلِ فِي الْعَالَمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(مُدَبِّرُ الْحَيَوشِ) من ألقاب ناظر الجيوش .

(مُدَبِّرُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب الوزراء ، وربما قيل «مُدَبِّرُ الدَّوْلَةِ» والمُدَبِّرُ فاعلُ
التدبير ، وقد تقدّم معناه في الكلام على المُدَبِّرِ فِي جَمَلَةِ الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(مُدَبِّرُ أُمُورِ السُّلْطَانَةِ) من ألقاب الوزراء وكُتَّاب السِّرِّ وغيرهم .

(مُدَكِّرُ الْقُلُوبِ) من ألقاب الخطباء والوعاظ ؛ والمُدَكِّرُ فاعلُ التذكير وهو الّاخْذُ
بِالذِّكْرِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(مُذِلُّ الْبِنَةِ) من ألقاب علماء السنة ، والمُذِلُّ ههنا مُهَيِّضُ الْمُعْزِ .

(مُذِلُّ حِزْبِ الشَّيْطَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، والحِزْبُ الطائفةُ ،
وحِزْبُ الرَّجُلِ أَصْحَابُهُ .

(مُزَيِّعُ الْمُرِيدِينَ) من ألقاب الصلحاء .

- (مُرْتَبِ الْجُيُوشِ) من ألقاب ناظر الجيش .
- (مُرْتَضَى الدَّوْلَةِ) من ألقاب الكُتَّاب، والمُرْتَضَى بمعنى المَرْضَى المقبول .
- (مُرْتَضَى المُلُوكِ والسُّلاطِينِ) من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعاً .
- (مُسْتَعْدِمُ أَرْبابِ الطُّبْلِ وَالْعِلْمِ) من ألقاب النائب الكافل ونحوه .
- (مُسَيِّدُ المَمَالِكِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، والمُسَيِّدُ فاعل التشييد وهو رَفَعَ البِنَاءَ .
- (مُسَيِّرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، والمُسَيِّرُ الَّذِي يُسَيِّرُ عَلَى غَيْرِهِ بِالرَّأْيِ .
- (مُسَيِّرُ السُّلْطَنَةِ) مثله .
- (مُسَيِّرُ المُلُوكِ والسُّلاطِينِ) مثله .
- (مُظْهِرُ أَنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ) من ألقاب العلماء، وهو بضم الميم وإسكان الظاء على أَنَّهُ فاعِلٌ مِنَ الظُّهُورِ، والأَنْبَاءُ جَمْعُ نَبَأٍ وَهُوَ الْخَبَرُ، والمراد أَنَّهُ يُظْهِرُ أَخْبَارَ الشَّرِيعَةِ وَيُدَيِّعُهَا؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بفتح الميم على أَنَّهُ هُوَ فَسَّسَ الْمَظْهَرِ وَهُوَ أَبْلَغُ .
- (مُزَيُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ) من ألقاب النائب الكافل وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ .
- (مُزَيُّ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء، والسُّنَّةُ خلافُ الْبِدْعَةِ .
- (مُؤَيِّنُ الْحَقِّ وَنَاصِرُهُ) من ألقاب الحُكَّامِ مِنْ أَرْبابِ السِّيُوفِ وَغَيْرِهِمْ .
- (مُؤَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب العلماء .
- (مُؤَيِّدُ الْبُلَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ .

(مُفِيدُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب العلماء .

(مُفِيدُ الْمَنَاجِحِ) من ألقاب الوزراء ، والمَنَاجِحُ جمع مَنَاجِحٍ أخذنا من التَّجَاح وهو الظَّفَرُ بِالْحَوَائِجِ .

(مُفِيدُ أَهْلِ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ) من ألقاب العلماء .

(مُفِيدُ كُلِّ غَايَةٍ وَرَأْيٍ) من ألقابهم أيضا .

(مُقَرَّبُ الْحَضَرِيِّينَ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ إِذَا كَانَ مَرَدَّدًا بَيْنَ مَمْلَكَتَيْنِ .

(مُقَرَّبُ النَّوَلِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ ، وهو أَعْمُ من الْأَوَّلِ .

(مَلْجَأُ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) من ألقاب النَّائِبِ الْكَافِلِ وَنَائِبِ الشَّامِ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ آخِرًا .

(مَلْجَأُ الْمُرِيدِينَ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

(مَلِكُ الْبَحْرَيْنِ) من الألقاب السلطانية ، والمرادُ بَحْرُ الرُّومِ وَبَحْرُ الْقَزْمِ : لِأَنَّهُمَا يَتَقَارَبَانِ بَيْنَ مِصْرَ وَالشَّامِ عَلَى الْقُرْبِ مِنَ الْعَرِيشِ .

(مَلِكُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أهلِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ .

(مُمْلِكُ الْمَمَالِكِ وَالْمُنَحُوتِ وَالْأَيَّانِ) من الألقاب السلطانية أيضا ، والمرادُ بِالْمُنَحُوتِ هُنَا مُنَحُوتُ الْمُلْكِ ، يريدُ أَنَّهُ مُمْلِكُ الْمُلُوكِ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ .

(مُنْهَدُ النَّوَلِ) من ألقاب أَكْبَرِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ كَتُوبِ السُّلْطَنَةِ وَنَحْوِهِمْ ،

وَرَبَّمَا كُتِبَ بِهِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ أَيْضًا ، وَقَدْ تَهَيَّأَ الْكَلَامُ عَلَى التَّهْمِيدِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمُنْهَدِيِّ فِي جُمْلَةِ الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(مُنبَه الخَوَاطِر) من ألقاب الخطباء والوَظَّاء ، والمُنَبِّه المَوْقِفُ ، والخَوَاطِر جمع خَاطِرٍ .

(مُنْجِد المُلُوكِ والسُّلاطِينِ) من ألقاب النَّائِبِ الكافِلِ ، وبه يُكْتَبَ لإمام الزيدية بايمن . والمُنْجِد المَعِين أَخَذَ من قولهم أَسْتَجِدُّ فُلَانًا فَأُجِدُّهُ أَيْ أَسْتَعَانَ بِي فَأَعْتَهُ .

(مُنْثَى العلماء والمُفَتِّينِ) من ألقاب أكابر العلماء .

(مُنْصِف المَظْلُومِينَ من الظَّالِمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(مَوْرِد الجُودِ) من ألقاب الكرماء .

(مُوصِل السَّالِكِينَ) من ألقاب الصوفية والصلحاء .

(مُوضَّع الطَّرِيقَةِ) من ألقاب الصوفية والصلحاء أيضا ، وربما قيل «مُوضَّع الطَّرِائِقِ» وقد تقدّم أن المراد الطريقُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(مَوْلَى الإِحْسَانِ) من الألقاب السلطانية ، والمراد بِالْمَوْلَى المُنِيل .

(مُؤَمِّن الأَرْضِ المَحِيطَةِ) من الألقاب السلطانية أيضا ، وكأنهم يريدون الأَرْضَ المَحِيطَةَ لَا تَسَاعُهَا ، ويكون المرادُ أَرْضَ المَمْلَكَةِ ، وإلا فالأَرْضُ مُحِيطَةٌ من حيثُ استدارةُ الماءِ عَلَيْهَا لَا مُحِيطَةٌ بِنِهَا .

(مَلَأْدُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، والمراد الْمَلْبَجَا .

(مَلَأْدُ الْعِبَادِ) من ألقاب الصلحاء . وفيه نظر لأنَّ الْعِبَادَ لَا يَلُوفُونَ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَلْجَأُونَ إِلَّا إِلَيْهِ .

(مَلَأْدُ الْكُتُبِ) من ألقاب أكابر الْكُتَّابِ ، ككاتبِ الْمَرْثِ ونحوه .

(مُؤَيِّدُ الْحَقِّ) من ألقاب أرباب السيوف وغيرهم ، والمؤَيِّدُ الْمُقَوِّى أَخْذاً من الأَيِّدِ وهو القُوَّة .

(مُؤَيِّدُ الْمِلَّةِ) من ألقاب العلماء .

(مُؤَيِّدُ أُمُورِ الدِّينِ) كذلك . وبه يُكْتَبُ لإمام الزيدية باليمن .

حرف النون

(نَاصِحُ الْمُلُوكِ وَالسَّلاطِينِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ .

(نَاصِرُ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء .

(نَاصِرُ الثَّرَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالتائب الكافلي

ونحوه ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك كملك التُّكُرُودِ ونحوه .

(نَاصِرُ الشَّرِيعَةِ) من ألقاب العلماء ، والشريعة ما شرعه الله تعالى من الدين .

يقال شَرَعَ لهم شَرْطاً ، وأصله من الشريعة التي هي مَوْرِدُ الْمَاءِ .

(نَاصِرُ رِوَاءِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) من الألقاب السلطانية .

(نَجَلُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب أولاد الملوك ، والمراد أنه وَلِدٌ فِي السُّلْطَنَةِ .

(نَجَلُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب ذَوِي الْأَصَالَةِ ، والنجل النسل . يقال نَجَلَهُ أَبُوهُ

إِذَا وَلَدَهُ .

(نَسِيبُ الْإِمَامِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مكة والمدينة المشرفين ، والنسب

القريب . يقال فلان نَسِيبُ فُلَانٍ أَيْ قَرِيبُهُ ، وذلك أَنَّ مَرْجِعَ بَنِي الْعَبَّاسِ

وَالْعَلَوِيِّينَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ .

(نَسِيبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) مثله .

(نَصْرُ الْفِرَاقَةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أكبر أرباب السيوف كَتُوبِ السُّلْطَانَةِ ونحوهم ، وهو عندهم [فَوْقَ] نَاصِرِ الْفِرَاقَةِ .

(نَصِيرُ الْفِرَاقَةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) كذلك ، وهو عندهم ثَوْنُ الْأَوَّلِ وفَوْقَ الثَّانِي ، وفيه كَلَامٌ يَأْتِي ذِكْرُهُ .

(نِظَامُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أكبر أرباب السيوف والكَتَّابِ ، وقد تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى النِّظَامِ فِي الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(نِظَامُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب الْوُزَرَاءِ وَكُتَّابِ السِّرِّ ونحوهم .

(نِظَامُ الْمَتَاجِحِ) من ألقابهم أَيْضًا .

(نُورُ الزَّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

حرف الهاء

(هِمَامُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف وقد تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ أَنَّ الْهِمَامَ بِمَعْنَى الشَّجَاعِ .

حرف الواو

(وَارِثُ الْمُلْكِ) من الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ .

(وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من الْأَلْقَابِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا أَرْبَابُ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ : كَالْوُزَرَاءِ وَقُضَاةِ الْقَضَاةِ وَكُتَّابِ السِّرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَالْوَلِيُّ فِي اللُّغَةِ خِلَافُ الْعَدُوِّ .

حرف اللام ألف

(لَا يُسُّ تَوْبِ الْقَخَّارِ) من ألقاب أكابر أرباب الأعلام .

(لَا فُتُ الْفَوَاةُ إِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ) من ألقاب الصلحاء والوعاظ، واللافُ الصارِفُ، يقال لَفَّتْ وَجْهَهُ عَنِ إِذَا صَرَفَهُ، وَأَصْلُ اللَّفَّتِ اللَّيْ، وَالْفَوَاةُ جَمْعُ فَاوٍ وَهُوَ الضَّالُّ، يُقَالُ غَوَى يَغْوِي غِيًّا إِذَا ضَلَّ فَهُوَ غَاوٍ .

حرف الياء

(يَمِينُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) قَالَ فِي "حَرْفِ التَّعْرِيفِ" : يَخْتَصُّ بِالدُّوَادَارِ وَكَاتِبِ السِّرِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَى ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْيَمِينِ فِي الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ، وَأَنْ الْمُرَادُ يَمِينُ السُّلْطَانِ الَّتِي يَتَنَاوَلُ بِهَا، وَإِلَّا فَيَجْلِسُ كَاتِبُ السِّرِّ عَنْ يَسَارِ السُّلْطَانِ وَالِدُّوَادَارُ وَأَقْفُ أَمَامِهِ .

(يَمِينُ الْمَلِكَةِ) مثله .

(يَمِينُ النُّوَلَةِ) كذلك .

الضرب الثاني

(من الألقاب المفردة المؤنثة ؛ ولتأنيثها سببان)

السبب الأول

(الجمع)

بأن يجمع شيء من الألقاب المذكورة المفردة أو المركبة، فننقل من التذكير إلى التأنيث، فإنَّ المجموع كلها مؤنثة على ما هو مقرر في علم النحو . ويتأتى ذلك

في المطلقات، مثل أن يجمع في صدر المطلق بين المقر الكريم والجناب الكريم والجناب العالي والمجلس العالي؛ ثم يُتبعها بالألقاب التي تليق بها مما يأتي ذكره، فيأتي بتلك الألقاب مجموعة بلفظ التانيث مفردة ومركبة . مثل أن يكتب إلى المقر والجناب الكريمين ، والجنابات العالية، والمجلس العالي الأميرية، الكبرية، العالية العادلة، المؤيدية، الزعيمية، السوية، النائية، المتأخرية، العرابية، المهدية، المشيدية، الظهيرية، الكافلية، الفلانية، إعزاز الإسلام والمسلمين، سادات الأمراء في العالمين، أنصار الفزاة والمجاهدين، زعماء الجيوش، مقدمي الساسكر، ممدى الدول، مشيدى الممالك، عمادات الملّة، أعوان الأمة، ظهيري الملوك والسلاطين، سيوف أمير المؤمنين، ونحو ذلك .

وأعلم أن هذه الألقاب كلها من جملة الألقاب المفردة والمركبة المتقدم ذكرها، فيستغنى عن بيان مشكلها وتعريف أحوالها هنا اكتفاء بما تقدم، إلا أن من الألقاب المجموعة ما يقوم لفظ الأفراد مقامه بأن يكون اللقب اسم جنس، مثل عضد وبجد ونحو ذلك مما لا يجوز جمعه لأنه يُقصد به الجنس . فيجوز للكتاب حينئذ أن يأتي بذلك بلفظ الجمع ولفظ الأفراد الذي معناه الجمع . وقد أشار إلى ذلك القاضي شهاب الدين بن فضل الله في "التعريف" في الكلام على المطلقات . فقال عند ذكره اعتضاد الملوك والسلاطين : ويجوز فيه أعضاد الملوك وعضد الملوك، إطلاقاً للأفراد على الجمع .

السبب الثاني

(تأنيث اللقب الأصل الذى تنفتح عليه الألقاب الفروع . وله حالتان)
الحالة الأولى — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيقى كالحضرة واليد
والباسطة . فتأتى الألقاب المفترعة عليها مؤنثة بناء على أن الصفة تتبع الموصوف
فى تذكيره وتأنيثه ، على ما هو مقترن فى علم النحو . أما نموت الحضرة فمثل أن
يقال : « الحضرة الشريفة ، العلية ، السنية ، العالمية ، العالمية ، العادلة ، الأوحديّة ،
المؤيديّة ، المجاهديّة ، المراتبية ، المتأخريّة ، المظفرية ، المنصورية ، وما أشبه ذلك »
وأما نموت الباسطة فمثل أن يقال : « الباسطة الشريفة ، العلية ، المولوية ،
الأميرية ، الكبيرة ، العالمية ، العادلة ، المؤيديّة ، الحسينيّة ، السديّة ، المالكيّة ،
الفلانية » وفى معناها نموت اليد . وألقاب هذه الحالة كلها فى معنى ما تقدم من
الألقاب المذكورة لا تختلف الحال فيها إلا فى التذكير والتأنيث ، وأنه ليس فيها ألقاب
مرجبة ، فيستغنى بما تقدم عن ذكر معانيها وأحوالها أيضا .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيقى ، كالدار والستارة
والجهة إذا كُنِيَ بها عن المرأة فى الكتابة إليها مثل أن يقال : « الدار الكريمة »
و « الستارة الرفيعة » و « الجهة المصونة » ونحو ذلك ، فتبعض الألقاب المنزوعة
عليها أيضا فى التأنيث إلا أن لها معانى تخصها . وهى على ضربين : مفردة ومرجبة
كما نهتم فى المذكرة ، وإن لم تبلغ شأوها فى الكثرة . فاما المفردة فكالشريفة ،
والكبرى ، والعالية ، والمعظمة ، والمكرمة ، والمجبة ، والمصونة ، والخاصة ،
والخونية . وربما قيل الولديّة إذا كانت والدّة حقيقة أو فى مقامها ، والولديّة إذا كانت
بنا حقيقة أو قائمة مقامها ، والخاصة إذا كانت خاصة ونحو ذلك .

ثم الألقاب المفردة تارة تكون مجردة عن ياء النسب، كالألقاب المتقدم ذكرها؛ وقد تلحقها ياء النسب للبالغة في التظيم فيما تدخل فيه ياء النسب في المذكر، مثل أن يقال : المعظمية والمكرمية، والمحجية، وما أشبه ذلك . وهذه الألقاب أكثرها منقول عن المذكر، فيستغنى عن ذكر معانيها وأحوالها؛ وفيها ألقاب لم يتقدم ذكر مثلها في المذكر كالمحجية، وهو مأخوذ من الحجاب كأنها محجوبة عن أن يراها الناس؛ ومنها المصونة وهو مأخوذ من الصيانة، وهي جعل الشيء في الصون وقاية له عن مثل النظر والمس ونحو ذلك؛ ومنها الخاتون، وهو لفظ تركي معناه السيدة؛ ومنها الخوتند، وهي لفظة عجمية بمعنى السيادة أيضا .

وأما المركبة فمثل جلال النساء، وسيدة الخواتين في العالمين، وشرف الخواتين، وجميلة المحجبات، وجميلة المصولات، وقرينة الملوك والسلاطين، وسليمة الملوك والسلاطين، إذا كانت بنتا لسلطان أو في معناها، وكريمة الملوك والسلاطين إذا كانت أخت سلطان . ومعاني هذه الألقاب ظاهرة معلومة .

الصنف الثاني^(١)

(من الألقاب المفردة على الأصول ألقاب من يكتب إليه)

من أهل الكفر، مما أصطلح عليها لمكاتباتهم

وأعلم أنه لم يكن ملك من ملوك الكفر من يكتب له عن الأبواب السلطانية غير النصراني : لأنه لم يكن لغيرهم من أهل الملل بالقرب من هذه المملكة مملكة نائمة ، بل اليهود ليس لهم مملكة قائمة في قطر من الأقطار بعد غلبة الإسلام ، إنما يؤثرون الحزبية حيث حلوا ، إذ يقول تعالى في حقهم : **(خُيِّرَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا ابْجِثْ مِنَ اللَّهِ وَحِيلَ مِنَ النَّاسِ)** .

(١) لعل الصواب "الترع الثاني" وبالجملة فالترابيم كثيرا ما يقع فيها السهو مما من التامع أو المؤلف فتنه .

ثم مَنْ يَلْقَبُ من أهل الكفر في المكتبات إن كان من متديّتيهم كالباپ والبطرك، ناسبه من الألقاب ما فيه معنى التنسك والتعبد؛ وإن كان من الملوك ناسبه ما فيه معنى الشجاعة والرئاسة والقيام بأمر دينه وتحمّله أعباء رعيته وما في معنى ذلك . فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل : ” مِنْ عِجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ “ وفي كتب السيرة أنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى : ” مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ “ وأنه كتب إلى المقوقس : ” مِنْ عِجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُقَوِّسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ “ فعبّر عن كل من الملوك الثلاثة بعظيم قومه لمناسبة ذلك لهم .

وبالجملة فالألقاب التي تُكْتَبُ إليهم على ضربين :

الضرب الأول

(الألقاب المدكّرة، وهي تملّط)

النمط الأول

(المفردة)

وأكثر ما تُثْنَى على صفات الشجاعة وما في معناها . وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا ، مَقْفَاةً عليها .

حرف الألف

(الأسد) من الألقاب التي أصطلح عليها بمعنى الشجاعة، وهو في الأصل للحيوان المقترس، ثم استعمل في الرجل الشجاع مجازاً لعلاقة ما بينهما من الشجاعة .

(الأصيل) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم أيضا، وقد تقدم في الكلام على الألقاب الإسلامية قولا عن "عرف التعريف" أنه يختص بكل من له ثلاثة آباء في الرئاسة، ويجوز فيكون هنا مختصا بمن له ثلاثة آباء في الملك، على أنهم الآن لا يقفون مع ذلك بل يرأعون من له أدنى نسب .

(الأنجالوس) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وهي لفظة يونانية معناها الملك واحد الملائكة ، وإنما كتبت إليهم بذلك مضاهاة للكتب الواردة عنهم، ولعل الكاتب لم يعلم معنى ذلك، وكذلك غيرها من الألفاظ التي في معناها .

حرف الباء

(البالائوس) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وهي لفظة يونانية أصلها البالي لوض، ومعناها «الكلمة القديمة» .

حرف الجيم

(الجليل) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم، ومعنى الجليل في اللغة العظيم، لكن قد استعمل في ألقابهم في المكاتبات للملوكهم . فيقال «الملك الجليل» والمراد الجليل بالنسبة إلى ملوك الكفر، وإلا فالكافر لا يوصف بالعظمة . وكان الأحسن أن لا يكتب به إليهم، لاسيما وهو أسم من أسمائه تعالى .

حرف الخاء المعجمة

(الخايشع) من الألقاب التي أصطلح عليها لمتدينتهم : كالباپ والبطرك . وقد تقدم في الألقاب الإسلامية أنه يكون من ألقاب الصلحاء والصوفية، وأن معنى الخايشع المتنزل ، .

(الخطير) من الألقاب التي أصطلح عليها للوكهم ، والخطير في اللغة الكبير الجليل القدر، ومنه قولهم : أمر له خطر أى مقدار كبير .

حرف الدال المهملة

(الدوقس) بضم الدال وكسر القاف من الألقاب التي أصطلح عليها للوكهم . وقد يقال (الضوقس) بالضاد بدل الدال ، وهى لفظة يونانية أصلها دقستين ، ومعناها المشكور .

حرف الراء المهملة

(الروحاني) من الألقاب التي أصطلح عليها للتدوين منهم ، وهو بضم الراء نسبة إلى الروح التي بها مناط الحياة للخلوقين ، ومنه نُسب إلى الملائكة والجن روحاني ، وبالفتح نسبة إلى الروح بمعنى الرائحة ، والمعنى الأول أقرب إلى مراد الكاتب .

حرف السين

(السيدع) من الألقاب التي أصطلح عليها للوكهم . قال الجوهري : وهو بضم السين وقال فى "كفاية المتحفظ" بفتحها ، ومعناه السيد ، وكأن المراد سيد قومه وزعيمهم .

حرف الضاد المعجمة

(الضظام) من الألقاب التي أصطلح عليها للوكهم ، وهو من أسماء الأسد ، لقّب به ملوكهم لما فيه من معنى الشجاعة .

حرف الغين المعجمة

(الْفَضْفَضُ) بفتح الغين والضاد المعجمتين وسكون النون وفتح الفاء من أسماء الأسد، أصطلح الكُتُبُ على تلقيبهم بذلك لما فيه من معنى الشجاعة كالأسد والضُرَّام . على أنه قد يُطْلَقُ في اللغة على الرجل الغليظ كما حكاه الجوهري . ولا بأس باستعمال الألفاظ التي لما كامل ما رآه في المكتبات إلى الكُفَّار .

حرف القاف

(الْقِدِّيس) بكسر القاف من الألقاب التي أصطلح عليها لمتدينتهم من الباب والبطريرك ونحوهما، وأصله من التقديس وهو التزيه .

حرف الكاف

(الْكُرَّار) بتشديد الراء من الألقاب التي أصطلح عليها للموكلهم، والكرار صيغة مبالغة من الكرّ خلاف الفز . والمراد أنه يرجع في المحاربة على قرنه المرة بعد المرة ولا ينهزم عنه .

(الكينينوس) من الألقاب التي أصطلح عليها للموكلهم، وهو لفظ رومى معناه

.....

حرف الميم

(الْمُبْتَل) من الألقاب التي أصطلح عليها لمتدينتهم، ومعناه المتقطع عن الدنيا .

(الْمَحْت) بفتح الخاء المعجمة المشددة من الألقاب التي أصطلح عليها للموكلهم،

والمراد أنه ممن يخلص مثله على تخت الملك لاستحقاقه له .

(الْمُتَوَجِّ) بفتح الواو المشددة من الألقاب التي أصطلح عليها للموكلهم والمراد أنه

ممن يخلص التاج لاستحقاقه له .

(١) كلما في الأصول بالاممال مع إشارة التوقف والمراد الألفاظ التي تحتل الصلح وغيره .

(٢) يبيض له في الأصول وأورده في الضم، ولم يفسره .

(المُحْتَسِم) من الألقاب التي أصطلح عليها لتُجار الروم والفرنج ، والمراد بالاحتسِم هنا الرئيس الذي له حَتَمٌ وهم خَوَلُه وخَدَمُه . وأصل الحِشْمَة في اللغة الغَضَب ، وسمي خَوَلُ الرجل وخَدَمُه حَتَمًا لأنهم يَتَضَبُّون له ؛ وبعضهم يطلق المحتسِم على المستحجي وعليه عُرِفَ العامة وهو المراد هنا ، وأنكره أبْنُ قتيبة وغيره حتى قال الناس إنه لا يُعرَفُ أَحَدٌ منهم إلا بمعنى غَضِبَ وإن كان الجوهرى قد حكاه .

(المُعَزَّز) من الألقاب التي أصطلح عليها للوكلهم [وهو أَمَمٌ مفعول من العز] خلاف الذل .

(المجد) من الألقاب التي أصطلح عليها للوكلهم ^(١) [وهو مُفَعَّلٌ من المجد . وقد تقدّم الكلام عليه في الألقاب الإسلامية .

حرف الهاء

(الهَمَام) من الألقاب التي أصطلح عليها للوكلهم ، وقد تقدّم في الألقاب الإسلامية أن معناه الشجاع .

التمط الثاني

(من الألقاب التي يُكْتَبُ بها للوكل الكفر الألقاب المركبة)

وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا .

حرف الألف

(آخر ملوك اليونان) من الألقاب التي أصطلح عليها للوكلهم ، وهي تصلح لكل ملك ينسب إلى اليونان أو قام مقامهم في الملك . واليونان أمةٌ معروفة مشهورة ، وكانت مملكتهم أولا في الجانب الشرق من الخليج القُسْطَنْطِينِي المعروف الآن ببلاد

(١) الزيادة يقتضيا الكلام كما لا يخفى على المتأمل .

الرُّوم ثم ملكوا: بعدما العراق، والترك، والهند، وبلاد أرمينية، والشام، ومصر، والإسكندرية. ومنهم أكثر الحكماء والفلاسفة. وكانت دولتهم من أعظم الدول، واختلف في نسبهم: فنقل ابن مسعود عن البيهقي وغيره من المحققين أنهم من ولد أفرقش بن يُونان، بن علجان، بن يافث، بن نُوح عليه السلام. والمنقول عن التوراة أن يُونان هو ابن يافث لصلبه، وأسمه فيها ياقان بفاء تحرب في اللفظ من الواو فعزبت يُونان. وخالف كثير من المؤرخين فنسبوا يُونان إلى طابر بن فالغ، فجعله أخا لقحطان جد العرب العاربة، وأنه خرج من اليمن مغاضبا لأخيه قحطان فقتل ما بين الأفريقية والروم واختلط نسبه بنسبهم. وقيل: بل اليونان من جملة الرُّوم من ولد صوفر بن العيص، بن إسحاق، بن إبراهيم عليه السلام.

(أشوة الملوك والسلطين) من الألقاب التي أصطلح عليها الملوكهم، والإسوة بكسر الهمزة وضمة بعمى القُدوة ومنه قولهم: لى فى فلانٍ إسوةٌ يعنى قُدوة، وكأنهم جعلوه إسوةً للملوك الكفريقتدون به. وإلا فلا يجوز إطلاق ذلك على الملوك من حيث هم لسُخُول ملوك الإسلام فيهم.

(العاذل فى ملته) من الألقاب التي أصطلح عليها الملوكهم، وقد تقدم معنى العادل والملة في الكلام على الألقاب الإسلامية.

(العاذل فى مملكته) من الألقاب التي أصطلح عليها الملوكهم، وقد تقدم معنى العادل، والمملكة في الأصل موضعُ الملك ثم أطلقت على الرعية مجازا.

(الرَّيد أرغون) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض ملوكهم ممن يملك البلاد المعروفة بأرغون، وقد ذكر في "الروض المعطار" بلاد أرغون، وقال: هو اسم بلاد ضرميه بن شايخه، تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال، ولم يذكر في أية حيز هي

ولا في أى قُطر . وقد رأيت هذا اللقب في " التعريف " : للقرن الثماني بن فضل الله في ألقاب صاحب القسطنطينية وفي " التقيف " لابن ناظر الجيش ، في ألقاب الأذقوش صاحب طليطلة من الأندلس ، ويحتاج إلى تحقيق من يملك هذه الطائفة منهما فيكتب به إليه . والرّيد في لغتهم بمعنى الملك كما تقدم في الكلام على ريد أفونس في ألقاب الملوك .

(المُنْصِف لرعيته) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، والرعية من يسوسه الملك ، سُمُّوا بذلك تشبيها لهم بالغنم وله بالراعى .

(أُوحدُ الملوك الميسورية) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، ويصلح للملكانية واليعقوبية جميعا : لأنه لم يقيد بمذهب من مذاهب النصارى .
(أُوحد ملوك اليعقوبية) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوك الحبشة : لأن ملكها من طائفة اليعقوبية .

حرف الباء

(بَطَلُ النصرانية) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وهو صالح لكل واحد منهم ؛ ومعنى البطل في اللغة الشجاع ، سُمي بذلك لأنه يُبطل حركة قرنه .

(بَقِيَّةُ أبناء الصُّخوت والتيجان) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وهي تفصل لكل منهم أيضا من الملكانية واليعاقية جميعا .

(بَقِيَّةُ الملوك الأفرقية) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض الملوك من بقايا طائفة الأفرقية من اليونان ، وهم طائفة من اليونان تنسب إلى أغريقش بن يونان المقتدم ذكره ، وهم اليونان الأول . وقد ذكره في " التعريف " في ألقاب ملك الكرج ، ولعله أطلق على أنه من بقايا هذه الطائفة ، وهو مما يحتاج إلى تحرير .

(بِقِيَّة سَلَف قَيْصَر) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض ملوكهم من
 أننسب إلى القياصرة ملوك الروم أو قام مقامهم . وقَيْصَرُ اسمٌ قديمٌ لكل من ملك
 الروم، وأصل هذه اللفظة في اللغة الرومية جاشر يجم وشين معجمة فُعربت قَيْصَرُ؛
 ولما عندهم معنيان : أحدهما الشيء المشقوق عنه، والثاني الشَّعْر . واختلف
 في أوَّل من لُقِّب بذلك منهم فقيل : أغانيوش قَيْصَرُ، أوَّل الطبقة الثانية من
 ملوك الروم : مات أمه وهو حَمَل فَشَقَّ بطنها وأخرج فسَمَّى بذلك لما فيه من الشق
 عليه ، وقيل يوليوش قَيْصَرُ، وهو الذي ملك بعد أغانيوش المقدم ذكره ، وقيل
 أغشطش قَيْصَرُ وهو الذي وُلِدَ المسيح طيه السلام في زمانه ، فقد قيل إنه الذي
 مات أمه وهو حَمَل فَشَقَّ جوفها وأخرج فسَمَّى بذلك، وقيل لأنه وُلِدَ وله شَعْرَتَانِ
 فسَمَّى قَيْصَرُ لوجود الشعر فيه حينئذ .

حرف الحسيم

(جامع البلاد الساحلية) من الألقاب التي تصلح لكل ملك [مملكة] متسعة
 على ساحل البحر كصاحب القُسطنطينية ونحوه .

حرف الحاء المهملة

(حافظ البلاد الجنوبية) من الألقاب التي أصطلح عليها لملك الحبشة من
 النصارى . على أنه يصلح لغيره من ملوك السودان أيضا من آخذ في الجنوب
 من المسلمين وغيرهم .

(حامل راية المسيحية) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وهي تصلح
 لكل ملك كبير من ملوك النصارى ، والمراد بالمسيحية الملة المسيحية ، فحذف

الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ، يريدون ملة المسيح وهو عيسى عليه السلام .
وأخيراً في [سبب] تسميته بالمسيح : قيل لأنه كان ممسوح القدمين بمعنى أنه لا يمتص
له . وقيل لأنه مسح الأرض بالسياسة ، وقيل غير ذلك . أما تسمية الديّال بالمسيح
فلأنه ممسوح العين لأنه أعور . وقيل لأنه يمسح الأرض بالسيف فيها .

(حاي البحار والخُلجان) من الألقاب التي تصلح لكل من مملكته منهم على
البحر ، واليغار جمع بحر ، وأصله في اللغة الشق ، ومنه سميت البحيرة المذكورة
في القرآن : وهي الناقة التي نُسق أذنّها فترسل فلا تمارض ، والخُلجان جمع خليج
وهو الجنول الصغير ، والمراد ما يتشعب من البحر تَخْلِج القُسطنطينية وجون
البنادقة ونحوهما .

(حاي حماة بني الأصفر) من الألقاب التي تصلح للملك الروم والفرنج بالممالك
العظام : كصاحب القُسطنطينية وغيره ، والمراد ببني الأصفر الروم فإنهم من ولد
صوفر بن العيص ، بن إسماعق ، بن إبراهيم عليه السلام ، والمؤرخون يعبرون عن
صوفر بالأصفر . وإنما خصّه بحماية الحماة تفخياً له فإنه إذا حى الحماة كان بحماية
غيرهم أجدر .

حرف الخاء المعجمة

(خالصة الأصفياء) من الألقاب التي أصطلح عليها للملكهم ، والمراد بالخالصة
هنا من ليس في صداقته شائبة .

(خلاصة ملوك الشرّيان) من الألقاب التي تصلح لكل من ينسب إلى بقايا
الشرّيين من الملوك . والشرّيان أقدم الأمم في الخليقة ، وكانوا يدينون بدين
الصباينة ، ويتسبون إلى صابئ بن إدريس عليه السلام . قال ابن خزم : ودينهم

أقدم الأديان على وجه الأرض، ومدار مذاهبهم على تعظيم الروحانيات والكواكب، وكانت منازلهم أرض بابل من العراق . قال المسعودي : وهم أول ملوك الأرض بعد الطوفان .

حرف الذال المعجمة

(ذئير ملوك البحار والخلج) من الألقاب التي تصلح لكل ملك منهم على ساحل البحر، وقد تقدم معنى الذئير والبحار، والخلج هي الخللجان، وقد تقدم معناها .

(ذئير الأمة النصرانية) من الألقاب التي تصلح لجميع ملوك النصرانية من الملكانية واليعاقبية ، وقد تقدم معنى الذئير والأمة في الكلام على الألقاب الإسلامية .

حرف الراء المهملة

(رضي الباب باباً رومية) يجوز أن يكون بفتح الراء وكسر الضاد بمعنى مرضي الباب ، ويجوز أن يكون بكسر الراء وفتح الضاد بمعنى أنه يجعل نفس رضا الباب وهو أبلغ . وهو من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وقد تقدم في الألقاب الأصول معنى البابا، ورومية أسم رومية التي بها الباب مقيم، إضافة إليها لإقامته بها، وقد مر القول عليها في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية، وتأتي الإشارة إليها في الكلام على مكتبة الباب في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(ركن الأمة العيسوية) من الألقاب التي أصطلح عليها لكبار ملوكهم كملك الحبشة ونحوه، ويصلح للكنائس واليعاقبة جميعاً .

حرف الشين المعجمة

(شَيْهٌ مَرِيحًا مَعْمَدَانِ) من الألقاب التى تصلح لكبار ملوكهم، ومَرِيحًا بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وبعدها حاء مهملة ونون . ومعنى مَر السيد ، ويُحَنَّا بفتحهم يمحى ، والمراد شبيه السيد يمحى ، والمعمدان يمين مفتوحتين بينهما عين مهملة صفة عندهم لمحى فهم يزعمون أن مريم عليها السلام خرجت بعيسى عليه السلام من الشام إلى مصر وعادت به إلى الشام وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، فلقاه يمحى عليه السلام وهو ابن خالته ، فغمسه فى نهر الأردن ، وهو عندهم أصل ماء المعمودية الذى لا يصبغ عندهم تنصّر نصراني إلا به فاطلقوا على يمحى عليه السلام المعمدان لمعنى ذلك، وكأنه شبه به من حيث إنه أصل المعمودية بزعمهم .

حرف الصاد المهملة

(صَدِيقُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكهم، والمراد أن فيه صداقةً وودًا للملوك الإسلام وسلاطينهم .

حرف الضاد المعجمة

(ضَابِطُ الْمَالِكِ الرُّومِيَّةِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية ، وهو نظير حافظ البلاد الجنوبية لملك الحبشة .

حرف الظاء المعجمة

(ظَهِيرُ الْبَابِ بَابًا رُومِيَّةً) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكهم، وقد تقدم معنى الباب والبابا .

حرف العين المهملة

(عِزُّ الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لأكابر ملوكهم .
(عِمَادُ بَنِي الْمَعْمُودِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لكبار ملوكهم ، والعِمَادُ في اللغة الأبنية الرفيعة ، يَذْكُرُ وَيُؤَنَّثُ . وقد مرَّ بيانُ معنى المعمودية في حرف الشين .

حرف الفاء

(فَارِسُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) يصلح لمن يكون مجاوراً للبر والبحر من الملوك كأصحاب الجزائر ، وقد يصلح لغيرهم أيضا .
(فَخْرُ الْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وتصلح لللكانيَّة واليعاقبيَّة منهم .

حرف الميم

(مُتَّبِعُ الْحَوَارِيِّينَ وَالْأَخْبَارِ الرَّبَّانِيَّينَ وَالْبَطَارِكَةِ الْقِدِّيسِينَ) من ألقاب عظماء ملوكهم ، والمراد بالحواريين أصحابُ ميسى عليه السلام الذين بعثهم إلى أقطار الأرض للبشارة به وللدعاية إلى الله تعالى ، وعنهم أخبر تعالى بقوله : ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ وهم اثنا عشر نفساً أسماؤهم يُونَانِيَّةٌ .
أحدهم — بُطْرُس ، ويقال له تَمَعْمُونُ الصَّفا ، وهو الذي بَشِّرَ بِالْقُدُسِ وَأَنْطَاكِيةَ وما حوله .

والثاني — أَنْدَرَاوَس . وهو الذي بَشِّرَ بِلَادَ الْحَبَشَةِ وَالسُّودَانِ .

(١١)

والثالث — يَمْقُوبُ بْنُ زِيْرِي . وهو الذي بَشِّرَ بِمَدِينَةِ

والرابع — يوحنا الإنجيلي . وهو الذي بشر ببلاد أفسس وما معها .
والخامس — فيليس . ولم أقف على موضع بشارته .
والسادس — برثولما . وهو الذي بشر في الواحات والبربر .
والسابع — ثوما . ويعرف بثوما الرسول . وهو الذي بشر في السند والهند .
والثامن — متى . وهو الذي بشر بأرض فلسطين ، وصور ، وصيدا ،
ومصر ، وقرطاجنة من بلاد المغرب .

والتاسع — يعقوب بن حلقا . وهو من بشر ببلاد الهند أيضا .
والعاشر — سيمعان ويقال ثيمون الصفا . وهو الذي بشر بشمشاط وحلب
ومنيح وبرزطية : وهي القسطنطينية .

والحادى عشر — بولس ويقال له تداوس ، وهو الذي بشر بدمشق والقدس
أيضا وبلاد الروم والجزائر ورومية .

والثاني عشر — يهوذا الأنطخيوطي : وهو الذي خرج عن طاعة المسيح ودل
عليه اليهود ليقتلوه فالتقى الله تعالى شبه المسيح عليه فأمسكه اليهود وقتلوه وصلبوه
ورفع الله تعالى المسيح إليه ، وليس هذا من المراد بالحواريين هنا : لأنه قد خرج عن
دائرتهم . فلفظ الحواريين مأخوذ من الحور وهو شدة البياض ، ثموا بذلك لصفاتهم
وتفانيهم في اتباع المسيح عن الدخيل ، وقيل لأنهم كانوا في الأول قصارين يبيضون
الثياب .

والأخبار جمع خبر — بفتح الحاء وكسرهما وهو العالم .
والرأثيون جمع رأثى وقد تقدم معناه في الألقاب الإسلامية .
والبطاركة جمع بطرك وقد تقدم الكلام عليه في الألقاب الأصول وأن أصله
بطريرك ، وأنه يقال فيه فطررك بالفاء بدل الباء ، وكان لهم خمسة كراسي : كراسي برومية ،

وهو الذى قعد فيه الباب، وكرسى بالإسكندرية: وهو الذى استقر لبطرك يعقوبية الآن، وكرسى بيزنطية وهى القسطنطينية، وكرسى بأنطاكية وكان فيه بطرك النسطورية، وكرسى بالقدس وهو أصغرها عندهم .

(محي طرق الفلاسفة والحكماء) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لأن مملكته متبع حكاء اليونان وفلاسفتهم . والفلاسفة جمع فيلسوف بكسر الفاء وهى لفظ يونانى مركب من مضاف ومضاف إليه ، معناه تحب الحكمة ، فلفظ فيل بمعنى حب ، وسوف بمعنى الحكمة ، وهم يطلقون الفلسفة على من يحيط بالعلوم الرياضية . وهى : الهيئة والهندسة والحساب والمخون وغيرها . والحكماء جمع حكيم ، وهو من يحسن دقائق الصناعات ويثقفها أو من يتعاطى الحكمة ، وهى معرفة أفضل الأشياء وأفضل العلوم ، وأول ما صارت الحكمة فيهم فى زمن مجتصر ، ثم أشتهرت فيهم بعد ذلك ، ولذلك عبر بالفلاسفة القدماء إشارة إلى أول زمن الحكاء .

(تحول الثخوت والتيجان) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لعظم مملكته فى القديم والحديث ، والحوال المملك ، والثخوت جمع ثقت وهو كرمى الملك الذى يجلس عليه الملك فى مجلسه العام ، والتيجان جمع تاج وهو الذى يوضع على رأس الملك إذا جلس على تخته ، والمعنى أنه يعطى الملوك الممالك من تحت يده لسهولة مملكته وعظمتها ، وقد كانت القسطنطينية قبل غلبة الفرنج وقوة شوكتهم ملكا عظيما .

(مسيح الأبطال المسيحية) من الألقاب التى أصطلح عليها لأكابر ملوكهم كصاحب القسطنطينية . أضاف المسيح إلى الأبطال ثم وصفها به جمعا له بين رتبتي الشجاعة والتدين بدينه .

(مُصَافِي الْمُسْلِمِينَ) مِنَ الْأَقْنَابِ الَّتِي اصْطُلِحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ ، وَالْمُصَافِي مَفَاعِلٌ مِنَ الصَّفَاءِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ صَافِي النِّيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمُونَ صَافُونَ لِلنِّيَّةِ لَهُ .

(مُعِزَّ النَّصْرَانِيَّةِ) مِنَ الْأَقْنَابِ الَّتِي اصْطُلِحَ عَلَيْهَا لِأَكْبَرِ مُلُوكِهِمْ ، وَالْمُرَادُ بِالنَّصْرَانِيَّةِ مِلَّةَ النَّصْرَانِيَّةِ ، حَذَفَ الْمَوْصُوفَ وَأَقَامَ الصِّفَةَ مَقَامَهُ ، وَالنَّصْرَانِيَّةُ فِي الْأَصْلِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى النَّاصِرَةِ وَهِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي نَزَلَهَا الْمَسِيحُ وَأُمُّهُ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْ بِلَادِ الْقُدُسِ عِنْدَ عَوْدِهِمَا إِلَى مِصْرَ ، وَقِيلَ مَأْخُوضَةٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ .

(مَعْظَمُ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ) مِنَ الْأَقْنَابِ الَّتِي اصْطُلِحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ ، وَرَبَّمَا زِيدَ فِيهَا فَقِيلَ «مَعْظَمُ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ بِمَقْدَنِ النَّبِيَّةِ» لِمَوَاقِفَةِ الرُّوِّيِّ فِي السَّجْدَةِ الَّتِي تَقَارِبُهَا ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ لِأَنَّ جَمِيعَهُمْ يَتَقَدَّسُونَ بِتَعْظِيمِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَالْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ مَعْرُوفٌ ، وَالتَّقْدِيسُ التَّزْيِينُ وَالتَّطْهِيرُ .

(مَعْظَمُ كَنِيسَةِ صِهْيُونِ) مِنَ الْأَقْنَابِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلِكِ الْحِشَّةِ لِأَنَّهُ يَعْقُوبِيٌّ ، وَكَنِيسَةُ صِهْيُونِ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ : وَهِيَ كَنِيسَةُ بَطْرُكِ الْيَعَاقِبِيَّةِ الْآنَ ، وَمَتَقَدَّمُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ وَلَايَةُ مَلِكٍ مِنْهُمْ إِلَّا بِاتِّصَالٍ مِنْ هَذَا الْبَطْرُكِ ، عَلَى أَنَّهُ فِي ابْتِدَاءِ الْبَطْرِكِيَّةِ فِي زَمَنِ الْخَوَارِيِّينَ لَمْ يَكُنْ بِكِرْسِيِّ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ أَحَدٌ مِنَ الْخَوَارِيِّينَ ، أَمَّا كَانَ بِهَا مَرْقُصُ الْإِنْجِيلِيِّ تَلْبِيزُ بَطْرُسِ الْخَوَارِيِّ صَاحِبِ كِرْسِيِّ رُومِيَّةِ ، وَالنَّصَارِيُّ يَوْمئِذٍ عَلَى طَرِيقَةِ وَاحِدَةٍ قَبْلَ ظُهُورِ الْمَلَكِيَّةِ وَالْيَعْقُوبِيَّةِ ، فَلَمَّا افْتَرَقَ دِينُ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى الْمَلَكِيَّةِ وَالْيَعَاقِبِيَّةِ وَضِعَ بِهِمْ ، كَانَتْ بَطْرِكِيَّةُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ يَتَدَاوَلُهَا الْمَلَكِيَّةُ وَالْيَعْقُوبِيَّةُ تَارَةً وَتَارَةً بِحَسَبِ اتِّحَالِ الْمُلُوكِ وَالْمِلَالِ إِلَى كُلِّ مِنَ الْمَذْهَبَيْنِ ، ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ آخَرًا فِي بَطْرُكِ الْيَعَاقِبِيَّةِ إِلَى زَمَانِنَا ، وَتَبِعَهُ مُلُوكُ الْحِشَّةِ لِاتِّحَالِهِمْ مَذْهَبَ الْيَعَاقِبِيَّةِ ، كَمَا تَبَعَ الرُّومُ وَالْقَرْجِيُّ الْبَابَ

برومية : لاحتطلم مذهب الملكانية ، وسيأتى الكلام على طَرف من ذلك فى الكلام على مكتبة ملك الحبشة إن شاء الله تعالى .

(مَلِكُ مُلُوكِ السُّرْيَانِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لعظَّمته عندهم ، وقد تقدّم ذكر السُّرْيَانِ فيما قبل .

(مُؤَادُ الْمُسْلِمِينَ) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكةم ، وهو بتشديد الدال أخذنا من المؤدّة .

(مُؤَيَّدُ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكةم ، والمؤيّد المقوّى ، والمراد بالمسيحية الملة المسيحية كما تقدّم بيّانه ، وربما قيل «مُؤَيَّدُ الْعِيسَوِيَّةِ» : والأمر فيها كذلك .

حرف النون

(نَاصِرُ الْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لأكابر ملوكهم ، وقد تقدّم معنى هذه الألقاب فى مواضعها .

حرف الواو

(وَارِثُ التَّيْجَانِ) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكةم . وقد تقدّم معنى التَّيْجَانِ ، والمراد أنه أنتقل إليه الملك وراثته من آباءه .

(وَارِثُ آبَائِهِ فِي الْأَمْرِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لمن يكون عريقاً فى الملك ، وهو قريب من اللقب الذى قبله .

(وَارِثُ الْقِيَاصَةِ الْعُظْمَاءِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية التى هى قاعدة القياصرة ، وقد تقدّم أوّل مَنْ مُنِيَ قيصراً فيما سلف من الألقاب .

الضرب الثاني

(من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة: بأن يكون اللقب الأصل مؤنثاً

فتبعمه الألقاب الفروع في التأنيث، ولها حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيق كالْحَضْرَة مثلاً ،
فَرَدُّ ألقابه مؤنثة ، وفي الغالب إنما يقع التأنيث في اللقب الأول ثم ينتقل إلى
الألقاب المذكورة ، مثل أن يقال : « الْحَضْرَة الْعَالِيَة أَوْ السَّامِيَة أَوْ الْعَالِيَة ، حَضْرَة
الملك الجليل » ويؤتى بما يناسبه من الألقاب بعد ذلك ، وربما أتى لِحَضْرَة بِلَقَبَيْنِ
فأكثَر طلباً للتضخيم ، ثم يُعَدَّل إلى الألقاب المذكورة ، مثل « الْحَضْرَة الْعَالِيَة الْمَكْرَمَة »
ثم يقال « حَضْرَة الْمَلِكِ الْجَلِيل » وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيق بأن يكون لامرأة كما إذا
كانت ملكة في بعض ممالكهم ، على قاعدة الأعظم في إسناد الملك إلى بنات الملوك ،
فيؤتى بألقابها المفردة والمركبة مؤنثة ، فيُكْتَب مثلاً « الْمَلِكَة الْجَلِيلَة الْمَكْرَمَة الْمَبْجَلَة
الْمَوْقَرَة الْمَفْخَمَة الْمَعَزْزَة فَلَانَه الْعَادِلَة في مملكتها ، كَبِيرَة دِين النَّصْرَانِيَة ، نُصْرَة الْأُمَّة
الْعِيسَوِيَة ، حَامِيَة الثُّغُور ، صَدِيقَة الْمُلُوك وَالسَّلَاطِين » وما أشبه ذلك ، ومعاني هذه
الألقاب معلومة مما تقدم .

قلت : قد أتيت من ألقاب أهل الإسلام وألقاب أهل الكفر : المفردة
والمركبة على ما تضمنته "التعريف بالمصطلح الشريف" للقر الشهابي بن فضل الله ،
و"عرف التعريف" في الإخوانيات له ، و"تتيف التعريف" للقاضي تقي الدين
أبن ناظر الجيش الإماشرد عنه القلم ، مع ما ضمنته إلى ذلك مما وجدته في غيرها من

الدياسير المجموعة في السلطانيات والإخوانيات المصرية والشامية جاريًا على عُرفهم
 مما استعمله أهل الزمان ومن قاربه ؛ والكاتب الماهر إذا فهم أصلها وعرف
 طرقها ، اخترع ما شاء من الألقاب والتعوت ؛ والضابط في وضع الألقاب أن يراعى
 فيها أحوال المكتوب له ، فيؤتى منها بما يناسب حاله في الوظيفة والرياسة وسائر
 أوصاف المدح اللاحقة به ؛ فيؤتى لصاحب السيف بالألقاب المقتضية للشجاعة
 والبسالة : مثل المجاهدى والمناغرى والمرايطى وما أشبه ذلك ، وربما أُضيف
 له بعض الألقاب المقتضية للعلم والصلاح ، كالعالمى والعالمى ونحو ذلك ، لاشتراك
 الناس في المدح بمثل ذلك . ويؤتى للعالم والقاضى ونحوهما بالألقاب المقتضية
 للعلم كالعالمى والمحققى والمدققى ونحو ذلك . وربما أُضيف إليهما الألقاب المقتضية
 للصلاح لتمدح العلماء به . ويؤتى للصوفية وأهل الصلاح بالألقاب المقتضية للصلاح
 والتعبّد كالعابدى والزاهدى ونحوهما . ويؤتى لكُتّاب الإنشاء بالألقاب المقتضية
 للبلاغة كالبلّغ والمفوهى ونحوهما . ويؤتى للنساء بالألقاب المقتضية للصيانة والعفة
 كالمصونة والمحجبة وما أشبههما . ويؤتى لأهل الكُفر من الملوك ونحوهم بما لا حرج
 فيه على الكاتب : كالشجاعة وما في معناها ، والتقدم على ملوك طائفته وأهل ملته
 وما في معنى ذلك . فإن اجتمع في شخص واحد أوصاف متعددة من المدح
 جُمعت له . على أن أكثر ما يستعمله الكُتّاب من الألقاب غير موجودة في صاحبها ،
 وإنما هي ألقاب حَفِظوها لرتب معينة لا يسعهم الإخلال بشئ منها وإن كانت كذبا
 محضا و﴿ أَنَا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ . وقد كان في القديم قاعدة مستقرة : وهو أنه
 لا يلقّب أحد بلقب ولا يُكنى بكنية إلا أن يكون الخليفة هو الذى يلقّب بذلك
 أو يكنى .

الجملة السابعة

(في تفاوت الألقاب في المراتب ، وهي قسمان)

القسم الأول

(ما يقع التفاوت فيه بالصعود والمُبطو ، وهو نوعان)

النوع الأول

(ما يقع التفاوت فيه بحسب القِلَّة والكثرة ، وله حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون المكتوب إليه من أتباع المكتوب عنه ، كُتُوب السلطنة فيما يُكتب عن الأبواب السلطانية من مكاتبات وولايات ، فزيادة الألقاب وكثرتها في هذه الحالة طَوُّ وشرَف في حق المكتوب إليه ، لأنها من باب المدح والإطراء ، ولا شك أن كثرة المدح من المتبوع للتابع أعلى من قلته ، ولذلك جمع الإطالة في ألقاب بكار الثواب والاختصار في صفاتهم ، وتأتي في غاية الاختصار في نحو ولاة النواحي ومن في معانهم .

الحالة الثانية — أن يكون المكتوب له أجنبياً عن المكتوب عنه ، كالملوك الذين يُكتب إليهم المكاتبات عن السلطان ، قلَّة الألقاب في حقّه أرفع لأن الإكثار من ذلك يرى أنه من باب الملقى للمنعم بين الأكار في المكاتبات فوجب تجنبه كما يجب تجنب المدح وكثرة البذاء ، ولذلك يقع الاختصار في الألقاب فيما يُكتب لهم عن السلطان إجلالاً لقدْرهم عن رتبة رعاياه الذين يُكثر من ألقابهم .

النوع الثاني

(ما يقع فيه التفاوت في اللو والهبوط بحسب ما يقتضيه جوهر اللفظ
أو ما وقع الاصطلاح عليه . وهو صنفان)

الصنف الأول

(الألقاب المفردة . وهي على أربعة أنماط)

النمط الأول

(التسويج)

وهي التي تلي الألقاب الأصول كالتي تلي المقام والمقر والجناب والمجلس ؛ فيلي
المقام لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ العالي ، فالمقام يقال فيه « المقام
الأشرف العالي » و « المقام الشريف العالي » و « المقام العالي » . ويلي المقر
لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ الكريم ولفظ العالي ، فيقال « المقر الأشرف
العالي » و « المقر الشريف العالي » و « المقر الكريم العالي » و « المقر العالي » .
ويلي الجناب لفظ الكرم ولفظ العالي ، فيقال « الجناب الكريم العالي »
و « الجناب العالي » . ويلي المجلس لفظ العالي والسامي ، فيقال « المجلس العالي »
و « المجلس السامي » . والألفاظ التي تتبع وهي الأشرف والشريف والكريم
والعالي والسامي بعضها أرفع من بعض على الترتيب . فالأشرف أرفع من الشريف ،
لأن أشرف أفضل تفضيل يقتضي ترجيح على غيره كما هو مقرر في علم النحو ؛
والشريف أرفع رتبة من الكريم لما تقدم عن ابن السكيت أن الكرم يكون في الرجل
وإن لم يكن له آباء شرفاء ، والشرف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء . ومقتضى ذلك
ترجيح الشريف على الكريم لاقتضائه الفضل في نفس الشخص وفي آبائه ؛ بخلاف

الكرم ؛ ولذلك آختر الشرف لأبناء فاطمة رضى الله عنها ثون الكرم . والكریم
أرفع رتبة من العالی ، لأن الكرم یحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف الثوم
ويحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف البخل . وكلاهما مقطوع بأنه صفة
مدح ، وإن الأقرب إلى مراد الكتّاب المعنى الأول . والعالی یحتمل أن يكون
من علی بكسر اللام على بفتحها علأه بفتح العين والمد إذا شرف ؛ ويحتمل أن
يكون من علأ يعلو علوا إذا أرفع في المكان ، وليس العلو في المكان مما يدل على
صفة المدح إلا أن يستعار للارتفاع في الشرف فيكون صفة مدح حيثئذ على
سبيل المجاز وإن كان مراد الكتّاب هو المعنى الأول ؛ وما كان مقطوعا فيه بالمدح
من الجانبين أعلی مما يكون مقطوعا فيه بالمدح من جانب ثون جانب . وقد
أصطلحوا على أن جعلوا العالی أرفع رتبة من السامی ، وهو مما أنكر على واضعه ،
إذ لا فرق بينهما من حيث المعنى ، لأن السمو بمعنى العلو . والذي يظهر أن الواضع
لم یحتمل ذلك ولعله إنما جعل العالی أرفع رتبة من السامی وإن كان بعينه لأن
العالی لفظ واضح المعنى يفهمه الخاص والعام ، فيكون المدح به أعم باعتبار من
يفهمه ، بخلاف السامی فإنه لا يفهم معنى العلو منه إلا الخاصة ، فيكون المدح به
أخص لاقتصار الخاصة على معرفته ثون العامة .

النمط الثاني

(ما يقع التفاوت فيه بحسب حقوق ياء النسب وتجرده منها)

قد تقدم أن الألقاب المفردة منها ما تلحق به ياء النسب ومنها ما يتجرّد عنها ،
وأن الذى تلحقه ياء النسب منها ما هو منسوب إلى شيء خارج عن صاحب
اللقب كالقضاى فإنه منسوب إلى القضاء الذى هو نفس الوظيفة ، فيكون النسب

فيه على بابيه ، ومنه ما هو منسوب إلى صاحب اللقب نفسه كالأميرى فإنه نسبة إلى الأمير وهو عين صاحب اللقب فدخلت فيه ياء النسب البالغة ، كما في قولهم لشديد الحمرة أحمري على ما تقدم بيانه .

وبالجملة فقد اصطَلَحُوا على أن يكون ما حِلَقَتْ به ياء النسب أرفع رتبة مما تجوز عنها ، سواء كان منسوباً إلى نفس صاحب اللقب أو غيره ، فيجعلون الأميرى أعلى رتبة من الأمير ، والقضائى أرفع رتبة من القاضى ، ثم يجعلون المنسوب إلى نفس صاحب اللقب أرفع رتبة من المنسوب إلى شيء خارج عنه ، ومن أجل ذلك جعلوا القاضوى أرفع رتبة من القضائى . أما كون ما حِلَقَتْ به ياء النسب أرفع رتبة من المجزء عنها فظاهر : لأن المبالغة تقتضى الرفعة ضرورة ، وأما كون المنسوب إلى شيء آخر غير المنسوب إليه يقتضى الرفعة وإن لم يكن فيه مبالغة ، فللإلحاق بما فيه المبالغة استطراداً ، لئلا يلتبس الحال في النسبتين على الضعيف الفهم فلا يفرق بين ما هو منسوب إلى هذا وبين ما هو منسوب إلى ذاك . على أنهم لم يَقِفُوا مع الحكم في كون ما دخلت عليه ياء النسب أرفع مما لم تدخل عليه فقد استعملوا الأجل ونحوه في الألقاب السلطانية التي هي أعلى الألقاب ، فقالوا «السلطان الأجل العالم العادل» إلى آخر ألقابه المفردة من غير إلحاق ياء النسب بها ، ثم استعملوا مثل ذلك في ألقاب السامى بغير ياء فما دونه مما هو أدنى الألقاب رتبة . وكأنهم اكتفوا بمكانة السلطان من الرفعة عن المبالغة في ألقابه بإلحاق ياء النسب ، من حيث إن المعروف لا يحتاج إلى تعريف .

النمط الثالث

(ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غير ياء النسب)

فيكون أرفع رتبةً لمعنى المبالغة كما في الكَفِيلِ فإنه أرفع رتبةً من الكافِلِ ، لأن صيغة فَعِيلٍ أبلغ في المعنى من صيغة فاعِلٍ من حيث إن فَعِيلًا لا يصاغ إلا من فَعَلٍ بضم العين إذا صار ذلك الفعل له صيغةً ، كما يقال كَرُمَ فهو كَرِيمٌ وعَظُمَ فهو عَظِيمٌ وحَلُمَ فهو حَلِيمٌ ، بخلاف فاعِلٍ ؛ ومن أجل ذلك كان لفظ قَفِيهِ أبلغ من لفظ فاقِهِ لأن فاقَهُ يُصاغ من قَفَى بكسر القاف إذا فهم ، ومن قَفَى بفتحها إذا سبق غيره إلى الفهم . وقَفِيهِ إنما يُصاغ من قَفَى بضمها إذا صار الفقه له صيغةً كما مر القول عليه في الكلام على الفقيه والفقهي في الألقاب الإسلامية المفردة .

النمط الرابع

(ما يقع فيه التفاوت بحسب ما في ذلك اللقب من اقتضاء .

التشريف لعلو متعلقه ورفقته)

كالمُهَدِّي والمُشَيْدِي ، فإن المراد مُهَدِّد النول ومُشَيْد الممالك على ما مر في الألقاب المركبة ؛ فإن من ينتهى في الرتبة إلى تمهيد النول وتشديد الممالك فلا نزاع في أنه من علو الرتبة بالمكان الأرفع ، وكذلك ما يجرى هذا المجرى كالدَّبَرِيُّ بالنسبة إلى الوزراء ومن في معنهما ، والمُحَقِّق بالنسبة إلى العلماء ، والأَصِيل بالنسبة إلى العريق في كرم الأصل ونحو ذلك .

الصف الثاني

(الأكفابُ المُرَّبةُ ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يترتب بعضُه على بعضٍ لقبًا بعد لقب ، وله اعتباران)

الاعتبار الأول

(أن يشترك في رعاية الترتيب أربابُ السيوف والأقلام وغيرهم ،

وهو على ثلاثة أنماط)

النمط الأول

(ما يضاف إلى الإسلام ، وله ثلاثة أحوال)

الحال الأول — أن يكون ذلك في ألقاب أرباب السيوف . وقد أصطلح المقرئ الشَّهَافِيُّ بْنُ فَضْلٍ أَفْهَ عَلَى أَنْ جَعَلَ أَعْلَاهَا رُكْنَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي الْمَكْتَبَةِ إِلَى النَّائِبِ الْكَافِلِ ، وَمَكَاتِبُهُ يَوْمَعِدَ بِالْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، ثُمَّ أَبْدَلَ الْكُتَّابُ ذَلِكَ بَعْدَهُ بِمَعْرِزِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلُوهُ مَعَ الْمَكْتَبَةِ إِلَيْهِ بِالْمَقَرِّ الْكَرِيمِ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ آخِرًا فِي الْمَكْتَبَةِ إِلَى النَّائِبِ الْكَافِلِ وَنَائِبِ الشَّامِ ، وَجَعَلُوا ثَوْنَ ذَلِكَ عِزَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فَأَوْرَدُوهُ مَعَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ وَالْجَنَابِ الْعَالِيِّ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ مَصْطَلَحُهُمْ فِي السُّلْطَانِيَّاتِ . وَجَعَلَ فِي ”عَرَفِ التَّعْرِيفِ“ فِي الْإِخْوَانِيَّاتِ عِزَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَعْلَى الْأَلْقَابِ فَأَوْرَدَهُ فِي أَلْقَابِ الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ ، ثُمَّ طَرَدَهُ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ وَالْمَقَرِّ الْعَالِيِّ وَلَمْ يَبْدُءْهُ إِلَى مَا بَعْدُ ؛

ثم جعل دُونَهُ مجد الإسلام والمسلمين ، فأورده مع المجلس العالى مُطلقاً مع الدعاء وصَبَدَتْ ؛ ثم جعل دُونَ ذلك مجد الإسلام قَطُّ من غير عطف المسلمين عليه ، فأورده في المجلس السامى بالياء والسامى بغير ياء ، ولم يَعهُدْ إلى مجلس الأمير بل أحاضه بمجد الأمراء على ما سيأتى ذكره ، وتابعه على ذلك في التنقيف .

الحال الثانى — أن يكون ذلك فى ألقاب الوزراء من أرباب الأعلام ومن فى معناتهم ككتاب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخالص فمن دُونهم من الكتاب . وقد ذكر المقتضى الشهابى بن فضل الله فى بعض دسائره السامية أن أعلاماً لهم ركن الإسلام والمسلمين ، وجعل فى "عرف التعريف" أعلاماً للوزراء صلاح الإسلام والمسلمين ، ولبن فى معنى الوزراء عز الإسلام والمسلمين ، أو جلال الإسلام والمسلمين وأورد ذلك مع المَقَرَّ الشريف وما بعده : من المَقَرَّ الكريم ، والمَقَرَّ العالى ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، وجعل دُونَ ذلك مجد الإسلام مجرداً عن عطف المسلمين عليه ، وأورده مع المجلس العالى ، والمجلس السامى .

أما تخصيص صلاح الإسلام والمسلمين بالوزراء ، وعز الإسلام والمسلمين وجلال الإسلام والمسلمين بمن فى معناتهم فلا أن الصلاح فيه معنى السداد والقصد ، والعز والجلال فهما معنى العظمة والهيبة ، ولا شك أن وظيفة الوزارة التى مَنَّاها تدير المُلْكُ بالصلاح أجدر ؛ على أنه إذا حصل الصلاحُ تبعته العظمة والهيبة ضرورة . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام ، فلا مَرين أحدهما أن الجلال بمعنى العظمة والمجد بمعنى الشرف والعظمة أبلغ من الشرف لما فى العظمة من نفاذ الكلمة . والثانى أن الإضافة فى جلال الإسلام والمسلمين فى المعنى إلى شيئين وفى مجد الإسلام إلى أحدهما .

الحال الثالث - أن يكون في ألقاب القضاة والعلماء ، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها حُجَّة الإسلام أوضياء الإسلام، فأوردهما مع الجَنَاب الشريف الذي هو عنده أعلى الرُتَب لهذه الطائفة ، وجعل دُونَ ذلك بهَاء الإسلام فأورده مع الجَنَاب الكريم ، وجعل دُونَهُ مَجْد الإسلام فأورده مع المجلس العالي والسامى بإلياء وبغيرياء .

أما كون حجة الإسلام وضياء الإسلام أعلى رتبة من مجد الإسلام فلأن الحجة في اللغة بمعنى البرهان وهو الدليل القاطع ، وبه تتقرر قواعد الإسلام ومبانيه؛ والضياء في أصل اللغة خلاف الظلمة؛ ثم استعير للهداية وما في معناها، ولاشك أن الوصف بهذين الأمرين أبلغ من الوصف بالمجد الذي هو بمعنى الشرف .

الحال الرابع - أن يكون في ألقاب الصلحاء، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها صَلَاح الإسلام وأورده مع الحضرة، ومع الجَنَاب الشريف، والجَنَاب الكريم، وجعل دُونَهُ جَلَال الإسلام وأورده مع الجَنَاب العالي، ودونه ضياء الإسلام وأورده مع المجلس العالي، وجعل دونه جلال الإسلام فأورده مع المجلس السامى بإلياء فأدُونَهُ .

أما كون صَلَاح الإسلام والمسلمين أعلى من جَلَال الإسلام والمسلمين فقد تقدم بيأته . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من ضياء الإسلام والمسلمين فلأن الجَلَال معناه العظمة وهي أعلى من الضياء على ما فيه من التعسف .

الخط الثاني

(من الألقاب المركبة ما يُضاف إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ،
من أرباب المراتب السنية ، وهو على الأحوال الأربعة
المتقدمة الذكر فيما يُضاف إلى الإسلام)

الحال الأول — أن يكون في ألقاب أرباب السيوف . قد جعل
في "عرف التعريف" أعلاها سيد الأمراء في العالمين ، وأورده مع المقّر الشريف ،
والمقّر الكريم ، والمقّر العالى . وجعل دونه سيد الأمراء المتقدمين ، وأورده
مع الجنتاب الشريف ، والجنتاب الكريم ، والجنتاب العالى . ودونه شرف الأمراء
المقدمين ، وأورده مع المجلس العالى والدناء . ودونه شرف الأمراء فى الأنام ،
وأورده مع السامى بالياء . ودونه زين الأمراء المجاهدين ، وأورده مع السامى
بنيرياء . ودونه مجد الأمراء ، وأورده مع مجلس الأمير .

والذى فى "التتيف" بعد سيد الأمراء فى العالمين سيد أمراء العالمين ، وأورده مع
الجنتاب العالى . ودونه شرف الأمراء فى العالمين ، وأورده مع المجلس العالى والدناء .
ودونه شرف الأمراء المتقدمين ، وأورده مع صدرت العالى . ودونه شرف الأمراء
قطط ، وأورده مع السامى بالياء . ودونه نحر الأمراء ، وأورده مع السامى بنيرياء .
ودونه مجد الأمراء ، وأورده مع مجلس الأمير . ولا يخفى ما بينهما من الاختلاف .
ولا مشاحة فى الاصطلاح بعد فهم المعنى ، ولا نزاع فى أن الترتيب الذى
فى التتيف أحسن . وإذا تأملت ذلك وعرضته على ما تهتم من التوجيه فى النقط
الأول ظهر لك حقيقة ذلك .

الحال الثانى — أن يكون فى ألقاب الوزراء ومن فى معانهم . فقد ذكر
فى "عرف التعريف" أن أعلاها للوزراء سيد الوزراء فى العالمين ، وإن فى معانهم

من كاتب السر ونحوه سيّد الكبراء في العالمين ، وأورد ذلك مع المَقَرّ الشريف ،
والمَقَرّ الكريم، والمَقَرّ العالی، والجنّاب الشّريف، والجنّاب الكريم، والجنّاب العالی،
وجعل دونه لمن دون هؤلاء من الكُتّاب نحر الأئام ، وأورده في المجلس العالی
والدعاء مع ما بعده .

الحال الثالث — أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء .

وقد جعل في "عرف التعريف" : أعلّاه شرف الأئام . وأورده مع الجنّاب
الشريف الذي جعله أعلى المكتّبات لهم ، ومع الجنّاب الكريم، والجنّاب العالی
وجعل دونه نحر الأئام، فأورده مع المجلس العالی بالدعاء . ودونه بهاء الأئام، وأورده
مع صدورث العالی، ومع السامی بالياء والسامی بغير ياء .

الحال الرابع — أن يكون من ألقاب الصلحاء وقد جعل في "عرف التعريف"
أعلّاه خالصّة الأئام ، وأورده مع الحضرة الشريفة التي جعلها أكبر رتبهم ،
ومع الجنّاب الشريف، والجنّاب الكريم، والجنّاب العالی، وجعل دونه شرف الأئام
وأورده مع المجلس العالی . ودونه زین الأئام، وأورده مع السامی بالياء وبغير ياء .

البسط الثالث

(من الألقاب المرّكبة ما يُضاف إلى المُلوك والسلاطين،

وهو على الأحوال الأربعة المتقدمة الذكر)

الحال الأول — أن يكون من ألقاب أرباب السيوف . وقد ذكر
في "عرف التعريف" أن أعلّاه ظهير المُلوك والسلاطين، وأورده مع المَقَرّ الشريف
والمَقَرّ الكريم، والمَقَرّ العالی، والجنّاب الشريف، والجنّاب الكريم، والجنّاب العالی؛

وجعل دُونَهُ عَضُدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَأُورِدَهُ مَعَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ وَالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ . وَدُونَهُ عُمْدَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَجَعَلَهُ مَعَ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ . وَالَّذِي فِي "التَّخْفِيفِ" إِبْرَادُ ظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ مَعَ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ وَمَابَعْدَهُ إِلَى آخِرِ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ ؛ وَجَعَلَ عَضُدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ مَعَ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ ، وَعُمْدَةَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ مَعَ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ ، وَعُمْدَةَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ مَعَ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ .

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ فِي "التَّخْفِيفِ" زَادَ رُتَبَتَيْنِ فِي ظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، بِفَعْلِهِ فِي الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ مَعَ الدُّعَاءِ وَمَعَ صَدَرَتْ ، عَلَى أَنَّ التَّحْقِيقَ أَنَّ عَضُدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ أَعْلَى فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ ظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ؛ لِأَنَّ الْعَضُدَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ : وَهُوَ مَا بَيْنَ الْمِرْتَقِ وَالْكَتِفِ ، وَالظَّهِيرُ خَارِجٌ عَنْهُ ، وَمَا كَانَ مِنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ كَيْفَ يُجْعَلُ بِمَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهُ أَرْفَعَ مِنْهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ ؟ .

الْحَالُ الثَّانِي — أَنَّ يَكُونُ مِنَ أَلْقَابِ الْوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . وَقَدْ جُعِلَ فِي "عُرْفِ التَّعْرِيفِ" أَعْلَاهَا ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ أَيْضًا ، وَأُورِدَهُ مَعَ الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ ، وَالْمَقَرِّ الْكَرِيمِ ، وَالْمَقَرِّ الْعَالِيِّ ؛ وَالْجَنَابُ الشَّرِيفُ ، وَالْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، وَالْجَنَابُ الْعَالِي ؛ وَجَعَلَ دُونَهُ صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَأُورِدَهُ مَعَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ فَا دُونَهُ .

الْحَالُ الثَّلَاثُ — أَنَّ يَكُونُ مِنَ أَلْقَابِ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ . وَقَدْ جُعِلَ فِي "عُرْفِ التَّعْرِيفِ" أَعْلَاهَا الْقُضَاةُ حَكَمَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَلِنَزِيهِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَهُوَ عِنْدَهُ الْجَنَابُ الشَّرِيفُ فَا فَوْقَهُ . وَدُونَهُ بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَأُورِدَهُ مَعَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، وَالْجَنَابِ الْعَالِيِّ ، وَالْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ ، مَعَ الدُّعَاءِ . وَجَعَلَ دُونَهُ صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَأُورِدَهُ فِي صَدَرَتْ وَالْعَالِيِّ فَا دُونُ ذَلِكَ .

الحال الرابع — أن يكون في ألقاب الصلحاء . ولم يزد في "عُرف التعريف" على أنه يُكْتَب لم بركة الملوك والسلاطين ، وحيث أنه يقتصر عليها لجمعهم ممن يستحق ذلك بحسب ما يقتضيه حال المكتوب بسببه .

النمط الرابع

(من الألقاب المركبة ما يضاف لأمير المؤمنين ، وهو على الأحوال
الأربعة المتقدمة ذكرها^(١))

الحال الأول — أن يكون من ألقاب أرباب السيوف ، وأعلامها تسمي أمير المؤمنين ، وهو من الألقاب الخاصة بالسلطان كما تقدم ذكره في موضعه . ودونه خليل أمير المؤمنين ، وهو من ألقاب أولاد الملوك وألقاب بعض الملوك الأجانب المكتوب إليهم عن الأبواب السلطانية . ودونه عضد أمير المؤمنين ، وهو أعلى ما يكتب لتوابع السلطنة عن الأبواب السلطانية ؛ وجعله في "عُرف التعريف" مع المقر الشريف خاصة . ودونه سيف أمير المؤمنين ، وأورده مع المقر الكريم والمقر العالي ؛ ودونه حسام أمير المؤمنين ، وجعله في "عُرف التعريف" مع الجتاب الشريف والجتاب الكريم والجتاب العالي ؛ ولم يُورد بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين بل اقتصر على ما يضاف إلى الملوك والسلاطين . وأما في التثنية فجعله مع المقر الكريم والمقر العالي . ودونه حسام أمير المؤمنين ، وأورده مع المجلس العالي والدعاء ، ولم يُورد فيما بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين .

والحاصل أنه في "عُرف التعريف" زاد رتبة فيما يضاف إلى أمير المؤمنين ، وهي حسام أمير المؤمنين .

(١) كما في الأصول ولم يذكر الحال الرابع وهو ألقاب الصلحاء فأصل .

الحال الثاني — أن يكون من ألقاب الوزراء ومن في معانهم . ولم يزد في "عُرف التعريف" على وليّ أمير المؤمنين، وأورده مع المَقَرّ الشريف، والمَقَرّ الكريم، والمَقَرّ العالى والجناب الشريف ؛ ويحسن أن يبيّ مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين، ومع الجناب العالى صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين، ولا يُضاف إلى أمير المؤمنين مع المجلس العالى فادّونه شيء من الألقاب آكتفاء بما يُضاف إلى الملوك والسلاطين كما تقدّم في أرباب السيوف .

الحال الثالث — أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء . فقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها وليّ أمير المؤمنين، وجعله مع الجناب الشريف فما فوقه، ويحسن أن يبيّ مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين، ومع الجناب العالى صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين، كما تقدّم في الوزراء ومن في معانهم ومن دونهم من الكُتّاب .

الاعتبار الثاني

(في الألقاب المرّجة أن يختصّ الترتيب في الألقاب بنوع من المكتوب لهم ، وهو أربعة أنماط)

النمط الأول

(ما يختصّ بأرباب السيوف ، وله حالان)

الحال الأول — أن تقع الإضافة فيه إلى الفرزة والمجاهدين . وقد جعل المَقَرّ الشهابي بن فضل الله في "التعريف" ناصر الفرزة والمجاهدين أعلاها ، فأورده في المكتبة إلى نائب الشام، والمكتبة إليه يومئذ دون المكتبة إلى النائب الكافلي ؛

وهو خلافت مقتضى تركيب لغة العرب لما تقدم من أن صيغة تَعِيل أعلى من صيغة فاعل ، ولذلك جعلوا الكَفِيل أعلى من الكافل على ما تقدم بيانه . وحيث أن فيكون نصير الفُزاة والمجاهدين أعلى من ناصير الفُزاة والمجاهدين على خلاف ما ذكره .

أما في "عُرف التعريف" فإنه أعرض عن ذكر الألقاب المضافة إلى الفُزاة والمجاهدين مع المَقَر الشريف الذى هو أعلى الألقاب لأرباب السيوف من الثواب ومن في معانهم ، وأتى بعده مع المَقَر الكريم بنصير الفُزاة والمجاهدين ، ثم أتى بعده مع الجَناب الشريف إلى آخر المجلس العالى بنُصرة الفُزاة والمجاهدين ، بفعل نصير الفُزاة أبلغ من نُصرة الفُزاة : لما فى نصير من لفظ التذكير وفى نُصرة من لفظ التأنيث ، والتذكير أعلى رتبة من التأنيث ؛ ثم أتى مع السامى بالياء بذُخر الفُزاة والمجاهدين ، ثم مع السامى بنير ياء بزين الأمراء المجاهدين على وُصف الأمراء بالمجاهدين ثُوِنَ عطف المجاهدين على الأمراء ؛ ثم مع مجلس الأمير بزين المجاهدين .

وجعل في "التتقيف" أعلاها ناصير الفُزاة والمجاهدين تبعاً "للتعريف" وأورده مع المَقَر الكريم ؛ ودُوِنَ نُصرة الفُزاة والمجاهدين ، وأورده مع الجَناب الكريم وما بعده إلى آخر المجلس العالى ؛ ثم أتى مع السامى بالياء بأوحد المجاهدين ، ومع السامى بنير ياء ومجلس الأمير بزين المجاهدين ، والحال في ذلك قريب .

الحال الثانى — أن يكون اللقب مضافاً إلى الجُيُوش . وقد جعل في "التعريف" أعلاها أُمَّاك الجُيُوش ، وأورده في ألقاب النائب الكافل ؛ وجعل دُوِنَ زعيم الجُيُوش وأورده في ألقاب نائب الشام ، وهو يؤمذ دُون النائِب الكافل ؛ ثم جعل دُوِنَ زعيم جُيُوش الموحدين ، وأورده في ألقاب نائب حَلَب . وعلى نحو من ذلك جرى في "عُرف التعريف" فجعل أعلاها زعيم الجُيُوش وأورده مع المَقَر الشريف ،

والمَقَرَّ الكريم والمَقَرَّ العالى ؛ ودُونَهُ زَعِيمٌ جُيُوشِ المُوَحِّدين ، وأورده مع الجَنَابِ الشريف والجَنَابِ الكريم والجَنَابِ العالى ؛ ولم يُورِدْ شيئاً فى هذا المعنى فيما بعد ذلك ، وظلّ نحو ذلك جرى فى التثنيف .

النمط الثانى

(ما يختص بالوزراء ومن فى معناتهم : من كآبِ السر ونحوه
فَمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الكُتَّابِ)

وقد ذكر فى "عرف التعريف" أن أعلامها للوزراء سيّد الوزراء فى العالمين ، ولن فى معناتهم سيّد الكُبراء فى العالمين ، وأورد ذلك مع المَقَرَّ الشريف والمَقَرَّ الكريم والمَقَرَّ العالى والجَنَابِ الشريف والجَنَابِ الكريم والجَنَابِ العالى ؛ وجعل دُونَهُ لَمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الكُتَّابِ شَرَفَ الرؤساء ، وأورده مع المجلس العالى ؛ ولا شك أنه يبيىء بعده أُوَحَّدَ الكُتَّابِ أو شَرَفَ الكُتَّابِ مع المجلس السامى بالياء ، ثم بحال الكُتَّابِ للسامى بنير الياء فما دُونَهُ .

النمط الثالث

(ما يختص بالقضاة والعلماء)

وقد جعل فى "عرف التعريف" أعلامها سيّد العلماء والحُكَّام ، ولنغيرهم أُوَحَّدَ العلماء الأعلام ، وجعله للجَنَابِ الشريف فما فوقه ، ثم للجَنَابِ الكريم ، والجَنَابِ العالى ؛ وجعل دُونَهُ تاج العلماء والحُكَّام ، أو شَرَفَ العلماء والحُكَّام ، وأورده مع المجلس العالى ؛ ودُونَهُ بحال العلماء أُوَحَّدَ القُضلاء ، وأورده مع السامى بالياء ؛ ودُونَهُ بحال الأعيان مع السامى بنير ياء فما دُونَهُ .

النمط الرابع

(ما يختص بالصالحاء)

وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها لم شيخ شيوخ العارفين ، وأورده مع الحضرة الطاهرة ، وجعل ثون ذلك أوحد المحققين ، فأورده مع الجَنَاب الكريم ؛ ودونه أوحد الناسكين ، فأورده مع الجَنَاب العالى .

قلت : وليس وَضَعُ هذه الألقاب على الترتيب في العلُو والهَبُوط راجعاً إلى مجزء التَّشَهُى من غير تَقْصُّ لُتُو أو هَبُوط يدلُّ عليه جوهر اللفظ ، بل لا بد أن يكون لتقدم كل لقب منها على الآخر ورفعه عليه في الرتبة سبب يقتضيه اللفظ وتوجيه دلالة الظاهرة أو الخفية . وما وقع فيها مما يخالف ذلك فلعدم تأمل الواضح لذلك ، أو وقوعه من بعض المدَّعين الظانين أن القلم في ذلك مطلق السان ، يتصرف في وضعه كيف شاء من غير نظر إلى ما يوجب تقديماً ولا تأخيراً ، ومما يؤصح ذلك ويبيته أنك إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى الإسلام المتقدمة الذكر في أرباب السيوف مثلاً ، رأيت أعلاها ركن الإسلام والمسلمين ، على ما هو مذكور في "التعريف" وضمير من سائر دساتير المقر الشهابي بن فضل الله وأعلامه على ما ذكره في "التنقيف" معز الإسلام والمسلمين ، ودون ذلك في الرتبة عز الإسلام والمسلمين ، ودونه مجد الإسلام والمسلمين ، ودونه مجد الإسلام فقط من غير عطف ، على ما تقدم ذكره .

أما كون ركن الإسلام والمسلمين أعلى من عز الإسلام والمسلمين ، فلأن ركن الشيء في اللغة جانبُه الأقوى ، وقد قال الأصوليون : إن الركن ما كان داخل الماهية ، وحينئذ فيكون ركن الشيء بعضاً منه بخلاف العز فإنه معنى من المعاني خارج عنه ، وما كان بعضاً للشيء كان أخص به مما هو خارج عنه .

وأما وجه إبدانهم رُكن الإسلام والمسلمين بيمز الإسلام والمسلمين فلائذ
 في الرُكن معنى العِزِّ والقُوَّة ، وقد فسر قوله تعالى حِكَايَةً عن كُوطٍ عليه السلام :
 ﴿ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ بالعِزِّ والمَنَّة ، فجعل العِزُّ لهذا الاعتبار في الألقاب قائما
 مقام الركن .

وأما كَوْنُ عِزِّ الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام والمسلمين ، فلائذ العِزُّ
 أجدى في التَّعَمُّد من المجد ، فقد تقدّم أن ابن السَّكَيْت قال : إن المجد لا يكون
 إلا بشرف الآباء ، ولا نزاع في أن العِزَّ في تعارف الملوك أكثر جدوى وأوفر فعا
 في تحصيل المقاصد . وقد ذكر أبو جعفر النعماني في "صناعة الكُتُب" أن الكُتَّاب
 في الزمن القديم كانوا يحصلون الدَّعَاء بالعِزِّ حَقَب الدَّعَاء بطول البقاء ، فإنه يكون بالعِزِّ
 مَصُونًا عاليا آمنا غنيا .

وأما كَوْنُ مَجْد الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام ، فلائذ الشيء كلما تعدى
 فعله إلى غيره كان أرفع رتبة ، ومجد الإسلام والمسلمين يتعدى إلى شيتين : وهما
 الإسلام والمسلمين ، ومجد الإسلام لا يتعدى إلا إلى شيء واحد : وهو الإسلام .
 (١) فلذلك إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى أمير المؤمنين ، رأيت أعلاها في أرباب
 السيوف قسيم أمير المؤمنين ، ودُونَه خَلِيل أمير المؤمنين ، ودُونَه عَضُد أمير المؤمنين
 ودُونَه سيف أمير المؤمنين ، ودُونَه حُسام أمير المؤمنين .

أما كَوْنُ قَسيم أمير المؤمنين أعلى من خليل أمير المؤمنين ، فلائذ التَّقسيم بمعنى
 المُقاسِم ، والمراد أنه قاسم أمير المؤمنين المُلكَ وسأهمه في الأمر فصارا فيه مشتركين ،
 و خليل أمير المؤمنين مأخوذ من الخُلَّة بضم الخاء وهي الصَّدَاقَة ، وقرئ بين مَنْ قَانِم

(١) كما في الأصول والأظهر وكذلك إذا اضربت الخ حقا حل أنك إذا اضربت الخ المضخم
 في الصفة قيل .

الخليفة فيصير عديله في الامر، ويين من يكون خليله وصاحبه . على انه قد تقدم
أن الملوكة قد أربت بأقْسَمِها ^(١) عن هذا اللقب لاستبدادهم بالملك واستيلائهم عليه .

وأما كون خليل أمير المؤمنين أعلى من عضد أمير المؤمنين ، فلأن العضد ليس
المراد منه العضو الحقيقي الذي هو بين الكتيف والمرفق ، وإنما استعير للناصر وكأنه
يتصره بنفسه كما ينصره عضده ، ومثل هذا الوصف لا يكون إلا للرتب ، بخلاف
الخليل والصديق فإنه لا تكاد رتبته عند الشخص تحط عن رتبة نفسه .

وأما كون عضد أمير المؤمنين أعلى من سيف أمير المؤمنين ، فلأن العضد وإن
قُصِد به الناصر فإنه متقول عن العضو للناصر كما تهتم وعضو الإنسان عنده
في العزة وقوة النصر فوق سيفه في ذلك .

وأما كون سيف أمير المؤمنين أعلى من حُسام أمير المؤمنين - وإن كان الحُسام
متضمنًا لوصف القطع الذي هو المقصود الأعظم من السيف من حيث إنه مأخوذ
من الحُسم - وهو القطع - فلأن السيف مأخوذ من ساف إذا هلك كما صرح به
الشيخ "جمال الدين بن هشام" في شرح قصيدة كعب بن زهير ، ولا شك أن معنى
الإهلاك أبلغ من معنى القطع : لأن القطع قد يقع في بعض البدن مما لا يتضمن
الإهلاك ، وهذا مما يجب التنبه له فإنه ربما تُوهَّم أن الحُسام أبلغ من السيف
لتضمن وصف القطع كما تهتم .

وبالجملة فلا سبيل إلى استيعاب جميع ما يرد من هذا الباب بالتوجيه : لأن ذلك
يؤدى إلى الإمهال والمأل . والقول الجامع في ذلك أنه يُنظر إلى الألفاظ الواقعة
في الألقاب وما تقتضيه من أصناف الملاح ، وما تنهى إليه رتبها فيه من أعلى

(١) لله ربات بأقْسَمِها أى رفعت أوزمت بأقْسَمِها أى شملت .

الدرجات أو أوسطها أو أدناها فيرتبها على هذا الترتيب، ويوجهها بما يظهر له من التوجيه على نحو ما تقدم . كما إذا اعتبرت رتبة الجلال والجمال فإنك تجد الجلال أعلى رتبة: لأن معنى الجلال العظمة، ومعنى الجمال الحسن، ولا نزاع في أن العظمة أبلغ وأعلى موقعا من الحسن . وكما إذا اعتبرت الضياء والبهاء، فإن الضياء يكون أبلغ لأن الضياء معناه النور الثاني وهو متعدى النفع طم الفضيلة، والبهاء معناه الحسن وهو قاصر على صاحبه . وفيما ذكر إرشاد إلى ما لم يذكر .

القسم الثاني

(بما تفاوتت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه بالتقديم

والتاخير، وهو نوبات)

النوع الأول

(الألقاب المفردة، وهي على ستة أنماط)

النمط الأول

(الألقاب التي تلي الألقاب الأصول)

وهي التي تلي المقام والمقر والجناب والمجلس: كالأشرف والشریف والكریم والعالي والسامي: فالأشرف على المقام والمقر، فيقال: المقام الأشرف، والمقر الأشرف، والشریف على المقام والمقر والجناب، فيقال: المقام الشریف، والمقر الشریف، والجناب الشریف . والكریم على المقر والجناب، فيقال: المقر الكرم، والجناب الكرم . والعالي على المقام والمقر والجناب والمجلس، فيقال: المقام العالي، والمقر

العالى، والجنّاب العالى، والمجلس العالى . والسامى على المجلس خاصّةً، فيقال :
المجلس السامى . والعالى على الأشراف والشريف والكريم، فيقال : الأشراف العالى،
والشريف العالى، والكريم العالى .

المنط الثاني

(مایل العالی أو السامی من الألقاب)

وهو اللقب الذى يميّز نوع المكتوب له ، كالأميرى لأرباب السيوف،
والصاحبى للوزراء من أرباب الأقاليم، والقضائى والقاضى لسائر أرباب الأقاليم،
والشيخى للصوفيّة وأهل الصلاح، والصندرى للتجار ومن فى معنهم . مثل أن
يقال : المقرّ الكريم العالى [الأميرى]^(١) والجنّاب العالى الصاحبى، أو الجنّاب العالى
القاضى، أو المجلس العالى، أو المجلس السامى الشيخى، أو المجلس السامى
الصندرى، وما أشبه ذلك . والمعنى فى وضع هذه الألقاب فى هذا الموضع أن يدلّ
أول لقب يذكّر بعد اللقب الأصل وتابعه على الوظيفة كما تدلّ براعة الاستهلال
على صورة الحال فى المكتبة أو الولاية أو غيرها، وربما كان الحقل مما يقتضى
التلقب بالمولوى فيقدم لقب المولوى على لقب الوظيفة . مثل أن يقال : المقرّ
الشريف العالى المولوى الأميرى، فإن كان اللقب الأصل مضافاً لمجلس الأمير
أو مجلس القاضى أو مجلس الشيخ أو مجلس الصنّدر، قام المضاعف إليه مقام لقب
الوظيفة، فيقوم الأمير من مجلس الأمير مقام الأميرى، والقاضى من مجلس القاضى

(١) الزيادة متينة وقد أخذناها من الضرر للزلف .

مقام القضاة، والشيخ من مجلس الشيخ مقام الشيخ، والصنر من مجلس الصنر مقام الصنر. ثم لا يثبت بعد ذلك في هذه الحالة إلا بالأجل، ويؤتى بعده بما يناسبه من الألقاب.

النمط الثالث

(ما يلي لقب الوظيفة)

وهو الكبير أو الكبير، فيؤتى به تلو اللقب الدال على الوظيفة مثل أن يقال :
المنظر العالي الأمير الكبير، أو الجتاب العالي القضاة الكبير، أو المجلس
السامي الكبير إذا كان بالياء، أو الكبير إذا كان بغير الياء.

النمط الرابع

(ما يقع قبل لقب التعريف الذي هو الفلاني أو فلان الدين)

وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة، كالكاظمي والكفيل للثواب،
والوزير للوزراء، والحاكمي للقضاة. فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب
له قبل الفلاني الكافلي أو الكفيل بحسب ما يقتضيه الحال، وإن كان حاكماً كتب
الحاكمي. قال في "التعريف": وإن كان وزيراً كتب في آخر ألقابه الوزير.
والذي ذكره في "عرف التعريف" أن الوزير يلى لقب الوظيفة، فإذا كان
الوزير من أرباب السيوف كتب الأمير الوزير، وإن كان من أرباب
الأقلام كتب الصاحب الوزير. وما ذكره في "التعريف" متجه فيما إذا كان
الوزير صاحب قلم، فإن التعريف في الوظيفة يُعرف أولاً من قوله الصاحب.

وما ذكره في "التعريف" ظاهرٌ فيما إذا كان الوزير من أرباب السيوف، فإنه يتعين تقديم الوزير فيذكر بعد الأمير ليُدل من الابتداء على الوظيفة، إذ مطلق الإمرة لا يدل على وزارة ولا علمها، فلو أُتْر إلى آخر الألقاب لما عُرف أنها ألقاب وزير إلى حين ذكر هذا اللقب، وإنما رُتّب هذا الترتيب ليُدل باللقب الذي هو أول الألقاب بعد العالي أو السامي على حال صاحب تلك الألقاب هل هو من أرباب السيوف أو الأقاليم أو غير ذلك، وباللقب الذي هو آخر الألقاب المفردة على وظيفته الخاصة به .

النمط الخامس

(ما يقع فصلاً بين الألقاب المفردة والمركبة)

وهو لقب التعريف كالقَلَانِيَّ وَقَلَانِ الدين ، فقد جعلوه فاصلاً بينهما .

النمط السادس

(ما ليس له موضعٌ مخصوص من الألقاب المفردة)

وهو ما بين اللقب الذي يقع به التمييز بين الأمير ونحوه، وبين اللقب الذي قبل لقب التعريف كالعالمى والعادلى ونحوهما، فالقلم في ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير على ما يقتضيه الحال بحسب ما يراه الكاتب .

النوع الثانی

(مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير الألقاب المركبة المعبر عنها بالتنوع ، وهي على ثلاثة أنماط)

النمط الأول

(ما على لقب التعريف الذي هو القلاني أو فلان الدين)

وهو ما يضاف إلى الإسلام مثل ركن الإسلام والمسلمين وعمر الإسلام والمسلمين وما أشبه ذلك ، فقد أصفحو على أن يكون ذلك أول الألقاب المركبة ، وتوجيه ظاهر لأن المضاف يشرف بشرف المضاف إليه ، ولا أشرف عند أهل الإسلام من الإسلام فوجب تقديم ما يضاف إليه على غيره .

النمط الثاني

(ما يقع في آخر الألقاب المركبة)

ويختلف الحال فيه باختلاف حال المكتوب له ، فإن كان ممن يكتب له المجلس السامي بنير ياء فما دونه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى الملوك والسلاطين ، مثل أن يقال : صفوة الملوك والسلاطين ، أو اختيار الملوك والسلاطين وما أشبه ذلك . وإن كلف ممن يكتب له السامي بالياء فما فوقه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى أمير المؤمنين : مثل عضد أمير المؤمنين ، وإلى أمير المؤمنين ، وخالصة أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك على ما تقتضيه رتبة المكتوب له . والمعنى فيه أن حسن الاختتام بالإضافة إلى الملوك والسلاطين الذين هم ثاني رتبة الخلافة .

النمط الثالث

(ماين أول الألقاب المركبة وبين آخرها)

فقد أصطلحوا على أن يكون المقدم منها مما يقتضى تقديم المكتوب له على أبناء
جنسه . مثل : سيد الأمراء في العالمين ، وسيد العلماء والحكام في العالمين ،
وما أشبه ذلك ؛ ثم في حق كل أحد من أرباب الأقلام والسيوف بحسب ما يقتضيه
حاله على نحو ما تقدم في الكلام على ما تفاوت وتبَّه بالعلو والهبوط .

الجملة الثامنة

(في بيان محل اللقب المضاف إلى الملك ولقب التعريف الخاص به
الواقع بآلوا لقب الملون ، مثل الملكي الناصري الزنبي
وما أشبه ذلك ؛ وله ثلاثة أحوال)

الحالة الأولى — أن يكون ذلك في ألقاب السلطان نفسه ، كما يقع في التقاليد
والمناشير ونحوهما . فوضعه بعد رُسم بالأمر الشريف ، أو خرج الأمر الشريف ،
مثل أن يكتب رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري
الزنبي ، أو — فلذلك رُسم بالأمر الشريف الفلاني الفلاني ، أو خرج الأمر الشريف
العالي المولوي السلطاني الملكي الفلاني الفلاني ، وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب المضاف إلى الملك في ألقاب المكتوب له ،
كما لو كتبت في تقليد أو نحوه . وعمله بعد ذكر اسم المكتوب له بعد الألقاب ،
مثل أن يقال بعد انتهاء الألقاب : فلان الظاهري أو الناصري ونحو ذلك ،
ولا يقال له الملكي حينئذ .

الحالة الثالثة — أن يكون في ألقاب المكتوب عنه كما يُكْتَب في أول المكاتبات
الملكِيّ الفلاني، وقد أصطلحوا على أن يُكْتَب ذلك تحت جرة البسمة على ما سبأني
بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة التاسعة

(في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
على قدر طبقاتها، وهي قسمان)

القسم الأول

(الألقاب الإسلامية)

واعلم أن ترتيب الألقاب تارة يكون في السلطانيات ، وتارة يكون
في الإخوانيات وما يُكْتَب عن الثواب . وقد كانوا في الأيام الناصرية
« محمد بن قلاوون » يستعملون في الإخوانيات وما يُكْتَب عن الثواب الثعوت
المرتبّة كما في السلطانيات، لا يفرق بينهما إلا ما في الإخوانيات وما في معناها من
الألقاب التي لا تصلح للسلطانيات، كالمولوي والسيدّي والمخدومي ونحوها .
أما الآن فقد وقع الاختصار فيها على المفردات دون المركبات، وصارت المركبات
مختصة بالسلطانيات .

ثم الألقاب الإسلامية الفروع المرتبة على الألقاب الأصول على سبعة
أضرب :

الضرب الأول

(الألقاب المتعلقة بالخلافة وما يلحقُ بها ، ومبناها على الاختصار ؛
وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء ، وهي صنفان)

الصنف الأول — أن تكون لِنَفْسِ الخليفة . فكان يقال فيها في الزمن القديم
« عبدُ الله فلانٌ أميرُ المؤمنين » [فإن كان اسمُ الخليفة عبدَ الله كَلَامُونُ كُرَّرَ الاسمُ
مرتين : مرةً للاِسْمِ العَلَمِ ومرةً لِلْقَبْرِ الخِلافةِ ، فيقال : « عبدُ الله عبدُ الله
أمير المؤمنين » ^(١)] ثم زيد فيها الكنيةُ بعد ذلك ، فقيل « عبدُ الله فلانٌ أبو فلان
أمير المؤمنين » ثم زيدَ لفظُ الإمام فقيل « عبد الله فلانٌ أبو فلان ^(١) [الإمام]
الفلانيُّ . بلقب الخلافة مثل المتوكل على الله ونحوه — أمير المؤمنين » ثم زيد ووليُّه
بعد عبد الله ، فقيل : « عبدُ الله ووليُّه فلانٌ أبو فلانٍ الإمام الفلانيُّ أمير المؤمنين »
وهو ما استقر عليه الحال آنحرا .

الصنف الثاني — أن تكون الألقاب للديوان في مكتبةٍ أو غيرها . والذي
أصطلح عليه أن يقال « الديوانُ العزيزُ المولويُّ السَّيِّدِيُّ النَّهْوِيُّ الإماميُّ
الفلانيُّ » بلقب الخلافة .

(١) الزيادة عن ضوء الصبح للولف ج ١ ص ٣٦٩ تمام الفائدة .

النوع الثانى

(اللقابُ ولاة العهد بالخلافة)

وهى «الجناب الشريف، المولوى، السيدى، النبوى، الفلانى» بقلبه المنسوب إلى الخلافة . وربما قيل فيه الجناب بدل الجانب ، وبهية الألقاب على ما ختم .

النوع الثالث

(اللقابُ إمام الزيدية باليمن)

وهى «الجناب الكريم، العالى، السيدى، الإمامى، الشريفى، النسيبى، الحسينى، الفلانى» بقلب التعريف «سليل الأطهار، جلال الإسلام، سيف الإمام، بقية البيت النبوى، نفع الحسب العلوى، مؤيد أمور الدين، خليفة الأئمة، رأس العلياء، صالح الأولياء، علم الهدى، زعيم المؤمنين، دُثر المسلمين، مُنجد الملوك والساطين» .

الضرب الثانى

(الألقابُ الملوكية، وهى نوعان)

النوع الأول

(الألقابُ التى أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية على ما الحال مستقر

عليه، وقد ذكر فيها فى التعريف مفعلين)

للمنصب الأول — أن يقال «السُلطان السيد الأجل الملك الفلانى العالم العادل المجاهد المرباط المتأخر المؤيد المظفر المنصور الشاهنشاه فلان الدنيا

والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محي العدل في العالمين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، إسكندر الزمان، مملك أصحاب المنابر والأميرة والتيجان، وأهب الأقاليم والأمصار، ميسد الطغاة والبغاة والكفار، حامي الحرمين الشريفين والقبليتين، جامع كلمة الإيمان، ناشر لواء العدل والإحسان، سيّد ملوك الزمان، أبو فلان فلان، ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني، والد الملوك والسلاطين، أبي فلان فلان .

أما في "التنقيف" فإنه ذكر ذلك بزيادة وتفسير، وتقديم وتأخير - فقال :
« السلطان الأعظم، المالك الملك الأشرف السيد الأجل العالم العادل المؤيد المجاهد المرباط المتأخر المظفر الشاهنشاه ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، فاتح الأقطار، مانح الممالك والأمصار، إسكندر الزمان، مولى الإحسان، جامع كلمة الإيمان، مملك أصحاب المنابر والتخوت والتيجان، ملك البحرين، مسلّك سبل القبليتين، خادم الحرمين الشريفين، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، سلطان البسيطة، مؤمن الأرض المحيطة، سيد الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، أبو فلان فلان بن فلان . » وذكر أن الغالب أن تختف الشاهنشاه، لأن معناها ملك الأملاك، وقد تقدم النهي عن التسمي بذلك . ثم قال : والواجب أن يكون بدل ولي أمير المؤمنين، قسم أمير المؤمنين .

المنهج الثاني - أن يكتب المقام الشريف أو الكريم أو العالي مجرداً عنهما، ويقتصر على المفردة دون المركبة . مثل أن يكتب « المقام الشريف العالي،

المُولَوِيّ، السلطانيّ، المَلِكِيّ، الفُلَانِيّ، ابو فلانٍ فلان. قال في "التعريف" :
والى هذا ذهب المتأخرون من الكُتّاب ؛ ثم قال : وأنا على الأول أعمل .

النوع الثاني

(الألقاب التي يُكْتَبُ بها عن السلطان لغيره من الملوك ،
وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(ألقابُ ولاة العهد بالسلطنة)

« وهي المَقَامُ الجالى ، العالمى ، العادى ، المَلِكِيّ ، الفُلَانِيّ ، الفُلَانِيّ - بلقبِ
الملك واللقبِ المتعارف » . قال في "التحيف" : فإن كان أخًا للسلطان زيد فيه
الأخَوِيّ ، أو ولدا زيد فيه الولَدِيّ .

الصنف الثاني

(ألقابُ الملوك المستقلين بصغار البلدان)

كما كان صاحبُ حماة في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » وكان يُكْتَبُ له :
« المَقَامُ الشريف العالى السلطاني المَلِكِيّ الفُلَانِيّ ، بلقبِ المَلِك » . وربما كُتِبَ
له قبل لقب الملك « الأصيل » لعراقته في الملك .

الصنف الثالث

(ألقاب المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية، وهي نبطان)

النمط الأول

(ما يُصَدَّر بالألقاب المذكورة، وهي على أربع طبقات)

الطبقة الأولى — ما يُصَدَّر بالمقام، وأعلىها «المقام الأشرف» كالألقاب صاحب الهند، وهي: «المقام الأشرف العالي المولوي السلطاني الأعظمي الشاهنشاهي العاليي العادلي المجاهدي المثنوي المظفر المويدي المنصوري إسكندر الزمان، سلطان الأوان، منيع الكرم والإحسان، المعني آل سامان، وبقياً فواسياب وخاقان، ملك البسيطة، سلطان الإسلام، غياث الأنام، أوجد الملوك والساطين»؛

ودونه «المقام الشريف» كالألقاب الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد كان، وهي: «المقام الشريف العالي الكبير السلطاني العاللي المجاهدي المويدي المراهطي المنصوري الملكي الفلاني الفلاني — بقى الملك والتعارف».

ودونه «المقام العالي» كالألقاب القان بيلاد أذربك فيما ذكره في «التحقيق» وهي: «المقام العالي السلطاني الكبير الملكي الأكرمي الفلاني — بقى التعريف — فلان الدنيا والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين، ولي أمير المؤمنين» . وكألقاب صاحب المغرب فيما ذكره في «التعريف» وهي: «المقام العالي السلطاني السيد الأجل العالم العادل المجاهد المراهطي المثنوي المظفر المنصور على أعداء الله أمير المسلمين، قائد الموحدين، مجاهد الغزاة والمجاهدين، مجتهد الجنود، قائد البتود، مائي صبور البراري والبحار،

مُرْعِزِ عِيسَى الْكَفَّارِ ، مُؤَيِّدِ السُّنَّةِ ، مُعِزِّ الْمَلِكِ ، شَرَفِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرِيمِ ، وَالنَّسَبِ الصَّامِمِ ، رَيْبِ الْمُلْكِ الْقَدِيمِ ، أَبُو فُلَانٍ فُلَانٌ .

الطبقة الثانية — مَائِصَتَرُ بِالْمَقَرِّ ، وَأَعْلَاهَا فِيَا رَأَيْتُ «الْمَقَرَّ الْكَرِيمَ» كَأَلْقَابِ صَاحِبِ هَرَاةٍ فِيَا ذَكَرَهُ فِي «التَّعْرِيفِ» وَهِيَ : «الْمَقَرَّ الْكَرِيمَ ، الْعَالِي الْعَالِي الْعَادِلِ الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيِّدِ الْمُرَاطِي الْمَتَاغَرِي الْأَوْحِدِي الْفُلَانِي ، شَرَفِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» . وَكَأَلْقَابِ صَاحِبِ كَرِيمَتَانِ [مِنْ بِلَادِ الرُّومِ] فِيَا ذَكَرَهُ فِي «التَّحْقِيفِ» وَهِيَ : «الْمَقَرَّ الْكَرِيمَ الْعَالِي الْمَلِكِي الْأَجَلِّي الْعَالِي [الْعَادِلِي] الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيِّدِ الْمُرَاطِي الْمَتَاغَرِي الْمَطْفَرِي الْمَنْصُورِي الْفُلَانِي ، عِزِّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، نَحْرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، نَصِيرِ الْفُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمِ الْجِيُوشِ مَقْدَمِ الْعَسَاكِرِ ظَهِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

وَدُونَهُ «الْمَقَرَّ الْعَالِي» كَأَلْقَابِ صَاحِبِ مَالِيٍّ مِنْ بِلَادِ التُّرْكُورِ فِيَا ذَكَرَهُ فِي «التَّعْرِيفِ» وَهِيَ : «الْمَقَرَّ الْعَالِي السُّلْطَانِي الْجَلِيلِ الْكَبِيرِ الْعَالَمِ الْعَادِلِ الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيِّدِ الْأَوْحَدِ ، عِزِّ الْإِسْلَامِ ، شَرَفِ الْمُلُوكِ الْأَتَامِ ، نَاصِرِ الْفُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمِ جِيُوشِ الْمُوَحِّدِينَ ، جَمَالِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، سَيْفِ الْخِلَافَةِ ، ظَهِيرِ الْإِمَامَةِ ، عَضُدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

الطبقة الثالثة — مَائِصَتَرُ بِالْجَنَابِ ، وَأَعْلَاهَا «الْجَنَابُ الْكَرِيمُ» كَأَلْقَابِ مَلِكِ التُّرْكُورِ فِيَا ذَكَرَهُ فِي «التَّحْقِيفِ» أَنَّهُ اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ ، وَهِيَ : «الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي الْمَلِكُ الْجَلِيلُ الْعَالَمُ الْعَادِلُ الْمَجَاهِدُ الْمُؤَيِّدُ الْمَتَاغَرِ الْمُرَاطِي الْعَادِلُ الْخَلَّاشُ النَّاسِكُ الْأَوْحَدُ فُلَانٌ ، ذُنُرُ الْإِسْلَامِ» . وَكَأَلْقَابِ مَلِكِي الْبَنُو وَالكَتَامِ فِيَا ذَكَرَهُ

في "التعريف" وهي: «الجناب الكريم العالى الملك الجليل الكبير العالم العادل
الغازى المجاهد الهمام الأوحد المظفر المنصور عز الإسلام». ثم بقية الألقاب
من نسبة ألقاب ملك التتوور .

الطبقة الرابعة - ألقاب المجلس . وأعلىها « المجلس العالى » كألقاب صاحب
حصن كفا فيما ذكره في "التعريف" وهو : « المجلس العالى الملى الفلانى الأجل
العالى العادل المجاهد المؤيدى المراهلى المتغرى الأوحدى الأصلى
الفلانى - بلقب التعريف - عز الإسلام والمسلمين ، بقية الملوك والسلاطين ،
نصير الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، شرف الدول ، دثر الممالك ، خليل
أمير المؤمنين أو عضد أمير المؤمنين » على مخالفة فيه فيما أورده في "التعريف" تأتي
في المكتبة إليه .

ودونه المجلس السامى بالياء - كألقاب صاحب أرزن ، وهي « المجلس السامى الملى
الفلانى - بلقب الملك - الأصلى الكبيرى العالى المجاهدى المؤيدى المراهلى
الأوحدى الفلانى - بلقب التعريف - عز الإسلام ، شرف الملوك فى الأنام ،
بقية السلاطين ، نصر الغزاة والمجاهدين ، ولى أمير المؤمنين » .

ودونه المجلس بنسبىاء فى ألقابه كألقاب صاحب دقشة إذا كان مسلما ،
فما ذكره في "التعريف" وهي : « المجلس الكبير الغازى المجاهد المؤيد الأوحد
العضد ، تجمد الإسلام ، زين الأنام ، نحر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين »
ولم يذكر فيه السامى ولا لقباً مضافاً إلى الملك ، وهو الملى إلا أنهم أوردوه
في عمدة الملوك ،

قلت وأكثر هذه الألقاب يؤتى فيها بالألقاب المختصة بالملك : إما في المفردة كالملكى الفلانى ، وإما في المركبة مثل « بقية الملوك والسلاطين » ونحو ذلك ، لنقل على أن المكتوب له ملك فيمتاز عن غيره . وربما أتى فيها بالألقاب الإمارية دون الملوكة لوقوع اصطلاح أهل تلك المملكة على ذلك . كما يكتب في ألقاب صاحب تونس « أمير المؤمنين » لأتباعه الخليفة ، وفي ألقاب صاحب فاس « أمير المسلمين » أتباعا ليوسف بن تاشفين صاحبها في القديم ، إذ كان أول من تلقب بذلك خضوعاً عن أن يتلقب بأمير المؤمنين ، لاختصاصه بالخليفة كما سيأتى الكلام عليه في المكتبة إليه إن شاء الله تعالى .

الفصل الثانى

(ما يصدر بالألقاب المؤنثة ، وهى الحضرة)

ويختلف الحال فيها باختلاف الممالك . فالألقاب القان بمملكة إيران على ما كان عليه الحال في أيام السلطان أبى سعيد وما قبله « الحضرة ، الشرفه ، العالیه ، السلطانية ، الأعظمية ، الشاهنشاهية ، الأوحديّة ، القانية ، القلانية » . قال فى " التعريف " ولا يخلط فيها الملكية لخوانها للنهم وإن كان صاحب " التنقيف " قد أثبت فيها الملكية أيضا على ما سيأتى فى الكلام على المكتبة إليه فى موضعه إن شاء الله تعالى . وألقاب صاحب تونس فيما ذكره فى " التنقيف " « الحضرة ، العلية ، السنية ، العريّة ، المظفرية ، الميمونة ، المنصورة ، المصونة ، حضرة الأمير العالم » إلى آخر الألقاب المذكورة .

الضرب الثالث

(من الألقاب الإسلامية الألقاب العامة لسائر الطوائف مما يكتب به
عن الأبواب [السلطانية] ^(١) ، وهي ثمانية أنواع)

النوع الأول

(ألقابُ أربابِ السيوف من أهل المملكة وغيرهم : من الأمراء والعُرَمان
والأكراد والتركمان . وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَر ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المَقَر الشريف . وهو مختص في عُرف الزمان
بما يكتب عن ثواب السلطنة .

وصورتها على ما أورده في «عُرف التعريف» : « المَقَر الشريف ، العالى ،
المُولَوِي ، الأميرى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، الممهدى ، المشيدى ، الزعيمى ،
المقدمى ، القوتى ، النياتى ، المرابطى ، المتأخري ، الظهيرى ، المالكى ، المخدومى ،
الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، زعيم الجيوش ، مُقدم
الساكر ، حوَن الأمة ، غِيَاثِ المِلَّة ، مَهْدِ النُّوَل ، مَشِيْدِ المَمَالِك ، ظَهِيرُ المُلُوك
والسلاطين ، عَضُدُ أمير المؤمنين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المَقَر الكريم . وهي مستعملة فى السلطانيات وما يكتب
عن الثواب .

فأما في السلطانيات فصورتها على ما أورده في "التتيف" في الألقاب المستقرة
لنائب الكافل ونائب الشام : «المقرّ الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكيرى ، العالى ،
العالى ، العادلى ، المؤيدى ، الرعى ، القوتى ، الفياى ، المتأغرى ، المرابلى ،
المهدى ، المشدى ، الظهيرى ، العادى ، الناصى ، الأتابى ، الكفى ،
الفلاى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الفزاة والمجاهدين ،
زعيم جيوش الموحدين ، مهد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملّة ، عون الأمة ،
ظهر الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين » .



وأما فيما يكتب عن الثواب فقد ذكر في "التعريف" ألقابها من نسبة
ما تهتم في ألقاب المقر الشريف .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفاروق في دُستوره عن نائب الشام :
«المقرّ الكريم ، العالى ، المولى ، الأميرى ، الكيرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ،
المهدى ، القوتى ، المقدى ، الذخرى ، الفياى ، الفلاى ، عز الإسلام والمسلمين ،
سيد الأمراء فى العالمين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر المجاهدين ، دُخر الدولة
بها الملّة ، مهد المملكة ، ظهر الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين » .

وضورتها على ما أورده الصّلاح الصّفى فى دُستوره عن نائب الشام ايضا :
«المقرّ الكريم ، العالى ، المولى ، الأميرى ، الكيرى ، العالى ، العادلى ،
المؤيدى ، المجاهدى ، الذخرى ، الصّدى ، الصّيرى ، المقدى ، القوتى ،
الفياى ، الفلاى ، ركن الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصرّة
الفزاة والمجاهدين ، غياث الملّة ، كهف الأمة ، دُخر الملوك والسلاطين » .

ثم قال : وإن كان المكتوب إليه نائب سلطنة زيد في ألقابه « المَهْدِي » ،
المَشِيدِي ، الرِّصَمِي ، المدْبَرِي ، الكافِي ، الفلاني » .

وصورتها على ما أورده غيره : « المَقَرُّ الكريم ، العالي ، المَوْلَوِي ، الأَمِيرِي ،
الكَبِيرِي ، العَالِيِي ، العادِلِي ، الفَوَئِي ، النِّفَاثِي ، الذُّنْحَرِي ، الرِّصَمِي ، الفُلَانِي ؛
عَنْ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، بَهَائِلُ الدَّوْلَةِ ، دُخْرُ الْمَلَّةِ ، زَيْنُ
الْمُلْكَةِ ، حَيِّنُ السُّلْطَانَةِ ، سَفِيرُ الْأُمَّةِ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينَ ، عَقْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما رأيته في بعض النسخات عن نائب حلب : « المَقَرُّ الكريم ، العالي ،
المَوْلَوِي ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، العَالِيِي ، العادِلِي ، المَوْيِدِي ، الذُّنْحَرِي ، المَشِيدِي ،
الرِّصَمِي ، الظَّاهِرِي ، الفُلَانِي ؛ عَنْ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ،
نَاصِرُ الْفُرَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، زَيْعُمُ الْجُيُوشِ ، مَقْدَمُ الْعَسَاكِرِ ، حَوْنُ الْأُمَّةِ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ
وَالسُّلَاطِينَ » .

المرتبة الثالثة — مَرْتَبَةُ المَقَرِّ العَالِي . وقد ذكر في « عرف التعريف » أن
ألقابها من نمبة ما هتتم في المَقَرِّ الشريف . وذكر الصلاح الصَّفْدِي في دُستوره
عن نائب الشام في ألقابه ما هتتم له في ألقاب المَقَرِّ الكريم ثم قال : إلا أنه لا يقال
فيه الذُّنْحَرِي .

وصورتها على ما رأيته في توقيع قَيْب الأشراف بحلب عن النائب بها : « المَقَرُّ
العَالِي ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، النِّقْبِي ، الشَّرِيفِي ، الْحَسَنِي ، السَّيْنِي ، الْعَرِيقِي ،
الأَصِيلِي ، الْفَاضِلِي ، الْعَلَامِي ، الْحُجِّي ، الْقِنْدَوِي ، النَّاسِكِي ، الزَاهِدِي ، الْعَالِدِي ،
الْفُلَانِي ؛ عَنْ الإسلام والمسلمين ، جَلَالُ الْعُلَمَاءِ الْعَالَمِينَ ، بَهَائِلُ الْقُضَلَاءِ الْبَارِعِينَ ،
حُجَّةُ الْأَمْرَاءِ الْحَاكِمِينَ ، زَيْنُ الْعِتَّةِ الطَّاهِرَةِ ، شَرْفُ الْأُسْرَةِ الزَّاهِرَةِ ، حُجَّةُ الْعَصَابَةِ

الحاشية، قدوة الطائفة العلوية، تحفة الفرقة الناجية الحسينية، شرف أولى المراتب،
تقيب أولى المناقب، ملاذ الطلاب الراغبين، بركة الملوك والسلاطين .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وليست مستعملة في السلطانيات،
وهي مستعملة فيما يُكتَب عن الثَّواب .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « الجَنَاب الشريف العالي،
المَوْلَى، المجَاهِدِي، المؤيَّدِي، المَهْدِي، الذَّنْزِي، الأَوْحَدِي، العَوْنِي،
الظَّاهِرِي، القَلَانِي، حِرُّ الإسلام والمسلمين، سيّد الأمراء المقدمين، نُصرة الفُزاة
والمجاهدين، عمادُ الملة، عونُ الأمة، ذخرُ الملة، ظهيرُ الملوك والسلاطين، سيِّفُ
أُمير المؤمنين » .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مستعملة في السلطانيات
وما يُكتَب عن الثَّواب .

فأما في السلطانيات فصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب النائب
الكامل في الزَّمن المتَّحِقَم : « الجَنَاب الكريم العالي، الأميرِي، الأَجَلِي، الكَبِيرِي،
العَالِي، العَادِلِي، المؤيَّدِي، المَهْدِي، المَشِيدِي، الرَّعِيْمِي، الذَّنْزِي، المَقْدَمِي،
العَوْنِي، النَّبَايِي، المُرَاطِي، المُتَالِفِي، المُنْقَرِي، المنصوري، الأَتَابِكِي، رُكْنُ
الإسلام والمسلمين، سيّد الأمراء في العالمين، أتابك الجيوش، مقدّم المعسكر،
زعيم الجنود، حاكم البُناد، ذُخرُ الموحدين، ناصِرُ الفُزاة والمجاهدين، غياثُ الأمة،

عون الملة ، مشيد الدول ، كافل الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب النائب الكافل أيضا على ما كان الحال عليه أولا : « الجنتاب الكريم العالي ، الأميري ، الكييري ، العالبي ، العادلي ، المؤيدي ، الزعيمى ، العونى ، النياتى ، المثاغري ، المرابطى ، المهدي ، المشيدى ، الظهيري ، الكافلي ، الفلاني ، مؤيد الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ، مهندس الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، كافل السلطنة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب نائب الشام على ما كان الحال عليه أولا : « الجنتاب الكريم العالي ، الأميري ، الأجل ، الكييري ، العالبي ، العادلي ، المؤيدي ، المهدي ، المشيدى ، العونى ، النياتى ، النحرى ، الزعيمى ، المقدسى ، الظهيري ، الكافلي ، الفلاني ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، نصره الفزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، عون الأمة ، غياث الملة ، مهندس الدول ، مشيد الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في المكاتبه لنائب الشام على ما كان الحال أيضا : « الجنتاب الكريم العالي ، الأميري ، الكييري ، العالبي ، العادلي ، المؤيدي ، الزعيمى ، العونى ، النياتى ، المثاغري ، المرابطى ، المهدي ، المشيدى ، الظهيري ، الكافلي ، الفلاني ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، نصره الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ،

مُهدِّ الدول ، مَشِيدُ الممالك ، عِمَادُ الملة ، عَوْنُ الأُمة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ،
سَيْفُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في المكتبة إلى أحد الأمراء الأتوس بمملكة
إيران في دولة السلطان أبي سَعِيد : «الْحَتَّابُ الْكَرِيمُ الْعَالِي ، الْأَمِيرِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ،
الْعَالِمِيُّ ، الْعَادِلِيُّ ، الْمُؤَيَّدِيُّ ، الرَّعِيَّةِيُّ ، الْعَوْنِيُّ ، الْفَيْئَاتِيُّ ، الْمُتَاغِرِيُّ ، الْمُرَابِطِيُّ ،
الْمُهَدِّدِيُّ ، الْمُشِيدِيُّ ، النَّوْنِيُّ ، الْفُلَانِيُّ ، عَوْنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ
فِي الْعَالَمِينَ ، نَاصِرُ الْفِرَازَةِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ جِيُوشِ الْمُؤَحِّدِينَ ، مُهَدِّ الدُّوَلِ ، عِمَادُ الْمِلَّةِ ،
عَوْنُ الْأُمة ، كَافِي الدُّوَلَةِ الْقَانِيَةِ ، كَافِلُ الْمَمْلَكَةِ الشَّرْقِيَةِ ، أَمِيرُ التَّوَامِينَ ، أَمِيرُ الْأَتُوسِ ،
ظهيرُ الملوك والسلاطين ، عَضُدُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب ابن المظفر اليزدي : «الْحَتَّابُ
الْكَرِيمُ الْعَالِي ، الْأَمِيرِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَادِلِيُّ ، الْمُؤَيَّدِيُّ ، الْعَوْنِيُّ ،
الرَّعِيَّةِيُّ ، الْمُهَدِّدِيُّ ، الْمُشِيدِيُّ ، الظَّهِيرِيُّ ، الْفَيْئَاتِيُّ ، الْمُتَاغِرِيُّ ، الْمُرَابِطِيُّ ،
النَّوْنِيُّ ، الْفُلَانِيُّ ، عِزُّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، نَاصِرُ الْفِرَازَةِ
وَالْمُجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ جِيُوشِ الْمُؤَحِّدِينَ ، مَقْدَمُ الْعَسَاكِرِ ، مُهَدِّ الدُّوَلِ ، مَشِيدُ الْمَمَالِكِ ،
عِمَادُ الْمِلَّةِ ، عَوْنُ الْأُمة ، حَاكِمُ أُمُورِ وِلَاةِ الزَّمَانِ ، مُوَضَّعُ قَوَانِينِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ،
اعْتِضَادُ صَنَادِيدِ الْأَوَانِ ، مُسْتَنِيْبُ مَلُوكِ الْعَجَمِ ، مُسْتَعْدِمُ أَرْبَابِ الطُّبْلِ وَالْعِلْمِ ،
ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سَيْفُ أمير المؤمنين .



وأما فيما يُكْتَبُ عن الثَّوَابِ وما كان يكتب به في الإخوانيات في الزمن المتقدم ،
فقد ذكر في "عرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ما تَقَدَّمَ في ألقاب الحنَّاب
الشريف .

وصورتها على ما أورده القاضي شهاب الدين الفارقي في دُستوره عن نائب الشام :
« الجَنَابُ الكريم العالى ، المَوْلَى ، الأَمِيرى ، الكَبِيرى ، العَالِى ، العَادِلِ ،
الْعَصِيدِ ، النَّصِيرِ ، الْمُؤَيَّدِ ، الْمُقَدَّمِ ، الذَّخِيرِ ، الْفَلَاحِ ، حَجَّةُ الْإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ،
شَرَفُ الْأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، نُصْرَةُ الْغَزَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، ظَهْرُ الْمُلُوكِ والسُّلَاطِينَ » .

وصورتها على ما أورده الصَّلاح الصفدى في دُستوره عن نائب الشام : « الجَنَابُ
الكريم العالى ، المَوْلَى ، الأَمِيرى ، العَالِى ، العَادِلِ ، الْعَوْنِ ، النَّيَّاسِ ،
الظَّهِيرِ ، الْمُقَدَّمِ ، الْفَلَاحِ ، عِزُّ الْإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الْأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ،
نَاصِرُ الْغَزَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، ظَهْرُ الْمُلُوكِ والسُّلَاطِينَ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العالى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وما يكتب
عن الثَّوَابِ وما كان فى الإخوانيَّات قديما .

فأما فى السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى — مع الدِّعَاءِ بِمُضَافَةِ النِّعْمَةِ .

وصورتها على ما أورده فى " التعريف " فى ألقاب نائب حلب على ما كان الحال
عليه أولا : « الجَنَابُ العالى ، الأَمِيرى ، الأَجَلِّ ، الكَبِيرى ، العَالِى ، العَادِلِ ،
المُهَنْدِى ، المُشِيدِ ، الْعَوْنِ ، الذَّخِيرِ ، الرَّصِيمِ ، الْمُقَدَّمِ ، الظَّهِيرِ ، الْمُرَاطِى ،
الْمُتَاحِرِ ، الْفَلَاحِ ، عِزُّ الْإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الْأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، نَصِيرُ الْغَزَاةِ
والمُجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ جِيُوشِ الْمُؤَحِّدِينَ ، عِمَادُ الْأُمَّةِ ، دُخْرُ الدَّوْلَةِ ، ظَهْرُ الْمُلُوكِ
وَالسُّلَاطِينَ ، سَيِّفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما أورده فى " التَّحْقِيفِ " فى ألقاب نائب طَرَابُلُسَ وَمَنْ فى رُتْبَتِهِ :
« الجَنَابُ العالى ، الأَمِيرى ، الكَبِيرى ، العَالِى ، العَادِلِ ، الْمُؤَيَّدِ ، الْعَوْنِ ،

الرَّعِيمِيّ، المَهْدِيّ، المَشِيدِيّ، الظَّهيريّ، الكافِيّ، الفَلَانِيّ؛ عِزُّ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ أُمَرَاءِ الْعَالَمِينَ، نُصْرَةُ الْفُزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ، زَعِيمُ جِيُوشِ الْمُؤَحِّدِينَ، مُقَدِّمُ الْعَسَاكِرِ، مُنْجِيُ الدُّوَلِ، مَشِيدُ الْمَمَالِكِ، عِمَادُ الْمِلَّةِ، عَوْنُ الْأُمَمَةِ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، سَيْفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب قطلوبغا إيناق أحد أُمَرَاءِ الْأَكُوسِ بِإِلَادِ أَزْبِك : «الْجَنَابُ الْعَالِي، الْأَمِيرِيّ، الْكَبِيرِيّ، الْعَالِيّ، الْعَادِلِيّ، الْمُؤَيَّدِيّ، الْعَوْنِيّ، الرَّعِيمِيّ، الْمَهْدِيّ، الْمَشِيدِيّ، الظَّهيريّ، التَّوْحِيْدِيّ، الْفَلَانِيّ؛ عِزُّ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، نُصْرَةُ الْفُزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ، زَعِيمُ الْجِيُوشِ، مُقَدِّمُ الْعَسَاكِرِ، كَهْفُ الْمِلَّةِ، دُخْرُ الدُّوَلِ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، سَيْفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

الرتبة الثانية — مع الدماء بدوام النعمة .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب مُقَدِّمِ الْعَسْكَرِ بِقَرَّةٍ وَمِنْ رِجَالِهِ : «الْجَنَابُ الْعَالِي، الْأَمِيرِيّ، الْكَبِيرِيّ، الْعَالِيّ، الْعَادِلِيّ، الْمُؤَيَّدِيّ، الْأَوْحَدِيّ، النَّصِيرِيّ، الْعَوْنِيّ، الْهُمَامِيّ، الْمُقَدِّمِيّ، الظَّهيريّ، الْفَلَانِيّ؛ عِزُّ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، نُصْرَةُ الْفُزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ، مُقَدِّمُ الْعَسَاكِرِ، كَهْفُ الْمِلَّةِ، دُخْرُ الدُّوَلِ، عِمَادُ الْمَمْلَكَةِ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، حُسَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب مِمَامِيّ : أَحَدُ الْحُكَّامِ بِإِلَادِ أَزْبِك كَانَ : «الْجَنَابُ الْعَالِي، الْأَمِيرِيّ، الْكَبِيرِيّ، الْعَالِيّ، الْمُجَاهِدِيّ، الْمُؤَيَّدِيّ، الدُّنْيَوِيّ، النَّصِيرِيّ، الْهُمَامِيّ، الْمُقَدِّمِيّ، التَّوْحِيْدِيّ، الْفَلَانِيّ؛ عِزُّ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْأُمَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، نُصْرَةُ الْفُزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ، مُقَدِّمُ الْعَسَاكِرِ، دُخْرُ الدُّوَلِ، عَضُدُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، حُسَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .



وأما ما يكتب عن الثواب وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً، فقد ذكر في "عرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ما تقيم في ألقاب الجَنَاب الشريف .

وصورتها على ما أورده الصَّلاح الصَّفَدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام في الرتبة الأولى منها : «الجَنَابُ العَالِي، الأَمِيرِي، الأَجَلِي، الكَبِيرِي، المؤَيَّدِي، المَجاهِدِي، العَوْنِي، المَقْدَمِي، الاسْفَهَسَلَارِي، الظَّهِيرِي، الفَلَانِي، مَجْدُ الإسلام والمسلمين، شَرَفُ الأمراء المَقْدَمِينَ، نُصْرَةُ الفُرَاة والمجاهدين، عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمِدِيَّة" عن نائب الشام أيضاً في الرتبة الثانية من هذه المرتبة : «الجَنَابُ العَالِي، الأَمِيرِي، الكَبِيرِي، العَضُدِي، الذُّخْرِي، النَّصِيرِي، المؤَيَّدِي، المَقْدَمِي، الظَّهِيرِي، الفَلَانِي، مَجْدُ الإسلام والمسلمين، شَرَفُ الأمراء في العالمين، نُصْرَةُ الفُرَاة والمجاهدين، ظهيرُ الملوك والسلاطين» .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(مرتبة المجلس العالي)

وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن الثواب وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً .

فأما في السلطانيات فلها رتبتان :

الزينة الأولى — مع الدعاء للجلس .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب نائب الكرك : «المجلس العالي ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المقدمى ، الأوحدي ، النصيرى ، الهامى ، الظهيرى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأحرار فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، مقدم العساكر ، كهف الملّة ، دُخر الدولة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حُسام أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" أيضا فى ألقاب وزير القان بيلاد آنذاك : «المجلس العالي الأميرى ، الكبيرى ، الثنخري ، الأوحدي ، الاكلى ، المنصرفى ، العونى ، الوزيرى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأحرار والوزراء فى العالمين ، بحال المنصرفين ، أوحداً الأولياء المقرين ، دُخر الدولة ، مُشير الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" أيضا فى ألقاب حافظ أئى على باشا : «المجلس العالي ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الأوحدي ، النصيرى ، العونى ، الهامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الثونى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأحرار فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، كهف الملّة ، عماد الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حُسام أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" فى ألقاب أمير مكة المشرفة : «المجلس العالي ، الأميرى ، الكبيرى ، الثرى ، الحسبى ، النسبى ، العالمى ، المجاهدى ،

المُقَدِّمِي ، الأَوْحَدِي ، النَّصِيرِي ، العَوْنِي ، الهَمَامِي ، الظَّهِيرِي ، الْأَصِيلِي ،
الْعَرِيقِي ، الثَّمَانِي ، عِزُّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الْأُمَرَاءِ الْأَشْرَافِ فِي الْعَالَمِينَ ،
نُصْرَةُ الْفُرَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ ، كَهْفُ الْمِلَّةِ ، عَوْنُ الْأُمَّةِ ، نَخْرُ السَّلَالَةِ الزَّاهِرَةِ ، زَيْنُ الْعِتَّةِ
الطَّاهِرَةِ ، بَهَاءُ الْعِصَابَةِ الْمَلَوِيَّةِ ، جَمَالُ الطَّائِفَةِ الْمَشْمِئَةِ ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ،
سَيِّبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب أمير آل فضل من عرب
الشام : « المجلس العالي ، الأميري ، الكبير ، العالمي ، المجاهدي ، المؤيدي ،
الأوحد ، النصيري ، العوني ، الهمامي ، المقدمي ، الظهيري ، الأصيلي ، الفلاني ؛
عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء العُربان في العالمين ، نصرة الفرزة والمجاهدين ،
مقدم العساكر ، كهف الملة ، دُثر الدولة ، عماد العرب ، ظهير الملوك والسلطين ،
حُسام أمير المؤمنين . »

الرتبة الثانية — المجلس العالي مع صدرت .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب نائب الرُجبة ومن في رُتبته :
« المجلس العالي ، الأميري ، الكبير ، العُضْدِي ، الذُّخْرِي ، النَّصِيرِي ، الْأَوْحَدِي ،
المؤيدي ، العوني ، الهمامي ، المقدمي ، الظهيري ، الفلاني ، مجد الإسلام والمسلمين ،
شرف الأمراء المقدمين ، نصرة الفرزة والمجاهدين ، مقدم العساكر ، دُثر الدولة ،
كهف الملة ، ظهير الملوك والسلطين . »



وأما فيما يكتب عن الثواب وما كان يُكتب في الإخوانيات أولاً ، فصورتها على
ما أورده في "عُرف التعريف" : « المجلس العالي ، الأميري ، الاسفَهْسَلاري ،

الأجلّي، الكيرى، المجاهدى، المؤيدى، النصيرى، الظهيرى، القلائى؛
مجد الإسلام والمسلمين، زينُ الأمراء المقدمين، نُصرة الغزاة والمجاهدين،
عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده الصلاحُ الصَفَدَى فى دُستوره عن نائب الشام «المجلس
العالى، الأميرى، الأجلّي، الكيرى، المؤيدى، المجاهدى، الاسفَهْسلارى،
العَوْنى، الظهيرى، القلائى، مجد الإسلام والمسلمين، شرفُ الأمراء المقدمين
نُصرة الغزاة والمجاهدين، عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده فى «الذكرة الآمدية» عن نائب الشام : «المجلس العالى،
الأميرى، الكيرى، العضدى، النصيرى، المؤيدى، المجاهدى، الذُخْرى؛
مجد الإسلام والمسلمين، شرفُ الأمراء المقدمين، دُخْرُ الغزاة والمجاهدين،
عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثانية

(مرتبة المجلس السامى بالياء)

وهو مستعمل فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما ذكره المقرئ الشهابى بن فضل الله فى بعض
دسائره فى توقيع قَبيب الأشراف : « المجلس السامى، الأميرى، الكيرى،
العالى، المجاهدى، المؤيدى، الشرفى، الحسبى، النسبى، الذُخْرى،
النصيرى، الأوحدى، الأصلى؛ عزُ الإسلام، زينُ الأئام، نَسِيبُ الإمام،
شرفُ الأمراء، قَبيبُ الثُقباء، جمالُ العترة الطاهرة، جلالُ الأئمة الزاهرة، دُخْرُ
الغزاة والمجاهدين، ظهيرُ الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب الكُشَّاف بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبير ، الذنري ، النصيري ، الأوحدي ، المؤيدي ، الفلاني ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، أوجد المجاهدين ، عضد الملوك والساطين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض المراسيم لأمر آل مرا من عرب الشام : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبير ، المجاهدي ، المؤيدي ، العضدي ، الذنري ، النصيري ، الأوحدي ، الأصلي ، العريقي ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، زين القبائل ، نقر المشائر ، ملاذ العرب ، عضد الملوك والساطين » .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب وزير الشيخ أويس بيفداد : « المجلس السامي ، الأجل ، الكبير ، الأوحدي ، المقدمي ، المتخفي ، الفلاني ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوجد الأعيان ، صفوة الملوك والساطين » .

وصورتها في ألقاب أمراء العرب : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبير ، الذنري ، المؤيدي ، الفلاني ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين القبائل ، نقر المشائر ، عماد الملوك والساطين » .



وأما فيما يكتب عن الثواب ونحوهم ، فصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « المجلس السامي ، الأميري ، الأجل ، الكبير ، المؤيدي ، العضدي ، النصيري ،

الأوحدى، الهمايى، الفلانى؛ مجد الإسلام، زين الأمراء فى الأنام؛ ذخّر الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفارقى فى دُستوره عن نائب الشام :
« المجلس السامى، الأميرى، الأجلّ، الكبيرى، الصّفى، النصيرى، المؤيدى،
الفلانى؛ مجد الإسلام، جمال الأمراء، نصرة الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك
والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصّفى فى دُستوره عن نائب الشام أيضا :
« المجلس السامى، الأميرى، الأجلّ، الكبيرى، المؤيدى، المجاهدى، الصّفى،
النصيرى، الهمايى، الفلانى؛ مجد الإسلام، شرف الأمراء، نصرة الغزاة،
عمدة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة

(مرتبة المجلس السامى بغيره)

وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى " التتيف " فى ألقاب الولاة
الطليخاناه بالوجهين القبلّ والبحرى : « المجلس السامى، الأمير، الأجلّ، الكبير،
الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحد، المرتضى، فلان الدين، مجد الإسلام،
بهاء الأنام، غر الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيته فى بعض نسخ التّواقيع : ترتيب الشيخ شهاب الدين
محمود الحلي : « المجلس السامى، الأمير، الأجلّ، الكبير، الحسيب، القسيب،

الطاهر، الكامل، العالم، العامل، الفاضل، الزاهد، الورع، الزكي، التقى،
فلان الدين، جلال الإسلام، شرف السادة الأشراف، نحر العترة الطاهرة،
زين السلالة الزاهرة، نقيب قباء الشرفاء، مجد العصبة العلوية، جمال العصبة الفاطمية،
صدر الأئمة العلماء، مجتبي الدولة، بهاء الملّة، خالصة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما في ألقاب النائب باليتج : « المجلس السامي، الأمير، الأجل،
المجاهد، المؤيد، الشريف، الحبيب، النسيب، مجد الإسلام، بهاء الأنام،
زين العترة، نحر الأئمة، جمال النورية، نحر الشجرة الزكية، عمدة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في «التعريف» في ألقاب أكابر عربان آل فضل من
عرب الشام: «المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد،
الأوحد، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، نحر القبائل،
زين العترة، عمدة الملوك والسلاطين» .



وأما فيما يكتب عن النشأاب ومن في معنهم، فصورتها على ما أورده
في «عرف التعريف» : « المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير، الغازي،
المجاهد، المؤيد، فلان الدين، مجد الإسلام، زين الأمراء، نحر الأنام، دُخر القزاة
والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في «التذكرة الآمديّة» عن نائب الشام: «المجلس السامي،
الأمير، الأجل، الكبير، المؤيد، المجاهد، العضد، النصير، فلان الدين، مجد الأمراء،
شرف انطواص، زين القزاة، عمدة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة (درجة مجلس الأمير)

وهي مستعملة في السلطانيات وفيها على مرتبة واحدة .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب الولاة
المشار بالوجهين القبلي والبحري : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازي ،
المجاهد ، المؤيد ، الأوح ، المرتضى ؛ فلان الدين ، مجد الأمراء ، زين المجاهدين ،
عنة الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يكتب عن النواب ومن في معانهم ، فصورتها على ما أورده
في "عرف التعريف" : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازي ، المجاهد ،
المرتضى ؛ فلان الدين ، فخر الأمراء ، زين المجاهدين ، عنة الملوك والسلاطين » .
وصورتها على ما أورده الفارق في دستور عن نائب الشام : « مجلس الأمير ،
الأجل ، الكبير ، الأخص ، الأجل ، الغازي ، المجاهد ، المرتضى ، المختار ؛ فلان
الدين ، مجد الأمراء ، زين الفزاة ، عنة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآيدية" : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ،
المؤيد ، المجاهد ، الأخر ، الأخص ، الأجل ، المجتبي ، المختار ؛ فلان الدين ،
مجد الأمراء ، زين الفزاة ، عنة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الخامسة

(درجة الأمير مجزدا عن مضاف إليه)

وأكثر ما يأتي ذلك في الولايات أو فيمن يُكْتَب بسببه كُتِب وما أشبه ذلك .
وصورتها في السلطانيات : « الأمير الأجل » وربما زيد على ذلك قليل :
« الكبير الغازي » .

وصورتها في غير السلطانيات على ما أورده في " التذكرة الأبدية " : « الأمير ،
الأجل ، الأخض ، الأكل » .

النوع الثاني

(من الألقاب الإسلامية الألقاب الديوانية . وهي أيضا على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَر)

وليست مستعملة في السلطانيات جملة لأنه لا يُكْتَب لأحد من هذا النوع
عن السلطان بالمَقَر ، وهي مستعملة فيما يكتب عن الثواب ومن في معانهم ،
ولها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة المَقَر الشريف . وصورتها على ما أورده
في "عرف التعريف" في ألقاب الوزراء من أرباب الأعلام : « المَقَر الشريف ،
العالي ، المولوي ، الصاحي ، الوزيري ، المتقدي ، العالي ، المهدي ، المشيدي ،

الْعَوْنِي، الْغِيَاثِي، الْمَالِكِي، الْمُخْدُوعِي، الْفَلَاحِي، صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ،
سَيِّدُ الْوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ، قَوَامُ الْأُمَّةِ، نِظَامُ الْمِلَّةِ، مَدَبِّرُ الدَّوْلَةِ،
ذُنُرُ الْمُلْكَ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينَ، وَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" أيضا في ألقاب غير الوزراء
من الكُتُب : «الْمَقَرُّ الشَّرِيفُ، الْعَالِي، الْمَوْلَوِيُّ، الْقَضَائِي، السَّيِّدِي،
الْعَالِمِي، الْعَادِلِي، الْمَهْدِي، الْمَشِيدِي، الْعَوْنِي، الْغِيَاثِي، الْمَالِكِي، الْمُخْدُوعِي،
الْفَلَاحِي، صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ،
قَوَامُ الْأُمَّةِ، نِظَامُ الْمِلَّةِ، زَيْنُ الدَّوْلَةِ، ذُنُرُ الْمُلْكَ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينَ،
وَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما رأيت في بعض النسخ عن نائب الشام في ألقاب بعض كُتُب
السَّيَرِ الْعُلَمَاءِ : «الْمَقَرُّ الشَّرِيفُ، الْعَالِي، الْمَوْلَوِيُّ، الْقَاضِي، الْكَبِيرِي، الْعَالِمِي،
الْعَامِلِي، الْعَلَّامِي، الْأَكْبَلِي، الْأَفْضَلِي، الْمُفِيدِي، الْقَرِيدِي، الْقُدُوسِي، الْمُحَقِّقِي،
الْمُسْلِكِي، الْأَصِيلِي، الْعَرِيقِي، الْمَدَبِّرِي، الْمُشِيرِي، الْيَمِينِي، السَّغِيرِي، الْمَالِكِي،
الْمُخْدُوعِي، الشَّيْخِي، الْعَلَّامِي، ضِيَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ
وَالْمَشَاجِي فِي الْعَالَمِينَ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ، نَفَرُ الْكُتُبِ، حَسَنَةُ الْأَيَّامِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ
الْكَرَامِ، صَدْرُ مَصْرٍ وَالشَّامِ، لِسَانُ السُّلْطَنَةِ، سَفِيرُ الْمَمْلَكَةِ، شَيْخُ شُيُوخِ الْعَارِفِينَ،
جَامِعُ طُرُقِ الْوَاصِفِينَ، صَدْرُ الْمُتَرَسِّمِينَ، مَشِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينَ، وَلِيٌّ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ » .

المرتبة الثانية — مَرْتَبَةُ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ . قال في "عرف التعريف" : والألقاب
فيها من نسبة ما تهتم في ألقاب الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ .

وصورتها على ما أورده الصَّلَاحُ الصِّقْدِيُّ في دُسْتُورِهِ عن نَائِبِ الشَّامِ :
« الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيُّ ، الْقَضَائِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْقَوَائِمِيُّ ، النَّظَامِيُّ ، الْمُدَبِّرِيُّ ،
الْمُشِيرِيُّ ، الْمَلَانِيُّ ، الْفَلَانِيُّ ؛ جَلَّالُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الْكَابِرِ فِي الْعَالَمِينَ ،
حَوْثُ الْأُمَّةِ ، دُخْرُ الْمِلَّةِ ، مَدْبِرُ الثَّوَلِ ، بَحَّالُ الْمَلِكِ ، حَسَنَةُ الْوُجُودِ ، خَالِصَةُ
الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مَرْتَبَةُ الْمَقَرِّ الْعَالِي . وقد جعلها في "عرف التعريف" من
نسبة ما تقدم من ألقاب المقر الشريف أيضا .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير عن نَائِبِ الشَّامِ فيما كُتِبَ به للقاضي
شرف الدين عبد الوهاب بن أبي الطيب كاتب السر بالشام : « الْمَقَرُّ الْعَالِي ،
الْمَوْلَوِيُّ ، الْقَضَائِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْفَاضِلِيُّ ، الْكَامِلِيُّ ، الْبَارِعِيُّ ، الْأَوْحَدِيُّ ،
الْمَاجِدِيُّ ، الْقَوَائِمِيُّ ، النَّظَامِيُّ ، الْمُفَوِّهِ ، الرَّيِّسِيُّ ، الْأَثَرِيُّ ، الْأَثِيلِيُّ ، الْأَصِيلِيُّ ،
الرَّعِيَّ ، الْفَلَانِيُّ ؛ حَزَنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، أَوْحَدُ
الْفَضَلَاءِ الْمَاجِدِينَ ، مُجَّةُ الْمُتَنَشِّئِينَ ، صَدْرُ الرُّؤَسَاءِ ، رَأْسُ الصُّدُورِ ، عَيْنُ الْأَعْيَانِ ،
خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَابِ ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مَرْتَبَةُ الْجَنَابِ الشَّرِيفِ . وهي مستعملة^(١) في غير السلطان دون
السُّلْطَانِيَّاتِ . قال في "عرف التعريف" : وهي من نسبة الألقاب المتقدمة
في الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ .

(١) عبارة الفروع ج ١ ص ١٨٠ «وهي مخصصة بما يكتب من التواب دون السلطانيات» وهي أوضح .

المرتبة الثانية — مرتبةُ الجَنَابِ الكريم . وجعلها في "عرف التعريف" من نسبة ما تقدم في المقر الشريف .

وصورتها على ما أورده الصَّلاحُ الصَّفْدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام: «الجَنَابِ الكريمُ العَالِي، المَوْلَوِي، القَضَائِي، العَالِي، الأَوْحَدِي، الرَّئِيسِي، الأَجَلِّي، الإِيْمَرِي، البَارِعِي، المَاجِدِي، الفَلَانِي، مُجِدُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، جَمَالُ الْكَابِرِ، نَحْوُ الْأَعْيَانِ، أَوْحَدُ الْكُتُبِ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ» .

وصورتها على ما رأيتُ في بعض النُسخ من نائب الشام في توقيع باسم شهاب الدين ابن أبي الطيب بكتابة النُسخ بالشام : « الجَنَابِ الكريم ، العَالِي ، المَوْلَوِي ، القَضَائِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِي ، الْعَامِلِي ، الْبَارِعِي ، الْكَامِلِي ، الْمَاجِدِي ، الْقَوَائِمِي ، النَّظَامِي ، الرَّئِيسِي ، الْأَصِيلِي ، الْعَرِيقِي ، الْأَوْحَدِي ، الْفَلَانِي ، جَلَالُ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، تَلُجُّ الْفَضْلَاءِ الْمُتَشَبِّهِينَ ، جِهْدُ الْحُدَاقِ الْمُتَصَرِّفِينَ ، سُلَالَةُ الْأَقْبِيَاءِ الْعَارِفِينَ ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العَالِي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فاما في السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في "التخفيف" في ألقاب الوزارة بالديار المصرية : « الجَنَابُ العَالِي ، الصَّاحِبِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِي ، الْعَادِلِي ، الْأَوْحَدِي ، الْأَكْبَلِي ، الْقَوَائِمِي ، النَّظَامِي ، الْإِيْمَرِي ، الْبَلِيغِي ، الْمُقْضِي ، الْمَسْدِدِي ، الْمُتَصَرِّفِي ، الْمَهْدِي ، الْعَوْنِي ، الْمُدَبِّرِي ، الْمُشِيرِي ، الْوَزِيرِي ، الْفَلَانِي ، صَاحِبُ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الْوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، رَئِيسُ الْكِبَرَاءِ ، كَبِيرُ الرُّؤَسَاءِ ، أَوْحَدُ الْأَصْحَابِ ، مَلَأْدُ الْكُتُبِ ، قَوَامُ الْقَوْلِ ، نِظَامُ الْمُلْكِ ، مُفِيدُ

المتابع، معتمد المصالح، مرتب الجيوش، عماد الملة، حوث الأمة، مشير الملوك والساطين، ولي أمير المؤمنين .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير عن نائب الشام في ألقاب كاتب دمت بالشام : « الجناح العالي، القضاة، الكيرى، العالمى، الفاضل، الأكلى، البارعى، الأوحى، القوامى، النظامى، المفوهى، الرئيسى، الماجدى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء فى العالمين، أوحى الفضلاء الماجدين، قُدوة البلغاء، جمال الحجاب، زين المنتشين، خالصة الملوك والساطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالمى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "التحقيق" فى ألقاب كاتب السرّ بالأبواب السلطانية : « المجلس العالمى، القاضى، الكيرى، العالمى، العادى، العلماى، الأفضلى، الأكلى، البليغى، المسندى، المنقضى، المشيدى، العوفى، المشيرى، اليمنى، السفيرى، الأصلى، العريقى، الفلانى، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قُدوة العلماء العالمين، جمال البلغاء،

أوحد الفضلاء ، جلال الأصحاب ، كهف الكُتّاب ، يمينُ المملكة ، لسانُ السُّلطنة ،
سفيرُ الأمة ، سليلُ الأكابر ، مشيرُ الملوك والسلاطين ، وليُّ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في " التتيف " في ألقاب ناظر الخوَّاص الشريفة :
« المجلسُ العالى ، القاضى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضل ، الأوحى ، الأكلى ،
الرئيسى ، البليغى ، البارعى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المتقضى ،
المستدى ، المتصرف ، الفلانى ، جمالُ الإسلام والمسلمين ، سيدُ الرؤساء فى العالمين ،
قوامُ المصالح ، نظامُ المتاج ، جلالُ الأكابر ، قدوةُ الكُتّاب ، رئيسُ الأصحاب ،
عمادُ الملة ، صفوةُ النبوة ، خالصةُ الملوك والسلاطين ، وليُّ أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده فى ألقاب وزير دمشق إذا صُرح له بالوزارة : « المجلسُ
العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الأصلى ، الكبيرى ، العالمى ، العادى ، المؤيدى ،
الأوحى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المشيرى ، الفلانى ،
صلاحُ الإسلام والمسلمين ، سيدُ الوزراء فى العالمين ، رئيسُ الكبراء ، كبيرُ الرؤساء ،
بقيةُ الأصحاب ، ملاذُ الكُتّاب ، عمادُ الملة ، خالصةُ الدولة ، مشيرُ الملوك والسلاطين ،
خالصةُ أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده فى ألقابه إذا لم يُصرَّح له بالوزارة ، بل كان ناظر النظار
بالمملكة الشامية : « المجلسُ العالى ، القضاى ، الكبيرى ، العالمى ، العاملى ،
الأوحى ، الرئيسى ، الأثيرى ، القوامى ، النظامى ، المتقضى ، المتصرف ، الفلانى ،
مجدُ الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء فى العالمين ، أوحدُ الفضلاء ، جلالُ الكبراء ،
مُجَّةُ الكُتّاب ، صفوةُ الملوك والسلاطين ، خالصةُ أمير المؤمنين . »



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمديّة" في بعض التواقيع من ترتيب المقرّ الشهابيّ بن فضل الله بكتابة الدّمست بالشام : « المجلس العالي ، القضائيّ ، الأجلّ ، الكبيرى ، الرئيسى ، العالمى ، العالمى ، البارعى ، الأوحديّ ، الماجدىّ ، الأثيرى ، الأصيليّ ، الأفضليّ ، الأصيلّ ، الفلانيّ ، مجدّ الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوحّد الكبراء ، صدر الأعيان ، جمال الكُتّاب ، جلال الحُساب ، صفوة الدولة ، خالصة الملوك والسلطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يذكر صورتها في "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساير : « المجلس السامى ، القضائيّ ، الأجلّ ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلّ ، الكافىّ ، الرئيسى ، الأوحديّ ، الأصيلّ ، الأثيرى ، البليغى ، الفلانيّ ، مجدّ الإسلام ، شرف الرؤساء ، نحر الأنام ، زين البغاء ، جمال الفضلاء ، أوحّد الكُتّاب ، نحر الحُساب ، صفوة الملوك والسلطين » .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيت في "التذكرة الآمديّة" في توقيع بكتابة الدرّج عن نائب الشام : « المجلس السامى ، القضائيّ ، الأجلّ ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلّ ، الكاملى ، البليغى ، الأصيلّ ، الرئيسى ، الفلانيّ ، مجدّ الإسلام ، شرف الرؤساء ، أوحّد الكُتّاب ، جمال البغاء ، مرتضى الملوك والسلطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغير ياء ، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فلم يذكر لها صورة في "التحفيف" أيضا .
وصورتها على ما رأيته في "التذكرة الآمديّة" في توقيع شريف بكتابة الدرج :
المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، الأوحّد، البارّع،
الكامل، الأصيل، الفاضل، فلان الدين، جمال الإسلام، بهاء الأنام،
شرف الأكابر، زين الرؤساء، أوحّد الفضلاء، زين الكُتّاب، صفوة الملوك
والسلطين .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيته في "التذكرة الآمديّة" في توقيع
كريم عن نائب الشام بكتابة الدرج بالشام، ترتيب مؤلف "التذكرة" المذكورة :
«المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الفاضل، البارّع، الكامل، الأوحّد،
الرئيس، الأثير، فلان الدين، مجد الإسلام، شرف الصُّدُور، أوحّد الفضلاء،
زين الكُتّاب، جمال الحُساب، صفوة الملوك والسلطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فلم يُورد لها في "التحفيف" أيضا صورة .
وصورتها على ما يقتضيه عُرْف الدِّيوان : « مجلس القاضي، الأجل، الكبير،
الفاضل، الأوحّد، الأثير، الرئيس، البلّغ، العريق، الأصيل، فلان الدين،
مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء » .



وأما في غير السلطانيات، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الخامسة

(١) (درجة القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات [وغيرها])

وصورتها فيها : « القاضي الأجل » وربما زيد في تعظيمه قليل « الكبير
الصدر الرئيس » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية،

وهي على خمس درجات أيضا)

الدرجة الأولى

(درجة المقر)

وهي مختصة بغير السلطانيات، لأنه لا يكتب لأحد من أهل هذا النوع
عن السلطان بالمقر أيضا، بل قال في «صرف التعريف» : إنه لا يكتب به لأحد
من هذا النوع في غير السلطانيات أيضا ولكن رأيت مستعملا فيما يكتب عن
التواب بالمالك . وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة المقر الشريف .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدفاتر في توقيع عن نائب الشام للقاضي
جمال الدين إبراهيم بن العديم ببعض الأنظار والتدريس بالشام : « المقر الشريف،
العالى، المولى، القاضى، الكبيرى، العالمى، العادلى، الأصيلى، العريقى،
القوامى، النظامى، الإمامى، العلامى، القدوى، المفيدى، الشيخى، الصاحى،

الحاكمى، المُحْسِنى، الفلانى؛ جمالُ الإسلام والمسلمين، سيدُ الفضلاء العالمين،
قُدوةُ العلماء فى العالمين، لسانُ المتكلمين، برهانُ المتأخرين، صَلمُ المدرسين،
جَلالُ الطالبين، بقيةُ السلف الكرام الدارجين، بركةُ الملوك والسلاطين، خالصةُ
أمير المؤمنين» .

المرتبة الثانية — مرتبة المَقَرِّ الكريم .

وصورتها على ما رأيتُه فى بعض النسخات عن نائب الشام فى توقيع بعض الوظائف
الدِّينية بِدَمَشَقَ : « المَقَرُّ الكريمُ العالى، المولوى، القضاى، الصاحبى، الإمامى،
العالمى، العالمى، العلّامى، المُفيدى، القريدى، البلىنى، الأوحدى، المحققى،
القوامى، النّظامى، العريقى، الحاكمى، المُحْسِنى، الفلانى؛ جمالُ الإسلام
والمسلمين، جَلالُ العلماء العالمين، أوحُدُ المتكلمين، أكملُ البلغاء فى العالمين، قُدوةُ
المحققين، بركةُ الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المَقَرِّ العالى .

وصورتها على ما رأيتُه فى بعض النسخات عن نائب حلب بتدريس بها : « المَقَرُّ
العالى، المولوى، الشيخى، الكبيرى، الإمامى، العالمى، العلّامى، المُفيدى،
القُدوى، القريدى، المحققى، القوامى، النّظامى، الحاكمى، الفلانى؛ علاءُ الإسلام
والمسلمين، أوحُدُ الفضلاء العارفين، رُحلةُ الطالبين، نُجبةُ المحققين، جمالُ العلماء
فى العالمين، خالصةُ الملوك والسلاطين » .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب)

وقد جعلها في "عرف التعريف" أعلى ما يُكْتَب لهذا النوع ، وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وهي مخصصة بغير السلطانيات .
وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" « الجَنَاب الشريف العالى ،
المولوى ، القضاى ، السيدى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ، العلامى ، الكاملى ،
الأصيلى ، الأوحدى ، المفيدى ، القندوى ، الفريدى ، الحجى ، المجتهدى ، الفلانى ،
مُجِبِّ الإسلام (أَوْضِاء الإسلام) شرف الأنام ، أمير الإمام ، صدر الشام ، سيد العلماء
والحكام ، أو أُوْحِدُ العلماء الأعلام ، بَقِيَّةُ السلف الكرام ، شيخ المذاهب ، مُحَلِّ
الغياهب ، قُدْوَةُ الفِرْق ، رئيس الأصحاب ، مَفِيَّ السُّنَّة ، مؤيِّد الملة ، شمسُ الشريعة ،
سَيْفُ النَّظَر ، مفيدُ الطالبين ، لسان المتكلمين ، ولى أمير المؤمنين » .
فإن كان حاكما قبل الفلانى « الحاكى » وقبل ولى أمير المؤمنين « حَكَمَ
الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مخصصة بغير السلطانيات أيضا .
وصورتها على ما رأيناه في بعض الدساتير الشامية في توقيع القاضي جمال الدين
أَبْنِ أَبِي جَرادة الحنفى ببعض الوظائف الدينية : « الجَنَاب الكريم العالى ، المولوى ،
القضاى ، الكبيرى ، الصاحبى ، الإمامى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأريئى ،
اللببى ، الأصيلى ، العريقى ، القوامى ، النظامى ، الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ،
أُوْحِدُ الفضلاء فى العالمين ، أَكْلُ ثَجَابِ الأبناء العالمين ، خالصةُ الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العالى . وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
 فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما استقر عليه الحال فى ألقاب قاضى القضاة
 الشافعى بالديار المصرية : « الجَنَابِ العالى، القاضى، الشيخى، الكبيرى،
 العالمى، العالمى، الأفضلى، الأكلى، الأوحدى، البليغى، الفريدى، المفيدى،
 التجيدى، القدوى، الحجى، المحققى، الورعى، الخاشعى، الناسكى، الإمامى،
 العللى، الأصلى، العريق، الحاكمى، الفلانى، جمال الإسلام والمسلمين،
 شرف العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدين، قُدوةُ البلاء، حُجَّةُ الأمة، عمدةُ
 المحققين، نحر المترسين، مفتى المسلمين، جلالُ الحُكَّام، بركةُ الدولة صَدْرُ مصر
 والشام، مِعْرَ السَّنة، مؤيدُ الملة، شمسُ الشريعة، رئيسُ الأصحاب، لسانُ المتكلمين،
 حَكَمُ الملوك والسلطين، ولىّ أمير المؤمنين » .



وأما فى غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيت فى بعض الدساير فى توقيع عن
 نائب الشام ببعض الوظائف الدينية لبعض العلماء : « الجَنَابِ العالى، الشيخى،
 الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى، الأوحدى، الماجدى، القوائى، النظامى،
 الفلانى، ضياءُ الإسلام والمسلمين، أوجد الفضلاء العارفين، جلالُ الأئمة
 فى العالمين، خالصةُ الملوك والسلطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التتيف" فى ألقاب القضاة
الثلاثة بالديار المصرية غير الشافعى : « المجلس العالى، القاضى ، الكبيرى ،
العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدي ، البليغى ، الفريدى ، المفيدى ،
التجيدى ، القدوى ، المجتئى ، المحقق ، الإمامى ، الأصلى ، العريقى ، الحاكى ،
الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء العالمين ، أوحده الفضلاء المفيدين ،
قوة البلاء ، حجة الأمة ، عمدة المحققين ، نفع المدرسين ، مفتي المسلمين ، جلال
الحكام ، حكم الملوك والسلطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "حرف التعريف" : « المجلس
العالى ، القضاى ، الأجل ، الإمامى ، الصبرى ، الربمى ، الفقيهى ، العالمى ،
العلمى ، الكامل ، الفاضلى ، الأوحدي ، الفلانى ، مجد الإسلام ، نفع الأنام ،
ناجى العلماء والحكام (أو شرف العلماء والحكام) جمال الأئمة ، أوحده الأئمة ، صدر
المدرسين ، خالصة الملوك والسلطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
وغیرها .

فأما فى السلطانيات ، فلم يذكر لها فى "التتيف" صورة .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القضاءى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الرئيسى ، المفيدى ، البلىنى ، القدوى ،
الأثيرى ؛ مجد الإسلام والمسلمين ، جمال العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء ، صدر
المدرسين ، عمدة المفتين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض تواقيع بعض الخطباء « المجلس السامى ، القضاءى ،
الشيخى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ، العابدى ، الزاهدى ، الخاشعى ، الناسكى ،
الخطيبى ، الفلانى ؛ ضياء الإسلام والمسلمين ، أوجد الخطباء في العالمين ، جمال الأئمة
القصاصم البارعين ، لسان البيان ، ترجمان الزمان ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" :
« المجلس السامى ، القضاءى ، الأجل ، الإمامى ، الصدرى ، الققيى ، العالمى ،
الكامل ، الفاضلى ، الفلانى ؛ مجد الإسلام ، بهاء الأئام ، جمال العلماء ، أوجد
الفضلاء ، شرف النبلاء ، صفوة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بنيرياء ، وهى مستعملة في السلطانيات
وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في "التخفيف" .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القضاءى ، الأجل ،
الكبرى ، الصدر ، الرئيس ، العالم ، الفاضل ، الكامل ؛ فلان الدين ، مجد الصدور ،
زين الأعيان ، مرقضى الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في "عرف التعريف" :
«المجلس السامي ، القاضي ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحده ،
الأثير ، البارح ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نجر الصدور ،
جمال الأعيان ، مرتضى الدولة ، صفة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في "التثقيف" .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع : «مجلس القاضي ، الأجل ، الكبير ،
العالم ، الفاضل ، الأوحده ، الكامل ، الصدر ، الرئيس ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
زين الأعيان ، نجر الصدور ، مرتضى الملوك والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الخامسة

(درجة القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيما : «القاضي ، الأجل» وربما زيد في التعظيم نحو «الكبير الصدر
الرئيس» ونحو ذلك .

النوع الرابع

(من الألقاب الإسلامية ألقابُ مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ،
وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَعزّ، وليس لها استعملٌ في السلطانيّات ؛ وفي غير السلطانيّات
لها ثلاثُ مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المَعزّ الشَّريف .

وصورتها : « المَعزّ الشَّريف ، العالِي ، التَّوَلَّى ، الشَّيْخ ، السَّيِّد ، الإمامي ،
العالِي ، العالِي ، الكافِي ، الفاضِل ، الوَرَعِي ، الزَّاهِدِي ، العابدِي ، النَّاسِكِي ،
السَّالِكِي ، الخَاشِعِي ، المُسَلِّكِي ، المحقِّق ، المدقِّق ، الفلاني ؛ صلاحُ الإسلام
والمسلمين ، جمالُ الأصفِياء العاملين ، خالصَةُ الأنام ، صفوةُ الأنبياء ، قُطبُ البُباد ،
المِلَّةُ على الحقيقه ، والمالك لأزْمَةِ الطريقه ، بَقِيَّةُ السَّلف ، قُدْوَةُ الخَلَف ،
مفيدُ الطالبين ، أَوْحدُ المحقِّقين ، رُكنُ الملوك والسلاطين ، وَلِيُّ أمير المؤمنين » .

وقد تَهْتَمُ أَنْ « الأحسن في القب المضاف إلى السلاطين هنا » بركة الملوك
والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المَعزّ الكريم ، وألقابها من نسبة الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — مرتبة المَعزّ العالِي ، وألقابها نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب ، وفيها ثلاثُ مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وهي مختصة بغير السلطانيات .
وصورتها : « الجَنَابُ الشريفُ ، العَالِي ، المَوْلَوِي ، الشَّيْخِي ، الإِمَامِي ، العَالِمِي ،
العَامِلِي ، الكَافِي ، الفاضِلِي ، الزَّاهِدِي ، العَابِدِي ، الخَاشِعِي ، النَّاسِكِي ، الْوَرَعِي ،
جَلَالُ الإِسْلَام ؛ سَيِّدُ الإِمَام ، قُطْبُ الزَّهَاد ، عِلْمُ الْعِبَاد ، أَوْحَدُ النَّاسِكِينَ ،
فَرْدُ السَّالِكِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مختصة بغير السلطانيات أيضا .
وصورتها على ما رأيتُ في بعض التواقيع عن نائب الشام : « الجَنَابُ الكريمُ ،
العَالِي ، الشَّيْخِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، الْعَلَّامِي ، الْأَوْحَدِي ، الْقُدُّوسِي ، العَابِدِي ،
النَّاسِكِي ، الخَاشِعِي ، الْمَسْكُونِي ، الْمُرَبِّي ، الرَّبَّانِي ، الْأَصِيلِي ، الْفَلَاحِي ، مُجْدُّ الإِسْلَام ،
حَسَنَةُ الْأَيَّام ، قُدُّوَةُ الزَّهَاد ، مَلَاذُ الْعِبَاد ، جَمَالُ الْوَرَعِينَ ، مُرَبِّي الْمُرِيدِينَ ،
أَوْحَدُ الْمَسْكُونِينَ ، خَلْفُ الْأَوْلِيَاء ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَاب العَالِي . وهي مختصة بغير السلطانيات .

وصورتها على ما رأيتُ في بعض التواقيع عن نائب الشام : « الجَنَابُ العَالِي ،
الشَّيْخِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، الْأَوْحَدِي ، العَابِدِي ، النَّاسِكِي ، الْوَرَعِي ، الزَّاهِدِي ،
الخَاشِعِي ، الْمَسْكُونِي ، الْأَصِيلِي ، الْفَلَاحِي ، مُجْدُّ الإِسْلَام ، بَهَاءُ الْأَنَام ، قُدُّوَةُ الْعِبَاد ،
جَمَالُ الزَّهَاد ، أَوْحَدُ الْمَسْكُونِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "التخفيف" فى ألقاب شيخ
الشيوخ بخانقاه سراي قوس : « المجلس العالى ، الشيخى ، الكبرى ، العالمى ،
العالمى ، السالكى ، الأوحدي ، الزاهدي ، العائدي ، الخاشعي ، الناسكي ،
المفيدى ، القنوي ، الإمامي ، النظامي ، الملاذى ، جلال الإسلام والمسلمين ،
شرف الصلحاء فى العالمين ، شيخ شيوخ الإسلام ، أوجد العلماء فى الأنام ،
قدوة السالكين ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "عرف التعريف" : « المجلس
العالى ، الشيخى ، الأجل ، الإمامي ، العالمى ، العالمى ، الزاهدي ، العائدي ،
الورعى ، الخاشعي ، الناسكي ، القنوي ، القلافي ، خيرة الإسلام ، شرف الأنام ،
زين العباد ، نور الزهاد ، دُخر الطالبين ، كثر التقى ، ملجأ المريدين ، بركة الملوك
والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
أما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التخفيف" فى ألقاب الشيخ
شمس الدين الطوطى ممن كان يكتب إليه قديما : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الأجل ، العالمى ، العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الزاهدي ، الورعى ، العائدي ،
الخاشعي ، الناسكي ، القنوي ، الأوحدي ، القلافي ، مجدد الإسلام ، ضياء الأنام ،

بقية السلف الكرام، نحر الصلحاء، أوحدهُ الكبراء، زين الزهاد، عمادُ العباد،
قُدوةُ المتورعين، دُخرُ الدول، ركنُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع الشريفة : «المجلس السامي، الشيخ،
الكبرى، الأوحدي، الأكلبي، العايدى، الخاشعى، الناسكى، جمالُ الإسلام،
زينُ الأئام، صَفوةُ الصلحاء، نحرُ العباد، بركةُ الملوك والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات، فنصورتها على ما ذكره المَقَرَّ الشهابي بربُّ فضل الله
في بعض التواقيع عن نائب الشام : «المجلس السامي، الإمامي، العالمي، العاملي،
الخاشعي، الورعي، الناسكي، السالكي، العارفي، القنوي، البليغي، الأصيلي،
الشيخ، الفلاني، مجدُ الإسلام، شرفُ العلماء، قُدوةُ الفضلاء، نحرُ الصلحاء،
جمالُ النساك، قُدوةُ السالك، أوحدهُ العارفين، بركةُ الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثالثة — مرتبةُ المجلس السامي بغيراء، وهي مستعملة في السلطانيات
وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يُورد لها صورةٌ في «التحيف» .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع الشريفة : «المجلس السامي، الشيخ،
الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين،
مجدُ الصلحاء، زينُ المشايخ، قُدوةُ السالكين، بركةُ الملوك والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات، فنصورتها على نحو من ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الشيخ)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

ولم يورد لها صورة في "التتقيف" . وصورتها على ما في بعض النسخات: «مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد، العابد، الناسك، السالك؛ فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك والسلطين» .

الدرجة الخامسة

(درجة الشيخ)

وهي «الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد» ونحو ذلك .

النوع الخامس

(ألقاب التجار الخوارجية، والمستعمل فيه أربع درجات)

الدرجة الأولى

(درجة الجَنَاب)

ولم أرفها غير مرتبة الجَنَاب العالي فيما عدا السلطانيات .

وصورتها على ما رأيت في بعض النسخات الشامية فيما كتب به لبعض الخوارجية: «الجَنَابُ العالي، الصُدْرِي، الكيرِي، المحترَمِي، المؤتَمِنِي، الأُوْحِدِي، الأَكْبَرِي، الرئيْسِي، العارِفِي، المُقَرَّبِي، الخوارجِي، الفلاني؛ مجد الإسلام والمسلمين،

شرف الأكابر في العالمين، أوجد الأئمة المقرئين، صدر الرؤساء، رأس الصنوبر، عين الأعيان، كبير الخوارجية، جهة الدولة، مؤتمن الملوك والسلاطين». • فإن اتفق أن يكتب لأحد من الخوارجية بأعلى من الجناح العالي، كتب له من نظير هذه الألقاب وأعلى منها.

الدرجة الثانية

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالي، وهي مختصة بنير السلطانيات.

وصورتها على ما رأيت في بعض النسخ الشامية: «المجلس العالي، الصنوبر، الرئيس، الكبير، المحترق، المؤتمن، الأوحدي، الأكلبي، المقرئ، الخوارجي، الفلاني، مجد الإسلام، شرف الأكابر، أوجد الأئمة، صدر الرؤساء، زين الأعيان، جهة الدولة، مؤتمن الملوك والسلاطين».

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامي بالياء، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها.

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما ذكره في «التحيف» في ألقاب خواجا صاف بن مسافر، ونظام الدين الإسعدي: «المجلس السامي، الصنوبر، الكبير، الكامل، الماجدي، الأوحدي، المقرئ، المنتخب، الأمين، الأثيري، الخوارجي، الفلاني، مجد الإسلام، زين الأئمة، شرف الرؤساء، أوجد الشكراء، تاج الأئمة، نحر الأعيان، مقرب الحضرة، مؤتمن الملوك، صفوة الملوك والسلاطين».



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على نحو من ذلك .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيراء، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب بعض الخوارجية : المجلس السامى، الصدر، الأجل، الكبير، الكامل، الماجد، الأوجد، المقرب، المنتخب، الأمين، الأمير، الخوارج، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأكاير، مجد الصنور، جمال الأعيان، مقرب الدولة، صفوة الملوك والسلاطين .



وأما في غير السلطانيات فصل نحو من ذلك .

الدرجة الثالثة

(درجة مجلس الصدر، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما ذكره في "التتيف" : «مجلس الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوجد، فلان الدين» .



وأما في غير السلطانيات، فلا تخرج عن ذلك ..

الدرجة الرابعة

(درجة الصدر، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فصورُها على ما أشار إليه في "التتيف": «الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحد، فلان الدين» .



وأما في غير السلطانيات، فلا تبعُد من ذلك .

النوع السادس

(من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات الرئيسية،

كرئاسة الطب، ورئاسة الكتّالين، ورئاسة الجراحية،

ونحو ذلك، والمستعمل فيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها.

فأما في السلطانيات، فكألقاب رئيس الأطباء، وهي «المجلس العالي» [القَضَائِي^(١)،

العالمى، الفاضلى، الكاملى، الأوحدي، القلاني، جمال الإسلام والمسلمين،

سيد الرؤساء في العالمين، أوحده الفضلاء المقربين، خاصة الملوك والسلاطين^(١)] .

(١) يفيض لهذه العبارة في الأصول، فنقلناها من ضوء الصبح للزلف .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدرى ، الأجل ، الكبير ، الرئيسى ، القلائى » .



وأما فى غير السلطانيات فعلى نحو منته .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيراء ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدرى ، الأجل ، الكبير ، الرئيس ، المحترم » .



وأما فى غير السلطانيات ، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(درجة الصدر ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها)

وصورتها فهما : « الصدر الأجل » فإن زيد فى تعظيمه ، قيل : « الكبير المحترم » .

النوع السابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ، كـمُتَارِيَّةُ الْبُيُوتِ ،
ومُهَنْدِسُ الْعِمَارَةِ ، ورئيس الخزانة ونحوهم ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة مجلس الصُّدُر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في " التقييد " في ألقاب المهندسين
والرئيس : « مجلس الصُّدُر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين » .
وفي ألقاب مُتَارِيَّةِ الْبُيُوتِ : من مُتَارِ التُّرَابِ خاتمه ، والطُّشْتِ خاتمه ، والفِرَاشِ
خاتمه ، وإخوان سَلَار ونحوهم : « مجلس الصُّدُر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ،
الحاج فلان » .



وأما في غير السلطانيات ، فكذلك أو أزيد .

الدرجة الثانية

(درجة الصُّدُر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : « الصُّدُرُ الأجل » فلان زِيد في رِطَائِهِ قِيل بعد ذلك :
« الكبير المحترم » .

النوع الثامن

(من الألقاب الإسلامية ألقاب النساء ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة الجِهة ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الاولى — مرتبة الجِهة الشريفة ، وصورتها على ما ذكره في "التتيف" ^(١) في ألقاب إلى بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون عن واليتها : « الجِهة الشريفة ، العالية المحجبة ، المصونة ، الولدية ، العصبية ، عصمة الدين ، جلال النساء ، شرف الخواتين ، سيلة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" أيضا في المكتبة إلى أم آتوك : زوجة السلطان الملك الناصر عنه : « الجِهة الشريفة ، العالية ، المعظمة ، المحجبة ، المصونة ، الكبرى ، خوند خاتون ، جلال النساء في العالمين ، قرينة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما ذكره في المكتبة إلى أخت السلطان الملك الناصر حسن عنه : « الجِهة الشريفة ، العالية ، المكرمة ، المحجبة ، المصونة ، الكبرى ، الخاتون ، جلال النساء في العالمين ، جميلة المحجبات ، جليظة المصونات ، كريمة الملوك والسلاطين » .

(١) سقط فقط إلى من الضرورى توضيح .

وصورتها على ما ذكره في ألقاب الست حلق : «الجهة الشريفة، العالية،
الكبرى، المحجة، المصونة، الحاجبة، الوالدية؛ جلال النساء في العالمين، بركة
الدولة، والد الملك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض النساخ في ألقاب والد الأشرف شعبان
ابن حسين : «الجهة الشريفة، العالية، الكبرى، المعظمة، المحجة، العصى،
الخاتون؛ جلال النساء في العالمين، سيده الخواتين، جميلة المحجبات، جليلة
المصونات، والد الملك والسلاطين» .

المرتبة الثانية — مرتبة الجهة الكريمة .

وصورتها على ما أورده في «التتيف» في ألقاب دلشاه : زوج الشيخ حسن الكبير
بغداد : الجهة الكريمة، المحجة، المصونة، المصيبة، الخاتونية، المعظمة، سيده
الخواتين، زينة النساء في العالمين، جميلة المحجبات، جليلة المصونات، قرينة نون
الملك والسلاطين .

الدرجة الثانية

(درجة الدار . وهي على نحو المرتبتين المتقدمتين في الألقاب السابقة)

الدرجة الثالثة

(درجة الستارة وهي لا تكاد تخرج عما تقدم من المرتبتين المتقدمتين)

القسم الثاني

(من الألقاب المرتبة ألقاب أهل الكُفر ، وهي على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(ألقاب متدينتهم ، وهي نوعات)

النوع الأول

(ألقاب بطارقة النصارى)

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب الباب بُروية : «الباب ، الجليل ، القديس ، الروحاني ، الخاشع ، العامل ، بابا رومية ، عظيم الملة المسيحية ، قُدوة الطوائف العيسوية ، ملك ملوك النصرانية ، حافظ البحار والخلفان ، ملاذُ البطارقة والأساقفة والقُسوس والرهبان ، تالي الإنجيل ، معرّف طائفته الصحرِم والتعليل ، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب البطريرك بالديار المصرية : «البطريرك الجليل ، القديس ، الخاشع ، قُدوة النصرانية» . ثم قال : ومن نسبة ذلك . وصورتها على ما رأيت في بعض التواريخ له : «الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المجل ، المكرم ، الكافي ، المعز ، المقهر ، القديس ، شمس الرياسة ، عماد بنى المعمودية ، كثر الطائفة الصليبية ، آختيار الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدسايمر الشامية عن نائب الشام للبطريرك بها : «البطريرك ، المحتشم ، المجل ، العارف ، الحبر ، فلان ، العالم بأمور دينه ، المعلم لأهل ملته ، دُخر الملة المسيحية ، كثر الطائفة العيسوية ، المشكور بَعقله عند الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب رؤساء اليهود)

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع لرئيس اليهود بالشام من إنشاء القاضي محي الدين بن الزكي في سنة ست وعشرين وستمائة : «الرئيس، الأوحُد، الأعرز، الأخص، الكبير، شرف الطائفة الإسرائيلية فلان» .

الضرب الثاني

(ألقاب ملوكهم وتختص بالنصارى ، وهو نمطان)

النمط الأول

(الألقاب المذكورة، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ما يُصَدَّرُ بالألف واللام ، وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الحضرة العالية .

وصورتها على ما أورده في «التعريف» في ألقاب ملك الحبشة : «الحضرة العالِيَّة، حضرة الملك الجليل ، الهمام، الضَّرغام، الأسد، القَضَيفَر، الخطير، الباسل، السَّيِّدَع، العالم في ملته، البادل في مملكته، المُنْصِف لِحُجَّتِهِ، المُتَّبِع لما يحب في أَقْصِيَّتِهِ، عز الأمة النصرانية، ناصر الملة المسيحية، رُكْنُ الأُمَّة العيسوية، عماد بني المعمودية، حافظ البلاد الجنُوبية، مُتَّبِع الحواريين، والأحبار الشَّريفيين،

والبطاركة القديسين، معظم كنيسة صهيون، اوجد ملوك اليعقوبية، صديق الملوك والساطين .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" أيضا في ألقاب صاحب القسطنطينية :
« الحاضرة العالية ، المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، الخطير ، الهمام ، الأسد ،
الفضنفر ، الباسل ، الضرم ، المعرق ، الأصيل ، المجد ، الأثيل ، البلاوس ،
الزبدارغون ، ضابط الممالك الرومية ، جامع البلاد الساحلية ، وارث القيصرية القديمة ،
محي طروق الفلاسفة والحكماء ، العالم بأمور دينه ، العادل في ممالكه ، معز النصرانية ،
مؤيد المسيحية ، اوجد ملوك العيسوية ، محول الثخوت والتيجان ، حامى البحار
والخلجان ، ملك ملوك الشرمان ، عماد نبي المعمودية ، رضى الباب بابا رومية ، ثقة
الأصدقاء ، صديق المسلمين ، أسوة الملوك والساطين فلان » .

المرتبة الثانية — مرتبة الحضرة العلية .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب ملك الكرج : « الحضرة العلية ،
حضرة الملك الجليل ، الهمام ، الباسل ، الضرم ، السيدع ، الكرار ، الفضنفر ،
المتخت ، المتوج ، العالم في ملته ، العادل في رعيته ، بقية الملوك الاغريقية ، سلطان
الكرج ، ذخ ملوك البحار والخلج ، حامى حى القرسات ، وارث آباءه في الأمرة
والتيجان ، سراج بلاد الروم وإيران ، سليل اليونان ، خلاصة ملوك الشرمان ،
بقية أبناء الثخوت والتيجان ، معز النصرانية ، مؤيد العيسوية ، مسيح الأبطال المسيحية ،
معظم البيت المقدس بقعد النية ، عماد نبي المعمودية ، ظهر الباب بابا رومية ،
مواد المسلمين ، خالصة الاصدقاء المقرين ، صديق الملوك والساطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الحضرة السامية .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب الأدفونش صاحب طُلَيْطَلَة وإِشْيِيلَة من الأَنْدَلُس : « الحضرة السامية ، الملك الجليل ، الهَمَام ، الأسد ، الباسل ، الضَرْغام ، الغَضَنَقَر ، بَيْتَة سلف قَيْصَر ، حامي حِمَاة بنى الأصْفَر ، المنع السلوك ، وارث لَدْرِيق وذَرَارِي الملوكة ، فارس البر والبحر ، ملك طُلَيْطَلَة وما يليها من البلاد الأَنْدَلُسِيَّة ، بطل النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، حامل راية المَسِيحِيَّة ، وارث التَّيجَان ، شبه مَرِيحَتَا المَعْمَدَان ، عَمَب المَسَامِين ، صديق الملوكة والسلاطين » .

المرتبة الرابعة — مرتبة الحضرة المكرمة .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدِّمَاثِير الشامية في ألقاب صاحب قُبْرَس : « الحضرة المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، البطل ، الهَمَام ، السَّمِيدَع ، الضَرْغام ، الغَضَنَقَر ، القَعْمَقَام ، مؤيد الملة المَسِيحِيَّة ، عماد بنى المعمودية ، دُخْر الملة ، النصرانية ، حامي الجزائر القُبْرُسِيَّة ، مُوَادَّ المَسَامِين ، صديق الملوكة والسلاطين ، الملك فلان » .

المرتبة الخامسة — مرتبة الحضرة الموقرة .

وصورتها على ما ذكره في " التنقيف " في ألقاب الأدفونش المقسم ذكره : « الحضرة الموقرة ، الملك الجليل ، المكرم ، المَجْبَل ، الخطير ، البطل ، الهَمَام ، الضَرْغام ، الرِّيدَارْغُون ، نصر النصرانية ، نخر الأُمَّة المَسِيحِيَّة ، دُخْر الملة المَسِيحِيَّة ، حامي الثُّغُور ، مَمْلَك السواحل والبحور ، عماد بنى المعمودية ، ظهير بابا رومية ، مَلَأْدُ الفُرْسَان ، جمال الثُّخُوت والتَّيجَان ، صديق الملوكة والسلاطين » .

النوع الثاني

(ما يُصَدَّر بحضرة مع الإضافة)

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب صاحب القسطنطينية :
«حضرة الملك، الجليل، المكرم، المبجل، الأمد، الخطير، البطل، الباسل، الهمام،
الضرم، فلان، العالم في ملته، العادل في أهل مملكته، عز الأمة المسيحية، كثر
الطائفة الصليبية، جمال بن المعمودية، صمصام الملوك اليونانية، حسام المملكة
المالوسية، صاحب أمصار الروس والعلان، مبرز اعتقاد الكرخ والشرمان، وارث
الأميرة والتيجان، الحاكم على الثغور والبحور والخلجان، الدوقس الانجالوس
الكينوس البالالوغس، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب ملك الكرخ : «حضرة الملك
الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، القمقام، القديس، الروحاني، فلان، عز الأمة
المسيحية، كثر الطائفة الصليبية، نخر دين النصرانية، ملك الجبال والكرج والخرجان،
صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض النساخ في ألقاب ملك الكرخ أيضا : «حضرة
الملك الجليل، العالم في ملته، العادل في مملكته، المتوج من الله فلان، سيد ملوك
النصرانية، أكبر زعماء الملة المسيحية، ضابط الممالك الكرجية، ... (١) ... خليل
الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب مملوك ميس قبل فتحها :
«حضرة الملك الجليل، البطل، الباسل، الهمام، السميع الضرم، الغضنفر

(١) يابض بالمول بقدر كلمة .

فلان؛ فخر الملة المسيحية، دُخِرَ الأمانة النصرانية، عماد بن المعمودية، صديقُ الملوك والسلطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب ممتلك سيس المذكور أيضا :
« حضرةُ الملك الجليل، المكرّم، المبجل، المعزّز، المهام، الباسل، فلان؛ عزّ دين النصرانية، كبير الطائفة الصليبية، عماد بن المعمودية، صديق الملوك والسلطين» .
وصورتها على ما ذكره في "التتيف" أيضا في ألقاب صاحب البندقيّة :
« حضرةُ الثوك الجليل، المكرّم، الخطير، الباسل، الموقر، المفخّم، فلان؛ نحر الملة المسيحية، جمال الطائفة الصليبية، ثوك البندقيّة والمناسية، فلان؛ زين بن المعمودية، صديق الملوك والسلطين» .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب ملك السّرب والبُلغار : «حضرة الملك الجليل، المكرّم، المبجل، المُمام، الضّرغام، الباسل، الثوقس، الأنجلوس، الكينيوس، فلان؛ عماد النصرانية، مالك السّرب والبُلغار، نحر الأمة العيسويّة، دُخِرَ الملة المسيحية، فارس البُحور، حامى الحُصون والثغور» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب ملك موقراد : «حضرة الملك الجليل، المكرّم، البطل، المهام، الأسد، الضّرغام، فلان؛ مجد النصرانية، نحر العيسويّة، عماد بن المعموديّة، جمال الطائفتين الرومية والفرنجيّة، ملك موقراد، وارثُ السّاج، مُعزّ الباب» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب لثوك البندقيّة غير ما هتم : «حضرة المحتشم، الجليل، المبجل، الموقر، المكرّم، المقصّم، الباسل، الضّرغام، فلان؛ عزّ الملة المسيحية، جمال الطائفة العيسويّة، دُخِرَ الملة الصليبيّة، صديق الملوك والسلطين» .

النوع الثالث

(ما يُصَدَّرُ بِالْمَلِكِ وما في معناه)

وصورته على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب ملك الحبشة : «الملك الجليل ،
المكرم ، الخطير ، الأسد ، الضرم ، الباسل ، فلان ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ،
حطى ملك أمرا ، أكبر ملوك الحبشان ، نجاشى عصره ، سند الملة المسيحية ،
عقيد دين النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما ذكر في "التتيف" في ألقاب دوك البندقية غير ما تقدم : «الدوك
الجليل ، المكرم ، المبجل ، الموقر ، البطل ، الهام ، الضرم ، التفتقر ، الخطير ،
مجد الملة النصرانية ، نخر العيسوية ، عماد بنى المعمودية ، معز بابا رومية ، صديق
الملوك والسلاطين فلان » .

النمط الثانى

(من ألقاب ملوك الكُفَر [الألقاب المؤنثة])

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب صاحبة بايل : «الملكة الجليلة ،
المكرمة ، المبجلة ، الموقرة ، المغضمة ، المعززة ، فلانة ، العالمة في ملتها ، العادلة
في مملكتها ، كبيرة دين النصرانية ، نصيرة الملة العيسوية ، حامية النور ، صديقة
الملوك والسلاطين » .

الضرب الثالث

(ألقابُ نواب ملوئهم وكأصاتهم ومن في معنى ذلك . وهو على نوعين)

النوع الأول

(ألقاب النُواب)

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب النائب بالأبواب : «النائب الجليل ، المبجل ، الموقر ، القديس ، الروحاني» والتعوت من نسبة ألقاب ممتلك ميس .

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب صاحب دُفلة : «النائب الجليل ، المبجل ، الموقر ، الأسد ، الباسل ، فلان ، مجد الملة المسيحية ، كبير الطائفة الصليبية ، غرس الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب الكُصيلة)

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب الكُنصُل بانكفا كألقاب ممتلك ميس المنقولة عن التتيف فيما تقدم .

وصورتها على ما أشار إليه في "التتيف" في ألقاب المُطران نائب الباب بالامسة : ^(١) وهي قُبُرس نحو ما تقدم في ألقاب البطرُك بالديار المصرية . قال : ويزاد عليه «المُطران فلان» ويقال في ثعوته «ناصح المُلوک والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض النُسخ الشامية في ألقاب إبراهيم كرى : أحد كُتاب القرنج عن نائب دمشق : « المُتختم ، الكبير ، المخول ، الأسد ، الهمام ، الفضل ،

(١) كذا في الأصول بدون قط .

مواد المسلمين، متبع الحواريين، جمال العيسوية، أوحى بنى المعمودية، صاحب الملوك والسلاطين .

قلت : قد تين بما تقدم من الألقاب والتعوت الإسلامية وألقاب أهل الكفر وتعتهم أنها ليست واقفة عند حد، بل هي راجعة إلى اصطلاح الكتاب واختبارهم في زيادة الألقاب وتقصها، والإتيان بقب دون لقب، مع رعاية المناسبة لكل مقام وما يحتمله من الألقاب، إلا أن ذلك (أصولاً يرجع إليها) وقوانين يوقف عندها، إذا اعتد لها الكتاب ومثى على نهجها وتوسع على منوالها، أصاب سواء الثغرة من الصنعة، وطبق المفصل بالمفصل في الإتيان بالمقصد، ومتى أهملها وقرط في مراعاتها ضل سواء السبيل، ونخرج عن جادة الصواب : (ومن يضل الله فانه من هاد) .

الأصل الأول — أن يقف على ما رتبته البلغاء من أرباب الصنعة من الألقاب والتعوت لكل صنف من ذوي الألقاب والتعوت : لأهل الإسلام وأهل الكفر . ويجرى ذلك منه مجرى الحفظ والاستحضار، ليسهل عليه إيراد في موضعه، ولا يندب عنه شيء منها عند الاحتياج إليه . وقد تقدم من ذلك جملة مستكة يندب بتجملها، ويستضاء في ظلمة اللبس بضوئها .

الأصل الثاني — أن يعرف ماهو من الألقاب والتعوت حقيقاً لصاحب اللقب الذي يستعمله فيه : كالعالمى لأهل العلم، والعايدى لأهل الصلاح، والعايدى للحكام من أرباب السيوف وغيرهم؛ وما هو منها مجازى : كالعالمى لأرباب السيوف والكتاب حيث لا اتصاف لصاحب اللقب بالعلم، والأصيل لمن ليس له آباء في الرئاسة ولا عرافة في النسب، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

الأصل الثالث — أن يعرف الألقاب الخاصة ببعض دون بعض، كالشريفى، والحسيبى، والنسبى، للأشراف أولاد فاطمة رضى الله عنها، والكافى لنائب

السلطنة أو وزير كبير، والتونبي لأمير التوامين بالشرق، والمديري للوزير ونحوه من ناظر الخصاص ومن في معناه، والمشيدي لمن يؤخذ رأيه من أكابر أبواب السيوف والأعلام، والسفيري للحاجب والنوادر وكاتب السر، واليمني للنوادر وكاتب السر، والعريقي لذی العراقة في النسب، والأصيلي لمن له ثلاثة آباء في الرئاسة .

وكذلك النعوت كوالد الملوك والسلاطين لمن يكون له أولاد من الملوك، ووَلَدَ الملوك والسلاطين لأولاد الملوك، وعَضُدَ الملوك والسلاطين للأمرء ونحوهم، وكافل الممالك للناثب الكافل، وسفير الدولة ولسان المملكة للنوادر وكاتب السر، ويمن الملوك والسلاطين لها أيضا، ووالدة الملوك والسلاطين لمن يكون من أولادها ملك، وكرمة الملوك والسلاطين لمن يكون من إخوتها سلطان، وقريبة الملوك والسلاطين لمن تكون زوجة ملك، وصديق الملوك والسلاطين، أو مواد الملوك والسلاطين للملوك الكفهر، وقرين الملوك والسلاطين لنوابهم، ونحو ذلك مما يجري هذا الجري : فيوقع كل لقب أو نعت منها في موضعه ولا يجاوزه إلى غيره . وأنت إذا تأملت ما سلف من ترتيب الألقاب والنعوت على الأصول المتقدمة، ظهر لك منها ما تستعين به على ترتيبها وإيقاعها مواقعها .

الأصل الرابع — أن يعرف الألقاب والنعوت الرفيعة المقدار، فيلحقها بما يناسبها من الألقاب الأصول، كإلحاق العاليي والعادلي ومهد الدول وشديد الممالك وما شاكل ذلك بالمرتز والجناب الكريم ونحو ذلك . ويعرف الألقاب النازلة، فيخرج منها ما يجزئه عن الإياه ويلحقه بالسامي بغير الإياه فما دونه كالمعضد والأشروما أشبه ذلك .

الأصل الخامس — أن يعرف مراتب الألقاب في التقديم والتأخير، مثل أن يعلم أن الشريف والكريم يليان المرتز والجناب، والعالي يليهما؛ ثم العالي يلي المرتز

والجَنَاب والمَجْلَس ، والسَّيِّ على المَجْلَس حيث لا يليه العَالِي . وأن النعتَ المضاف إلى أمير المؤمنين مثل عَصْدُ أمير المؤمنين ، وسَيْفُ أمير المؤمنين ، وحُسَامُ أمير المؤمنين ، يكون آخر النعوت . وأن المضاف إلى الملوك والسلطين مثل عَصْدُ الملوك والسلطين ، وظَهيرُ الملوك والسلطين ، يكون قبله المضاف إلى أمير المؤمنين إن كان في رتبة يثبت فيها ما يُضاف إلى أمير المؤمنين ، وإلا يكون المضاف إلى الملوك والسلطين هو آخر الألقاب . وأن يعلم أن لقب التعريف : وهو الثَّلَاثِيُّ أو فُلَانُ الدين يكون واسطة بين الألقاب والنعوت ، فاصلاً بينهما . وأن لقب الوظيفة كالكَافِي والحَاكِمِي وما أشبههما يكون قبل لقب التعريف غالباً على ما تقدم بيّنه ؛ فيضع هذه الألقاب في مواضعها ولا يخرجها عنها ، بخلاف ما يجوز فيه التقديم والتأخير من الألقاب والنعوت .

الجملة العاشرة

(في ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت في عُرف
الكتاب . وهي على ضربين)

الضرب الأول

(فيما يجري من ذلك مجرى التفاضل ، ويختلف باختلاف الأحوال
والوقائع ، ويتنوع إلى أنواع)

النوع الأول

(ما يوصف بالنصر ، كالجُيُوش والعساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك)

فيقال في الجيوش والعساكر : «الجُيُوش المنصورة» ، والعساكر المنصورة» ويقال في القلاع المنصورة «وقلعة دمشق المنصورة وقلعة حلب المنصورة» ونحو ذلك ،

وكذلك يقال « القلاع المنصورة » على الجمع تفاؤلا بحصول النصر لها ؛ ويقال في البريد : « البريد المنصور » على ما أصرّح عليه كتاب الزمان . على أن في وصف البريد بالمنصور نظرا : لأنه إنما وُضع ليوصل الأخبار ونحو ذلك ، وكان الأحسن أن يوصف بالسعيد ونحوه اللهم إلا أن يُراد أنه ربما وصل به خبر النصر على العدو ، وهو من أهم المهمات ، وكأنه وُصف بأشرف متعلقاته .

النوع الثاني

(ما يوصف بالحراسة ، كالمئذنة والثغور)

فيقال في المئذنة « مئذنة المحروسة » و « القاهرة المحروسة » و « دمشق المحروسة » و « حلب المحروسة » ونحو ذلك . ويقال في الثغور « الثغر المحروس » و « ثغور الإسكندرية المحروس » و « ثغر رشيد المحروس » و « ثغر دمياط المحروس » و « ثغر أسوان المحروس » ونحو ذلك تفاؤلا بوقوع الحراسة عليها . على أنه لو وُصفت القلاع أيضا بالحراسة فقل « القلعة المحروسة » و « القلاع المحروسة » ونحو ذلك لكان له وجه ظاهر . وبكل حال فكل ما كان محل خوف مما ينبغي حراسته والاحتفاظ به ، حسن وصفه بالحراسة . وقد رأيت من يذكر ضابطا لتلك في البلاد : وهو أن كل مدينة مسورة يُقال فيها محروسة وإلا فلا ، وهو بعيد ، والظاهر ما قدمنا ذكره .

النوع الثالث

(ما يُوصف بالعبادة ، كالنواوين)

وهى المواضع التى يميلُ فيها الكُتّابُ على ما تهتمُّ بيانهُ فى مقدِّمة الكتاب وغير ذلك . فيقال : « النّويان المعمور » و « النّواوين المعمورة » فثاؤلا بأنها لا تزال معمورة بالكتّاب ، أو بدوام عِزِّ صاحبها وبقاء دولته .

النوع الرابع

(ما يُوصف بالسَّعادة ، كالنواوين أيضا)

فيقال : « النّويان السعيد » و « النّواوين السعيدة » فثاؤلا بدوام سعادتها بدوام سعادة صاحبها .

النوع الخامس

(ما يُوصف بالتقبُّول)

كالضحايا المقبولة فثاؤلا بأن الله تعالى يتقبَّلها ، وهو فى الحقيقة بمعنى الدماء ، كأنه يقال تقبَّلها الله تعالى .

النوع السادس

(ما يُوصف بالرِّى ، كالصدقة والأحباس)

فيقال فى الأحباس : « الأحباس المبرورة » وفى الصدقة « الصدقة المبرورة » فثاؤلا بأنها تكون جاريةً مجرى الرِّى الذى يلحقُ به الثواب . وكتّاب الجيش ونحوهم يستعملون ذلك فى وصف الرِّزقة أيضا : وهى القطعة من الأرض تُرصد لمصالح المسجد أو الرِّباط أو الشخص المعين . فيقولون : « الرِّزقة المبرورة » لجرّائها مجرى الصدقة .

النوع السابع

(ما يوصف بالخلدان ، كالعَدُو ونحوه)

فيقال : « العَدُوُّ المَخْدُول » على الإجمال و « فلانُ المَخْدُول » بالتصريح باسمه
 « وأهل الكُفْرِ المَخْدُولون » ونحو ذلك تفأؤلا بأنَّ الله تعالى يُوقع بالعَدُوَّ الخِلْدانَ
 ويرمي به .

الضرب الثاني

(ما يحسرى من ذلك تجسرى التشريف ، ويختلف أيضا

باختلاف الأحوال ، ويتنوع أنواعا)

النوع الأول

(ما يُوصَفُ بالعِزِّ ، كالكَتَابِ بمعنى القِرْدانِ)

فيقال فيه : « الكِتَابُ العَزِيزُ » ومن ثمَّ يقولون في قارئ القِرْدانِ : « من حَمَلَهُ
 كِتَابَ الله العَزِيزِ » وربما وُصِفَ بذلك الدِّيوانُ أيضا ، كما يقال في ديوان الخلافة :
 « الدِّيوانُ العَزِيزُ » على ما تقدّم ذكره في الكلام على الألقاب .

النوع الثاني

(ما يُوصَفُ بالشريف ، كالمُصَحَّفِ والعِلْمِ)

فيقال في المُصَحَّفِ : « المصحفُ الشريف » وفي العلم « العِلْمُ الشريفُ » ولذلك
 يقولون « فلانٌ من طَلَبَةِ العِلْمِ الشريفِ » ونحو ذلك ، وكلنا في الأماكن الرفيعة ،

مكة والمدينة النبوية والقدس . فيقال : « مكة المشرفة » و « المدينة الشريفة » و « القدس الشريف » والحرم الشريف تارة لحرم مكة وتارة لحرم المدينة . فإذا جمعا قيل : « الحرمين الشريفان » وربما أطلق في عرف الكُتّاب الحرمين على القدس الشريف ومقام الخليل عليه السلام ، وهو مراد المقرّ الشهابي بن فضل الله في كتابه « التعريف » في قسم الوصايا بناظر الحرمين الشريفين دون حرم مكة والمدينة المشرفتين . وقد اصطلاح كُتّاب الزمان على أن وصفوا أكثر ما يُضاف إلى السلطان بالشریف ، فيقولون فيما يصدر عن السلطان من عهد وتقليد وتوقيع ومرسوم ومثال وتذكّرة : « عهد شريف » و « تقليد شريف » و « توقيع شريف » و « مرسوم شريف » و « مثال شريف » و « تذكّرة شريفة » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ما يوصف بالكریم ، كالقرآن)

فيقال : « القرآن الكريم » والأصل فيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ وقد اصطلاح كُتّاب الزمان على أن جعلوه دون الشريف في الوصف ، فوصفوا به ما يصدر عن دون السلطان من أكابر الدولة من الثواب والامراء والوزراء : من توقيع ومرسوم ومثال وتذكّرة ونحو ذلك . فيقولون : « توقيع كريم » و « مرسوم كريم » و « مثال كريم » و « تذكّرة كريمة » . وقد توصف به المكاتبة أيضا فيقال : « إن مكاتبة الكريمة وردت » ونحو ذلك ، وقد ورد في التبريل : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ على أنه قد تقدم أنه كان ينبغي أن يكون أرفع رتبة من الشريف لورود التبريل بوصف القرآن به .

النوع الرابع

(ما يُوصَفُ بِالْمُلُوْءِ، وهو في معنى الكرم في اصطلاحهم)

فيقال : « توفِّعُ حَالٍ » و « مرسومٌ حَالٍ » ونحو ذلك ، وقد يُوصَفُ به الرَّأْيُ .
فيقال : « الرَّأْيُ الْعَالِي » وقد يُوصَفُ به أَمْرُ السُّلْطَانِ أَيْضًا مِنْ ذِي الرُّتْبَةِ الرَّفِيعَةِ ،
مثل كِتَابَةِ الْوَزِيرِ عَلَى الْمَرَاسِمِ الشَّرِيفَةِ ونحوها « أَمْتَلُ الْأَمْرَ الْعَالِي » .

النوع الخامس

(ما يُوصَفُ بِالسَّعَادَةِ)

كـ « الرَّأْيُ السَّعِيدُ » و « الْأَرَاءُ السَّعِيدَةُ » وربما وصَفُ بِذلِكَ الدِّيَوَانُ فَقِيلَ
« الدِّيَوَانُ السَّعِيدُ » ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُوصَفُ بِالْبَرَكَةِ ، كَالْكَتَبِ)

فيقال : « كَتَبٌ مُبَارَكٌ » وقد يُوصَفُ به الْمُنْتَرِلُ فيقال : « مَنَزِلٌ مُبَارَكٌ »
وقد يُوصَفُ به الْأَمْرُ لِمَنْ كُوِّنَ الْعَالِي ، فيقال : « يَتَقَدَّمُ أَمْرُهُ الْمُبَارَكُ » وكذلك
الْمَكْتَابَةُ ، فيقال : « إِنَّ مَكَاتِبَتَهُ الْمُبَارَكَةَ وَرَدَّتْ » ونحو ذلك .

الباب الثانى

من المقالة الثالثة

(فى مقادير قطع الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من الأقسام ،
ومقادير البياض فى أول الترتج وحاشيته ، وبعد ماين السطور
فى الكتابات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(فى مقادير قطع الورق ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فى مقادير قطع الورق فى الزمن القديم)

قد ذكر محمد بن عمر المدائنى فى كتاب "القلم والمواء" أن الخلفاء لم تزل تستعمل
القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبى سفيان . وذلك أنه يكتب
الخلفاء فى قراطيس من ثلث طومار ، وإلى الأمراء من نصف طومار ، وإلى العمال
والكتاب من ثلث ، وإلى التجار وأشباههم من ربع ، وإلى الحساب والمساح من
سدس . فهذه مقادير قطع الورق فى القديم : وهى الثنتان والنصف والثلث والربع
والسدس ، ومنها استخرجت المقادير الآتى ذكرها . ثم المراد بالطومار الورقة
الكاملة ، وهى المعبر عنها فى زماننا بالقرعة ، والظاهر أنه أراد القطع البنددى
لأنه الذى يحتمل هذه المقادير ، بخلاف الشامى ، لاسيما وبنداد إذ ذاك دار الخلاف ،
فلا يحسن أن يقدّر بنير ورقها مع آشماله على كمال الحاسن . وقد هتمت فى الكلام
على آلات الكتابة فى المقالة الأولى بيان الخلاف فى أول من صنع الورق .

الطرف الثاني

(في بيان مقادير قَطْع الورق المستعمل في زماننا، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية، وهي تسعة مقادير)

المقدار الأول — قَطْع البَنَدَائِي الكَامِل . وَعَرَضُ دَرَجِه عَرَضُ البَنَدَائِي بِكَلَّه : وهو ذراعٌ واحد بذراع القَمَاشِ المِصْرِيِّ ؛ وطولُ كُلِّ وَصَلٍ مِنَ الدَّرَجِ المذكور ذراعٌ ونصفُ الذراع المذكور . وفيه كان تُكْتَبُ عُهُودُ الخلفاء وَيَعَاتُهُمْ . وفيه تُكْتَبُ الآنَ عُهُودُ أَكْبَرِ المُلُوكِ ، والمَكْتَابَاتُ إِلَى الطَّبَقَةِ العُلْيَا مِنَ المُلُوكِ ، كأَكْبَرِ القَانَتِ مِنَ مُلُوكِ الشَّرْقِ .

المقدار الثاني — قَطْعُ البَنَدَائِي الناقص . وَعَرَضُ دَرَجِه دُونَ عَرَضِ البَنَدَائِي الكَامِلِ بِأَرْبَعَةِ أَصَابِعٍ مَطْبُوقَةٍ . وفيه يُكْتَبُ للطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ المُلُوكِ ، وَرَبْمَا تُكْتَبُ فِيهِ [لِلطَّبَقَةِ العُلْيَا] لِإِعْوَازِ البَنَدَائِي الكَامِلِ .

المقدار الثالث — قَطْعُ الثَّلَثِينَ مِنَ الورقِ المِصْرِيِّ . والمراد به ثُلُثُ الطُّومَارِ مِنْ كَامِلِ المَنْصُورِيِّ ، وَعَرَضُ دَرَجِه ثُلُثُ ذِرَاعِ ذِرَاعِ القَمَاشِ المِصْرِيِّ أَيْضًا . وفيه تُكْتَبُ مَنَاشِيرُ الأَمْرَاءِ الْمُقْسَمِينَ ، وَتَقَالِيدُ الثَّوَابِ الكِبَارِ وَالْوُزَرَاءِ وَأَكْبَرِ القُضَاةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . ولمْ يَجْرِ العَادَةُ بِكَاتِبَةِ مَكَاتِبَةٍ عَنِ الأبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ فِيهِ .

المقدار الرابع — قَطْعُ النصف . والمراد به قَطْعُ النصف من الطُّومار المنصوري؛ وعَرَضُ دَرَجِه نصف ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكْتَبُ مناشيرُ الامراءِ الطُّبْلَغاناه ، ومراسيمُ الطبقة الثانية من الثَّواب ، والمكاتبُ إلى الطبقة الثانية من الملوك .

المقدار الخامس — قطع الثلث . والمراد به ثلثُ القَطْع المنصوري؛ وعَرَضُ دَرَجِه ثُلُثُ ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكْتَبُ مناشيرُ أمراءِ العشرات ، ومراسيمُ صفار الثَّواب ، والمكاتبُ إلى الطبقة الرابعة من الملوك .

المقدار السادس — القَطْع المعروف بالمنصوري . وعَرَضُه تَقْدِيرُ رُبع ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكْتَبُ مناشيرُ الممالك السلطانية ومَقَدِّمِي الحَلَقَة ، ومناشيرُ عشرات الثُرَكان وبعض الممالك الشامية ، وبعضُ التواقيع وما في معنى ذلك .

المقدار السابع — القَطْع الصغير ، ويقال فيه قَطْعُ المادة . وعَرَضُ دَرَجِه تَقْدِيرُ سُدُسِ ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكْتَبُ عامةُ المكاتب لأهل المملكة وحُكَّامها ، وبعضُ التواقيع والمراسيم الصَّغار ، والمكاتبُ إلى حُكَّام البلاد بالممالك ، وما يجزئ هذا القَبْرُ . وقد كان هذا القَطْع والذي قبله في أوَّلِ الدَّوْلَة التركية طَوَّلُ كُلِّ وَصْلٍ منه شبران وأربعة أصابع مطبوعةً فما حَوَّلَ ذلك .

المقدار الثامن — قَطْعُ الشامي الكامل . وعَرَضُ دَرَجِه عَرَضُ الطُّومار الشامي في طَوِّله ؛ وهو قليلُ الاستعمال بالديوان ، إلا أنه ربما كُتِبَ فيه بعضُ المكاتب ، كما كتب فيه عن الأشرف شعبان بن حُسين لوالده حين سافرت إلى الحجاز الشريف .

المقدار التاسع — القطع الصغير . وهو في عرض ثلاثة أصابع مطبوعة من الورق المعروف بورق الطير ، وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية . وفيه يُكتب ملطّفات الكتب وبطائق الحمام .

المجلة الثانية

(في مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء بالملك الشامية :
دمشق ، حلب ، وطرابلس ، حماة ، صفد ، والكرك .
في المكتبات والولايات الصادرة عن الثواب بالملك ،
وهي لا تخرج عن أربعة مقادير)

المقدار الأول — قطع الشامي الكامل : وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي الكامل في طوله على ما يقتضيه فيه . وفيه يُكتب عن الثواب لأعلى الطبقات من أرباب التواقيع والمراسيم ليس إلا .

المقدار الثاني — قطع نصف الحموي . وعرض درجه عرض نصف الطومار الحموي ، وطوله بطول الطومار . وفيه يُكتب للطبقة الثانية من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن الثواب .

المقدار الثالث — قطع العادة من الشامي . وعرض درجه سدس ذراع بذراع القماش المصري في طول الطومار أو دونه . وفيه يُكتب للطبقة الثالثة من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن الثواب وعامة المكتبات الصادرة

عن الثَّوَابِ إِلَى السُّلْطَانِ فَتَنْ دُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَغَيْرِهِمْ ، إِلَّا أَنْ نَائِبَ الشَّامِ وَنَائِبَ الْكُرْكِ قَدْ جَرَتْ عَادَتُهُمَا بِصُورِ الْمَكْتَابَاتِ عَنْهُمَا فِي الْوَرَقِ الْأَحْمَرِ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنَ الثَّوَابِ .

المقدار الرابع — قَطَعَ وَرَقَ الطَّيْرِ الْمُقَدَّمُ ذَكَرَهُ فِي آخِرِ الْمَقَادِيرِ الْمُسْتَعْمَلَةِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ . وَفِيهِ تُكْتَبُ الْمُلَظَفَاتُ وَالْبَطَائِقُ عَلَى مَا تَحْتَمُّ .

قلت : هذه مقادير قَطَعَ الْوَرَقَ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ . أَمَّا غَيْرُ مَمْلَكَةِ الْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ مِنَ الْمَمَالِكِ ، فَالْحَالُ فِيهَا يَخْتَلِفُ فِي مَقَادِيرِ الْوَرَقِ الْمُسْتَعْمَلِ بِدَوَائِنِهَا . فَأَمَّا بِلَادُ الْمَشْرِقِ فَهِيَ نَحْوُ الْمَقَادِيرِ الْمُتَقَدِّمَةِ . وَأَمَّا بِلَادُ الْمَغْرِبِ وَالسُّودَانِ وَبِلَادُ الْقَرْنَجِ ، فَعَادَةُ كِتَابَتِهِمْ فِي طُومَارٍ وَاحِدٍ ، يَزِيدُ طَوْلُهُ عَلَى عَرْضِهِ قَلِيلًا ، مَا يَنْصِفُ صَغِيرًا وَكَبِيرًا بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ حَالُ الْمَكْتُوبِ .

الجملة الثالثة

(فِي مَقَادِيرِ قَطَعَ الْوَرَقِ الَّذِي تَجْرَى فِيهِ مَكْتَابَاتُ أَعْيَانِ النُّوَلَةِ)

مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ

(وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ)

وَهُوَ قَطَعَ الْعَادَةِ مِنَ الْبِلَدِيِّ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَمِنَ الشَّامِ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الثالثة

(فى بيان ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
من الأعلام ، ومقادير البيضاء الواقع فى أعلى الدرج وحاشيته ،
وبعد ما بين السطور فى الكتابة . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما يناسب كل مقدار منها من قطع الورق من الأعلام)

قد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله فى كتابه " التعريف " فى آخر القسم الثانى
ما يناسب كل مقدار من مقادير الورق المستعملة بديوان الإنشاء بالديار المصرية
من أعلام الخط المنسوب فقال : إن يقطع البندادى قلم مختصر الطومار ، ولقطع
الثنتين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم
التوقيعات ، ولقطع العادة قلم الرقاع . ومن ذلك يعلم ما يناسب كل قطع من مقادير
القطع المستعملة بدواوين الإنشاء بالممالك الشامية . فيناسب الشامى الكامل قلم
التوقيعات : لأنه فى مقدار قطع الثلث البلدى أو قريب منه ؛ ويناسب نصف
الحوى والعادة من الشامى قلم الرقاع ، لأنهما فى معنى القطع المنصورى والعادة
بالديار المصرية . أما قلم الجناح لكتابة بطائق الحمام به . وأما ما كان يكتب به الخلفاء

(١) عبارة الضوء المؤلف ج ١ ص ٤١٥ ٤١٦ " ويناسب قطع الحوى والعادة من الشامى قلم الرقاع

لأنهما فى معنى العادة ، ويناسب ورق الطير الذى يكتب فيه البطائق والمطلقات قلم الفبارى وذلك يسبه بعض
الكتاب قلم الجناح الخ " وهى واضحة .

أسماع في الزمن القديم وبه يكتب الملوك أسماعهم الآن ، قلم الطومار : وهو القلم
الجليل الذي لا قلم فوقه . وقد تهم الكلام على هذه الأقلام في بيان ما يحتاج إليه
الكتاب في أواخر المقالة الأولى .

الطرف الثاني

(في مقادير البياض الواقع في أول الدرج ، وحاشيته
وبعد ما بين السطور في الكتابة)

أما مقدار البياض قبل البسملة ، فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق ،
فكلما عظم قطع الورق ، كان البياض فيه أكثر : فقطع البغدادي يترك فيه ستة أوصال
بياضا ، وتكتب البسملة في أول السابج ، وقطع الثلاثين يترك فيه خمسة أوصال ؛
وقطع النصف يترك فيه أربعة أوصال ؛ وقطع الثلث يترك فيه ثلاثة أوصال ؛ وقطع
المنصوري والعادة تارة يترك فيه ثلاثة أوصال ، وتارة يترك فيه وصلان ، بحسب
ما تقتضيه الحال . وقطع الشامي الكامل في معنى قطع الثلث ؛ وقطع نصف الحموي
والعادة من الشامي في معنى القطع المنصوري والعادة في البلدي . وربما اجتهد
الكتاب في زيادة بعض الأوصال وتقصاتها بحسب ما تقتضيه الحال . وفي المكتبات
الصادرة عن سائر أبواب الدولة مصرا وشاما يترك في جميعها قبل البسملة وصل
واحد فقط . وفي كتابة الأدنى إلى الأعلى يترك بعض وصل .



وأما حاشية الكتاب ، فيحسب اجتهد الكتاب فيه في السعة والضيق . وقد رأيت
بعض الكتب المعتبرين يقتدر حاشية الكتاب بالرُّبع من عرض الدرج ، وهو اعتبار
حسن لا يكاد يخرج عن القانون .



وأما بُعد ما بين السطور ، فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق : ففي السلطانيات كلها على اختلاف قطع الورق فيها تكتبُ البسملة في أول الفصل بعد ما يُترك من أوصال البياض في أعلى الدَّرج بحسب ما تقتضيه الحال ؛ ثم يُكتب تحت البسملة سطرٌ ملاصقٌ لها بحسب ما يقتضيه وضع القلم المكتوب به في القُرب والبُعد ، بحسب الدقة والغلط ؛ ثم يُكتب السطر الثاني في آخر الوصل الذي كُتبت البسملة في أوله ، بحيث يبقى من الوصل ثلاثة أصابع مطبوعة أو نحوها في القطع الكبير ، وقدرُ إصبعين في القطع الصغير ، وما بينهما بحسبه .

وقد قدر صاحبُ «موادِّ البيان» البياضَ الباقي بين السطر الأول والثاني أيضا . وهذا إنما يُقارب في القطع الكبير . وقد ذكر ابن شِيت في «معالم الكتابة» . - وكلف في آخر الدولة الأيوبية فيما أُظنَّ - أن مقدار ما بين كلِّ سطرين يكون ثلاثة أصابع أو أربعة أصابع . والذي جرت به عادةُ الكُتَّاب في زماننا أنه يكون في قطع العادة والمنصوري في كلِّ وصل من أوصال الزمان ثلاثة أسطر ، وفي عداه سطران . وربما وقع التفاوت في القطع الصغير بحسب الحال حتى يكون في الواقع التي على ظهور القصص ونحوها بين كلِّ سطرين بعد بيت العلامة قدرُ إصبعين ؛ وربما توصلت الأسطرُ كما في الملطقات ونحوها .

أما ما يُكتب عن الثواب من الولايات والمكاتبات من سائر أعيان الدولة ، فدُونَ السلطانيات في مقدار سَلْو موضع العلامة ، وهو ما بين قدر خمس أصابع مطبوعة ونحوها ، وقدرُ [بُعد] السطور فيما بعد بيت العلامة من قدرِ إصبعين إلى مادونهما .

(١) عبارة الفزو. قلا عن مواد البيان "بين السطر الأول والثاني بقدر شهر" .

(٢) لعله من أوصاله أى العادة أرا المنصوري . انظر الفزو ص ١٧ .

الباب الثالث

من المقالة الثانية

(في بيان المستندات ، وكاتبه المخصصات ، وكيفية التعيين . وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في بيان المستندات : وهي التوقيع على القصص وما يجري مجراه ،

وما يحتاج فيه إلى كتابة المستندات ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(السلطانيات ، وهي صفات)

الصنف الأول

(ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء : كولايات الثواب والقضاة وغيرها

من أرباب الوظائف ، والتواقيع التي تكتب في المسامحات

والإطلاقات ، ومكاتبات البريد الخاصة بالأشغال السلطانية ،

وأوراق الطريق وما يجري مجرى ذلك)

وجميعها معدودة بنظر صاحب ديوان الإنشاء . فإكان منها جليل الخطر

كولايات الثواب والقضاة وأكابر أرباب الوظائف والمكاتب المتعلقة بمهمات

السلطنة ، فلا بد من مخاطبة صاحب ديوان الإنشاء فيها واعتداد ما يبرز به أمره .

وما كان منها حقيراً بالنسبة إلى مخاطبة السلطان فيه استقل فيه بما يقتضيه رأيه .

ثم من ذلك ما يكتب به صاحب الديوان رقاعاً لطيفة بخطه ويعينها على الكاتب

الذي يكتبها وتُدفع إليه لتُخلد عنده شاهداً له ، كالولايات والمسامحات والإطلاقات

والمكتّبات المتعلّقة بأمر الملكة ونحو ذلك . ومن ذلك ما يميّز به أمر صاحب الديوان مشافهة فيكتبه من غير شاهد عنده ، وذلك في الأمور التي لا تدرك فيها على الكاتب ، كتقاليد الثواب وبعض المكتّبات ، إذ لا تُهمّة تلحق كاتب الإنشاء في مثل ولاية نائب كبير أو فاضل حفيظ : لأن مثل ذلك لا يخفى على السلطان ، فأشبهه خطاب صاحب الديوان فيها الكاتب خطاب السلطان صاحب الديوان حيث لا شاهد عليه إلا الله تعالى ، بخلاف الأمور التي يُلحق كاتبها الدرك ، فإنه لا بُد في كتابتها من تخليد شاهد . وكان الواجب أن لا يكتب حفيظ ولا جليل إلا بشاهد من صاحب الديوان ، فإن الأمور تراكم وتكثر ، والإنسان معرض للنسيان ، وربما عرض إنكار بسبب ما يكتبه الكاتب ونسيه صاحب الديوان فيكون الكاتب قد عرض نفسه لأمر عظيم . ولا يُقاس الكاتب على صاحب الديوان في عدم أخذه شاهداً بخط السلطان ، فإن صاحب الديوان هو المتصرف حقيقة ، والسلطان وكلّ جميع أمور الملكة إليه ، فلا يُتهم في شيء منها ، بخلاف الكاتب .

وقد ذكر أبو الفضل الصوري في "تذكرة" أن المكتوب من الديوان إن كان مكتوبة فالواجب أن يكون عنوانها بخط متولى الديوان ، وإن كان منشوراً فالواجب أن يكون التاريخ بخطه ليُدل على أنه وقف على المكتوب وأمضى حكمه ورضيه ، ويكون ذلك قد قام مقام كتابة اسمه فيه . ثم قال : وقد كان الرسم بالعراق - وفيه الكتاب الأفاضل - أن يكتب الكتاب ما يكتبون ثم يقولون في آخره : « وكتب فلان بن فلان » باسم متولى ديوان الرسائل . وما ذكره عن أهل العراق قد ذكر نحوه أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" إلا أنه قد جعل بدل اسم متولى الديوان اسم الوزير [فقال] ويكتب في آخر الكتاب « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه . وقد رأيت نسخاً عدّة من سجلات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية

مستشهداً فيها باسم الوزير على التهج المذكور . على أنه كان الواجب أن يكون
الاستشهاد في آخر كل كتاب باسم كاتبه الذى يكتبه ليُعلم من كتبه ، فإن الخطوط
كثيرة التشابه ، لاسيما وقد كثر كُتاب الإنشاء في زماننا وخرجوا عن الحد ، حتى إنه
لم يعرف بعضهم بعضاً فضلاً عن أن يعرف خطه . وقد كان كُتاب النبي صلى الله
عليه وسلم إذا سجلوا عنه سجلاً أو نحوه كتب الكاتب في آخره «وكتب فلان
ابن فلان» . وهذه الرقعة التى كتبها النبي صلى الله عليه وسلم تميم الدارى بإقطاع
قرى من قرى الشام موجودة بأيدي التميميين إلى الآن مستشهداً فيها بخط أمير المؤمنين
على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وإنما عدلوا عن اسم الكاتب نفسه إلى اسم
متولى الديوان أو الوزير استصغاراً للكاتب أن يستشهد للكاتب باسمه فيما يكتب به
عن الخليفة . قال أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» : « وقد قالوا إن أول
من كتب في آخر الكتاب «وكتب فلان بن فلان» أبى بن كعب رضى الله عنه .

الصنف الثانى

(ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء : كالأمر الذى يكتب بها من
الدواوين السلطانية غير ديوان الإنشاء وتسمى الكتب من
ديوان الإنشاء على مقتضاها ، كالمكتبات الخاصة بتعلقات
شئ من الدواوين المذكورة ، وبعض التواقيع
التي أصلها من ديوان الوزارة)
ويُخصر ذلك في أربعة دواوين :

الديوان الأول - ديوان الوزارة : وهو أعظمها خطراً ، وأجلها قدراً .

وقد جرت العادة أنه إذا دعت الضرورة إلى كتابة كتاب من ديوان الإنشاء يتعلق بديوان الوزارة أن تكتب به قائمة من ديوان الوزارة في ورقة ديوانية بما مثاله : « ريم بالأمر الشريف - شرفه الله تعالى وعظمه - أن يكتب مثال شريف إلى فلان الفلاني بكذا وكذا » . وكيفية وضع هذه القائمة أن يكون السطر الأول في رأس الورقة من الوجه الأول منها ، وآخره « شرفه الله تعالى وعظمه » وبينه وبين السطر الثاني قدر أصبعين معترضين بياضا ، وباقي السطور مسترسلة متقاربة بقلم الرقاع ؛ ويكتب الوزير في البياض الذي بين السطر الأول والثاني بقلم الثلث مائثاله : « يكتب » . ويوجه القائمة إلى ديوان الإنشاء صحة مدير من ديوان الوزارة أو غيره ، فيكتب على حاشيتها يكتب بذلك ، ويعينها على بعض كتاب الإنشاء فيكتب مثالا بما فيها ، ويخلد القائمة عنده شاهدا له ؛ وربما خللت بديوان الإنشاء في جملة ما يخلد في الأضابير شاهدا لديوان الإنشاء ، والأول هو الأليق .

وإن كان الذي يكتب من ديوان الوزارة توقيعا باطلاق أو نحوه مما أصله من ديوان الوزارة ، كتب الوزير على حاشية قصة صاحبه مائثاله « يكتب بذلك ، أو يوقع بذلك » وتبعث إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب ديوان الإنشاء بالتعيين . ثم إن كان التوقيع ملصقا بقصة فذاك ، وإلا خلد الكاتب القصة شاهدا عنده على ذلك ؛ وربما كتب بالإطلاقات من ديوان الوزارة مرسات بخط مستوفي الصحبة .

الديوان الثاني - ديوان الخصاص :

وهو في كتابة الأمثلة الشريفة على مامر من كتابة القائمة ليخرج المثال على نظيرها ، على ما يتم في ديوان الوزارة . فتكتب القائمة على الحكم المتضمن من غير فرق ،

ويكتب ناظر الخاص عليها نظير كتابة الوزير السابقة ، ويوجه بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها بالتعيين كما تهمم ، ويخلد الكاتب القائمة عنده شاهداً له ، أو يُخلد بديوان الإنشاء على ما تهمم في ديوان الوزارة . ولا يُكتب من ديوان الخاص توقع بطلاقات ونحوها بل تُكتب بها مراسيم مريمة في ورق شامى بخط مباشرى ديوان الخاص .

الديوان الثالث - ديوان الإستنارية :

وحكمه في ذلك حكم ديوان الخاص من غير فرق ، ويكتب الإستنار عليها كما يكتب الوزير وناظر الخاص ، ويبت بها إلى ديوان الإنشاء ، فيجرى الحكم فيها على ما تهمم في الديوانين المذكورين .

الديوان الرابع - ديوان الجيش :

والذى يرد إلى ديوان الإنشاء منه ابتداءً هي المربعات التى تُكتب بالإقطاعات لتخرج المناشير على نظيرها .

وصورتها أن يُكتب في نصف فرجة مكسورة في القَطْع البلدى بعد البسملة الشريفة ماثله «المرسوم بالأمر العالى ، المولى ، السلطان ، الملكى ، الفلانى ، الفلانى ، أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنعمه وصرفه ، أو أعلاه الله تعالى وأسماء ، وشرفه وأفضاه ، أن يُقطع باسم فلان الفلانى - أحد الأمراء المقدمين ، أو الطليخانات ، أو العشرات ، أو الخمسات - بالمكان الفلانى ، أو أحد الممالك السلطانية ، أو مقدمى الحقة ، أو أجناد الحقة ، بالمكان الفلانى المرسوم استقراره في أمراء العشرات ، أو الطليخانات ، أو المقدمين ، أو نحو ذلك - أرسم له به الآن من الإقطاع .»
 فإن كان أميراً قيل بعد ذلك : « لخاصته ولن يستخذه من الأجناد الحياذ للخدمة الشريفة ، والبرك التام ، والعنة الكاملة ، بمقتضى المثال الشريف ، أو انلخط

العالي الكافّي؛ أو بمقتضى الإشهاد المشمول بالخطّ الشريف، أو بالخط الكافّي على نظير ما تقدم « أو . بمقتضى المربعة المكتوبة من الملكة الفلانية المشمولة بالخط الشريف » إن كان أصله مربعة من بعض الممالك وما أشبه ذلك . فإن كان أميراً ذُكرت عدته على ما سيأتى فى الكلام على المناشير فى المقالة الخامسة . ثم يقال : « حسب الأمر الشريف » ويكمل التاريخ « والحمد لله ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » ويُنسب بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب الديوان بالتعيين على بعض كُتاب الإنشاء ، فيكتبها ويخلّد المربعة شاهداً عنده .

الضرب الثانى

(ما يتعلق بالكُتب فى المظالم ، والنظر فيه من وجهين)

الوجه الأول

(فيما يتعلق بالقِصص)

وهى تُرفع إلى ولاة الأمور بحكاية صورة الحال المتعلق بتلك الحاجة ، وتُسمّى قصصاً على سبيل المجاز ، من حيث إن القصة اسم للحكى فى الورقة لالنفس الورقة . وربما سُمّيت فى الزمن القديم رقاعاً لصغر حجمها ، أخذنا من الرقعة فى التوب .

ثم الذى يجب فى هذه القصص الإيجاز والاختصار مع تبليغ الغرض المطلوب والقرب من فهم المخاطب ، فإنها متى كانت خارجة عن الحد فى الطول ، أدت إلى الإحجار والبأمة المتفرّين للرؤساء . وربما كان فى ذلك حرمان الطالب ودفعه عن حاجته : إما للإعراض عنها استقلاً ، وإما لعدم فهم المقصود منها لطولها واختلاط بعض مقاصدها ببعض . وأما كونها مبلغة للغرض المطلوب وفهم المخاطب ،

فلانها إذا كانت بصدد الاختصار المُنْجِصِ والتعقيد، نبأ عنها ففهم الرئيس ومجها سمعه :
فإما أن يُعْرِضَ عنها فيَقُوتَ على صاحبها المطلوب، وإما أن يسأل غيره عن معناها
فيكون سبباً لتفكره عن عزِّ الرئاسة إلى ذلِّ السؤال، وكلاهما غير مستحسن .

وقد جرت العادة في مثل ذلك أن يخجل من أول الورقة قليلا ، ويجعل لها هامش
بحسب عَرْضها ، ويبدأ فيها بالبسملة ثم يكتب تحت أول البسملة : « المملوكُ
فلان يُقبلُ الأرض ، ويُنهي كذا وكذا » إلى آخر إنشائه : ثم يقال : « وسؤاله كذا
وكذا » فإن كان السؤال للسلطان قال : « وسؤاله من الصلقات الشرفة كذا وكذا »
وإن كان السؤال لغير السلطان قال : « وسؤاله من الصدقات العميمة كذا وكذا » .
ثم إن كان المسؤل كتابا : فإن كان عن السلطان قال : وسؤاله مثال شريف بكنا
وكذا ، وإن كان عن غير السلطان قال : « مثال كريم بكنا وكذا » ثم يقول إن شاء
الله تعالى ، ويحمد الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويحسب . وربما
كتب « المملوك فلان » بحاشية القصة ، خارجا عن ستم البسملة . وربما أُنيل
لفظ المملوك بلفظ الفقير إلى الله تعالى . ويقال حينئذ بدل « يُقبل الأرض »
« ينهل إلى الله تعالى بالأدعية الصالحة » أو « يواصل بالأدعية الصالحة »
ونحو ذلك .

وقد جرت العادة في كتابة القصص أن صاحبها إن كان أديبا ونحوه كتب تحت
البسملة « المَلِكِيّ الفلاني » بقب سلطانه ، غلّا بياضا من جانبيها . على أنه قد
تصدى لكتابة القصص من لا يفرق بين حسنّها وقبحها ، ولا ينظر في دلالتها ،
ولا يراعي مدلولها . وذلك كسنة الزمان في أكثر أحواله .

قلت : وقد جرت عادة أكثر الناس في القصص أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة القصة قطع قليلا من زاويتها اليمنى من الجهة السفلى ، مستندين في ذلك إلى كراهة الترتيب .

(١١)

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن بعض الوزراء قال يوما يجلس وأنا وليت الوزارة أربع ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعائة - فقال له بعض جلسائه : إن خدعتك أنت به فقد تطيرنا نحن به . ولا شك أن مستندهم في ذلك التشاؤم بالترتيب في القرآن النجومى ، ولا يقول عليه . وقد ورد أن حوض النبى صلى الله عليه وسلم في القيامة زواياه على الترتيب ، ولولا أن الترتيب أحسن الأشكال لما وُضع عليه حوض النبى صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثانى

(فيما يتعلق بالنظر في المظالم ، وما يكتب على القصص ،

وما ينشأ عنها من المساءلات وغيرها)

وهو أمر مهم ، به يقع انصاف المظلوم من الظالم ، وخلاص الحق من المبتطل ، ونصرة الضعيف على القوى ، وإقامة قوانين العدل في المملكة . وقد نبه أبو الفضل الصورى في "تذكرته" على جلالة هذا القدر وخطره ، ثم قال : ومن المعلوم أن أكثر المتظلمين يصهلون من أطراف المملكة ونواحيها ، وفيهم الحرم والمقطعات

والإيتام والصعاليك ، وكل من يَفِدُ منهم معتقداً أنه يضير إلى من ينصره ويكشف
ظلماته ويُعِدُّه على خصمه . فيجب أن يتلقى كل منهم بالترحاب واللطف ،
ويُنَبِّئَ لهم من يحفظ رِقَاعَهُم وَيَتَجَرَّ التوقيع فيها من غير التماس رِشْوَةٍ ولا فائدة
منهم ، وأن تكون التوقيعات لهم شافية في معانيها ، مستوعبة لكشف ظلماتهم ،
مؤذنة بإنجاح طلباتهم .

قال أبو هلال العسكري : في كتابه "الأوامل" : كان المهديُّ يجلس للظالم
ويُدْخِلُ القِصَصَ إليه ، فارتضى بعض أصحابه بتقديم بعضها ، فاتخذ بيتاً له شُبَّاهُ
حديداً على الطريق تُطْرَحُ فيه القِصَصُ ، وكان يدخله وحده فيأخذ ما يقع بيده من
القِصَصِ أولاً فإزلاً فينظر فيه لئلا يقدِّم بعضها على بعض .

قال : وقدم عليه رجل فظلم فأنصفه فاستخفه الفرج حتى غشي طيه ، فلما أفاق
قال : ما حَسِبْتُ أنى أعيش حتى أرى هذا العدل فلما رأيته داخلني من السرور
ما زال معه عَقْلِي - فقال له المهديُّ : كان الواجب أن تُنصِفَكَ في بلدك ، وكان
قد صَرَفَ في نفقة طريقه عشرين ديناراً فأمر له بخمسين ديناراً وتملأ منه .

قال أبو الفضل الصوري : ومهما كان من الرِّقَاع يحتاج إلى العرض على السلطان ،
عرضه عليه ، وأحسن السَّفَارَةَ والتَّلَطُّفَ فيه ، ووقع بما يؤمُّرُ به ، فقد تمثَّلت
في هذه الرِّقَاعِ الأمورُ المهمةُ التي تنفعُ بها الدولة ، وتستعِزُّ بتأخير النظر فيها ،
ويضهم من طي هذه الرِّقَاعِ من جَوْرِ بعض الوُلاةِ والمُستَخدمين ما يُوجبُ السياسةَ
صَرَفَهُمَ عما وُلَّوه منها . ومهما كان منها مما يَشْكُ السلطان في صحته ، تدب من يرق به
للكشف مع رافعه ، فإن حج قوله أنصف من خصمه ، وإن بان تحله قوبل بما

يُردُّعُ أمثاله عن الكذب والتمرد؛ ويعلم الولاء والمشارفون وسائر المستخدمين أن السلطان متفرغ للنظر في قصص الناس وشكاويهم ، وقد نصب لذلك من يتفرغ له ويطالع به بالمهم منه فيكتب إليهم عن الظلم ، ويحذرون سوء عاقبة فعلهم ، ويقول المتظلمون قولاً واحداً ، وتحسن شحنة الدولة بذلك فيكون لها به الجبال الكبير .

قلت : والذي يُرْفَعُ من القصص في معنى ذلك في زماننا على ستة أنواع .

النوع الأول

منها

(ما يرفع إلى السلطان في آحاد الأيام)

وقد جرت العادة فيه أن يُقرأ على السلطان : فما أمضاه منه كُتِبَ على ظهر القصة ما مثاله « يكتب » ثم يحمل إلى كاتب السر فيعيثها على بعض كتاب الإنشاء ، فيكتب بمقتضاها ويحلها عنده شاهداً له .

النوع الثاني

(ما يرفع لصاحب ديوان الإنشاء)

وقد جرت العادة في ذلك أن رافع القصة والمحتاج إلى الأمثلة الشريفة السلطانية في مهماته ومتعلقاته إن كان من الأعيان والمعتبرين كأحد من الأمراء أو المسالك السلطانية وأكابر أرباب الأقلام ، بعث بقصته لديوان الإنشاء ، فيقف عليها صاحب ديوان الإنشاء ويتأملها وينظر ما تضمنته ، فإن كان مما يحتاج فيه إلى مخاطبة السلطان ومواسمته ، أخذها ليقرأها عليه عند حضوره بين يديه ، ويمثل

ما يأمر به فيها، فيكتب بمقتضاه، سواء طابق سؤال السائل أم لا، ويعينها على كاتب من كتّاب الإنشاء، فيكتب بمقتضاها ويخلّد القصة شاهداً عنده. وهذه المثلثات ورقها من ديوان الإنشاء من المرتب السلطاني. وإن كان رافع القصة من غير المعتبرين كأحد الناس، دفع القصة إلى مدير من مدراء ديوان الإنشاء فيجعل عليها علامة له، ويجمع كل مدير مامعه من القصص، وترفع إلى صاحب ديوان الإنشاء، فما كان منها غير سائق للكتابة عليه قطعه أو رده، وما كان منها سائفاً كتب عليه وعينه. وربما استشكل بعضها فأخوه ليقراه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه فيعتمده. وإذا عينا على كاتب من كتّاب الإنشاء كتب بمقتضاها وخلّد القصة عنده شاهداً.

النوع الثالث

(ما يُرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان للحكم في المواكب)

وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ترتب مجلس السلطان على ما تقدم في ترتيب المملكة أن القصص تُسرق على كاتب السر ومن حضر من كتّاب الدست، فيقرأ كاتب السر منها ما عيّنه له قراءته، ثم يقرأ الذي يليه من كتّاب الدست، ثم الذي يليه إلى آخرهم، ويشير السلطان برأسه أو يده بإمضاء ما شاء منها، فيكتب كاتب السر أو كاتب الدست على تلك القصة بما فيه خلاص قلبه، ثم تُعمل إلى ديوان الإنشاء فيعينها على من يشاء من كتّاب الإنشاء فيكتبها، ويخلّد تلك القصص عنده شاهداً.

النوع الرابع

(ما يُرَفَّعُ مِنْهَا لِلنَّائِبِ الْكَافِلِ ، إِذَا كَانَ ثُمَّ نَائِبٌ)

وقد جرت العادة أن النائب يكونُ عنده كاتبٌ من حُجَّاب الدَّست يجلس بين يديه لقراءة القصص عليه ، وتنفيذ ما يُكْتَبُ عنه . فإذا رُفِّعت القصةُ إلى النائب الكافل قرأها عليه كاتبُ الدَّست وأمتثل أمره فيها ، وأصلح في القصة ما يجب إصلاحه ، وضرب على ما يجب الضرب عليه ، وزاد بين سطوره ما تقتضيه الزيادة ، ثم تُدْفَعُ القصةُ إلى النائب الكافل ، فيكتبُ على حاشيتها في الوسط أخذًا من جهة أسفلها إلى جهة أعلاها بِسَلَمٍ مختصر الطُّومار ماثله «يُكْتَبُ» ثم تحمُلُ بعد ذلك إلى كاتب السرفيعين على بعض كُتَّاب الإنشاء فيكتبها .

النوع الخامس

(ما يُرَفَّعُ مِنَ الْقِصَصِ إِلَى الْأَثَابِكِ ، إِذَا كَانَ فِي الدَّوْلَةِ)

أَثَابِك عَسْكَر : وهو الأمير الكبير)

وغالب ما يكون ذلك إذا كان السلطان طفلًا أو نحو ذلك . وقد جرت العادة أن يكون عند الأثابك كاتبٌ من كُتَّاب الدَّست أيضًا ، فإذا رُفِّعت القصةُ إلى الأثابك : فإن كان الأمرُ فيها واضحًا تخلص حقَّ أو نحوه ، كتب كاتبُ الدَّست على حاشيتها ما تقتضيه الحال في ذلك من غير قراءتها على الأثابك . وإن كان الأمرُ فيها غير واضح كما إذا كان الأمرُ راجعًا إلى مُنازعةٍ خصمين ونحو ذلك ، قرأها على الأثابك وأمتثل أمره فيها ، وكتب عليها ما برز به مرسومه . وفي كلتا الحالتين جرت العادة في زماننا [أنه يعتمد] إلى أشهر حرفٍ في اسم الأثابك فيرثمه في آخر ما يكتبه أو تحتها ، كما كان يُكْتَبُ عن برقوق قبل السلطنة (ق) وعن إيتمش (ش) وعن نوروز (ن) ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُرَفِّعُ مِنْهَا لِلدُّوَادَارِ لَتُعَلِّقَ عِنْدَ الرِّسَالَةِ عَنِ السُّلْطَانِ بِهِ)

وأعلم أن العادة كانت جارية في الزمن المتقدم أن السلطان إذا أمر بكتابة شيء على لسان أحد من الدُّوَادَارِيَّةِ ، حمل بريدُ من البريدِ الرسالةَ لذلك عن ذلك الدُّوَادَارِ إلى كاتب السرِّ فيسمعُ كلامَ البريدِ ويكتبُ على القصَّةِ إن كانت أو ورقة مفردة ماثله : « حضرت رسالة على لسان فلان البريدِ بكنا وكذا » ويعينه على من يكتبه من كُتَّابِ الإنشاء . ولم يزل الأمر على ذلك إلى الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » فأفرد المقرَّ الشَّهابيُّ بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء كاتبًا من كُتَّابِ الإنشاء لتعليق الرسالة ؛ فصار يكتب ما كان كاتبُ السرِّ يكتبه من ذلك على القصص أو الورقة المفردة ثم تُرَفِّعُ إلى كاتب السرِّ فيكتب عليها بالأمر بكتابتها ؛ ويعينها على من يكتب بمقتضاها ، وتُحْلَدُ القصَّةُ أو الورقة التي طُفِّتَ فيها الرسالة عنده شاهدًا له . واستمر ذلك إلى مباشرة القاضي فتح الدين بن شاس أحد كُتَّابِ الدست عند الدُّوَادَارِ ؛ والدُّوَادَارُ يومئذ الأميرُ يونس التُّورُوزي ، فأذن له كاتبُ السرِّ في تعليق الرسالة عن الأميرِ يونس الدُّوَادَارِ على ظهور القصص وغيرها فعل . وكان يكتب على حواشي القصص في وسط القصَّةِ أخذًا من جهة اليمين إلى جهة اليسار بمِثْلَةِ الأعلَى بقلم دقيق متلصق الأسطر ماثله : « رُسِمَ برسالة الجنتاب العالي الأميري الكبيرى الشرفي يونس الدُّوَادَارِ الظاهرى - ضاحف الله تعالى نعمته - أن يكتب مثلاً شريف بكنا أو توقيع شريف بكنا » وما أشبه ذلك ، ويؤرخه بيوم الكتابة ، ثم تحمل إلى كاتب السرِّ فيكتب عليها بالأمر بالكتابة ، ويعينها

على كاتب من كُتاب الإنشاء، فيكتب بمقتضاها ويخلدها شاهداً عنده . وجرى الأمر على ذلك بعده إلى آخر وقت .

قلت : وقد كان في الدولة الفاطمية كاتب مفرد لتعليق الرسالة عن الخليفة ، يسمى صاحب القلم الدقيق ، يعلق ما تبرز به أوامر الخليفة في الرقاع وحواشي القصص ، ويحمل إلى ديوان الوزارة ، فيتملأ الوزير ، ويبرز أمره إلى ديوان الإنشاء باعتمادها وكتابة ما فيها ، على ما تقدم ذكره في ترتيب الخلافة الفاطمية بالديار المصرية في المقالة الثانية .

الفصل الثاني

(في التعيين وكيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على الرقاع والقصص ، وتعيينها على كُتاب الإنشاء)

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال الكاتب المعين عليه وحال الرقعة المعينة . فاما اختلافه باختلاف حال من يعين عليه . فإنه إن كان المعين عليه كاتباً من كُتاب الدُست ، كتب له كاتب السر في التعيين : « المولى ، القاضي ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » وربما رفع قدره على ذلك فيكتب له : « المولى ، الأخ ، القاضي ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » . وإن كان من كُتاب الدرّج : فإن كان كبيراً كتب له : « المولى فلان الدين » . وإن كان صغيراً ، كتب له : « الولد فلان الدين » وربما وقع التمييز لبعض كُتاب الدُست أو كُتاب الدرّج للتقدم بالفضل فكتب له : « المولى ، الشيخ فلان الدين » أو « الشيخ فلان الدين » تارة مع الدعاء وتارة دونه .



وأما اختلافه باختلاف حال المكتوب الذى يعين، فإنه إن كان قصةً بظاهرها
خط السلطان «يُكتب» فوضع كتابة التعيين تحت خط السلطان بظاهر القصة،
ولا كتابة له عليها غير ذلك .

وإن كان رُقعةً جميعها بخط كاتب السر، فإنه يكتب فيها «يكتب بكذا وكذا»
ثم يكتب التعيين بأول ذيلها .

وإن كان قصةً رفعت إلى كاتب السر، فإنه يكتب على حاشيتها في أطرافها
أخذاً من جهة أسفل القصة إلى أعلاها ما مثاله : «يُكتب بذلك» أو «يكتب
بكذا وكذا» ثم يُكتب التعيين بحاشيتها أسفل ذلك في عرض الحاشية مُيملاً للكتابة
إلى جهة الأعلى قليلاً .

وإن كان قصةً عليها خط النائب الكافل، فإنه يكتب عليها بالتعيين ليس إلا،
وموضع التعيين فيها بحاشية القصة أسفل خط النائب .

وإن كان قصةً قد كتب بهامشها مرسومُ الأتابك أو عُلق بحاشيتها رسالةُ
الدُّوادار، كُتِبَ في جهة أعلى القصة : «يكتب بذلك» وعلى القُرب منه التعيين .
وإنما يُكتب هنا في جهة أعلى القصة وفيها عليه خطُ النائب الكافل في جهة أسفلها
لأن التعليق الذى على الهامش فيما عُلق عن مرسوم الأتابك أو رسالة الدُّوادار بخط
كاتب الدُّست الذى في خدمته ، بخلاف ما عليه خطُ النائب بنفسه .

وإن كان الذى يقع فيه التعيين قاعةً من ديوان الوزارة ، أو ديوان الخاص
أو ديوان الإستئثار، كتب بهامش القاعة من أعلاها مقابل كتابة المتحدث على ذلك
الديوان ما مثاله : «يُكتب بذلك» ثم يكتب التعيين تحته على القُرب منه .

وإن كان الذي يقع فيه التعيين مربعة إقطاع من ديوان الجيش، كتب بالتعيين في آخرها مقابل التاريخ من الجهة اليمنى، ولا كتابة له عليها غير ذلك.

قلت : وقد جرت عادة كُتّاب السرّ في زماننا أنه يُكْتَب على القصص ونحوها، "يُكْتَب بذلك" أو "يُكْتَب بكذا وكذا" على ما تقتضيه بيانه بغير لام في أوله . وكذلك الوزير وناظر الخالص والإستدار يكتبون بغير لام في الأول . أما المُفَصِّل في الإذن بكتابة المحاضر ونحو ذلك فإنهم يكتبون "ليُكْتَب" بأشياء اللام في أوله ، وهذه اللام تسمى لام الأمر وقد صرح الإمام أبو جعفر النحاس في "صناعة الكُتّاب" أنه لا يجوز حذفها . وعلى ذلك ورد لفظ القراءان الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَتْمِيمَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ . وقوله : ﴿ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فليَنْظُرَ هَلْ يُلْحِقَ بِهِ مَائِيقُهُ ﴾ ونحو ذلك . وحكى جمال الدين ابن هشام في المغنى ^(١) [جواز حذفها في الشعر كقوله :

فَلَا تَسْتَطِلُّ مِنِّي بَقَايَ وَمُدَّتِي • وَلَكِنْ يَكُنْ لِحَيْرِ مِنْكَ نَصِيبُ!

وقوله :

مُحَمَّدٌ قَدْ قَسَمَ كُلُّ قَسَمٍ • إِذَا مَا خَفْتُ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا ^(٢)] .

الطَّرَفُ الثَّانِي ^(٣)

(في كتابة المفصّلات والإجابة عنها من الدواوين السلطانية)

قد تقدم في الكلام على ما ينظر فيه صاحب الديوان أنه لما كان صاحب ديوان الإنشاء يضيّق زمنه عن امتيعاب حال الكُتّاب الواردة من الملكة لوفورها وأتساع

(١) بيض في الأصول لهذه الجملة، وقد قلناها من المغنى (ج ١ ص ٣٢٢) والشاعر يعطى ابنه لما تمنى موته .

(٢) لم يتقدم له تقسيم الأطراف في هذا الباب ولم يذكر الأول حتى يكون هذا ثانيا له نعم قال في عنوان الباب أنه يتكلم فيه على كتابة المفصّلات فهو مما وعد به ويجل من لا يسهو .

الدولة وكثرة المكاتبين ، ناسب أن يُعَيِّدَ كاتبًا يتصفح الكتب الواردة ويتأملها ،
ويُلَخِّصَ مقاصدها ؛ قال أبو الفضل الصوري في "تذكرته" : « والرسم في ذلك
أن الكاتب الذي يُقِيمُهُ صاحب الديوان يَسْلَمُ الكتب الواردة ويُخْرِجُ معانيها
على ظهورها ، ملخصًا الألفاظ الكثيرة في اللفظ القليل ، غير غلٍّ بشيء من المعنى
ولا محزفٍ له ، مُسْقِطًا فضول القول وحشوّه ، كالدماء والتصدير والألفاظ المترددة .

قال : ويُخْرِجُ أيضًا ما يختص بديوان الخراج ، من الأمور التي تَرِدُ ضمن الكتب
في معنى الخراج في أوراق يُعَيِّنُ فيها الكتب التي وصلت فيها وتاريخها وإلحقة التي
وردت منها ، ويُضَمُّها على هيئتها ، ويوجِّهها إلى ديوان الخراج ، فيجاب عنها منه ،
ويستدعى من متولّي ديوان الخراج الجواب عنها ؛ ثم يُعرض جميع ذلك على الملك ،
ويستخرج أمره بإمضاء المكتّبة به أو بغيره . فإن كان بخط مخالف للعربي :
كلأرومي والفرنجي والأرمني وغيرها ، أحضر من يعرف ذلك الخط ممن يُوثق به
ليترجمه في ظهره ، فإن كان ذلك المترجم يُحَسِّنُ الخط العربي ، كتب بخطه في ظهر
الكتاب ما مثله « يقول فلان : إني حضرتُ إلى ديوان الإنشاء وتسلمتُ الرقعة
أو الكتاب الذي هذا الخط بظاهره ، وسُئِلْتُ عن تفسيره فذكرتُ أنه كذا وكذا »
ويُسَرِّدُهُ إلى آخره « وبذلك أشهدتُ على نفسي » ويشهد عليه شاهدان : « هذا الذي
ذكره بلا زيادة ولا نقص » .

وإن كان الكتاب مشحونًا بالكلام بطنًا وظاهرًا ، نقله بخطه بالقلم الذي
هو مكتوبٌ به ، وترجمه على ظاهره بخطه بالعربي . وإن لم يحسن الكتابة بالعربي ،
كتب عنه الكاتبُ بمحض من الشاهدين وأشهد عليه لهاب أو يُحَيِّمُ فيما يقول ،
أو بغيره أو يُنْقِصُهُ لأن أكثر من يترجم على منذهب صاحب الخط ، فربما كتم
عنه أوداجي فيه . فإذا خُوفُ بالإشهاد عليه وخشي أن يغيره قد يقرؤه على غير الوجه

الذي أشهد به على نفسه ربما أدى الأمانة فيه . فإذا خُصِّصَت المكتبة بظاهرها ، سُلِّمَت إلى متولى الديوان ليقابل ظاهرها بباطنها : فإن وجده أدخل فيها بشيء ، أضافه بخطه وأترك عليه إمسالة ليتنبه في المستقبل . فإن لم يكن فيها خلل حرصه على الملك واعتمد أمره فيه ، وكتب تحت كل فصل منها ما يجب أن يكون جوابا عنه على أحسن الوجوه وأفضلها ، ثم يسألهما إلى من يكتب الجواب عنها من يعرف اضطراحه بذلك ، ثم يقابل الجواب بالخرج وما وقع به تحت : فإن وجد فيها خلا سده ، أو مهملا ذكره ، أو سهوا أصلحه . وإن رآها قد كتبت على أفضل الوجوه وأسدها ، لم يفت في معني ولم يزد إلا لفظا يمتق به كتابه ويؤكد به قوله ، عرضها على الملك حينئذ ليعلم ، ثم استدعى من يتولى الإلصاق فألصقها بمحضرتها ، وجعل على كل منها بطاقة يشير فيها إلى مضمونها : لتلا يُسأل عن ذلك بعد إلصاقها فلا يعلم ما هو ، ثم يسألهما إلى من يتولى تنفيذها إلى حيث أهلك له ، وتسلم النسخ المخصصة إلى من يؤهل لحفظها وترتيبها .

قلت : قد تبيين بما تهتم من كلام أبي الفضل الصوري [ما كان عليه الحال في زمنه] والذي عليه حال الديوان في زماننا فيما يتعلق بذلك أن الكتب الواردة إلى الأبواب السلطانية من أهل المملكة وغيرها من سائر الملوك يتلقاها أكبر الدوايرية : وهو مقدم ألف على ما تهتم ذكره في الكلام على ترتيب الديار المصرية ، ويحضر القاصد المحض للكتاب من يريد أوضره ، ثم يناوله للسلطان فيفحص ختامه ، وكتب السر جالس بين يديه ، فيدفعه السلطان إليه ، فيقرؤه عليه ويستصحبه معه إلى الديوان : فإن كان الكتاب عربيا دفعه كاتب السر إلى نائبه أو من يخصه بذلك ليختص معناه : فيتم النظر فيه ، ويستوفى فصوله ، ويختص مقاصدها ،

(١) في الأصول ثم عرضها ولكن زيادة ثم في الكلام تنقصه والظاهر أنها زيادة من قلم النسخة كامل .

ويكتب لكل ديوان من الدواوين التي يرفع إليها متعلق ذلك الكتاب ملخصاً بالفصول المتعلقة به في ورقة مفردة، ليجاوب عليها متولى ذلك الديوان بما رُمِمَ له من الجواب عنها .

وأعلم أن الذي تُكتب له الملخصات في زماننا من الدواوين السلطانية خمسة دواوين . وهي : ديوان الإنشاء ، وديوان الوزارة ، وديوان الجيش ، وديوان الخالص ، وديوان الإستدارية : وهو الديوان المفرد .

والطريق إلى كتابة الملخصات أن يُخَيَّف ما في صدر الكاتب من الحشو على ما تقدم في كلام أبي الفضل الصوري ، ثم يعمد إلى مقاصد الكتاب فيستوفي فصوله ويتصورها بذهنه ، ثم ينظر في متعلقات تلك الفصول ، ويكتب لكل ديوان من الدواوين المتقدمة ملخصاً بما يتعلق به من الفصول في فصل واحد أو أكثر ، بحسب ما تقتضيه قلة الكلام وكثرته .

وكيفية كتابته أن يترك من رأس الوصل قدر ثلاثة أصابع بياضاً ، ثم قدر إصبعين بياضاً عن يمينه ، وقدر إصبعين بياضاً عن يساره ؛ ويكتب في صدره ما مثله : « ذكر فلان في مكاتبه الواردة على يد فلان المؤرخة بكذا وكذا » يمد لفظ « ذكر » بين جانبي الوصل ، ويكتب باق الكلام تحتها من أول الوصل إلى آخره في العرض من غير شق بياض « أنه أتفق من الأمر ما هو كذا وكذا » أو « أنه سأل في كذا وكذا » . ثم يحل بياضاً قدر أربعة أصابع مثلاً ويكتب في وسط الدرج بخلاف بياض من الجانبين ، « وذكر » على نحو ما تقدم ؛ ثم يكتب باق الكلام من أول الوصل إلى آخره ، ويفعل ذلك بكل فصل في الكتاب يتعلق بذلك الديوان المختص بذلك الملخص ؛ ويكتب في آخر كل فصل « وقد عُرِض على البسماع الشريفة » و« مهما برزت به المراسيم الشريفة كان العمل بمتنضاه » ونحو ذلك .

ثم إن كان المُلخَص لديوان الإنشاء، كُتِبَ بأعلى الوصل من ظاهره من الجانب الأيسر منه مأمثاله «ديوان الإنشاء». وإن كان لديوان الجيش كتب هناك مأمثاله «ديوان الجيش». وكذا ديوان الخاَصّ وسائر الدواوين المتقدمة الذكر. فإذا كتبت المُلخَّصات، وقف عليها كاتب السرّ: فما كان منها متعلقاً بديوان الإنشاء عرضه على السلطان واستمطر جوابه عنه، فيكتب مقابله في المُلخَص «يُكْتَبَ بذلك» أو «يكتب بكذا وكذا» أو «رُسم بذلك» أو «رُسم بكذا وكذا». وما كان منها متعلقاً بديوان الوزارة يبعث به إلى الوزير؛ وما كان منها متعلقاً بديوان الجيش يبعث به إلى ناظر الجيش؛ وما كان منها متعلقاً بديوان الخاَصّ يبعث به إلى ناظر الخاَصّ: ليقرا كلٌّ منهم ملخصه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه، فما كان كُتِبَ به بجانب الفصل الذي كُتِبَ به في المُلخَص «أمضى ذلك» أو «لم يمض» أو «رسم بكذا وكذا» ونحو ذلك: وسائر الدواوين على هذا النمط.

وإن كان الكتاب غير عربي: فإن كان بالتركية المُقلَّية ونحوها كالكتب الواردة عن بعض القانات من ملوك الشرق، فإنه يتولى ترجمتها من يؤتق به من أخصّاء الدولة: من الأمراء أو الخاَصّيكَة ونحوهم، ممن يعرف ذلك اللسان؛ ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به. وإن كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات المختلفة، تُرجم على نحو ما تقدم، وتُكتب ملخصه وقُرئ على السلطان وأُمس جوابه؛ وكتب كاتب السرّ على المُلخَص بما رُسم فيه.

الباب الرابع

من المقالة الثالثة

(في القَوَائِمِ وَالْخَوَاتِمِ وَالْأَوَاقِ ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في القَوَائِمِ ، وفيه ستة أطراف)

الطرف الأول

(في البسملة ، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في أصل الاقتراح بها)

كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها «يا نبيك اللهم» والسبب في كتابتهم ذلك ما ذكره المسعودي في «مروج الذهب» عن جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف : كابن دأب ، والهيثم بن عدي ، وأبي مخنف لوط بن يحيى ، ومحمد بن السائب الكلبي : أن أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيَّ خرج إلى الشام في نفر من ثقيف وقريش في صير لهم ، فلما قفلوا راجعين [نزلوا منزلاً واجتمعوا لعشائهم ، إذ] أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم فخصبها بعضهم بحجر في وجهها فرجمت ، فشدوا سقرتهم ، ثم قاموا فشدوا على إلههم وأزعموا من منزليهم ، فلما برزوا من المنزل ، أشرفت

(١) في الأصول وغيرهم ، وهو تصحيف والتصحيح عن المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ .

(٢) الزيادة عن مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ ليوضح الكلام .

(١) عليهم عجوزٌ من كَيْتِب رملٍ متوكِّةٌ على عصا، فقالت : مامنعكم أن تُطعموا رحيمةَ اليتيمة الصغيرة التي باتت لعلامكم عليلةً؟ قالوا : وما أنت؟ قالت أم العوام، أرملتُ منذ أعوام ؛ أما وربّ العباد ، تُفرّقن في البلاد ! ثم ضربت بعصاها الأرض وأثارت بها الرمل، وقالت : أطيلي لأبهم ، وفرقي ركبهم ! فوثبت الإبل كأنَّ على ذروة كلِّ منها شيطاناً ، ما يملكون منها شيئاً حتى أفرقت في الوادي ، بغمعوها من آخر النهار إلى غدوة ، فلما أناخوا الراحل طلعت عليهم العجوز وفعلت كما فعلت أولاً وطدت لمقام الأول ، فخرجت الإبل كما خرجت في اليوم الأول ، بغمعوها من غد . فلما أناخوا ليرحلوها ، فعلت العجوز مثل فعلها في اليوم الأول والثاني فنفرت الإبل ، وأمسوا في ليلة مُقَمِّرة ويَسُوا من ظهورهم ، فقالوا لأُمَيَّة ابن أبي الصلت : أين ما كنت تُخبرنا به عن قيسك وعليك ؟ [نقال : أذهبوا أتم في طلب الإبل ودعوني] . فتوجه إلى الكَيْتِب الذي كانت تأتي منه العجوز حتى هبط من تَيْتِيَةِ الأُثْرَى ، ثم صعد كثيراً آخر حتى هبط منه ، ثم رُفِعَتْ له كتيبةٌ فيها قتاديلٌ ورجلٌ معترس مضطجع على بابها ، وإذا رجلٌ جالس أبيض الرأس والخصية ؛ قال أُمَيَّة : فلما وقفتُ قال لي : [إنك لمتبوع ، قلتُ أجل ، قال فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قلت : من أذنِّي اليُسْرَى . قال : فبأي الثياب يأمرُك ؟ قلت : بالسواد . قال : هذا خطيبُ الجنِّ ، كذت والله أن تكونه ولم تفعل . إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى ، فيأمره بلباس اليباض ، فما] حاجتك ؟ فحدثته حديث العجوز . فقال : هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام ، وإنها لن تزال

(١) في المسعودي ج ١ ص ٢٣ "رحمة الجارية اليتيمة" وفي الاغانى "رحمة" بالجمع .

(٢) الزيادة عن الاغانى .

(٣) الزيادة عن المسعودي ج ١ ص ٢٤ ، وهو على هذا النحو في الاغانى .

فَعَمَلُكُمْ بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى تُتِلَّكُمْ إِنَّ اسْتَطَاعَتْ . قَالَ أُمِيَّةُ : قُلْتُ فَمَا الْحِيلَةُ ؟ . قَالَ :
 أَجْعَلُوا ظَهْرَكُمْ إِذَا جَاءَتْكُمْ وَفَعَلْتُ مَا كُنْتُ تَفْعَلُ ، فَقُولُوا سَبْعًا مِنْ فَوْقُ وَسَبْعًا مِنْ
 أَسْفَلُ ” بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ “ فَإِنِهَا لَنْ تَضُرَّكُمْ . فَرَجَعَ أُمِيَّةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قِيلَ لَهُ
 وَجَاءَتْهُمْ الْعَجُوزُ فَفَعَلْتُ كَمَا كُنْتُ تَفْعَلُ فَقَالُوا سَبْعًا مِنْ فَوْقُ وَسَبْعًا مِنْ أَسْفَلُ بِاسْمِكَ
 اللَّهُمَّ فَلَمْ تَضُرَّهُمْ . فَلَمَّا رَأَتْ الْإِبِلَ لَا تَحْرُكُ ، قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ صَاحِبَكُمْ ،
 لِيُبَيِّضَنَّ اللَّهُ أَعْلَاهُ وَلِيَسْوَدَّ أَسْفَلَهُ . وَسَارُوا فَلَمَّا أَدْرَكَهُم الصُّبْحُ ، نَظَرُوا إِلَى أُمِيَّةَ
 قَدْ بَرَصَ فِي عُنُقِهِ وَرَقَبَتِهِ وَصَدْرِهِ وَأَسْوَدَّ أَسْفَلُهُ . فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ ذَكَرُوا هَذَا
 الْحَدِيثَ ، فَكَتَبَتْ قُرَيْشٌ فِي أَوَّلِ كُتُبِهَا ” بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ “ فَكَانَ أَوَّلُ مَا كَتَبَهَا أَهْلُ
 مَكَّةَ وَجَاءَ الْإِسْلَامَ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ .

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : ولم تزل الكتب تُفتح باسمك اللهم حتى نزل قوله
 تعالى : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فاستفتح بها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وصارت سنة بعده . وروى محمد بن سعد في طبقاته ،
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْتُبُ كَمَا تَكْتُبُ قُرَيْشٌ ” بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ “
 حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَمْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) . فَكَتَبَ بِاسْمِ اللَّهِ ،
 حَتَّى نَزَلَ (قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) . فَكَتَبَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ) حَتَّى نَزَلَ
 (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فَكَتَبَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) .
 وذكر في ” مواد البيان “ نحوه .

وعن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَكْرِهُ لِلزُّجَلِ أَنْ يَكْتُبَ شَيْئًا حَتَّى يَكْتُبَ
 « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . وعن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَكْرِهُ أَنْ يَكْتُبَ

كثابا أو غيره حتى يبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» . وعن سعيد بن جبيرة أنه كان يقول : لا يصلح كتاب إلا أن يكون أوله «بسم الله الرحمن الرحيم» .

وهذه الأحاديث والآثار كلها ظاهرة في استحباب الابتداء بالبسملة فيما يكتب به من أصناف المكتبات والولايات وغيرها ، وعلى ذلك مصطلح كتاب الإنشاء في القديم والحديث ، إلا أنهم قد اصطالحوا على حذفها من أوائل التوقيعات والمراسيم الصغار ، كالتي على ظهور القصاص ونحوها ، وكانهم أخذوا ذلك من مفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجه في سنتهما وأبو عوانة الأسفراييني في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» يعني ناقص البركة ، وما يكتب في التوقيعات والمراسيم الصغار ليس من الأمور المهمة فناسب ترك البسملة في أولها . لكن قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب «القلم والنواة» أن أهل العلم كرهوا حذف البسملة من التوقيعات والسرحدات وذموا . وقد كان القاضي علاء الدين الكركي كاتب السر في الدولة الظاهرية «برقوق» في أول سلطته الثانية أمر بأن يكتب في أولها بسملة بقلم دقيق ، ثم بطل ذلك بعد موته وبقى الأمر على ما كان عليه أولا . ثم قد اختلف في كتابتها أمام الشعر : فذهب سعيد بن المسيب والزهري إلى منع ذلك ، وذهب سعيد بن جبيرة وإبراهيم النخعي إلى جوازها . وروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنه . قال أبو جعفر النعمان في «صناعة الكتاب» : «ورأيت علي بن سليمان يميل إليه . قال محمد بن عمر المدائني : ولا بأس إن يكن بين الشعر وبينها كلام ، مثل أنشدني فلان الفلاني وشبه ذلك ، فأما أن يصله بها فلا يجوز» .

الجملة الثانية

(في الحث على تحسينها في الكتابة وما يجب من ترتيبها في الوضع)

أما الحث على تحسينها في الكتابة، فينبغي للكاتب أن يبالغ في تحسينها في الكتابة ما استطاع تعظيماً لله تعالى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَحَسَنَهُ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ » . وعن واصل مولى أبي عيينة قال : سمعتُ حماداً يقول : كانوا يُحِبُّونَ أَنْ تُحَسَّنَ بِسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .



وأما ما يجب من ترتيبها ، فأقول ما يجب من ذلك إطالة الباء لتدل على الألف المحذوفة منها لكثرة الاستعمال ، ثم إثبات السين بأستانها الثلاث ، غير مرسلة لها لإرسالها كما يفعله بعضُ الكُتَّابِ فقد كره ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيد بن ثابت والحسن وأبْنُ سِيرِينَ ، حتى يروى أن عمر رضي الله عنه ضرب كاتباً على حذف السين منها - فقيل له : فِيمَ ضَرَبَكَ عمرُ ؟ - فقال : في سين ، بفروى مثلاً . ويروى أن فلاناً لعمر بن عبد العزيز كتب إليه من مصر كتاباً ولم يجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا ، فكتب إليه عمر يأمره بالقلوم عليه ، فلما قدم قال : اجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا وأنصرف إلى مصر . وكذلك لا يمد الباء قبل السين ثم يكتب السين بعد المدة ، كما يفعله بعضُ كُتَّابِ المغاربة فقد روى محمد ابنُ عمر المَدَائِنِيُّ من حديث شُعَيْبِ بْنِ [أبي] الْأَشْعَثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَلَا يَمُدُّهَا قَبْلَ السِّينِ . » يعني الباء وعن ليث عن مجاهد يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . ويروى مثله عن ابن عمر ، وابن سيرين . وعن عبد العزيز بن عبد الله وعبد الله بن دينار وغيرهما .

أن العلماء كانوا يكرهون ذلك ويتهون عنه أشدّ التهوى حتى روى عن الضحاك
ابن مزاحم أنه قال : وجدت أنّي لو رأيت الأيدي تُقَطَّع فيه . نعم يستحبّ المذنبين
السين والميم كما هو عادة كُتّاب المصريين وأهل المشرق . وكذلك استحسنوا مدّ الحاء
من الرحمن قبل الميم وقالوا : إنه من حُسن البيان ، حتى يروى أن عمر بن عبدالعزيز
كتب إلى عمّاله إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمدّ الرحمن . وهذا مما
يتعاطاه كُتّاب المغرب دون كُتّاب مصر وأهل المشرق . أما غير ذلك من وجوه
التحسين فيأتي الكلام عليه في الكلام على الخط إن شاء الله تعالى .

المسألة الثالثة

(في بيان موضعها من المکتوب ، ويتعلّق به أمران)

الأمر الأول

(تهلّتها في الكتابة)

فيجب تقديمها في أول الكلام المقصود : من مكتوبة أو ولاية أو منشور إقطاع
أو غير ذلك ، تبرّكا بالابتداء بها وتيمّنا بذكرها ، عملا بالأخبار والآثار المتقدمة في الجملة
الأولى . على أنه قد اختلف في معنى قوله تعالى حكاية عن بلقيس حين ألقي إليها
كتاب سليمان عليه السلام : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَتْلُوهُ عَلَى وَأَتَوْنِي مُسْلِمِينَ ﴾ : فذهب بعض المفسرين إلى أن قوله
﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ من كلام بلقيس ، وإنها حكّت الكتاب بقولها : وإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

(١) قد مضى الكلام على الخط في أوائل الجزء الثالث من هذا الكتاب وبين هناك أوضاع البسملة وكيفية

تجارتها أوضح بيان فقل ما هنا سور عما فات .

الرحمن الرحيم إلى آخر الآية، فيكون ابتداء الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، ويكون ذلك احتجاجاً على وجوب تقديمها . وذهب آخرون إلى أن قوله ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ بداية كتاب سليمان ، فيكون سليمان عليه السلام قد بدأ في كتابه باسمه . فإن قيل كيف ساء على ذلك تقديم اسمه على اسم الله تعالى في الذكر مع أن الأنبياء عليهم السلام أشد الناس أدباً مع الله تعالى ؟ فالجواب ما قيل : إنه كان عادة ملوك الكفر أنه إذا ورد عليهم كتاب بما يكرهون ربما مرقوا أعلاه أو نقلوا فيه ، فجعل سليمان عليه السلام اسمه حقيقة لاسم الله تعالى فذكره أولاً . ومن هنا أصلح الكتاب في الكتب الصادرة عن ملوك الإسلام إلى ملوك الكفر بكتابة ألقاب الملوك المكتوب عنه في وصل فوق البسملة ، تأسيًا بسليمان عليه السلام .

أما ما يكتب في طرة الولايات من العهود والتقاليد وغيرها ، فإنه في الحقيقة جزء من المكتوب ، فلا يوصف بأنه شيء مقدم على البسملة . وأما الطفرة التي كانت توضع في مناشير الإقطاعات في وصل بين وصل الطرة والبسملة فيها ألقاب السلاطين على ما سيأتي في الكلام على كتابة المناشير في موضعه إن شاء الله تعالى ، فإنها كتابة أجنبية مكتوبة بخط غير الكاتب فلم تنسب في الحقيقة إلى التقديم . على أن ذلك قد بطل في زماننا . وهاتان المستطانتان المتعلقةتان بالطفرة المكتوبة في المناشير ومكتابات أهل الكفر مما سأل عنه الشيخ جمال الدين بن نباتة في رسالته التي كتبها إلى كتاب ديوان الإنشاء بالشام ، في مباشرة الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، حين بلغه أن بعضهم وقع فيه .

الأمر الثاني

(إفرادها في الكتابة)

قال محمد بن عمر المدايني في كتاب "القلم والدواة" : ينبغي للكاظم أن يفرد البسملة في سطر وحدها ، تبيلاً لأسم الله تعالى وإعظاماً وتوقيراً له ؛ ثم ساق بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "نهى أن يكتب في سطر بسم الله الرحمن الرحيم غيرها" . وعلى هذه الطريقة جرى كتاب الإنشاء في مكاتبتهم وسائر ما يصدر عنهم . أما النسخ وكتاب الوثائق فربما كتبوا بعدها في سطرها « الحمد لله » أو « الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم » ونحو ذلك . وكذلك يكتب القضاة « الحمد لله » في علامات الثبوت في المكاتيب الشرعية .

الطرف الثاني

(في الحمد لله)

لما كان الحمد مطلوباً في أوائل الأمور طلباً للثمن والتبرك ، عملاً بما رواه الراؤون لحديث البسملة المتقدم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجزم » أصطلح الكاتب على الابتداء به في الكثير مما يكتبونه من المكاتبات والولايات وغيرها مما له شأن وبالأكثر كتابات أكثر الملوك من قانات الشرق ، وكل ما تضمن نعمة من المكاتبات ونحو ذلك ، وكالتيقات والعهود والتقاليد على رأي من يرى اقتراحها بالخطب ، وغير ذلك مما يأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى . بل ربما كروا الحمد المراتب المتعددة إلى السبع في الخطبة الواحدة ، على ما سيأتي ذكره في موضعه

إن شاء الله تعالى . وأتوا بالحمد لله بعد البسملة تأسيًا بكلم الله تعالى ، من حيث إن البسملة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، أو فاتحة لها - وإن لم تكن منها - كما هو مذهب غيره . أما سائر المكتبات والولايات المفتحة بغير الحمد ، فإنما حذف منها الحمد استصغارا لشأنها ، إذ كان الابتداء بالحمد إنما يكون في أمرٍ له بالكلية عليه الحديث المتقدم ، وسيأتي الكلام على كل شيء من ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . قال في "الصناعتين" : وإنما أفتتح الكلام بالحمد لأن النفوس تتشوف للثناء على الله تعالى ، والاقتراح بما تشوف النفوس إليه مطلوب . وربما أتى الخطاب بالحمد بعد البعيدة : « فكتبوا » أما بعد حمد الله ، أو « أما بعد فالحمد لله » فالأصيلة الأولى فالحمد مقدم فيها معنى وإن لم يذكر لفظا لأن قوله أما بعد حمد الله يقتضي تقدم حمد الله ، وأما الصيغة الثانية فإنها تقتضي تقدم شيء على الحمد ، ولا شك أن المقدم هنا هو البسملة على ما سيأتي في الكلام على أما بعد فها بعد إن شاء الله تعالى .

ثم قد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكتبات : فإني أحمد إليك الله . وقد اختلف في أي الصيغتين أبلغ : صيغة الحمد لله ، أو صيغة أحمد الله : فذهب المحققون إلى أن صيغة الحمد لله أبلغ : لما فيها من معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار على ما هو مقدر في علم المعاني . وذهب ناهيون إلى أن صيغة أحمد الله أبلغ : لأن القائل الحمد لله حاكٍ لكون الحمد لله ، بخلاف القائل أحمد الله فإنه حامدٌ بنفسه ، ولذلك يؤتى بالتحميد ثانيا في الخطب بصيغة الفعل .

وله في الاستعمال ثلاث صيغ :

الصيغة الأولى — «يُحمِّدُه أمير المؤمنين» فيما إذا كان ذلك صادراً عن الخليفة في مكتبة أو غيرها .

الصيغة الثانية — «يُحمِّدُه» إما بنون الجمع الحقيقية كما إذا كان ذلك صادراً عن ^(١)... .. مثل أن يؤتى بذلك في بيعة خليفة أو نحوها، أو بنون الجمع للتعظيم كما إذا كان ذلك صادراً عن السلطان نحو ما يقع في خطب التقاليد والتواقيع في زماننا .

الصيغة الثالثة — «أُحمِّدُه» بلفظ الإفراد، كما إذا كان ذلك صادراً عن واحد فقط حيث لا تعظم له .

الطرف الثالث

(في التشهد في الخطب)

قد جرت عادة المتأخرين بالإتيان بالتشهد بعد التحييد في الخطب ويكون تاباً لصيغة التحييد : فإن كان قد قيل يحمِّدُه أمير المؤمنين، قيل بعده : ويشهد؛ وإن كان قد قيل يُحمِّدُه، قيل بعده : ويشهد؛ وإن كان بعدُ أما بعد حمد الله، قيل والشهادة له بالجزء عطفاً على حمد . على أن الخطب الموجودة في مكاتبات المتقديمين لا تشهد فيها . ومستند المتأخرين في ذلك ما رواه أبو داود والترمذي وصححه البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَدْمَاءِ» .

(١) يابض في الأصول وله «عن متعددين» .

الطرف الرابع

(في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله

وصحبه في أوائل الكتب)

لا نزاع في أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في الجملة ، وناهيك في ذلك قوله تعالى في مُحْكَم التزِيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ والأحاديث الواردة في الحث على ذلك أكثر من أن تُحْصَرَ ، فناسب أن تكون في أوائل الكتب ، تيمناً وتبركاً . وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أن المعنى ما ذُكِّرْتَ إلا وُذِّكِرْتَ معي . فإذا أتى بالحمد في أول كتاب ، ناسب أن يُؤْتَى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوله ، إتياناً بذكره بعد ذكر الله تعالى . وقد روى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الصَّلَاةُ جَارِيَةً لَهُ مَا دَامَ أَشْيَى فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ” . قال الشيخ عماد الدين في تفسيره : إلا أنه ضعيف ، ضعفه المحدثون . قال محمد بن عمر المصنعي في ” كِتَاب الْقَلَمِ وَاللُّوَاءِ ” : وقد رأينا بعض الكتاب لا يرى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب ، فبأوا بأعظم الوزر مع ما فاتهم من الثواب .

وأما السلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد التصلية ، فقد قال الشيخ محي الدين النووي في كتابه ” الأذكار ” : وإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقال صلى الله عليه فقط ، ولا عليه

السلام فقط . قال الشيخ عماد الدين بن كثير : وهذا متبرع من قوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ الآية .

وأما الصلاة على الآل والصحب بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد
 قل الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره الإجماع على جواز الصلاة على غير الأنبياء
 عليهم السلام بطريق التبعية ، مثل أن يقال : اللهم صل على سيدنا علي وعلى آله
 وصحبه وأزواجه وذريته ونحو ذلك . ثم قال : وعلى هذا يخرج ما يكتبونه من قولهم :
 وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه فلا نزاع فيه ، وإنما الخلاف في جواز إفراد
 غير الأنبياء عليهم السلام بالصلاة : فأجازه قوم محتجين بنحو قوله تعالى :
 ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : "اللهم صل على آل أبي أوفى" ، ومنعه
 آخرون احتجاجاً بأن الصلاة صارت شعاراً للأنبياء عليهم السلام فلا يلحق بهم
 غيرهم ، فلا يقال : أبو بكر صلى الله عليه وسلم وإن كان المعنى صحيحاً ، كما يقال :
 محمد عز وجل ، وإن كان عزيراً جليلاً .

ثم الصحيح من مذهب الشافعي رضي الله عنه أن ذلك لا يجوز في غير التبعية .
 وحكى النووي في "الأذكار" فيه قولاً بأنه كراهة تحریم ، وقولاً بأنه كراهة تنزيه ،
 وقولاً بأنه خلاف الأولى ، ورجح كونه كراهة تنزيه ، لأنه شعار أهل البدع .

وأما السلام على غير الأنبياء ، حكى النووي عن أبي محمد الجويني منعه في الغائب
 من حق وميت وأنه لا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : على عليه السلام ، بخلاف
 الحاضر فإنه يُحاطب به .

إذا علمت ذلك فالصلاة وتواضعها في أوائل الكتب قد تكون بعد التحميد في الخطبة
 كما في الولايات [والمكاتب] المفتحة بالخطب من البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض

والتواقيع والمراسيم وغيرها، وكذا في الكتب المفتحة بالخطب . وقد تكون في صدور المكتابات المفتحة بغير الخطب ، كما كان يكتب في القديم في صدور المكتابات . « وأسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله » وهو مما أحدثه الرشيد في المكتابات . قال في « ذخيرة الكتاب » : وكان ذلك من أجل مناقبه . وكان الخلفاء الفاطميون بمصر يقولون عن لسان الخليفة : ويسأله أن يصلّي على جدّه محمد، ويخصون الصلاة بعده بأمر المؤمنين على رضى الله عنه على طريقة الشيعة .

الطرف الخامس

(في السلام في أول الكتب)

إنما جعل السلام في ابتداء الكتب وصُدورها لانه تحية الإسلام المطلوبة لتأليف القلوب ، فكما أنه يُفتح به الكلام طلباً للتأليف كذلك تُفتح به المكتابات وتصدر طلباً للتأليف، إذ يقول صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَبَشِّرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ! أَفَشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » . قال في « الصناعتين » : وتقول في أول كتابك : « سلامٌ عليك » وفي آخره « والسلام عليك » والمعنى فيه أن الأول نكرة إذ لم يتقدم له ذكر والثاني معرفة يشار به إلى السلام الأول على حدّ قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ فاتى في الأول بتكثير الرسول وفي الثاني بتعريفه . وكذلك قال تعالى في سورة مريم في قصة يحيى عليه السلام : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ لعدم تقدم ذكر السلام؛ ثم قال بعد ذلك في قصة عيسى عليه السلام : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ يَوْمِ وَلَدَتْ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ وإلى ذلك يشير أحمد بن يوسف بقوله : اكتب في أول كتابك

سلام عليك وأجمله تحية ، وفي آخره « والسلام عليك » وأجمله وداعا . وذلك أن سلام التحية يكون ابتداءً فيكون نكرة ، وسلام الوداع يكون انتهاءً فيكون معرفةً لرجوعه إلى الأول . وقد كره بعض العلماء أن يقال في الابتداء : عليك السلام ، أحزابا بما روى عن أبي مُكَيْتٍ الأسيدي أنه قال « أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأنشدته :

يَقُولُ أَبُو مُكَيْتٍ صَادِقًا : * عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا الْقَاسِمُ !

فقال : يا أبا مُكَيْتٍ عليك السلام تحية الموتى . وجعل ابن حاجب النعمان من ذلك قول صَبَّةَ بنِ الطَّيِّبِ :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ حَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْحَمَهَا

قال ابن حاجب النعمان : ويكتبُ السلامُ بأسقاط الألف في صدرِ الكتابِ وعجزه . قال أبو جعفر النحاس : وقولهم في أولِ الكتابِ سلامٌ عليك ، بالرفع ويحوز فيه النصبُ والاختيارُ الرفع وإن كان النحاة قد قالوا : إنَّ ما كان مشتقاً من فعل فالاختيار فيه النصب نحو قولك سَقَيْتُكَ : لأن معنى السلام في الرفع أعم ، إذ ليس يريد أفعَلُ فعلاً ، فيكون المعنى تحيةً عليك بنصب تحية . وقيل : سلامٌ عليك بمعنى سلامٌ لك . وسيأتي الكلام على اتباع السلام الرحمة في الكلام على الخواتم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ السَّادِسُ

(في أما بعد)

إِعلم أن « أما بعد » تُستعمل في صلوات المكاتبات والولايات وربما استُعملت في ابتدائها . وهي مركبة من لفظين أحدهما أما والثاني بعد . فاما « أما » تحرف شرط و« بعد » تحرف زمان إذا أُفرد نبي على الضم ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ ﴾ وأجاز الفراء أما بعدنا بالنصب والتنوين ، وأما بعد بالرفع والتنوين . وأجاز هشام أما بعد بفتح الدال ومنعه التناس وقال : إنه غير معزوف .

ثم أما تقع في كلام العرب لتوكيد الخبر ، والفاء لازمة لها : لتصل ما بعدها بالحرف الملاصق لما قبلها ، فنقول أما بعد أطل الله بقاتك ! فإني قد نظرت في الأمر الذي ذكرته . ويموز أما بعد فاطل الله بقاتك إني نظرت في ذلك ، فتثبت الفاء في أطل وإن كان معترضا قربه من أما ، ويموز أما بعد فاطل الله بقاتك فإني نظرت ، ويموز أما بعد ثم أطل الله بقاتك فإني نظرت حكى ذلك كله النحاس ، ثم قال : وأجودها الأول وهو اختيار النحويين . قال : وأجود منه أما بعد فإني نظرت أطل الله بقاتك . فان أضيفت بعد إلى ما بعدها فصح فنقول أما بعد حمد الله ونحو ذلك . قال في « ذخيرة الكتاب » وإذا كانت بعد البسملة فعناه أما بعد قولنا « بسم الله الرحمن الرحيم » فقد كان كذا وكذا .

وقد اختلف في أول من قال أما بعد : فقيل داود عليه السلام ، وبه فسر فصل الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا الْحِكْمَةُ وَفَصْلُ الْخِطَابِ ﴾ على أحد الأقوال ، وقيل أول من قالها كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل أول من قالها قس بن ساعدة الإيادي . قال سيويو : ومعناها مهما يكن من شيء .

الفصل الثاني

(في الخَوَاتِمِ وَالْأَوَاحِقْ ، وفيه سبعة أطراف)

الطرف الأول

(في الاستثناء بالمشيئة : بأن يُكْتَبَ إن شاء الله تعالى ، وفيه جملتان)

المجملة الأولى

(في الحَثِّ على كتابة إن شاء الله تعالى)

اعلم أنه يُسْتَحَبُّ للكتاب عند انتهاء ما يكتبه : من مكتبة أو ولاية أو غيرها أن يكتب " إن شاء الله تعالى " تبركا ورضية في نجاح مقصد الكتاب ، فقد ورد الحث على التعليق بمشيئة الله تعالى والنسب إليه ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ . وذم قوما [على ترك الاستثناء] فقال : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَلْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهِمُ ظَوَائِفُ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ إلى آخر القصة : قال أصحاب السير : كان باليمن رجل له جنة يأخذ منها قوت سته ويتصدق بالباقي ، وكان يترك للساكنين ما أخطأ المنجل من الزرع أو القطاف من العنب والنخل وما بقي على البساط الذي يُسَطُّ تحت النخلة ، فلما مات تخبث بؤه على الساكنين بما كان يتركه أبوه وحلقوا على قطعها في الفلج كيلا يدركهم الفقراء ، فأصابها نار في الليل فاحترقت وأصبحت كالصريم بمعنى الليل المظلم . قال المفسرون : والمراد بقوله : ﴿ وَلَا يَسْتَلْنُونَ ﴾ أنهم لم يقولوا إن شاء الله تعالى . قال الزخشرى :

وَمَعْنَى آسْتَنْثَاءٍ وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى الشَّرْطِ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي مُؤَدَّى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنْ حَيْثُ إِنْ مَعْنَى قَوْلِكَ لَا تُخْرِجَنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا أُخْرِجَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاحِدٌ .


وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ لَا يَدْخُلُ عَلَى مَا ضَلَّ بِقَالَ مَا فَعَلْتَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى مُسْتَقْبَلِ فَعُولٍ لَا أَنْفَعُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ) . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا فِيهِ مَعْنَى الْإِسْتِثْنَاءِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ) وَنَحْوُ ذَلِكَ .

أَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ بِلَفْظِ الْمُنْهَى مِثْلَ قَوْلِ أَتَمَّا نِلَ لِرُوحَتِهِ أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَقْبَلًا لَفْظًا ، فَإِنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ مَعْنَى ، إِذْ مَعْنَاهُ الْإِنْشَاءُ وَإِلَّا لِمَا وَقَعَ بِهِ الطَّلَاقُ . إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ ، فَلَفْظُ "إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى" فِي آخِرِ الْمَكْتُبَةِ أَوَّلِ الْوَلَايَةِ وَنَحْوِهَا يَكُونُ مَعْنًى بِآخِرِ الْمَكْتُوبِ مِمَّا يَنْسَبُ ذَلِكَ ، كَتَمَلُّهَا بِالتَّأْيِيدِ مِنْ قَوْلِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ بِمَنْ وَكَرَّمَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

الجملة الثانية

(فِي عَمَلِ كِتَابَتِهَا وَصُورَةٍ وَضَعَهَا فِي الدَّرَجِ)

لَا يَزَاحُ فِي أَنَّهَا أَوَّلُ خَاتَمَةٍ تُكْتَبُ مِنْ خَوَاتِمِ الْمَكْتُوبِ ، فَحَالُهَا مِنَ الدَّرَجِ أَسْفَلُ الْمَكْتُوبِ ، فِي وَسْطِ الْوَصْلِ ، مَكْتَتِفَةٌ بِيَاضٍ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّطْرِ الْآخِرِ مِنَ الْمَكْتُوبِ كَمَا بَيْنَ سَطْرَيْنِ أَوْ دُونَهُ .

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْكُتَّابِ فِي كِتَابَتِهَا بِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ الرَّقَاعِ كَمَا فِي الْقَطْعِ الصَّغِيرِ ، كَتَبَتْ مَعْلُوقَةً مُسَلَّسَةً عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ :  أَوْ مَا قَارِبَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ

جليل كالثلث ونحوه ، كُتِبَتْ واضحة مبينة ، والغالب فيها أن تكونَ على هذه الصورة انشال السعال قال جمال الدين بن شيت في "معالم الكتابة" : ولا يُضيف الكاتب إليها شيئاً في سطرها ، بل تكون مفردة في سطرٍ واحد .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في التاريخ ، وفيه ثمانٌ جمل)

البجيلة الأولى

(في معناه)

وقد اختلف في أصل لفظه : فذهب قوم إلى أنه عربي ، وأن معناه نهاية الشيء وآخره ، يقال فلانٌ تاريخُ قومه إذا انتهى إليه شرفُهم ، وعليه يدلُّ كلامُ صاحب "موادِّ البيان" وأبْنِ حاجب النعمان في "ذخيرة الكُتَّاب" ونقل الشيخ علاء الدين بن الشاطر في "زيجيه" عن بعض أهل اللغة أن معناه التأخير فيكون مقلوباً منه . وذهب آخرون إلى أنه فارسي ، وأن أصله «ماه زور» فعزب مورخ ، ثم جعل اسمه التاريخ ، وإليه يرجع كلام السلطان عماد الدين صاحب حماة رحمه الله في تاريخه ، ويقال منه أرخت وورخت بالهمزة والواو لغتان ، ولذلك قالوا في مصدره تاريخ وتاريخ ، كما يقال تأكيد وتوكيد . قال في "ذخيرة الكُتَّاب" : أرخت لغة قيس ، وورخت لغة تميم . قال أبو هلال العسكري في كتاب "الأوائل" : ولا تكاد ورخت تستعمل اليوم ، وكأَنَّ الكُتَّاب كانوا قد رَفَضُوا هذه اللغة في زمانه وإلا فهي لغة مستعملة إلى الآن ، إلا أنها لما ظلت في ألسنة العوام

ابْتَدَلْتُ . قال الشيخ « أمير الدين أبو حيان » في شرح التمهيل : والتاريخ هو عند
الليالي والأيام بالنظر إلى ما مضى من السنة أو الشهر وإلى ما تبقى منهما ، قال
في "مواد البيان" : وهو محقق مخبر ، دالٌّ على قُرب عهد الكتاب وبعده .

الجملة الثانية

(في وجه الاحتياج إليه)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب " القلم والدواة " : أجمعت العلماء والحكماء
والأدباء والكتّاب والحُساب على كتابة التاريخ في جميع المكتبات . قال صاحب
" نهاية الأرب " : ولا غنية عنه ، لأن التاريخ يُستدلُّ به على بُعد مسافة الكتاب
وقُربها ، وتحقيق الأخبار على ما هي عليه . وقد قال بعض أئمة الحديث : لما استعملوا
الكذب استعملنا لهم التاريخ . وقد أصطلح الكتّاب على أنهم يؤرخون المكتبات
والولايات ونحوها مما يصلُّ عن الملوك والثواب والأمراء والوزراء وقضاة
القضاة ومن ضاهاهم ، بخلاف المكتبات الصادرة عن آحاد الناس ، فإنه لم يجز
العادة فيها بكتابة تاريخ .

الجملة الثالثة

(في بيان أصول التواريخ)

قال القضاة في "عيون المعارف في تاريخ الخلاف" : كانت الأمم السالفة
تؤرخ بالحوادث العظام وملك الملوك : فكان التاريخ يهبط آدم عليه السلام ،
ثم بمبعض نوح ، ثم بالطوفان ، ثم بنار إبراهيم عليه السلام .

ثم تفرق بنو إبراهيم : فأرخ بنو إسحاق بنار إبراهيم إلى يوسف ؛ ومن يوسف إلى مبعث موسى عليه السلام ؛ ومن موسى إلى ملك سليمان عليه السلام . ثم بما كان من الكوائن . ومنهم من أرخ وفاة يعقوب عليه السلام ، ثم بخروج موسى من مصر إلى إسرائيل ، ثم بحراب بيت المقدس .

وأما بنو إسماعيل ، فأرخوا ببناء الكعبة ، ولم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت بنو معد ، وكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بخروجهم . ثم أرخوا بيوم الفجار ، ثم بعام الفيل .

وكان بنو معد بن عدنان يؤرخون بنقلة جرهم العالقي وإخراجهم لإياهم من الحرم . ثم أرخوا بأيام الحروب : كحرب بني وائل ، وحرب البسوس ، وحرب داحس .

وكانت حمير وكهلان يؤرخون بملوكهم التابعة ، وبنار ضار : وهي نار ظهرت ببعض نراب اليمن ؛ وبسبل الحرم ؛ ثم أرخوا بظهور الحبشة على اليمن .

وأما اليونان والروم ، فكانوا يؤرخون بملك مختصر ، ثم أرخوا بملك دقلطيانوس القبطي .

وأما الفرس فكانوا يؤرخون بأدم عليه السلام ؛ ثم أرخوا بقتل دارا وظهور الإسكندر عليه ، ثم بملك زدرج . والذي ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه في دائرة اتصال التواريخ القديمة بالهجرة عشرون تاريخاً ، ذكر ما بينها وبين الهجرة من السنين ، إلا أنه لم يراع الترتيب في بعضها ، وأهمل منها تاريخ زدرج لوقوعه بعد الهجرة .

وبالجملة فالتواريخ على قسمين :

القسم الأول

(ما قبل الهجرة ، وقد أوردت منه تسعة عشر تاريخاً)

الأول — من هبوط آدم عليه السلام . وقد اختلف فيما بينه وبين الهجرة اختلافًا فاحشاً : فمقتضى ما في التوراة اليونانية على اختيار المؤرخين أن بينهما ستة آلاف سنة ومائتين وست عشرة سنة ، وعلى اختيار المتجيمين أن بينهما خمسة آلاف وسبعمائة وتسما وستين سنة .

ومقتضى ما في التوراة السامرية على اختيار المؤرخين خمسة آلاف ومائتين وسبع وثلاثون سنة ، وعلى اختيار المتجيمين ينقص عن ذلك .

ومقتضى ما في التوراة العبرانية ، على اختيار المؤرخين أن بينهما أربعة آلاف وسبعمائة وإحدى وأربعين سنة ، وعلى اختيار المتجيمين ينقص مائتين وتسما وأربعين سنة .

الثاني — من الطوفان . وبينه وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ، وعلى اختيار المتجيمين ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون سنة وثلاثمائة وستة أيام .

الثالث — من تبليل الأرض . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ثلاثة آلاف وثلاثمائة وأربع وستون سنة ، وعلى اختيار المتجيمين ينقص عن ذلك مائتين وتسما وأربعين سنة .

(١) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وتسما .

(٢) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وأربع سنين .

الرابع — من مولد إبراهيم عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثمانمائة وثلاث وتسعون سنة ، وعلى اختيار المتجمين ينقص عن ذلك مائتين وتسعا وأربعين سنة .

الخامس — من بناء إبراهيم الكعبة . وبينه وبين الهجرة ألفان وسبعمائة وثلاث^(١) وسبعون سنة .

السادس — من وفاة موسى عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثلاثمائة وثمان وأربعون سنة .

السابع — من عمارة سليمان عليه السلام بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف^(٢) وثمانمائة وستون سنة .

الثامن — من ابتداء ملك بختنصر . وبينه وبين الهجرة ألف وثلثمائة وتسع وستون سنة . قال صاحب حماة : بلا خلاف .

التاسع — من تخريب بختنصر بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف وثلثمائة وخمسون سنة .

العاشر — من ملك فيليبس أبي الإسكندر . وبينه وبين الهجرة تسعمائة وخمسة وأربعون سنة ومائة وسبعة عشر يوماً .

الحادى عشر — من غلبة الإسكندر على ملك فارس وقتل دارا ملك الفرس . وبينه وبين الهجرة تسعمائة واثنان وثلاثون سنة ومائتان وتسعون يوماً .^(٣)

(١) في المختصر وتسعون .

(٢) في المختصر وقرىبتين والظاهر أنه تصحيف .

(٣) في المختصر وأربع وثلاثون .

الثاني عشر — من مولد المسيح عليه السلام . وبينه وبين الهجرة ستمائة وإحدى وثلاثون سنة .

الثالث عشر — من ملك أردبالونص^(١) . وبينه وبين الهجرة مئسمائة وتسع وستون سنة .

الرابع عشر — من ملك أردشير أول ملوك الأكاسرة من الفرس . وبينه وبين الهجرة أربعمائة وأثنان وعشرون سنة .

الخامس عشر — من خراب بيت المقدس المرة الثانية . وبينه وبين الهجرة ثلثمائة وست وأربعون سنة^(٢) .

السادس عشر — من ملك دقلطيانوس : آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم على القبط . وبينه وبين الهجرة ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وأحد وعشرون يوما .

السابع عشر — من غلبة أغشطش ملك الروم على قلوبطرا ملكة اليونان ومصر . وبينه وبين الهجرة مائتان وخمسون سنة ومائتان وستة وأربعون يوما .^(٣)

الثامن عشر — من عام القيل ، وهو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وبينه وبين الهجرة ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام .

(١) في المختصر أدريانس وبالجملة في المختصر المطبوع لابن القداء ج ١ ص ١٢٥ مخالفة لما في أصولنا المخطوطة فتنه .

(٢) في مختصر أبي القداء ج ١ ص ١٢٥ مئة مائة وخمسون وكانت لمئة أربعين سنة من رفع المسيح .

(٣) في المختصر ستمائة وأثنان وخمسون سنة وهو أخيه بالصواب لأن غلبة أغشطش على قلوبطرا قبل مولد المسيح بأحدى وعشرين سنة .

التاسع عشر - من مَبِيتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وبينه وبين الهجرة ثلاث عشرة سنة^(١) وشهران وثمانية أيام .

القسم الثاني

(ما بعد الهجرة)

وفيه تاريخ واحد ، وهو من هلاك يزيد بن عبد الله بن يزيد آخر ملوك الفرس . وكان بعد الهجرة بعشر مئة وثمانية وسبعين يوما .

الجملة الرابعة

(في أصل وضع التاريخ الإسلامي وبنائه على الهجرة دون غيرها)

وقد اختلف في أصل ذلك : فحكى أبو جعفر النحاس في " صناعة الكتاب " عن محمد بن جرير : أنه روى بسنده إلى ابن شهاب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قَدِمَ المدينة - وقدمها في شهر ربيع الأول - أمر بالتاريخ . وعلى هذا فيكون ابتداء التاريخ في عام الهجرة . قال النحاس : والمعروف عند العلماء أن ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ثم اختلف في السبب الموجب لذلك : فذكر النحاس أن السبب فيه أن حامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه باليمن قدم عليه فقال : أما تَورِخُونَ كُتُبَكُمْ ؟ فاتخذوا التاريخ . ووافقه على ذلك صاحب " مواد البيان " . وذكر أبو هلال العسكري في كتابه " الأوائل " أن السبب فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب

(١) في الأصل ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية أيام وهو تحريف والصحيح من مئتين إلى القدا .

رضى الله عنه : إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين عُثْبُ لا تَدْرِي عَلَى أَيِّهَا نَعْمَلُ قَدْ قَرَأْنَا [كِتَابًا مِنْهَا] ^(١) عِلَّةُ شِعْبَانُ ، فَا تَدْرِي فِي أَىِّ الشَّعْبَانَيْنِ الْمَاضَى أَوِ الْآتَى ، فَاحْدَثْ عُمَرُ التَّارِيخَ . وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَبْنُ حَاجِبِ النِّهَانِ فِي " ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ " . وَذَكَرَ ضَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ : أَنَّهُ رُفِعَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَكٌّ عِلَّةُ شِعْبَانُ فَقَالَ : أَىِّ شِعْبَانٍ ، لَا تَدْرِي الَّذِي نَحْنُ فِيهِ أَمْ الَّذِي هُوَ آتٍ ، ثُمَّ جَمَعَ وَجُوهَ الصَّحَابَةِ وَقَالَ : إِنَّ الْأَمْوَالَ قَدْ كَثُرَتْ ، وَمَا قَسَمْتَاهُ مِنْهَا غَيْرُ مُؤَقَّتٍ فَكَيْفَ التَّوَصَّلُ إِلَى مَا يُضْبَطُ بِهِ ذَلِكَ ؟ - فَقَالُوا : يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِ الْفُرْسِ ، فَاسْتَحْضَرَ الْفُزَافِيَّانِ وَسَأَلَهُ - فَقَالَ : إِنْ لَنَا حَسَابًا تُسَمِّيهِ (مَا هُ زُور) وَمَعْنَاهُ حَسَابُ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ فَعَمِلَ عُمَرُ التَّارِيخَ .

الجملة الخامسة

(فِي بَيَانِ صُورَةِ أَسْبَتَائِهِمْ وَضَعِ التَّارِيخِ مِنَ الْمُهْجَرَةِ)

قَالَ فِي " ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ " : لَمَّا أَرَادَ عُمَرُ التَّارِيخَ ، جَمَعَ النَّاسَ لِلْمَشُورَةِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : تُؤَرِّخُ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بِلِ بَوَاقَاتِهِ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بِلِ مِهْجَرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ : لِأَنَّهَا أَوَّلُ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَقُوَّتِهِ . فَصَوَّرَهُ عُمَرُ وَاجْتَمَعَ رَأْيُهُ عَلَيْهِ ؛ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ وُلِدَ فِي مَهِمِ الْفِيلِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ فِي التَّوَارِيخِ الْقَدِيمَةِ . قَالَ فِي " ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ " : وَكَانَ وَقُوعُ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِيِّ عَشَرَ مِنْ شُبَّاطِ سَنَةِ ثَمَانِ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِينَ لَدَى الْقَرَقَيْنِ . وَبُسْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ مَسْنَةً مِنْ وَلَادَتِهِ ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ بَعْدَ النَّبَوَةِ عَشْرَ سِنِينَ ؛

(١) يَبَاضُ بِالْأَمْوَالِ وَالصَّحِيحُ مِنَ الضَّوِّ الْوَلَفُ -

(٢) يَنْتَظَرُ ذَلِكَ مَعَ مَا تَقْدِمُ مِنْ أَنَّ بَيْنَ الْمَبْعَثِ وَالْمُهْجَرَةِ ثَلَاثُ عَشْرَةِ سَنَةً .

ثم جاز إلى المدينة في شهر ربيع الأول بعد عشرين من النبوة، وقدم المدينة لاكتفى عشرة ليلة منه .

ثم بعد اتفاقهم على التاريخ من الهجرة اختلفوا في الشهر الذي تقع البداة به : فأشار بعضهم بالبداة برمضان لشرفه وعظمه - فقال عمر بن الخطاب : لأنه منصرف الناس من حجهم ، فرجعوا القهقري ثمانية وستين يوماً ، وهي القدر الذي مضى من أول الحزم [إلى ذلك الوقت] واستقر تاريخ الإسلام من الهجرة .

قال القاضي في "عيون المعارف" : وكان ذلك في سنة تسع عشرة أو ثمانين عشرة من الهجرة .

قلت : واستقرت تواريخ الأمم على أربعة تواريخ ، ابتداء بعضها مقسّم على ابتداء بعض .

أولها - غلبة الإسكندر على الفرس . وعليه تاريخ السريان والروم إلى زماننا .
والثاني - ملك دقلبيانوس ملك الروم على القبط . وعليه تاريخ القبط إلى زماننا .

والثالث - الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وعليها مدار التاريخ الإسلامي .

والرابع - هلاك زنديج آخر ملوك الفرس . وبه تؤرخ الفرس إلى زماننا ، وقد ختم بيان ما بين تاريخ كل من غلبة الإسكندر وملك دقلبيانوس وبين الهجرة في القليلة ، وما بين تاريخ زنديج وآخر ملوك الفرس في البعيدة في الكلام

(١) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

(٢) الزيادة من النبوة .

على أصول التواريخ، مع ما سبق في المقالة الأولى في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من ذكر مقدار سنة كل منها وعددها من الأيام، وسيأتي الكلام على استخراج بعضها من بعض فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(في كيفية تهديد التاريخ في الكتابة بزمن معين، وهو ضربان)

الضرب الأول

(التاريخ العربي)

ومدَّاه الليالي دون الأيام: لأن سبني العرب قريَّة، والقمر أول ما يظهر للأبصار هلالاً في الليل، فتكون الليالي بهذا الاعتبار سابقةً لأيام، إذ اليوم عندهم عبارة عن النهار، وهو إما من طلوع الفجر على ماورد به الشرع في الصوم ونحوه، وإما من طلوع الشمس على رأى المنجمين . قال أبو إسحاق الزجاجي في كتابه "المجل" : وإنما حُمل على الليالي دون الأيام لأن أول الشهر ليلة، فلو حُمل على الأيام سقطت منه ليلة . قال الشيخ أمير الدين أبو حيان في "شرح التمهيل" : واستغنى بالليالي عن الأيام للعلم أن مع كل ليلة يوماً، فإذا مضى عدد من الليالي مضى مثله من الأيام، فيجوز أن يُستغنى بذكر أحدهما عن الآخر . وقد ذكر جمال الدين عبد الرحيم ابن شيب في كتابه "معالم الكتابة" : أن كُتِبَ السلطان والأعيان تَوَرَّخ بالليالي، والكُتِبَ من الأدنى إلى الأعلى تَوَرَّخ بالأيام . ولم أعلم من أين أخذ ذلك ولا ما مستنده فيه .

إذا علم ذلك فلكافة التاريخ ثلاثة اعتبارات :

الاعتبار الأول

(أن يُرَخَّ بِمَعْ لِيَالِي الشَّهْرِ ، وَلَهُ سِتُّ حَالَاتٍ)

الحالة الأولى

(أن تَقَعَ الْكَتَابَةُ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنَ الشَّهْرِ ، أَوْ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْهُ)

فَإِنْ كَانَتْ الْكَتَابَةُ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنْهُ فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّعَّاسُ فِي "صِنَاعَةِ الْكُتُبِ" أَنَّهُ يُكْتَبُ «كُتِبَ عَزَّةَ شَهْرُ كَذَا، أَوْ [أَوَّلُ] لَيْلَةٍ مِنْ كَذَا، أَوْ مُسْتَهْلٌ شَهْرُ كَذَا، أَوْ مُهَلٌّ شَهْرُ كَذَا». وَحَكَى الشَّيْخُ أَمِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانٍ مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِهِمْ، وَزَادَ أَنَّهُ يُكْتَبُ أَيْضًا «كُتِبَ أَوَّلُ شَهْرٍ كَذَا».

قَالَ النَّعَّاسُ : وَلَا يَحُوزُ حِينَئِذٍ اللَّيْلَةُ خَلَّتْ وَلَا مَضَتْ لِأَنَّهُمْ فِي اللَّيْلَةِ بَعْدُ . قَالَ فِي "ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ" : وَرَبَّمَا كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ لَيْلَةَ الْأَمْسِ لَهْلَاءَ «لَيْلَةٍ [تَحُلُو]» .

وَأِنْ كَانَتْ الْكَتَابَةُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَهُوَ النَّهَارُ الَّذِي عَلَى اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنَ الشَّهْرِ ، كُتِبَ «لِلَّيْلَةِ خَلَّتْ أَوْ مَضَتْ مِنْ شَهْرٍ كَذَا» . قَالَ النَّعَّاسُ : وَيَحُوزُ كُتِبَ «لَعَزَّةَ الشَّهْرِ أَوْ لِأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ» وَمَنْعَ أَنْ يُقَالَ حِينَئِذٍ : أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ، أَوْ مُسْتَهْلٌ شَهْرُ كَذَا ، أَوْ مُهَلٌّ شَهْرُ كَذَا ، مُوجَّهًا لِذَلِكَ بِأَنَّ الْأَمْسَ لَهْلَاءَ إِنْمَا يَقَعُ فِي اللَّيْلِ . وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ النَّعَّانُ فِي "ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ" وَصَاحِبُ "مَوَادِّ الْيَانِ" وَبِهِ جَزَمَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ هِشَامٍ فِي وَرَقَاتِهِ فِي الْوَرَاقَةِ . وَكَلَامُ أَبِي مَالِكٍ فِي التَّسْهِيلِ يَوْمَهُمْ جَوَّازٌ ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ : فَيُقَالُ أَوَّلُ الشَّهْرِ ، كُتِبَ لِأَوَّلِ

(١) الزيادة من النسخ .

(٢) يياض بالأصول ، والتصحيح عن النسخ الواقف .

ليلة منه، أو لثرتة أو مهلة أو مستهله . وأوّل الشهر أتم من اليوم واليلة بل هو إلى اليلة أقرب، لأن اليلة سابقة بالأولية .

قال الشيخ أمير الدين : ومفتّح الشهر أوّل يوم منه . ومقتضى كلامه أنه يؤرّخ بالمفتّح في اليوم الأوّل من الشهر دون اليلة وفيه نظر، بل الظاهر جواز استعماله فيهما، بل اليلة بالمفتّح أولى لسبقها اليوم كما قدّم، اللهم إلا أن يُرعى فيه موافقة المفتّح لليوم في التذكرون اليلة لتأنيها . قال في "موادّ اليان" : والعرب تُسمّى أوّل ليلة من الشهر النعيرة، ولكن لا تستعمله الكُتّاب في التواريخ .

الحالة الثانية

(أن نَحَق الكُتّابُ فيما بعد مَضَى اليوم الأوّل من الشهر إلى آخر العشر)

فإن كان قد مضى منه ليلتان ، كُتِبَ « لليلتين خلتا من شهر كذا ، أو ليلتين مضتا منه » قال في " ذخيرة الكُتّاب " : ولا يُكْتَبَ ليوم خلّا ولا ليومين خلّوا : لأن ذكر الليالي في باب التاريخ أغلب ، كما هو ليلة السبت ويلة الأحد ، فتُضيف اليلة إلى اليوم لأنها أُسْبِقُ ، ولا تُضيف اليوم إلى اليلة .

وحكى الشيخ أمير الدين أبوحيان أنه إذا مضى من الشهر يومٌ كُتِبَ « ليوم مضى » وإذا مضى يومان كُتِبَ « ليومين مضيا » . والتحقق في ذلك أنه يختلف الحال فيه باختلاف الكُتّاب في الليل والنهار : فإن كُتِبَ في اليلة الثانية ، ناسب أن يُكْتَبَ « ليوم خلّا من شهر كذا » لأنه إن كُتِبَ لليلتين خلتا فهو في اليلة الثانية بعد ، وإن كُتِبَ لليلةٍ خلت لم يَظْهَرْ الفرقُ بينه وبين الكُتّاب في اليوم الأوّل من الشهر . وإن كُتِبَ في اليوم الثاني من الشهر ، ناسب أن يُكْتَبَ لليلتين خلتا أو مضتا . وإن كان

قد مضى من الشهر ثلاث ليال، كَتَبَ ثلاثِ خَلَوْنَ أو مضَيَّ من شهر كذا، أو ثلاثِ ليالِ خَلَوْنَ أو مضَيَّ . ويجوز فيه ثلاثِ خَلَتْ أو ثلاثِ ليالِ خَلَتْ على قلة . وكذا في الباقي إلى العشر فتقول : لعشرِ خَلَوْنَ أو مضَيَّ، أو لعشرِ ليالِ خَلَوْنَ أو مضَيَّ، أو لعشرِ، أو لعشرِ ليالِ خَلَتْ أو مضَتْ على اللغة القليلة .

الحالة الثالثة

(ان تقع الكتابة فيما بعد العشر إلى النصف)

فيكتب لإحدى عشرة خَلَتْ أو مضَتْ من شهر كذا . أو لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ أو مضَتْ، ويجوز فيه لإحدى عشرة خَلَوْنَ أو لإحدى عشرة ليلة خَلَوْنَ على قلة . وكذا في الباقي إلى النصف من الشهر . قال الشيخ أمير الدين أبو حيان : فإن صرح بالميزر وكان مذكراً، أعيد الضمير عليه فيقال : لاحت عشر يوماً خلاً أو مضى ونحو ذلك .

الحالة الرابعة

(أن تقع الكتابة في الخامس عشر من الشهر)

فيكتب «كُتِبَ لنصف شهر كذا» . قال النحاس : وأجازوا الخمس عشرة ليلة خَلَتْ أو مضَتْ . وكلام ابن مالك في «التسهيل» يشير إلى جواز الخمس عشرة ليلة خَلَتْ أو مضَتْ [أو بقيت^(١)] على رأى من يجوز التاريخ بالباقي . ولو حلف ذكر الليلة فقال : خمس عشرة خَلَتْ أو مضَتْ أو بقيت صح . قال في «التسهيل» والتاريخ بالنصف أجود .

(١) الزيادة لازمة ليصح الكلام .

الحالة الخامسة

(أن تقع الكآبة فيما بعد النصف من الشهر إلى الليلة الأخيرة منه)

وفيه لاهل الصنعة منبهان :

المنهْب الاول - أن يُورَخ بالماضى من الشهر كما في قَبْل النصف ، فيقال :
لِسْتُ عشرةَ خَلْتُ أو مَضْتُ ، أو لِسْتُ عشرةَ لَيْلَةً خَلْتُ أو مَضْتُ . وكذا إلى
العشرين فيقال : لِعَشْرِينَ خَلْتُ أو مَضْتُ ، أو لِعَشْرِينَ لَيْلَةً خَلْتُ أو مَضْتُ ،
وكذا في البواقي إلى آخر التاسع والعشرين ، فيكون التاريخ في جميع الشهر من أوله
إلى آخره بالماضى دُونَ الباقي فِرَارًا من المجهول إلى المحقق ، وهو مذهب الفقهاء
لأنه لا يُعرف هل الشهر تَامٌ أو نَاقِصٌ . قال النحاس : ورأيتُ على بَنِ سُلَيْمَانَ
يُختاره . قال في " ذخيرة الكُتَّاب " : وهو أثبتُّ وَجْهَةٌ أقوى . ثم لا شك أن من
يرى التاريخ باليوم يجوز لستهَ عشر يومًا خَلًا أو مَضَى من شهر كذا ، وكذا فيما بعده .

المنهْب الثاني - أن يُورَخ بما بَقِيَ من الشهر . وللمؤرخين فيه طريقتان :

الطريق الاول - أن يُحْزَم بالتاريخ بالباقي فيكتب لأربع عشرة ليلة بقيت
من شهر كذا ، ثم ثلاث عشرة ليلة بقيت ، وهكذا إلى الليلة الأخيرة من الشهر ؛
فيكتب لليلة بقيت ، وهو مذهب الكُتَّاب . قال النحاس : ورأيت بعض العلماء
وأهل النظر يصوّونه ، لأنهم إنما يكتبون ذلك على أن الشهر تَامٌ ، وقد عُرف
معناه وأن كاتبه وقاربه إنما يريد إن كان الشهر تَامًا فلا يحتاج إلى التلَفُّظ به .
قال محمد بن عمر المدائني : وأحسبوا لذلك بأن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :
حين كتَب عن النبي صلى الله عليه وسلم لأبْنِ الحَضْرَمِيِّ كتب في آخر الكُتَّاب :

«وكتب معاوية بن أبي سفيان لثلاث ليل يقين من ذى القعدة بعد فتح مكة سنة ثمان» ثم قرأه عثمان بن عفان رضى الله عنه والناس حوله . قال النحاس : وقد وقع مثل ذلك في كلام النبوة . فقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر : «اتمسوها في العشر الأواخر لسابعة تنق أو خامسة تنق» . وهذا الحديث الذى استشهد به النحاس ثابت في الصحيح فلا نزاع في العمل به .

الطريق الثانى — أن يعلق التاريخ بالباقي على شرط . فيكتب لأربع عشرة إن بقيت ، أو لأربع عشرة ليلة إن بقيت ، وعلى ذلك فى الباقي ، فراراً من إطلاق التاريخ بما لا يسلم تحاشيه أو قصه وتعليقاً له على حكم التمام ؛ وكأنه يقول : لأربع عشرة ليلة بقيت من الشهر إن كان تماماً . ومن يرى التاريخ بالأيام يجوز لأربعة عشر يوماً تنق من شهر كذا ، وكذا فى الجميع .

الحالة السادسة

(أن تقع الكتابة فى الليلة الأخيرة من الشهر أو فى اليوم الأخير منه)

فإن كان فى الليلة الأخيرة منه كُتب «لآخر ليلة من شهر كذا ، أو فى سفل شهر كذا ، أو فى أنسلاخه» . وإن كان فى اليوم الآخر منه كُتب «لآخر يوم من شهر كذا ، أو فى سفلحه أو أنسلاخه أيضاً» . ولم يختلفوا هنا فى جواز التاريخ باليوم . قال ابن حبيب النعمان : وذلك أن الشهر يتبدى ابتداء الليالي ويتقضى بانقضاء النهار . وذكر صاحب «مواد اليان» أن الذى كان كُتب مصر يستعملونه بالديار المصرية أن يُحمل شهر ثلاثين يوماً وشهر تسعة وعشرين ، وهذا جُئِجُوح منهم إلى الاعتبار الشجوى ، ولا ممول على ذلك فى الشريعة .

قلت : وَكَلَّابَ زَمَانَنَا قَدْ أَهْمَلُوا النَّظَرَ فِي ذَلِكَ بُحْلَةً وَعَوَّلُوا عَلَى التَّارِيخِ بِالْأَيَّامِ ،
وَاقْضِينَ عِنْدَ حَدِّ الْيَوْمِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْعَدَدُ مِنَ الشَّهْرِ عِنْدَ الْكَتَابَةِ فَيَكْتُبُونَ فِي الْيَوْمِ
الْأَوَّلِ : كُتِبَ فِي مَسْتَهْلٍ شَهْرُ كَذَا ، ثُمَّ فِي ثَانِي شَهْرُ كَذَا أَوْ ثَالِثُهُ إِلَى الْعَشْرِ ،
ثُمَّ فِي حَادِي عَشْرِهِ وَثَانِي عَشْرِهِ إِلَى الْعَشْرِينَ ، ثُمَّ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ،
أَوِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ ، وَالثَّانِي وَالْعَشْرِينَ إِلَى التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ . وَفِي الْيَوْمِ الْآخِرِ
مِنَ الشَّهْرِ يَكْتُبُونَ فِي سَلَخِ شَهْرٍ كَذَا لَا يَعْرِفُونَ ضَرَّ ذَلِكَ .

ثُمَّ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَتِ الْكَتَابَةُ فِي يَوْمٍ مَشْهُورٍ - كَأَيَّامِ
الْمَوَاسِمِ - أُرِّخَ بِهِ ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ عَدَدِ مَا مَضَى مِنَ الشَّهْرِ أَوْ بَقِيَ مِنْهُ . فَيَكْتُبُ
فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ « كُتِبَ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ » وَفِي تَامِسَعِ ذِي الْحِجَّةِ
« كُتِبَ فِي يَوْمِ حَرْفَةٍ » وَفِي طَاشِرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ ، أَوْ فِي يَوْمِ
عِيدِ الْأَعْشَى » وَفِي حَادِي عَشْرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ الْقَرِّ » - فَنَحْضُ الْقَافِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ
لَأَنَّ النَّاسَ يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ بِمَنَى ، وَفِي ثَانِي عَشْرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ النَّفَرِ الْأَوَّلِ » لِأَنَّ
الْجَمِيعَ يَنْفَرُونَ فِيهِ مِنْ مَنَى ، وَفِي ثَالِثِ عَشْرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ النَّفَرِ الثَّانِي » .

الاعتبار الثاني

(أن يُؤرَّخَ بِحِجْلَةٍ مِنْ أَيَّامِ الشَّهْرِ)

فَإِنْ أُرِّخَ بِعَشْرِ مِنَ الشَّهْرِ ، بَنَاهُ عَلَى الثَّانِيَةِ : فَيَكْتُبُ « كُتِبَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ » ،
أَوْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ - بِضَمِّ الْمَعْمُوزَةِ وَفَتْحِ الْوَاوِ جَمْعُ أَوَّلَةٍ ^(١) . أَوْ كُتِبَ فِي الْعَشْرِ الْوُسْطَى
أَوْ فِي الْعَشْرِ الْوُسْطَى - بِضَمِّ الْوَاوِ وَفَتْحِ السَّيْنِ جَمْعُ وَسْطَى ، أَوْ كُتِبَ فِي الْعَشْرِ الْآخِرَى

(١) لعل العراب " جمع أولى " .

أوفى العشر الأتْر - بضم المعزة وفتح الخاء جمع آتِرَةٍ . قال الشيخ أثير الدين أبو حيان :
ولا يُكْتَبُ العَشرُ الأوَّلُ ولا الأوسطُ ولا الآخِرُ . وقال بعض النحويين يُكْتَبُ
«وكتب في العشر الآخرة أو الأوائِرِ» ولا يُكْتَبُ الأتْرَى ولا الآتِرُ : لتلايلبس بالآخِرِ
بمعنى الثاني أو الأتْر بمعنى التوائى . وقد تقدّم في الكلام على أيام الشهر أن العرب
تسمي ليالي الشهر كُلَّ ثلاث منها باسمٍ ، وقد تقدّم ذكر أسمائها هناك . فإذا وقعت
الكتابة في ثلاثٍ منها ، كالقُرْدِ : وهى الثلاث الأولى من الشهر ، والدَّادِى : وهى الثلاث
الأخيرة منه ، كان للكتاب أن يؤرّخ بها كما يؤرّخ بعشر من الاعشار الثلاث ، بل
الثلاث أقرب لمعرفة التاريخ من العشر . وقد أشار إلى ذلك الشيخ أثير الدين
في «شرح التسهيل» قال : وإن أرخ بالثلاث الأخيرة من الشهر كتب الدَّادِى .
وإذا كان في السَّنة أيام مشهورة^(١) ، أرخ بها كالأيام المعلومات : وهى العشر الأوَّل
من ذى الحِجَّةِ والأيام المعلودات : وهى أيام التشريق على ما تقدّم ذكره في موضعه ،
كان للكتاب أن يؤرّخ بها .

الاعتبار الثالث

(أن يؤرّخ بأجزاء اليوم أو الليلة)

وأكثر ما يحتاج الكتاب إلى ذلك في تاريخ بطائق الحَمَام ، وقد سبق في الكلام
على الأيام أن كل واحد من الليل والنهار اثنتا عشرة ساعة زمانية ، تطول بطول
أحدهما وتقصّر بقصره ، ولكل ساعة منها اسمٌ يُخصّصها ، كالشروق : وهو أوَّل ساعات
النهار ، والغروب : وهو آخر ساعاته ، والشَّفَق : وهو أوَّل ساعات الليل ، والصَّبَاح
وهو آخر ساعاته . فينبغى للكتاب إذا كتب بِطَاقَةً من بطائق الحَمَام أن يكتب

(١) عبارة الفصول ص ٤٠١ «ولازع في أنه يجوز التاريخ بالأيام المشهورة في السنة كالأيام المعلومات الخ»
وهى أوضح .

الساعة التي كُتِبَتْ فيها من ساعات النهار ، أما ساعات الليل فلا يتأتى فيها ذلك ، لأن الحمام لا يُسْرَجُ في الليل ، اللهم إلا أن تَدْعُوَ الضرورة إلى التاريخ بساعة من ساعات الليل في بعض المكاتبات فيؤرخ بها .

قلت : وهذا الترتيب قد تركه كُتَّابُ زماننا ، وصاروا يُؤرِّخُونَ بالساعات المشهورة عندهم ، كالأولى من النهار ، أو الثانية ، أو وقت الظهر ، أو وقت العصر ، ونحو ذلك .

الضرب الثاني

(التاريخ العجمي)

وَمِمَّا رَأَيْتُهُ مِنَ الْإِيَّامِ دُونَ اللَّيَالِي ، لِأَن سَتَمَّهم مع اختلافها في الشهور ومبادئها ومقايصها شمسية ، والشمس محل ظهورها النهار تُدَوِّنُ الليل ، فلذلك أُرِّخُوا بِالْإِيَّامِ . قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : قال أحمد بن يحيى البلاذري : حضرت مجلس المتوكل ، وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشأه في تأخير التوروز ، والمتوكل يتعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك ، فدخلتني قفاسة ، فقلت : يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ ! فأعادوا النظر ، وقالوا : ما نراه فـأهو ؟ - قلت : أرخ السنة الفارسية بالليالي ، والعجم تؤرخ بالأيام ، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تستعمل على الليل والنهار ، وهو جزء من ثلاثين جزءاً من الشهر ، والعرب تؤرخ بالليالي ، لأن سِنينهم وشهورهم قمرية ، وأبتداء الهلال بالليل - قال : فشاهدوا بصصة ماقلته ، وأعترف به إبراهيم . وقال : ليس هذا من علمي .

قلت : وأكثر ما يحتاج إلى ذلك في تحويل السنين وقتل التبروز عند دوران السنين ، كما في كتاب إبراهيم بن العباس المقدم ذكره ، وكذلك في كتابة المحدثين ، فبما أتى أنه يجمع فيها بين التاريخ العربي والعجمي جميعاً ، ويجب فيه تقديم العربي على العجمي ، مثل أن يكتب « كُتِبَ لَعَشِيرُ خَلَوْنَ من المحرم سنة ثمانمائة » ، موافقاً للعاشر من ثوبت من شهور القبط ، أو العاشر من ثشرين الأول من شهور المريان ، أو العاشر من يناير من شهور الروم ، أو العاشر من أفرودين ماه ، من شهور الفرس ونحو ذلك .

الجملة السابعة

(في تقييد التاريخ بالسنة)

قد علمت أن فائدة التاريخ إنما تحقق بذكر السنة بعد اليوم والشهر ، وإلا فلا يعلم من أي السنين . فإذا كتب يوم كذا من شهر كذا كتب بعد ذلك ، سنة كذا ، سواء كان التاريخ عربياً أو عجمياً ، أو مرّجاً منهما ، مثل أن يكتب سنة كذا من الهجرة الموافقة لكذا من سني الروم أو سني الفرس .

ثم للكاتب في كتابة تاريخ السنة مصطلحان .

المصطلح الأول — أن يكتب « سنة كذا » فيحتاج إلى حذف الماء من العدد ، على قاعدة حذفها من عدد المؤنث ، مثل أن يكتب سنة ست وثمانمائة ونحو ذلك ، وعلى هذا أصطلح كتاب الديار المصرية وبلاد المشرق .

المصطلح الثاني — أن يكتب « عام كذا » فيحتاج إلى إثبات الماء في العدد على قاعدة إثباتها في عدد المذكر ، مثل أن يكتب « عام ست وثمانمائة » وعلى نحو ذلك

يُجْرَى كُتَابُ الْعَرَبِ غَالِبًا ، لما يقال : إن العام يختص بالخصب والسنة تختص بالمحل على ما تقدم ذكره في الكلام على السنين فيما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى .

الجملة الثامنة

(في معرفة بعض التواريخ من بعض)

قد ذكر في " مواد البيان " أن من جملة آدب الكاتب العِلمُ بتواريخ سني العالم واستخراج بعضها من بعض في كل وقت من أوقات اليوم الذي هو فيه من كل شهر وسنة من سني الأمم . وقد تقدم أيضا أن المستعمل من التواريخ في زماننا بين الأمم أربعة تواريخ ، بعضها أقدم من بعض .

أولها — تاريخ غلبة الإسكندر . وهو التاريخ الذي يؤرخ به السريان والروم والفرنجية ومن في معانهم إلى الآن ، وهو بعد الطوفان فيما حرره الشيخ علاء الدين ابن الشاطر في " زيج " بثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وثلاثين سنة وثلثمائة وعشرين يوما .

الثاني — التاريخ من ملك دقلطيانوس . وهو الذي يؤرخ به القبط إلى الآن ، وربما عبروا عنه بتاريخ الشهداء ، إشارة إلى تسميتهم الذين قتلهم دقلطيانوس من القبط شهداء ، وهو بعد غلبة الإسكندر بثمانمائة وأربع وتسعين سنة وثلثمائة وأثنين وثلاثين يوما .

الثالث — التاريخ من الهجرة ، وطيه تاريخ الإسلام . وهي بعد ملك دقلطيانوس بثلثمائة وست وثلاثين سنة وثلثمائة وأحد وعشرين يوما .

الرابع — التاريخ من هلاك يَزْدَجَرْد آخر ملوك الفُرس . وقد تقدم أنه بعد الهجرة بعشرين وثمانية وسبعين يوماً .

فاما التاريخ السرياني والرومي وهو الذي مبني من غلبة الإسكندر فقد تقدم أن شهور السريانيين اثنا عشر شهراً ، وهي : تشرين الأول — تشرين الثاني — كانون الأول — كانون الثاني — شباط — آذار — نيسان — أيار — حزيران — تموز — آب — أيلول . منها سبعة أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الأول ، و كانون الأول ، و كانون الثاني ، و آذار ، و أيار ، و تموز ، و آب ، و أربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الثاني ، و نيسان ، و حزيران ، و أيلول . ومنها واحد وثمانية وعشرون يوماً : وهو شباط ، فتكون أيام سنيه ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ، ويضاف إليها رجب يوم مراعاة للسنة الشمسية ، فتصير ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ورجب يوم ينقص جزءاً يسيراً . ومن أجل ذلك يعدون ثلاث سنين بساطط^(١) يكون شباط فيها تسعة وعشرين يوماً : لإضافة رجب اليوم في السنين الأربع إليه ، وتكون السنة فيها ثلثمائة وستة وستين يوماً .

وقد هتلم أيضاً أن شهور السنة الرومية تضاهي شهور السنة السريانية في عدد الأيام ، بل هي هي ، إلا أن الروم يسمون أشهرهم بأسماء غير أسماء شهور السريان ، ويكون أول شهورهم موافقاً لكانون الثاني ، وهو الشهر الرابع من شهور السريان ، ويكون آخر شهورهم موافقاً لكانون الأول .

(١) كذا في الأصول ويظهر أن فيه سقطاً من النسخ والأصل "يبدون ثلاث سنين بساطط" وستة كيسة يكون الخ كما يؤخذ من نظيره في التاريخ القبطي تأمل .

وأسماء شهورهم : يناير، فبراير، مارس، أبريل، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس،
سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر . ولا فرق في شيء منها سوى اختلاف الأسماء
وابتداء رأس السنة، وحيث أن الكُلَّ فيها في التاريخ واحدا .



وأما التاريخ القبطي : وهو الذي مبدؤه من ملك دقلطيانوس ، فقد تقدم أن
شهور السنة القبطية اثنا عشر شهراً . وهي : توت ، باب ، هاتور ، كيهك ، طوبه ،
أمشير ، برمهاط ، برمودة ، بشنس ، بشونه ، أبيب ، مسرى . وكل شهر فيها ثلاثون
يوماً من غير اختلاف ، ثم بعد مسرى خمسة أيام يسمونها أيام النسيء ، فتكون أيام
سنتهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، وتريد بعد ذلك رُبع يوم في كل سنة كما في التاريخ
الرومي ، وقد اصطَلَحُوا على أن يَعتَلُوا منها ثلاث سنين بساطط ، كُلُّ سنة منها ثلثمائة
 وخمسة وستون يوماً لازيادة فيها ، والراعية كبهسة تكون أيام النسيء فيها ستة أيام
وزيادة رُبع يوم ؛ وتصير أيام تلك السنة ثلاثمائة وستة وستين يوماً ، على نحو ما تقدم
في السرياني والرومي .



وأما التاريخ العربي : وهو الذي مبدؤه الهجرة ، فقد تقدم في الكلام على الشهور
في المقالة الأولى أن شهور سنة العرب اثنا عشر شهراً . وهي : المحرم ، صفر ،
ربيع الأول ، ربيع الآخر ، جمادى الأولى ، جمادى الآخرة ، رجب ، شعبان ،
رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة . وأنها قريية متأرجحة رؤية الهلال ، إلا أن
المتجمين أخذوا فيها على الحساب دون الرؤية لتصحيح حساب التواريخ ونحوها ،
وجعلوا فيها شهراً تاماً عدده ثلاثون يوماً ، وشهراً ناقصاً عدده تسعة وعشرون يوماً ،
على ترتيب شهور السنة ، فالمحرم عندهم تام ، وصفر ناقص ، وربيع الأول تام ،

وربيع الآخر ناقص، وجمادى الأولى تام، وجمادى الآخرة ناقص، ورجب تام، وشعبان ناقص، ورمضان تام، وشوال ناقص، وذو القعدة تام، وذو الحجة ناقص .
فيكون من السنة ستة أشهر تامة وستة أشهر ناقصة، وتكون السنة حينئذ ثلثائة يوم وأربعة وخمسين يوما، ولحقها بعد ذلك كمر في كل سنة، وهو خمس يوم وسدس يوم، فتصير السنة ثلثائة يوم وأربعة وخمسين يوما وخمس يوم وسدس يوم مفزقة في ثلاثين سنة؛ ويجعلون الكيسة سنة بعد سنة ثم سنة بعد سنتين، ثم سنة بعد سنة، وعلى هذا الترتيب إلى آخر الثلاثين، فتكون الكائس هي: الثانية، والخامسة، والسابعة، والعاشر، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة، والثمانية عشرة، والحادية والعشرين، والرابعة والعشرين، والسادسة والعشرين، والثامنة والعشرين . فتكون كل سنة منها ثلثائة وخمسة وخمسين يوما، ويعمل الزائد فيها في ذى الحجة، فيكون فيها ثلاثين يوما وباقى سنى الثلاثين بسائط، كل سنة منها ثلثائة وأربعة وخمسون يوما، وذو الحجة فيها تسعة وعشرون يوما، بناء على الأصل في أن يكون شهر تاما وشهر ناقصا .



وأما التاريخ الفارسي: وهو الذى مبدؤه من هلاك زنديج، فقد تخدم في الكلام على الشهور أن سنى الفرس اثنا عشر شهرا، كل شهر منها ثلاثون يوما . وهى : افرودين ماه، أردبشتاه، حردادماه، تيرماه، تردماه، شهررياه، مهرماه، أبان ماه،

(١) كذا في الأصول وبعبارة الضوء ص ١٥٦ "ويجتمع من هذا الخمس والستس يوم في كل ثلاث سنين فتصير السنة ثلثائة وخمسة وخمسين يوما ويبقى من ذلك بعد اليوم الذى أجمع منه شيء فيجتمع منه ومن خمس اليوم وسدس في السنة السادسة يوم واحد وكذلك إلى أن يبقى للكسر أحد عشر يوما عند تمام ثلاثين سنة وتسمى تلك السنين بكائس العرب" وهى أوضح .

أدرياه، ذى ماه، بهمن ماه، اسفندارماه . وبين ابان ماه وأدرياه خمسة أيام تسمى المسترقة بمثابة أيام النسيء في آخر سنة القبط ، وبمقتضى ذلك تكون سنتهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوما ، وليس فيها زيادة ولا نقص . فلا بد من معرفة هذه الأصول لاستخراج تواريخ بعض السنين المذكورة من بعض .

ثم مما يجب تعرفه بعد ذلك أن تعلم أن التاريخ السرياني والرومي سنونه سريانية أو رومية على ما تقدم ، فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين السريانية والرومية من عدد الأيام والكائنات ، والتاريخ القبطي سنونه قبطية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين القبطية من الأيام والكائنات ، والتاريخ العربي سنونه عربية فيكون على ما تقدم في السنين العربية من عدد الأيام والكائنات ، والتاريخ الفارسي سنونه فارسية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين الفارسية من عدد الأيام ، ولا كيفية فيها .

إذا علمت ذلك فإذا أردت استخراج بعض هذه التواريخ من بعض ، فانظر التاريخ المعلوم عندها عندك ، كالتاريخ العربي مثلا عند الإسلاميين فاجعل السنين الساتمة من التاريخ المعلوم أياما ، وزد عليها ماضى من السنة المكسورة من الشهور والأيام إلى اليوم الذى تريد أن تعلم موافقته لمثله من التاريخ المجهول ، ثم أنظر : فإن كان التاريخ المعلوم أقدم من التاريخ المجهول ، فانقص من أيام التاريخ المعلوم ما بين التاريخين من الأيام فما بقي فهو أيام التاريخ المجهول . وإن كان التاريخ المجهول أقدم ، فزد ما بين التاريخين من الأيام فما بقي فهو أيام التاريخ المعلوم ، فما بلغ فهو أيام التاريخ المجهول . فإذا علمت أيام التاريخ المجهول بزيادة ما بين التاريخين على أيام التاريخ المعلوم أو نقصا منها على ما تقدم ، فاجعل ما حصل منك من أيام التاريخ المجهول الذى تريد استخراجه ، فما كان فهو السنون الساتمة

للتاريخ الذى تريد أستخرجه ، فإن بقي شيء من الأيام بعد الستين التامة ، فخذ منها لكل شهر عدد أيامه ، وما بقى من الأيام دون شهر فهو الماضى من أيام الشهر الذى يلي ذلك .

مثال ذلك إذا أردت ان تستخرج التاريخ السريانى أو الرومى الموافق لآخر سنة ثمانمائة من الهجرة ، فقد تقدم لك أن التاريخ السريانى والرومى مبدؤه من قلبة الإسكندر على الفرس ، وهو قبل الهجرة بتسعمائة سنة وأثنين وثلاثين سنة ومائتين وسبعة وثمانين يوما ، وذلك ثلثمائة ألف يوم وأربعون ألف يوم وسبعمائة يوم ، فاحفظ ذلك ، ثم أبسط الماضى من سنة الهجرة وهو ثمانمائة سنة أياما ، بأن تضرب الثمانمائة فى عشرة آلاف وستمائة وأحد وثلاثين يوما ، وهى بسط السنة العربية من حين كمرها الزائد على أيامها ، وهو خمس يوم وسدس يوم ، يكون ثمانية آلاف ألف ونعمسمائة ألف وأربعة آلاف وثمانمائة ، فاقسمه على ثلاثين وهى مخرج الكسر الذى هو الخمس والسدس ، يخرج بالقسمة مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون ، وهو عدد أيام الثمانمائة سنة ، فأضفه على ما بين قلبة الإسكندر والهجرة من الأيام ، وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة يوم ، يكون الجميع ستمائة ألف وأربعة وعشرين ألفا ومائة وثلاثة وتسعين ، فاجعل تلك الأيام ستين سريانية ، بأن تضرب تلك الأيام فى أربعة ، يحصل منها ألفا ألف وأربعمائة ألف وستة وتسعون ألفا وسبعمائة وأثنان وسبعون يوما ، فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف وسبعمائة وثمانية ، وهى ستون تامة ، ويفضل بعد ذلك ألف وثلثمائة وأربعة وثمانون ، فاقسمها على أربعة ،

(١) الذى تقدم له "مائتين وتسعين يوما" .

يخرج ثلثمائة وستة وأربعون يوما ، يكون ذلك أحد عشر شهرا ، من أول تشرين الأول وأحد عشر يوما من الشهر الثاني عشر من الشهور السريانية وهو أيلول ؛ فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة هجرية موافقا لليوم الحادى عشر من أيلول سنة ألف وسبعمائة وتسع من السريانية .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ القبطى لآخر سنة ثمانمائة ، فقد تهتم أن التاريخ القبطى ابتدأه من ملك دقلطيانوس على القبط ، وهو قبل الهجرة بثلثمائة وسبع وثلاثين سنة وثلثمائة وعشرين يوما ، وحمله أيامه مائة ألف يوم وثلاثة وعشرون ألف يوم وأربعمائة يوم وتسعة أيام ، فاضف أيام الماضى من سنة الهجرة : وهو مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون على ما تهتم في التاريخ السريانى [على ما قبل الهجرة^(١)] وهو مائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وأربعمائة وتسعة أيام ، يكون المجموع أربعمائة ألف وستة آلاف وتسعمائة يوم ويومين ، فاجعله ستين قبطية ، بأن تضرب ذلك فى أربعة حدد مخرج كسر السنة القبطية ، وهو الربع الزائد على الخمسة وستين ، يكون ألف ألف وستمائة ألف وسبعة وعشرين ألفا وستمائة وثمانية ، ناقصه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف ومائة وأربعة عشر ، وهو عدد السنين القبطية السامة ، ويقبى بعد ذلك أربعة وخمسون ، فاقصمه على الأربعة المذكورة يخرج بالقسمة أربعة عشر ، وهى أيام من الشهر الأول من السنة القبطية الناقصة ، فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة للهجرة موافقا لربع عشر شهر توت سنة ألف ومائة وخمسة عشرة من السنين القبطية .

(١) الزيادة لازمة لتوضيح المقام وهى مرادة المؤلف .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ الفارسي لآخر سنة الثمانمائة المذكورة ،
 فقد تهتم أن ابتداء التاريخ الفارسي بعد الهجرة بعشرين وثمانين يوما ، وجملة
 أيامه ثلاثة آلاف يوم وستمائة يوم وأربعة وعشرون يوما ، فأسقطها من الحاصل
 من أيام النبی ^(١) الماضي من الهجرة إلى آخر الثمانمائة ، يكون الباقي بعد ذلك مائتي
 ألف وتسعة وسبعين ألفا وثمانمائة وتسعة وستين يوما ، فاقسمها على ثلثمائة وخمسة
 وستين ، يخرج لك سبعمائة وستة وستون سنة ، وهو عدد السنين الفارسية التامة ،
 ويفضل بعد ذلك مائتان وتسعة وسبعون يوما ، فخذ لكل شهر عدد أيامه :
 وهو ثلاثون يوما وبقية تسعة أيام ، منها خمسة أيام في نظير الخمسة الأيام الزائدة
 في آخر أبان ماه المعروفة بالمسرفة ، يبقى أربعة أيام من شهر ذي ماه : وهو الشهر
 العاشر من شهورهم ، فيكون آخر يوم من ثمانمائة من الهجرة موافقا لليوم الرابع من
 ذي ماه من شهور الفرس سنة سبعمائة وسبع وستين .

فلو فرض أنه مضى من سنة إحدى وثمانمائة سنة أشهر مثلا ، فاجعل الأشهر شهرا
 تاما وشهرا ناقصا على ما تهتم ، تكون أيامها مائة وسبعة وسبعين يوما فأضفها على
 أيام الثمانمائة ، وأفضل فيها ما تهتم ذكره ، لا يتغير العمل في شيء من ذلك .

مثال ذلك : إذا أردت استخراج التاريخ السرياني في آخر جمادى الآخرة سنة
 إحدى وثمانمائة ، فأضف مائة وسبعة وسبعين : وهي أيام سنة أشهر على أيام
 الثمانمائة ، وهي مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون ،
 يكون المجموع مائتي ألف وثلاثة وثمانين ألفا وستمائة وستين يوما ، فأضف إليه
 ما بين الهجرة والتاريخ السرياني : وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة ، يحصل

من ذلك ستمائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وثلثمائة وسبعون ؛ فاضربه في أربعة يخرج لك ألف وستمائة وتسعة ، وفضل من الأيام مائة وثمانية ونحسون يوماً ، تكون سابع أدار من شهور السريان ، فيكون آخر يوم من جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانمائة موافقاً للسابع من شهر أدار سنة ألف وسبعمائة وعشر من سنى السريان ، قلت : وفي كُتب الزيجات وغيرها طرق مختلفة لاستخراج التواريخ ، وجدّ أول موضوعاً لا يحتملها هذا الكتاب فراجعها من أحتاج إلى زيادة على ذلك .

الجملة الثامنة

(في موضع كتابة التاريخ من الكتاب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما موضعه من الكتاب ، فقال محمد بن عمر المدائني في كتاب " القلم والنواة " : رَسَمُوا تاريخ الكتب في آخرها ، وجعلته العامة في صُورها . والتحقيق في ذلك ما ذكره صاحب " مواد البيان " وغيره أن الكُتب التي تؤرخ على ضربين :

الضرب الأول — الكتب السلطانية ، ولها حالان :

الحالة الأولى — أن يكون الكتاب في أمر تتشوّف النفوس إلى معرفة اليوم الذي وقع ذلك الأمر فيه : كالحوادث العظام ، والتفتوحات والمواسم ونحوها ، فيؤرخ الكتاب في صدره ، مثل أن يكتب في صدر الكتاب « كُتب أمير المؤمنين إليك ، أو كتبنا إليك يوم كذا من سنة كذا » كما كان يُكتب في الزمن المتقدم في مثل ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون الكتاب في أمر لا تتشوّف النفوس إلى معرفة اليوم الذي يقع ذلك الأمر فيه ، فيؤرخ الكتاب في آخره .

الضرب الثاني — كُتب الأجباع إلى الرؤساء .

والرسم فيها أن تُورَخ في صلورها . قال في «موادّ البيان» : وذلك مثل أن يقال : كتب العبد من مقرّ خدمته يوم كذا .

قلت : والذي استقرّ عليه حال كُتّاب الزمان كتابة التاريخ في آخر الكتاب بكل حال ، سواء كان المكتوب ولاية أو مكتبة أو غير ذلك ؛ ولعلّ الولايات وما في معناها لم يقع الاختلاف في كتابتها في آخر المكتوب في زمن من الأزمان .



وأما صورة وضع التاريخ في الكتابة ، فقد أمّ طلع الكُتّاب على أن جعلوا التاريخ بعد كتابة إن شاء الله تعالى في سطرين : فيكتبون « كُتِبَ في كذا من شهر كذا » في سطر ، ثم يكتبون « سنة كذا » في سطر تحته ؛ وفي الكُتُب عن قضاة القضاة يحمل كُتّابهم جميع التاريخ في سطر واحد .

الطَّرَفُ الثَّالِثُ

(في المستندات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في صورة ما يُكْتَب ، وهو على ضربين)

الضربُ الأوّلُ

(أن يُضاف إلى مرسوم السلطان ، وله خمس حالات)

الحالة الأولى — أن يكون بتلقّي كاتب السرّ ، إما بما يأمر به السلطان عند قراءته القصة عليه ، أو بما يكتبه كاتب السرّ ويضمّيه من نفسه ، كما في خلاص الحقوق ونحوها ؛ فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » في سطر واحد لا غير .

الحالة الثانية — أن يكون بتلقى كاتب السر أو أحد من كتّاب الدّست بدار العدل ، عند جلوس السلطان في المراكب بالإيوان وقراءة كاتب السر وكتّاب الدّست قصص المظالم ونحوها عليه . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من دار العدل الشريف » سطرين أحدهما تحت الآخر ، ويكون في السطر الأول « حسب المرسوم الشريف » والباقي في السطر الثاني .

الحالة الثالثة — أن يكون برسالة الدّوّانار . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » سطرًا واحدًا ، ثم يكتب تحته « رسالة الجناب العالي الأميريّ الدّوّادار ، الفلاني » باللقب المضاف إلى الملك كالتامري ونحوه « ضاعف الله تعالى نعمته » ويكون آخر السطر الأول « الأميريّ الفلاني » .

الحالة الرابعة — أن يكون من ديوان الخاص . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من ديوان الخاص الشريف » ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرًا ، وباقي الكلام سطرًا .

الحالة الخامسة — أن يكون بخط السلطان بظاهر قصّة . فيكتب « حسب المرسوم الشريف بالخط الشريف » سطرين ، ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرًا على ما تقدّم ، وما بعده سطرًا .

قلت : وما يجب التنبيه له أنّ لفظ حسب الواقع في المستندات مقول اللغة فيه بفتح السين كما تقول : فعلت ذلك حسب أمرك ، ولا يجوز تسكينها بحال كما أطبق عليه علماء اللغة ، إلا ما حكاه الجوهرى في «صحاحه» من جواز تسكينها في ضرورة الشعر ، على أن جلّ كتّاب الزمان يملطون في ذلك فلا يتطّقون بها إلا ساكنة السين ، وربما ضبطوه كذلك في الكتابة .

الضرب الثاني

(أن يَحْمَلَ مستندَه الإشارة، وله ثلاث حالات)

الحالة الأولى — أن يكون بإشارة النائب الكافل . فيكتب « بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الكافية ، كافل الممالك الشريفة الإسلامية ، أعلاها الله تعالى ! »
سطين ، ويكون آخر السطر الأول الكافية الفلانية .

الحالة الثانية — أن يكون بإشارة الوزير . فيكتب « بالإشارة العالية الوزيرية الفلانية ، مدبر الممالك الشريفة أعلاها الله تعالى ! » سطين ، ويكون آخر السطر الأول الوزيرية الفلانية .

الحالة الثالثة — أن يكون بإشارة الإستدار . فيكتب « بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الفلانية ، إستدار العالية ، أعلاها الله تعالى ! » سطين ، ويكون آخر السطر الأول الكبيرة الفلانية . وقد تَقَدَّمَ في الكلام على الانقلاب ما جرى عليه الكُتَّاب في لفظ إستدار من التحريف ، واستعملوه بلفظ إستادار ، أو استاد الدار ، وتجب مواضعهم عليه وإن كان خطأ جرياً على المصطلح .

الجملة الثانية

(في موضع كتابة المستند)

وقد أصطلح الكُتَّاب على أن يُكْتَبَ المستند في الغالب بَعْدَ التاريخ ، ويكون الظرفُ أو الحارَ والمجرور فيه متعلقاً من التاريخ بلفظ كُتِبَ ، وكأنه يقول : كُتِبَ في تاريخ كذا ، حَسَبَ الأمر الشريف ، أو بالإشارة الفلانية . وربما كتب بحاشية المكتوب في المراسيم الصَّغار التي تُكْتَبُ على ظهور القِصَص ونحوها ، وكذلك

أوراق الطريق؛ وموضع كتابته يقابل بين السطرين الأولين أخذنا من جهة الأسفل إلى جهة الأعلى بحيث يكون آخر كتابة المستند مسامتا للسطر الأول، فإن كان «حَسَبَ المرسوم الشريف» فقط، كتبه سطرا واحدا، وإن كان «من دار العدل» كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» سطرا، ومن «دار العدل الشريف» سطرا تحته، وكذلك إن كان «من ديوان الخاص» كما يُكْتَبُ في أسفل الكتاب. وإن كان برسالة الدوادار، فقد جرت العادة أن يكتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في أسفل الكتاب تحت التاريخ سطرا واحدا، ويكتب «برسالة الجتاب العالي، الأُميرى، الكُبرى، الفلاني، الدوادار، الفلاني ضاعف الله تعالى نعمته!» بالهامش في المحل المتقدم سطرين كما كان يُكْتَبُ بآخر الكتاب. وإن كان المستند الإشارة كتب جميعه بمحاشية الكتاب في المحل المتقدم ذكره سطرين على ما تقدم بيانه.

الطرف الرابع

(في الحملة في آخر الكتاب، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الاصل في كتابها)

والأصل في ذلك أن الله سبحانه كما جعل الحمد مفتاحا للأمر يمتن بالافتتاح به، جعله ختاماً لها يمتن بالاختتام به قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال جلَّتْ قدرته: ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ وَإِخْرُجُوهُمْ إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع من السفر قال: «آتِيُونَ تَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». قال السهيلي: ومن ثم سُمِّيَ النبي صلى الله عليه وسلم (أحمد) إشارة إلى أنه خاتم الأنبياء وآخر المرسلين.

ولما كان الأمر كذلك ، أصطلح الكُتَّاب على اختتام الكُتُب بالحمد تبرُّكا .
قال ابن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يُجَيِّم بالحمد لله في التواقيع في المظالم ، وربما
خُتِمَ بها في تواقيع الإطلاقات . وقد أصطلح كُتَّاب الزمان على حذفها من آخر
مالا تُكْتَبُ في أوَّلِه السَّملَةُ : كالتواقيع الصَّغار ونحوها ، على ما سياتى في موضعه
إن شاء الله تعالى . وكأنهم يُشيرون بذلك إلى أنَّ مثل ذلك لا يُجَيِّمُ بشانه ، فكما حذفوا
السَّملَةَ من أوَّلها حذفوا المَحْمَلَةَ من آخرها إشارة إلى عدم الاهتمام بها كما حُذِفَتْ
من أوَّل الكلام الذي لا يُجَيِّمُ به لأجل ذلك على ما تقدَّم بيَّأنهُ .

الجملة الثانية

(في بيان ما يُكْتَبُ وصورة وضعه في الكتابة)

أما ما يُكْتَبُ ، فقد أصطلحوا على أن يُكْتُبوا في مَحْمَلَةِ آخر الكتاب « الحمد لله
وحده » وربما كُتِبوا : « الحمد لله ربَّ العالمين » . على أنهم لو أطبقوا على كتابتها
لكان أولى . فقد ذكر النووي في كتابه "الأذكار" أنها أفضلُ صيغ الحمد ومن
أجل ذلك أَفْصَحَتْ بها فاتحة الكتاب التي هي أمُّ القرآن .



وأما وضعها في الكتابة ، فقد أصطلحوا على أن جعلوها بعد كتابة المستند عن يَمَنَةِ
الدَّرَج ، على بُعد قدر ما بين إن شاء الله تعالى والسطر الآخِر من المكتوب . قال
في "معالم الكتابة" وقد تحتمل الخروج عن سَمَتِ السُّطور .

الطرف الخامس

(في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب ، وما يلحق بذلك ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل إثباتها في آخر الكتب)

والأصل في ذلك مع ما تقدم في الكلام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أول الكتب في الكلام على الفوائح أنه كما ذكرنا في أوائل الكتب تبركا ، كذلك ذكرنا في آخرها تبركا . وقد قال تعالى في حق صلى الله عليه وسلم : **(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)** فإن معناه ما ذكرنا إلا ذكرنا معنى ، ولما أختتمت الكتب بالحمد لله ، فاسب أن يقرن الحمد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جمعا بين ذكره وذكر الله تعالى . وقد ذكر ابن هشام في "سيرته" : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في آخر عهده لعمر بن حزم حين وجهه إلى اليمن "صلى الله على محمد" .

ثم الكلام في الجمع بين الصلاة والسلام ، والصلاة على الآل والمصحب بعده صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب على ما مر في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أول الكتاب .

قلت : فلو كتبت كتاب لسلطان أو غيره من المسلمين إلى أحد من أهل الكفر ، فهل يؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يؤتى بها في الكتاب إلى المسلم

(١) في الأصول "آخر" وهو خطأ من النسخ ، وعادة الضم على ما مر في الفوائح ، وهي أظهر .

إرغاماً للكافر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، أولاً يُؤتى بها صيانةً لاسمه صلى الله عليه وسلم عن حُصوله في يد كافر ، كما يمنع من السفر بالمصحف إلى بلاد الكُفر ؟ لم أر من تعرض له ، والظاهر أنه يُؤتى بها إرغاماً للكافر ، ومواجهة له بما يحكره .

وقد حكى أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن عبد الملك بن مروان ، حين أحدث كتاباً سنوية الإخلاص وذكر النبي صلى الله عليه وسلم على الدنانير والدرهم ، كتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طوابعكم شيئاً من ذكر نبيكم ، فاتركوه وإلا آتاكم في دنانيرنا ذكر ماتركهون ، فعظم ذلك في صدر عبد الملك ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية يستشيره في ذلك ، وكان أديباً عالمياً فقال له خالد : فرج روثك يا أمير المؤمنين ، حرم دنانيرهم وأضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تُنفهم مما يكرهون في الطوابع ، ففعل .

الجملة الثانية

(في بيان ما يكتب في التصلية في آخر الكتاب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما صورة ما يكتب ، فقد أصرطح الكتاب على أن يكتبوا في التصلية في آخر الكتاب بعد الحمد لله وحده ما صورته « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » .
وهي صيغة مستحسنة للإتيان بالصلاة فيها بصيغة الجمع ، والجمع بين الصلاة والسلام ، وإتيان الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بالصلاة والسلام على الآل والصحاب . وربما أتى بعض الكتاب بالصلاة بلفظ الأفراد ، فيكتب وصلاته .

(١) أى أذهب ثرك ورجلك ، ووقع في الأصول فرج بالجم وهو تصحيف .

أما ما يكتب، فقد أصرّطح الكتابُ على أن يكتبوا «حَسْبُكَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» بلفظ الجمع، على أن المتكلم يتكلم بلسانه ولسان غيره من الأمة، لا أن الجمع للتعظيم؛ لأنه

ليس بلائق بالمتام . وكان بعض الكُتَّاب يَسْتَحِبُّ أن يكتب «حَسْبِيَ الله» بلفظ الوحدة
 فراراً من اللبس في لفظ الجمع بين التعظيم والجمع الحقيقي . وقد أشار في «صناعة الكُتَّاب»
 إلى بعض ذلك . قال ابن شيث في «معالم العتابة» : وقد ينادب الأذنَى مع الأعلى ،
 فيأتى بالآية على نصها فيقول : (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) فراراً من تون الجمع
 التي هي للعظمة . قال : وقد يقال في مكانها : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)
 ثم قال : فاما الأصل إذا كُتِبَ للأذنَى فلا يخرج عن «حَسْبُنَا الله ونعم الوكيل» .
 ثم بعض الكُتَّاب قد يكتب مع الحَسْبَلَة واوا بأن يكتب : وحسبنا الله
 ونعم الوكيل ، ولا معنى للواو هنا ، إذ لا علاقة بين الحَسْبَلَة وما قبلوا حتى
 يسوغ العطف عليه ، فالواجب حذفها كما نبه عليه الشيخ جمال الدين بن هشام
 في «ورقاته في الوراق» .



وأما موضع وضعها في الكتابة ، فقد اصطَلَحُوا على أن يكتبوها سطراً واحداً بعد
 سطر الحمدلة والتصاية ، ويكون بينهما في البعد قدر ما بين إن شاء الله تعالى وبين
 السطر الآخر من البياض . قال ابن شيث : وموضعها ثلث السطر من الجانب
 الأيمن إلى حيث ينتهي .

وأعلم أن الكُتَّاب قد اصطَلَحُوا على أن يكتبوا تحت الحَسْبَلَة صورة حاء لطيفة
 منكبّة على هذه الصورة «حر» ولا معنى لها ، إذ هي في الأصل إشارة إلى الحَسْبَلَة
 نفسها ، وكأنّ بعض الكُتَّاب كان يكتبها عن الحَسْبَلَة ، ثم ألبس ذلك على بعض
 الكُتَّاب فأثبتها مع الحَسْبَلَة على أنّ أن فيها قدراً زائداً عليها ، ويحتمل أنها إنما
 وُضِعَتْ في الأصل لسدّ البياض كما يكتب بعض التوائر لسدّ البياض أو الفصل
 بين الكلامين وغير ذلك .

الطرف السابع

(في اللواحق ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الترتيب ، ويتعلق به أمران)

الأمر الأول

(في الترتيب إلى الترتيب)

لا يَزَاعَ في أن تَرِيبَ الْكُتَابَ بعدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ بِإِقَاءِ الرَّمْلِ وَيُحَوِّهِ عَلَيْهِ مَطْلُوبٌ ،
وفيه معنيان :

المعنى الأول - التبرُّكُ طلباً لِنُجْحِ الْقَصْدِ ؛ فقد روى محمد بن عمر المدائني في كتاب "العلم والدواء" بسنده عن إسماعيل بن محمد بن وهيب عن هشام بن خالد وهو أبو مروان الأزدي ، عن يَاقَةَ بن الوليد ، عن عطاء ، عن ابن جريح ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تَرَبُّوا الْكِتَابَ وَتَحَوُّهُ مِنْ أَسْفَلِهِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ وَأَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ" . وفي حديث "إِذَا كُتِبَ أَحَدُكُمْ كِتَابًا فَلْيَتَرَبَّهُ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ وَهُوَ أَنْجَحُ لِحَاجَتِهِ" .

ومن كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ^(١) تَرَبُّوا الْكُتَابَ تَجِدُوا .
وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ كِتَابَيْنِ إِلَى أَهْلِ قُرَيْشَيْنِ
فَتَرَبَّ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يُتَرَبَّ الْآخَرُ ، فَأَسْلَمَتِ الْقُرَيْشُ الَّتِي تُرَبَّ كِتَابُهَا . وهذا المعنى
موجود في المكتبات والولايات وغيرهما لطلب البركة والنجاح في جميع ذلك .

(١) رواية كتب الله "أتربوا الكتاب" .

وقد حكي ان أبادثمان مريض مَرَضًا أَشْفَى فِيهِ ، فَأَوْصَى وَأَمْلَى وَصِيَّتَهُ عَلَى ابْنِهِ ، فَكَتَبَهَا وَأَتَرَبَّهَا فَقَالَ : نَعَمْ تَرَبَّهَا فَإِنَّهُ أُنْجِحُ لِحَاجَةٍ . وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمَكْتُوبُ قَدْ جَفَّ أَمْ لَا : لِأَنَّ الْقَصْدَ إِنَّمَا هُوَ النُّجْحُ وَالْبَرَكَةُ .

المعنى الثاني - التجفيف لما كتبه بطرح التراب عليه كي لا يَمْحَى بِمَا يُصِيبُهُ قَبْلَ الْجَفَافِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى أَضْعَفُ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَمَقْتَضَاهُ أَنَّهُ إِذَا جَفَّ الْكُتَابُ لَا يُتَرَّبُ ، وَعَلَيْهِ عَمَلُ كُتَّابِ الزَّمَانِ . وَمِنْ هُنَا يَضَعُونَ التَّرَابَ عَلَى آخِرِ الْكُتَابِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَقْرَبُ عَهْدًا بِالْكَاتِبَةِ فَيَحْتَاجُ إِلَى الْجَفِيفِ ، بخلاف أول الكتاب فإنه يكون قد جَفَّ عِنْدَ نِهَايَةِ الْكُتَابِ ظَالِمًا ، لِأَسْمَا فِي الزَّمَنِ الْحَازِرِ ، أَوْ مَعَ طَوْلِ الْكُتَابِ وَأَمْتِدَادِ زَمَنِ كِتَابَتِهِ . عَلَى أَنَّ صَاحِبَ "مَوَازِي الْيَانِ" وَضِعَهُ مِنْ قُدَمَاءِ الْكُتَابِ قَدْ صَرَّحُوا بِأَنَّهُ يَسْتَحَبُّ وَضْعُ التَّرَابِ أَوَّلًا عَلَى الْبَسْمَلَةِ ، ثُمَّ يُمَرُّ الْكَاتِبُ مِنْهَا عَلَى سَائِرِ الْمَكْتُوبِ لِيَمُكِّنَ الْكُتَابَ بَرَكَةَ الْبَسْمَلَةِ . وَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ التَّرَبُّبَ مِنْ آخِرِ الْكُتَابِ إِلَى أَعْلَاهُ لَا يَخْلُو أَيْضًا مِنْ بَرَكَةٍ ، لِمُلَامَسَةِ التَّرَابِ أَوَّلًا الْحَمْدَةَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْحَسْبَةَ . وَرَبْمَا يَلْغُ بِالتَّرَابِ مِنْ أَسْفَلِ الْكُتَابِ إِلَى الْبَسْمَلَةِ ثُمَّ أَعَادَهُ فَيَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ الْبَرَكَتَيْنِ .

الأمر الثاني

(فَمَا يُتَرَّبُ بِهِ الْكُتَابُ)

وقد أصرح كُتَّابُ الزَّمَانِ عَلَى التَّرَبُّبِ بِالرَّمْلِ الْأَحْمَرِ . أَمَّا تَخْصِصُهُمُ التَّرَبُّبَ بِالرَّمْلِ فَلِأَنَّهُ لَا غُبَارَ فِيهِ يَلْتَقِ بِالْكُتَابِ فَيُذْهِبُ بِهِجَةُ الْوَرَقِ . وَأَمَّا اخْتِيَارُهُمُ الْأَحْمَرَ دُونَ غَيْرِهِ فَلِأَنَّهُ أَهْيَجُ إِذَا لَصِقَ بِالْكُتَابِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَدَائِنِيِّ : وَكَرِهُوا وَنَهَوْا

عن تراب الحيطان، وماؤا إلى النشارة والأُتُتَان . قال : وبلغنا أن بعض الأئمة من أهل العلم كان يُتَرَّبَ الحديثَ بالمُصَنَّدِ ويقول : لا أُطْرَحُ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب . وكان حيوة بن شريح يخرج إلى الصحراء فيأخذ الطين الأسود فيدقه ويخله فيُتَرَّبَ به . وقد صرح الرافعي وغيره من أصحابنا الشافعية أنه يحرم التريب من جدار الفير، ومعناه ظاهرهما فيه من الاغتصاب والإعداء . وقد سبق في المقالة الأولى في الكلام على الخط ذكر أنواع الرمل، وأن من أحسنه رملاً يؤتى به من صحراء مايردين ، فيه سُتُورٌ صُفْرٌ كُثُورٌ الذهب ، يلقى في الرمل الأحمر فيُتَرَّبَ به الأمراء والوزراء ومن في معانهم .

الجملة الثانية

(في نظر الكاتب في الكتاب وتأمله بعد الفراغ منه)

قد نَصَبُوا على أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة الكتاب ينبغي له أن يتأمله من أوله إلى آخره ويتتبع ألفاظه ويتأمل معانيه ويصلح منها ما لعله وهم فيه الفكر أوسبق إليه القلم : ليسلم من قَذَحِ القاصح وطعن الطاعن . وقد تقسم في مقدمة الكتاب أن صاحب الديوان لا يكتفى بنظر الكاتب في ذلك ، بل يَكْفِيهِ إلى نظر كاتب كامل ينصبه لذلك ، ثم يتأمله هو بنفسه بعد ذلك ليتقح الكتاب ويتهلّب .

المقالة الرابعة في المكتبات ، وفيها بابان

الباب الأول (في أمور كُتِبَ في المكتبات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول (في مقدمات المكتبات ، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول (في أصول يستعملها الكاتب في المكتبات) ويتعلق المقصود منها ببشارة أضول :^(١)

الأصل الأول
(أن يأتي الكاتب في أول المكتبة بحُسن الاقتراح المطلوب في سائر أنواع الكلام : من تَرْوِظٍ مما يوجب التحسين : ليكون داعيةً لاستماع ما بعده ، على ما تقدم بيانه في الكلام على علوم البلاغة في المقالة الأولى)
ويرجع حُسن الاقتراح في المكتبات إلى معنيين .

المعنى الأول - أن يكون الحُسن فيه راجعاً إلى المبتدئ به . إما بالافتتاح بالحمد لله كما في بعض المكتبات : لأن الشُّوس تشوّف إلى الثناء على الله تعالى ، أو بالسلام الذي جعله الشارع مفتتحاً الخطاب أو نحو ذلك . وإما بالافتتاح بما فيه تعظيم المکتوب

(١) المندود آتينا شركا ستقف عليه .

إليه : من قبيل الأرض أو اليد أو الدماء له أو غير ذلك ، فإن أمر المكتات مبنى على التلق وأستجلاب الخواطر وتألف القلوب ، إلى غير ذلك مما يجرى هذا التجري ، على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن في الابتداآت .

المعنى الثانى — أن يكون الحسَن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين : من سهولة اللفظ ، وصحة السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات التحسين ؛ كما كتب الأستاذ أبو الفضل بن العميد عن ركن الدولة بن بويه ، إلى من عصى عليه ، مفتحا كتابه بقوله : ” كَتَبْتُ إِلَيْكَ ، وَأَنَا مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ طَمَعٍ فِيكَ وَإِيَّاسٍ مِنْكَ ، وَإِقْبَالٍ عَلَيْكَ وَإِعْرَاضٍ عَنْكَ ؛ فَإِنَّكَ تُدِلُّ بِسَالِفِ خَدَمِ أَيْسَرُهَا يُوجِبُ رِغَابِهِ ، وَيَقْتَضِي مَحَافِظَةَ وَعْيَايِهِ ؛ ثُمَّ تَشْفَعُهَا بِمَادَتِ عُقُولٍ وَخِيَانَةٍ ، وَتُنْعِمُهَا بِأَلْفِ خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ ، أَذْنَى ذَلِكَ يُحِيطُ أَعْمَالُكَ ، وَيُسْقِطُ كُلَّ مَا يَرْغَى لَكَ “ .

وكما كتب أبو حفص بن برد الأندلسى عن مَلِكِهِ إِلَى مَنْ عَصَى عَلَيْهِ ثُمَّ عَادَ إِلَى الطاعة كتابا أفتحه بقوله : ” أَمَا بَسْدُ فَإِنَّ الْعَلْبَةَ لَنَا وَالظُّهُورَ عَلَيْكَ جَلَبَاكَ إِلَيْنَا عَلَى قَدَمِكَ ، دُونَ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ يَمْتَعَانِ مِنْ إِرَاقَةِ دِمِكَ ؛ وَلِكِنَّا لَمْ وَهَبِ اللَّهُ لَنَا مِنَ الْإِشْرَافِ عَلَى سِرَائِرِ الرِّيَاسَةِ ، وَالْحِفْظِ لَشَرَائِعِ السِّيَاسَةِ ؛ تَأَمَّلْنَا مِنْ مَسَاسِ جِهَتِكَ قَبْلَنَا ، فَوَجَدْنَا يَدَ سِيَاسَتِهِ نَرَقَاءً ، وَعَيْنَ خِدْمَتِهِ عَوْرَاءَ ، وَقَدَمَ مُدَارَاتِهِ شَلَاءَ : لِأَنَّهُ مَالٌ عَنْ تَرْغِيكِ فَلَمْ تَرْجِهِ ، وَعَنْ تَرْهِيكِ فَلَمْ تَحْشَهِ ؛ فَأَذْنُكَ حَاجَتُكَ إِلَى طُلَاقِ الْمَطَاعِمِ الدِّينِيَّةِ ، وَقَلَّةُ مَهَابَتِكَ إِلَى التَّهَالُكِ عَلَى الْمَعَاصِي الرَّيِيَّةِ “ ونحو ذلك من الاقتتاحات البهجة ، والابتدأآت الرامحة ، مما ستقف على الكثير منه فى خلال هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

الأصل الثاني

(أن يأتى فى ابتداء المكتبة بمرآة الاستلال المطلوبة

فى كل فن من فنون الكلام)

بان يأتى فى صدر المكتبة بما يدل على عجزها . فإن كان الكتاب بفتح ، أتى
فى أوله بما يدل على التهنئة ، أو بتعزية ، أتى فى أوله بما يدل على التعزية . أو فى غير
ذلك من المعانى ، أتى فى أوله بما يدل عليه : ليعلم من مبدأ الكتاب ما المراد منه .
كما يحكى أن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب إلى الخليفة كتابا
يعرفه فيه أن بقره ولدت عجلا وجهه وجه إنسان ، فكتب : "أما بعد حمد الله خالق
الأنام ، فى بطون الأمام " . وفضلاء الكتاب وأئمتهم يعتنون بذلك كل الاعتناء ،
ويرون تركه إخلالا بالصنعة ، وتقصا فى الكتابة ، حتى إن الوزير ضياء الدين بن الأمير
فى المثل السائر قد طب أبا إسحاق الصابى على جلالة قدره فى الكتابة ، وأعترفه
له بالثقت فى الصناعة ، بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك فقال فى أوله :

"الحمد لله رب العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد القريد ، العليّ المجيد ، الذى
لا يوصف إلا بسلب الصفات ، ولا ينعى إلا برفع النعوت ، الأزلى بلا ابتداء ،
الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا منذ أميد محدود ، الدائم لا إلى أجل معدود ، الفاعل
لا من مادة امتدّها ، الصانع لا بألة استعملها ، الذى لا تُقدره الأعين بالخطاها ،
ولا تحسّه الألسن بالفاظها ، ولا تُحقيقه المصور بمروها ، ولا تُهرمه الدهور بركورها ،
ولا تُجاريه أقدام النظراء والأشكال ، ولا تُزاحمه مناكب النقرناء والأمثال ، بل هو
الصمد الذى لا كف له ، والفرد الذى لا توهم معه ، والحيّ الذى لا تحترمه المنون ،
والقيوم الذى لا تشغله الشؤون ، والقدير الذى لا تُؤدّه المعضلات ، والخبير الذى

لا يُعييه المُشكلات“ ثم قال : إن هذه التحميدة لا تُناسب الكتاب الذي أفتحه بها، ولكنها تصلح أن تُوضع في صدر مُصنّف من مصنّفات أصول الدين : كتاب “الشامل” للجويني، أو كتاب “الاقتصاد” للقرظي، وما جرى مجراها . فاما أن تُوضع في أول كتاب تفتح فلا .

وأعلم أن براعة الاستهلال في المكاتبات قد تقع مع الابتداء بالتحميد ، كما في كتاب عمرو بن مسعدة المتقدم ذكره، وكما كتب أبو إسحاق الصابى عن الطائع إلى بعض ولاة الأطراف ، عند زوال الوحشة بينه وبين الأمراء ، ووقوع الصلح والافتاق : “أما بعدُ فالحمد لله ناظم الشميل، بعد شتائه، وواصل الحبل، بعد بئانه، وجابر الوهن إذا انتشم ، وكاشف الخطب إذا أظلم” .

وقد تقع مع الابتداء بالتحليل : كما كتبت إلى بعض الرؤساء بشرف الإسكندرية ، ملوحاً إلى التعبير عنه بالفر ، وعن الريح التي تهب عليه من جانب البحر المثلث ، وعن مُستزهِ من مستزّهاته بالرميل ، وعن المساكن التي به بالقصور مع قُربه من البحر ، ومُناسبة ذكر النسيم بالفر بما صورته : “يُقبل أرض تفر قد رقت مائمه ، وراق ميسمه ، باناً لشكر يعترف الرمل بالقصور عن حده ، ويحف أمواج البحر المحيط دون عده” .

وقد تقع مع الابتداء بالدعاء ، وتكون براعة الاستهلال في الدعاء المعطوف على المبتدأ به : بأن يكون الدعاء مناسباً للحالة المكتوب فيها ، كما نبه عليه صاحب “المثل السائر” وغيره ، وسيأتى الكلام على أمثلة ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) عبارة الفراء : “ويؤوح بذكر مستزّه لم على البحر يسمى بالرميل مساكن لم في ذلك المستزّه يسمى القصور” . وهي أوضح .

ثم من المكاتبات ما يُعسرُ معه الإتيانُ ببراعة الاستهلال فيما يلي ذلك من الكلام في مقدمة المكتبة قبل الخوض في المقصود ولا يُعْمَلُها جملة . على أن الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله قد ذكر في كتابه "حسن التوسل" أنه إن عسر عليه براعة الاستهلال، أتى بما يُقاربُ المعنى . وبكل حال فإذا أتى ببراعة استهلال في أول مكاتبه استصحبا إلى الفراغ من الخطبة إن كان الكتاب مفتوحاً بِمُطَبَّة ، وإلا استصحبا إلى الفراغ من مقدمة الكتاب الآتي بيانها .

الأصل الثالث

(أن يأتي في المكتبة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة يُصدّرُ بها تأسيساً لما يأتي به في مكاتبه)

مثل أن يأتي في صُذور كُتُب الحث على الجهاد بذكر أقرضه على الأمة ، وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه ، وخذلان أعدائه ، وإعزاز المؤمنين ، وقمع الملحدين . وفي صُذور كُتُب الفتح بإنجاز وعد الله الذي وعده أهل الطاعة من النصر والظفر ، وإظهار دينه على الدين كله . وفي صُذور كُتُب جباية الخراج ، يُصدّرُ بحاجة قيام الملك وأُس السلطنة إلى الاستعانة بما يُستخرج من حقوق السلطان في عمارة الثغور ، وتحصين الأعمال ، وتقوية الرجال ، ونحو ذلك مما يجري على هذا النمط مما سيأتي بيانه في مقاصد المكاتبات في الكلام على الإبداعات والجوابات فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فقد قيل : إنه لا يحسن بالكتاب أن يُحلي كلامه - وإن كان وجيزاً - من مقدمة يفتتحه بها وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة ، يُوفى التأليف حقه . قال

(١) له الاستهلال في البداية فيأتي بها فيما يلي ذلك ... الخ كما هو ظاهر من جهة الكلام .

في "مواد البيان" : وعلى هذا السبيل جرت سنة الكتاب في جميع الكتب : كالفتوح ، والتهاني ، والتمازي ، والتهادي ، والاستخبار ، والاستبطاء ، والإحاد ، والإنعام ، وغيرها : ليكون ذلك سائلا لما يريد القول فيه ، ومجبة يستظهر بها السلطان ؛ لأن كل كلام لأبد له من فرش يفرش قبله : ليكون منه بمنزلة الأساس من البنيان .

قال : ويرجع في هذه المقدمات إلى معرفة الكاتب ما يستحقه كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تُساكنها . ثم قال : والطريق إلى إصابة العرعى في هذه المقدمات أن يُجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد والأغراض ، وأن يُوضع للأمر الخاص مقدمة خاصة ، وللأمر العام مقدمة عامة ، ولا يُقول في موضع الاكتصار ، ولا يُقصر في موضع الإيجاز ، ولا يجعل أغراضها بيده المأخذ ، مُعاصرة على المتصفح . وذلك أن الكاتب ربما قصد إظهار القدرة على الكلام والتصرف في وجوه المنطق ، فخرج إلى الإملال والإحجار الذي لتبهم منه القوس ، ولا سيما قوس الملوك وقوى الأخطار الجلية .

أما الأمور التي لا تشتمل على المقاصد الجلية : كرقاع التحف والهدايا ونحوهما . فقد ذكر في "مواد البيان" أنه لا يُجعل لها مقدمة تكون أمامها فإن ذلك غير جائز ولا واقع موقعه . قال : ألا ترى أنهم استحسنتوا قول بعضهم في صنو رقعة مقترنة بحقة في يوم مهرجان أو نحوه : « هذا يوم جرت فيه العادة ، بأن تُهدى فيه العيود إلى السادة » واستظرفوا الكاتب لإيجازه وتحرير المأخذ .

الأصل الرابع

(أن يَعْرِفَ الفرقَ بين الألفاظ المستعملة في المكاتبات

فَيَضَعَهَا في مواضعها)

قال في "ذخيرة الكتاب" : يجب على الكاتب الرئيس أن يَعْرِفَ مرتبة الألفاظ ومواقعها : ليرتبها ويفرق بينها فرقا يَقْفُهُ على الواجب ويتهي به إلى الصواب ، فيخطب كلًّا في مكاتبة بما يَسْتَحِقُّه من الخطاب ؛ فإنه قبيحٌ به أن يكونَ خطابه أولاً خطاب الرئيس للمرؤوس ، ويُذِيعَ ذلك بخطاب المرؤوس للرئيس ، أو يبدأ بخطاب المرؤوس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرؤوس .

قال : ومضى استمر الكاتب على هذه المخالفة من الألفاظ والمناقضة ، قصّصت المعاني ، وردّت الألفاظ ، وسقطت المقاصد ، وكان الكاتب قد أدخل من الصناعة بُعْظَها ، وترك من البلاغة غايةً مُحْكَمًا . بل يجب أن يبدأ بخطاب رئيس أو نظير أو مرؤوس ، ويكون ما يتخلل مكاتبة من الألفاظ على أنساق إلى آخرها وأطرادٍ من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا مناقضة .

فإن ذلك الفرق بين أصدرنا هذه المكاتبه أو أصدرناها ، وبين أصدرت ، وبين صدرت . فأصدرناها أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس التي صدرت المكاتبه عنه ، إذ الشيء يُشرف بشرف متعلقه . ويل ذلك في الرتبة أصدرت ، لاقتضاها إصدارا في الجملة ، والإصدار لا بد له من مُصْدِرٍ ، وذلك المُصْدِر هو الرئيس الصادرة عنه في الحقيقة . وإنما كانت دون الأولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا . ودون ذلك في الرتبة صدرت : لاقتضاء الحال صدورها بنفسها دون دلالة على المُصْدِر أصلا .

ومن ذلك الفرق بين «ونبدي لعلبه» وبين «ونوضح لعلبه» : فنبدى لعلبه أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لأن الإبداء يرجع في المعنى إلى إظهار شيء خفي ، والإيضاح يرجع إلى بيان مشكل ، وحصول الإشكال المحتاج إلى الإيضاح ربما دل على بُعد فهم المخاطب عن المقصود ، بخلاف إظهار الخفي فإنه لا ينتهي إلى هذا الحد .

ومن ذلك الفرق بين «عليه الكريم» وبين «عليه المبارك» فالكريم أعلى من المبارك ، لأن في الكريم عرافة أصل وشرف قد توجد في المبارك وقد تختلف عنه .

ومن ذلك الفرق بين «ومرسومنا لفلان بكنا» وبين «والمرسوم له بكنا» : فرسومنا أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه لاشتماله على نون الجمع المقتضية للتعظيم ، ولذلك اختصت بالملوك دون غيرهم ، بخلاف والمرسوم له بكنا فإنه خارج عن ذلك . ومن ذلك الفرق بين «والمسؤول» وبين «والمستمد» : فإن المسؤول أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه ^(١) ، فإن المسؤول يتضمن نوع ذلة بخلاف الاستمداد فإنه لا يستلزم ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «بلغنا» وبين «أنهى إلى علمنا» وبين «اتصل بنا» : فاتصل بنا أعلى من أنهى إلى علمنا ، لما في معنى الاتصال من الاصق ، بخلاف الإنهاء ؛ وأنهى إلى علمنا أعلى من بلغنا : لأن البلوغ قد يكون على لسان أحاد الناس .

ومن ذلك الفرق بين «أنهى فلان كذا» وبين «عرفنا كذا» : فعرفنا أعلى بالنسبة إلى رافع الخبر، لأن في التعريف مزية قُرب من الرئيس، بخلاف الإنهاء فإنه لا يقتضى ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «وردت مكاتبتك» وبين «وردت علينا مكاتبتك» : فوردت علينا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه الواردة : لتخصيصها بالورود على الرئيس بخلاف الورود المطلق .

ومن ذلك الفرق بين «عُرِضَتْ علينا مكاتبتك» وبين «وَقَفْنَا على مكاتبتك» فوقفنا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه : لأن الوقوف عليها يكون بنفسه، والعرض يكون من غيره .

ومن ذلك الفرق بين «وشكرتُ الله تعالى على سلامته» وبين «وتوالى شكرى لله تعالى» : فتوالى شكرى أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لما فيه من معنى التكرار ومزيد الشكر المعنوق بالأحفال .

ومن ذلك الفرق بين «ورَغِبْتُ إلى الله تعالى» وبين «وَضَرَعْتُ إلى الله تعالى» : فَضَرَعْتُ أعلى من رَغِبْتُ : لما في الضراعة من مزيد التأكيد في الطلب ، بخلاف الرغبة فإنها لا تبلغ هذا المبلغ .

ومن ذلك الفرق بين «وقابلتُ أمره بالطاعة» وبين «وَأَمْتَلْتُ أمره بالطاعة» : فَأَمْتَلْتُ أمره أعلى من قابلتُ أمره، لما في الأمتال من معنى الإذعان والالتحاق، بخلاف المُقابَلَة .

ومن ذلك الفرق بين «وَشَفَعْتُ لَهُ» وبين «وَسَأَلْتُ فِيهِ» : فالسؤال أعلى في حق المسؤول من الشفاعة : لما في الشفاعة من رِفعة المقام المؤدى إلى قبول الشفاعة .
ومن ذلك الفرق بين «وَخَاطَبْتُ فَلَانًا فِي أَمْرِهِ» وبين «وَتَحَدَّثْتُ فِي أَمْرِهِ» :
فصَحَّحتُ أَشدَّ في تواضع المتكلم من خاطبت ، لأن الخطاب من الإلقاء الخاصة التي لا يتعاطاها كل أحد بخلاف التحدث .

ومن ذلك الفرق بين «تَشْرِيفِي بِكُنَا» وبين «إِسْعَافِي بِكُنَا» [وبين «إِتْحَافِي بِكُنَا»] ^(١) فالإسعاف أعلى رتبة من التشريف لما فيه من دعوى الحاجة والفاقة إلى المطلوب ، بخلاف التشريف ؛ وإتْحَافِي دون تشْرِيفِي لأن الإتحاف قد لا يقتضى تشريفًا .

ومن ذلك الفرق بين قوله : «نَزَلَ عِنْدَهُ» وبين قوله : «نَزَلَ بِسَاحَتِهِ» : فالساحة أعلى لما فيها من معنى الفُسْحَةِ والِاتِّسَاعِ .

ومن ذلك الفرق بين «فُيْحِيطُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ» وبين «فَعَلِمَ ذَلِكَ» : فُيْحِيطُ عليه أعلى من يَعْلَمُ ذلك : لأن في قوله فُيْحِيطُ عَلَيْهِ بذلك نسبة إلى سَعَةِ العلم : لما فيه من معنى الإحاطة بخلاف فعَلِمَ ذلك .

(١) عبارة الضوء "لما في السؤال من معنى القلة وما في الشفاعة من معنى الشرف" وهي أوضح .

(٢) الزيادة من الضوء وهي سائلة من قلم النسخ بدليل بقاء الكلام .

الأصل الخامس

(أن يعرف مواقع الدُّعاء في المكتبات ، فيدعو بكل دُّعاء في موضعه)

ويتعلق النظر فيه بستة أوجه

الأول — أن يعرف مراتب الدُّعاء لوقوعها في مواقعها ، ويوردُها في مَوَازِيها ، ويتأتَّى ذلك في صفة أدعية .

(منها) الدُّعاء بإطالة البقاء ، والدُّعاء بإطالة العُمُر : فالبقاء بإطالة البقاء أرفع من الدُّعاء بإطالة العُمُر . وذلك أن البقاء لا يدلُّ على مُدة تنقضي لأنه ضدَّ الفناء ، والعُمُر يدلُّ على مُدة تنقضي ، ولذلك يُوصَفُ الله تعالى بالبقاء ولا يوصفُ بالعُمُر . قال في ”موادِّ البيان“ : ومن هنا جُعِلَ الدُّعاء بإطالة البقاء أوَّلَ مَرَاتِبِ الدُّعاء وخصَّ بالخلقاء ، وجُعل ما يليه لمن ثوبهم . ويتلوهُ الدُّعاء بالعمد في العُمُر ، فيكون دُونَ الدُّعاء بالإطالة ، لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمد فيهِ من حيث إن المدَّ قابلٌ للثلاثة الطويلة والمُدَّة القصيرة ؛ ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء من مرتبة المد .

(ومنها) الدُّعاء بدوام النعمة ، والدُّعاء بمُضَاعَفَتِها : فالدُّعاء بالمضاعفة أعلى : لأن الدوام ظاهريه استصحاب ما هو عليه ، والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك .

(ومنها) الدُّعاء بِمِزِّ الأنصار ، وبِمِزِّ النَّصْر ، وبِمِزِّ النَّصْرَةِ . وقد أصطلح كُتَّابُ الزمان على أن جعلوا أعلاها الدُّعاء بِمِزِّ الأنصار ، لأن مِزَّ أنصاره مِزٌّ له بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القُدْر ورفعة الشأن ؛ إذ الأنصار لا تكون إلا للملك العظيم أو أمير كبير . والدُّعاء بِمِزِّ النصر أعلى من الدُّعاء بِمِزِّ النَّصْرَةِ : لما في الأول من

معنى التذكير وهو أرفع رتبة من التأييد . على أنه لو جُعِلَ الدِّعَاءُ بِعِزِّ النِّصْرِ
أَعْلَى مِنَ الدِّعَاءِ بِعِزِّ الْأَنْصَارِ ، لَكَانَ لَهُ وَجْهٌ : لِمَا فِي عِزِّ النِّصْرِ مِنَ الْفَنَاءِ عَنْ
عِزِّ الْأَنْصَارِ .

(ومنها) الدِّعَاءُ بِعِزِّ الْأَحْكَامِ ، والدِّعَاءُ بِتَأْيِيدِ الْأَحْكَامِ : فَالدِّعَاءُ بِعِزِّ الْأَحْكَامِ
أَعْلَى : لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّيْيِيدِ التَّقْوِيَّةَ ، فَقَدْ تَوَجَّدَ الْقُوَّةُ وَلَا عِزَّ مَعَهَا .

ويُنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَحْتَرِزَ فِي تَقْرِيلِ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِمْ مِثْلَهُ فِي الدِّعَاءِ ،
فَلَا يَنْقُصُ أَحَدًا عَنْ حَقِّهِ ، وَلَا يَزِيدُهُ فَوْقَ حَقِّهِ ، فَقَدْ قَالَ فِي "مَوَادِّ الْيَأْنِ" :
إِنَّ الْمُلُوكَ تَسْمَحُ بِبَدْرَاتِ الْمَالِ وَلَا تَسْمَحُ بِالذُّعْوَةِ الْوَاحِدَةِ :

الثَّانِي — أَنْ يَعْرِفَ مَا يَنْسَبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ الْجَلِيلَةِ مِنَ
الدِّعَاءِ فَيُخَصِّصُهُ بِهِ .

فَيَأْتِي بِالدِّعَاءِ فِي الْمَكْتَبَةِ لِلْمُلُوكِ بِإِطَالَةِ الْبَقَاءِ ، وَدَوَامِ السُّلْطَانِ ، وَخُلُودِ الْمُلْكِ ،
وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وَيَأْتِي فِي الْمَكْتَبَةِ إِلَى الْأَمْرَاءِ بِالدِّعَاءِ بِعِزِّ الْأَنْصَارِ ، وَعِزِّ النِّصْرِ ، وَمُضَاعَفَةِ
النِّعْمَةِ ، وَمُدَاوَمَتِهَا وَمِشَاكِلِ ذَلِكَ . عَلَى أَنْ آيِنَ شَيْثٌ قَدْ ذَكَرَ فِي "مَعَالِمِ الْكَتَابَةِ" :
أَنَّ الدِّعَاءَ بِعِزِّ النِّصْرِ وَمُضَاعَفَةَ الْاِئْتِمَارِ كَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ مِمَّا يَخْتَصُّ بِالسُّلْطَانِ
فُتُوْنٌ غَيْرُهُ .

وَيَأْتِي فِي الْمَكْتَبَاتِ لِلْوُزَرَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ بِالدِّعَاءِ بِسُبُوحِ
الْتَّمَةِ ، وَتَحْلِيلِ السُّعَادَةِ ، وَدَوَامِ الْخَيْرِ ، وَمَا يَضَاهِي ذَلِكَ .

وَيَأْتِي فِي الْمَكْتَبَاتِ لِلْقُضَاةِ وَالْحُكَّامِ بِالدِّعَاءِ بِعِزِّ الْأَحْكَامِ ، وَتَأْيِيدِ الْأَحْكَامِ
وَمَا يُطَائِقُ ذَلِكَ .

ويأتى فى المكتبة إلى التجار بالدعاء بمزيد الإقبال ، وتؤكد السعادة وشبه ذلك .
ويأتى فى المكتبة فى الإخوانيات ومكتبات النظراء من الدعاء بما يقتضيه الحال
ينهم من الود والإدلال ، بحسب ما يراه الكاتب ويؤدى إليه أجهاده . قال
فى "موادّ البيان" : وقد كانوا يختارون فى الدعاء للأدباء أبقاك الله ، وأكرمك الله .
وفى الدعاء لابن والحُرمة أبقاك الله وأمتع بك .



أما أهل الكُفر فقد أصطلحوا على الدعاء لهم بطول البقاء وما فى معناه . أما جواز
اصل الدعاء لهم فلما روى أن النبی صلی الله علیه وسلم استسقى فسقاہ یهودی ،
فقال له : بھلك الله ، فما روى الشیب فى وجہه حتى مات ، فدل على جواز الدعاء
للكافر بما لا ضرر فيه على المسلمين ما لم تنضم إليه قوة ونحو ذلك ، بل ربما كان
فى طول بقائه حلاً جزية أو غنمة أو ثواب جهاد ونحو ذلك . وقد حكى أبو جعفر
النحاس فى "صناعة الكُتب" : أن الشافعى رضى الله عنه قال لنصرانى : أعزك
الله ! فعوتب فى ذلك ، فقال فقال
(١)

وأعلم أنه يجب مع ذلك أن يعرف مرتبة المكتوب إليه من الدعاء ، فیدعو بعز
الأنصار لواحد ، ویدعو بعز النصر لمن دونه : لأن عز الأنصار مستلزم لعز النصر .
على أنه لو قيل : إن عز النصر أعلى لكونه دعاء لنفس الشئ بخلاف الدعاء بعز
الأنصار فإنه دعاء لشيء خارجي لكان له وجه . ویدعو بعز النصرة لمن دون من
يُدعى له بعز النصر ، لأن النصر مذکور ورتبة التذكير أعلى من رتبة التانيث .

(١) يبايض فى الاصول بقدر كثيرين ولم يورده فى الضوء ولعل الشافعى استعمل بالحديث السابق .

ويدعو بلّوام النعمة لواحد ويدعو بمضاعفة النعمة لمن دونه ، لأن الصيغة تقتضى مزيّدا على القدر الحاصل ، بخلاف اللّوام فإنه يقتضى استصحاب القدر الحاصل فقط ، وعلى هذا النهج . قال في "معالم الكفاة" : ولا يكتب عن السلطان إلى أحد ممن في ممالكه بلا زال ، ولا برح ، بل يختص ذلك بملك مثله . قال : ولا حرج في الكتابة بذلك عن السلطان إلى ولده إذا كان نائبا عنه في الملك . قال : وكذلك لا يدعو الأعلى للأدنى بلا زال ، ولا برح .

قلت : والذي استقر عليه الحال الكفاة عن السلطان بذلك لأكابر الثواب ، ويكتب به أكابر التولية بعضهم إلى بعض .

الثالث — أن يعرف ما يناسب كلّ حالة من حالات المكاتب ، فيأتى لكل حالة بما يناسبها من الدماء . قال في "موادّ البيان" : ينبغي أن تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتب : فإن كان في الدماء كان بما راجت معرفته ، وإن كان في الغراء كانت مشقة من وصفه ، وكذلك سائر فنون المكاتب ، فإنه متى خرج الدماء عن المناسبة وباب المقصود ، خرج عن جادة الصناعة وتوجّه اللوم على الكاتب ، لاسيما إذا أتى بما يضاد المراد . كما حكى أبو هلال العسكري في "الصناعتين" أن بعضهم كتب إلى محبوبته : عصمتنا الله وإياك مما يؤركه . فكتبت إليه : يا غليظ الطبع ! إن أسعجيب لك لم تلتق أبداً .

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال المكاتب : ففارة تكون باعتبار الشيء المكتوب بسببه . كما يكتب في معنى الإشارة يجلوس الملك على تحت الملك : لا زال أمره ! وأتمته من البشارة بما يتوقع على جبين الصباح بشره ، وما يرفع على ميزان الكواكب قدره ، وما يتفصح من أوقات أمن لا يختلف فيها زيده وعمره .

(١) صوابه "لن تفرقه" كما هو مقتضى التعليل بعد وكما يؤخذ من عبارة الفهرست ص ٢٢٢ .

وَمَا يُكْتَبُ فِي الْبَشَرِ بِفَتْحٍ : وَلَا زَالَتْ آيَاتُ النَّصْرِ تُشَلِّ عَلَيْهِ مِنْ مُخْفٍ
الْبَشِيرِ ، وَفَقَائُسُ الظُّفْرِ يُجَلِّ عَلَى مِرَّةٍ فِي أَسْعَدَ طَائِرٍ ، وَفَوَائِحُ الْفَتْحِ تُزَيُّ بِهِ الْأَمْرَةُ
وَتَزْهُو بِوَرْدِهِ الْمَتَّارِ .

وَمَا يُكْتَبُ فِي التَّهْنِئَةِ بِعَافِيَةٍ ، وَلَا بِرَّحٍ فِي بُرْدِ الصَّحَةِ وَافْلَا بَعَزَمِهِ وَحَزَمِهِ
كَافْلًا ، وَالْإِقْبَالُ بِلُغَاتِهِ الْعَالِي بِالْهَنَاءِ بِعَافِيَةٍ وَأَصْلًا .
وَتَارَةً تَكُونُ بِإِعْتِبَارِ حَالِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ الَّتِي هُوَ بِصَدَدِهَا .

كَمَا يَكْتُبُ لِمَنْ خَرَجَ إِلَى الْقَزْوِ : وَحَقَّهُ بُلْغُهُ فَلَا يَجِبُ ، وَهِيَالَهُ النَّصْرُ وَالْفَتْحُ
الْقَرِيبُ ، وَجَعَلَ عَلَى يَدَيْهِ دَمَارَ الْكُفَّارِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ بَشِيرَةٌ بِأَسِهِ مِنَ السَّلَامَةِ
نَصِيبٌ .

وَمَا يَكْتُبُ إِلَى مَنْ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ : وَامْتَنَعَهُ بِصُيُودِهِ ، وَجَعَلَ الْأَنْدَادَ مِنْ
جُثُودِهِ ، وَأَرَاهُ مِنْ مَصَارِعِ أَعْدَائِهِ بِبُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ مَا يَرَاهُ مِنْ مَصَارِعِ صَيْدِهِ بِزِيَّاتِهِ
وَفُتُودِهِ .

وَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَفَرٍ : وَقَضَى بِقُرْبِ رَجْعَتِهِ ، وَجَعَلَهُ كَالْهَلَالِ فِي مَسِيرِهِ
سَهَبٌ رَفَعَتْهُ ، وَسَكَنَ بِقُدُومِهِ أَشْوَاقَ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ حِمَّتِهِ .

وَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ خَرَجَ لِخَضِيرِ الْبِلَادِ : وَالْهَسَ الْبِلَادَ بِقُدُومِهِ أَخْضَرَ الْأَنْوَابِ ،
وَأَحْلَهُ أَشْرَفَ عَمَلٍ وَأَخْضَبَ جَنَابٍ .

وَتَارَةً تَكُونُ بِإِعْتِبَارِ وَظِيفَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ الَّتِي هُوَ نَائِمٌ بِهَا

كَمَا يُكْتَبُ إِلَى كَافِلِ الْمَلَكَةِ : وَلَا زَالَتْ كِفَايَةُ كَقَالَتِهِ تَزِيدُ عَلَى الْأَمَالِ ، وَتَتَقَرَّبُ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَتَكْتَفِلُ مَا بَيْنَ أَقْصَى الْجَنُوبِ وَأَقْصَى الشَّمَالِ .

وكما يكتب إلى قاض : وفصل بين الخصوم بأحكامه المسدده ، وأفضيته التي بها قواعد الإسلام ممهده ، وأبنية الشرع المطهر وأركانه مشيده .
وكما يكتب إلى متصوف : وأطد من بركات تهجداته ، وأثار الليالي بصلح دعواته .

ونارة تكون باعتبار بلد المكتوب إليه وناحيته .

كما يكتب إلى نائب الشام : ولا زال النصر حلية أيامه وشامة شامه ، وعمامة مايمتلك على بلده الخصب من عمامه .

وكما يكتب إلى نائب حلب في زمن الحروب : ولا زال يعدّ ليوم تسيب فيه الولدان ، ويصدّ دونه كل محارب بين الشهاب والميدان ، ويؤمّ حلب من حلّ أيامه مالا يفقد معه إلا أسم ابن حندان ، ونحو ذلك مما يفرض في هذا السلك .

ونارة تكون باعتبار أسم المكتوب إليه أو لقبه .

كما يكتب إلى من لقبه سيف الدين : ولا زال سيفه في رقاب أعدائه مغمداً ، وحده يدرّ كل ملحد ملجداً .

وكما يكتب إلى من لقبه عز الدين : ولا زال حزنه دائماً ، والزمان في خيلته قائماً ، وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائماً .

وكما يكتب إلى من لقبه شمس الدين : ولا زالت شمس سعادته مشرقة ، وأغصان فضله بالعوارف موريقة ، وعبود طوارق الغير عنه في كل زمن مطرقة .

وكما يكتب إلى من لقبه ناصر الدين : ونصر عزائمه ، وشكر مكارمه ، ووفور من الحسنات مقائمه . إلى غير ذلك من الأمور التي يستغف على الكثير منها في الكلام على مقاصد المكتبات إن شاء الله تعالى .

الرابع - ان يعرف مواضع الدعاء على المكتوب إليه ، ومن الذى يُصرّح بذلك في المكتبة إليه . قد ذكر ابنُ شيث في "معالم الكتّابة" أن الدعاء على الأعداء في صُلبِ الكتّاب كان من عوائد مكتبة الأذنى إلى الأعلى . مثل : وقصم ، وأذل ، وقهر ، وخضد . وكذلك المائل والمقارب ؛ فاما من الأعلى إلى الأدنى فلم يكن ذلك معروفًا عند المتقنين ، لاسيما إذا كان الكتّاب عن السلطان . ثم قال : ولكن قد أُفليتَ الجبلُ في ذلك لِأَن [إلى أن] قال : ولا يقال للأدنى غير كُتبتَ مدوّه ، أو ضُده ، أو صُوده خاصة .

ومنها ^(١) - أن يعرف ما كرهه الكتّاب من الدعاء فيتجنّبه . وهو على ضربين :

الضرب الأول

(ما كرهوه في المكتبة إلى كل احد)

قال في "مواد اليان" : كانت عادتهم جارية ان يتجنّبوا من الأدعية ما لا يحصل له ، كقولهم : جُعِلَ لي الله فداك ، وقتلني إلى السوء دُوتك : لما في ذلك من التصنع واللق الذي لا يرضاه السلطان ، لأن نفس الداعي لا تسمع باستجابته . ويؤيد ما ذكره ما كتب به ابن عيّد كان إلى بعض أصدقائه : جُعِلْتُ فداك على الصحة والحقيقة ، لا على تجرئ المكتبة ومذهب العادة . قال في "مواد اليان" : وإنما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون أن بقاءهم معدوق ببقاء رؤسائهم ، وثبات نعمهم مقرون ببقاء سلاطينهم ، لأنه يصدر عن عقائد مستحكة من بطل الأتقى دُوتهم . وما ذهب إليه من كراهة ذلك قد هُمل في "صناعة الكتّاب" مشبهه عن مالك بن أنس ، واحتج له بما روى عن الزبير رضى الله عنه أنه قال

(١) علما في الضرورة مرتبة خاصة وهو أنسب .

للنبي صلى الله عليه وسلم : « جُعِلْتُ فِدَاكَ - قَالَ لَهُ أَمَا تَرَكْتَ أَعْرَافَكَ بَعْدُ ! »
على أن بعضهم قد أجاز ذلك احتجاجاً بقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن مالك يوم
أُحد : « إِرِمَ فِدَاكَ أَبِي وَائِي » وبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « أَلَا أَعْلَمُكَ كَيْسَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ قَالَ نَعَمْ
جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! » ولم يُنكر عليه ، ونحو ذلك ؛ وفي معنى ذلك كل ما يجري هذا
الجرى ونحوه .

الضرب الثاني .

(ما يختص كراهته بالبعض دون البعض ، وهو نومان)

النوع الأول - ما يختص بالرجال ، فمن ذلك ما ذكره في " مواد البيان " : أنهم
كانوا لا يستحسنون الدعاء بالإمتاع نحو أمتع الله بك وأمتعني الله بك ، في حق
الإخوان . وبما يُحكى في ذلك أن محمد بن عبد الملك الزيات ، كتب إلى عبد الله
ابن طاهر في كتاب : وأمتع بك ؛ فكتب إليه عبد الله بن طاهر :

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ ؟ * أَمْ نِلْتَ مُلْكَ قَهْتٍ فِي كَيْسِكَ ؟
أَتَعَبْتَ كَفَّيْكَ فِي مَكَاتِبِي * حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعْيِكَ !
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابُ ذِي مِقْدَةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ ، " وَأَمْتَعْ بِكَ " .

فأجابه محمد بن عبد الملك الزيات معتذراً بقوله :

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمِيلِي ؟ * وَكُلُّ شَيْءٍ أَتَالُ مِنْ سَيِّئِكَ !
إِنَّ يَكْ جَهْلُ أَتَاكَ مِنْ قِيلِي ، * فَعُدْ بِفَضْلٍ عَلَيَّ مِنْ أَدَبِكَ .

على أن في كراهة الدعاء للإخوان بذلك نظرا فسيأتي في الكلام على ترتيب المكتابات على سبيل الإجمال أن أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم [قالت]: اللهم أمتني بزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي أبي سفيان، وأبي معاوية - في حديث طويل يأتي ذكره هناك إن شاء الله تعالى .

أما الدعاء بالإمتناع للاتباع، فقد أجازته جماعة من محققى الكتاب، محتجين على ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم دعا لأبي اليسر: كُتِبَ ^(١) بن عيسى الله بقوله «اللهم أمتنا به». قال ابن عفير: فكان آتراً أهليل بدر وفاء، مات سنة خمس وخمسين من الهجرة .

النوع الثانى - ما يختص بالنساء . فقد ذكر «أبو جعفر النحاس» أنه لا يقال في مكاتبتهم «وأدام كرامتك» ولا «وأتم نعمته عليك» ولكن لديك، ولا «فضله عندك» ولا «وأدام سعادتك» . أما منع الدعاء لمن بالكرامة، فلما حكى محمد بن عمر المدائنى أن بعض عمال زبيدة كتب إليها كتاباً بسبب ضياع لها فوقت له على ظهر كتابه: أردت أن تدعونا فدعوت علينا، فاصلح خطاك في كتابك ولاصرفناك عن جميع أعمالك! . فادركه القلق، وجعل يتصفح الكتاب ويروضه على الكتاب فلا يجد فيه شيئاً، إلى أن مرضه على بعض أهل المعرفة فقال: إنما كرهت دُعَاكَ في صدر كتابك بقولك: وأدام كرامتك: لأن كرامة النساء دفن - قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «دفن البنات من المكرمات» فغير ذلك الحرف من كتابه وأعادته إليها فوقت له على ظهره - أحسنت ولا تعد - . وأما كراهة وأتم نعمته عليك وإبدال ذلك بلفظ وأتم نعمته لديك، فكانه لما يباح فيه من ذكر العلو على النساء . وأما منع وأتم فضله عندك، أو وأتم سعادتك فيحتاج إلى تأمل .

(١) ألقى في «خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للجزوى (كتب بن عمرو بن عباد بن عمرو) ونحوه في تاج العروس مادة ي س و .

الخامس — أن يتجنب الخلاف في الدعاء في فصول الكتاب، ولا يؤتى بين دَعْوَتَيْنِ منه [متفتتين] . فاما الخلاف في الدعاء، فقال أبو جعفر الناس : هو مثل أن يقول أطال الله بقاء سيدي — بلفظ الغيبة ، ثم يقول بعد ذلك : وبلغك أملاك — بلفظ الخطاب . وأما الموالاة بين دَعْوَتَيْنِ ولا يأتى بهما متفتتين ، فقال في "مواد البيان" : هو مثل حرس الله الأمير أعزّه الله؛ ثم يقول في الفصل الذي بعده : أعزّه الله تعالى، وما أشبه ذلك .

السادس — أن يتجنب وقوع اللبس في الدعاء . فإذا ذكر الرئيس مع عدوه مثلا ، لم يدع للرئيس حينئذ ، فإنه لو ذهب يقول وقد كان من عدو سيدي — أبقاه الله — كذا ، لأحتمل عود الدعاء إلى الرئيس وإلى عدوه فيقع اللبس . أما إذا ذكر الرئيس وحده كما إذا قال : وقد كنت عرفت سيدي — أبقاه الله — كذا ، فإنه لا ألباس .

الأصل السادس

(أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب فيعطيه حقه منها)

ويتعلق الغرض من ذلك بثلاثة أمور .

أحدها — أن يعرف ما يناسب من الألقاب الأصول — المتقدمة الذكر في المقالة الثالثة عند الكلام على الألقاب المصطلح عليها بحسب ذلك الزمان : كالعَمَام، والمقرز، والجناب، والجلوس — في زماننا ؛ فيعطى كل أحد من المكتوب إليهم ما يليق به من ذلك ؛ فيجعل المقام لا كابر الملوكة . والمقرز لمن توثم من الملوكة، وللرتبة العليا

(١) عبارة الفهرست ص ٤٢٦ هكذا "وأما موالاة دعوتين متفتتين فقل أن يقول أعزّه الله تعالى ثم يقول في الفصل الذي بعده أعزّه الله تعالى" وهي أوضح .

من اهل المملكة . والجَنَابَ للرتبة الثالثة من الملوك والرتبة الثانية من اهل الدولة .
والمَجْلِسَ للرتبة الرابعة من الملوك والرتبة الثالثة من اهل الدولة . ومَجْلِسَ الأميرين
دُونَ ذلك من اهل الدولة على المصطلح المستقر عليه الحال .

الثاني — أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول بما يناسبه من القروع .
والنُعمت التابعة لذلك؛ فيُتبع كل واحد من الأصول بما يناسبه من القروع .

الثالث — أن يعرف مقدار المكتوب إليه، فيُوفيه قسطه من الألقاب في الكثرة
والقلة بحسب ما يجري عليه الاصطلاح . فقد ذكر في "معالم الكتابة" أن السلطان
لا يُكثَرُ في المكتبة إليه من نُعوته، بل يُقتصر على الأشياء التي تكون فيه : مثل العالم
العادل . اما غير ذلك فيقع بالقبين المشهورين : وهما نعته المفراد، ونعته المضاف
إلى الدين . وأنه في الكتابة عن السلطان كُلما زيد في النعمت كان أُمير : لأنها على
سبيل التشريف من السلطان، ويجعل المضاف إلى الدين متوسطاً بين الألقاب
لا في أولها .

الأصل السابع

(أن يُراعى مقاصد المكتبات ، فيأتي لكل مقصد بما يناسبه)

ومما رُفِعَ ذلك على أمرين :

الأمر الأول — أن يأتي مع كل كلمة بما يليق بها ، ويُختار لكل لفظة
ما يشاء كلها . قال ابن عبد ربه : ولكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر البلوى
بمثل : نسأل الله رفع المحذور، وصرف المكروه، وأشياء ذلك . وفي موضع ذكر
المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون . وفي موضع ذكر النعمة ، الحمد لله خالصاً ،

والشكر لله واجباً ، وما شاكل ذلك . قال في " مواد البيان " : وإذا ذكر البكوى
شفعها بالاستعانة بالله تعالى والرجوع إليه فيها ، ورد الأمر إلى حوله وقوته .
قال ابن عبد ربه : فإن هذه المواضع مما يتعين على الكاتب أن يتفقدتها ويحفظ
فيها ، فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه ، ويُعاق كل لفظ
على طبقه في المعنى .

وما يلحق بذلك أيضاً أنه إذا ذكر الرئيس في أثناء المكتبة ، دعا له ، مثل أن
يقول عند ذكر السلطان : خلد الله ملكه . وعند ذكر الأمير الكبير : عز نصره ،
أو : أعز الله تعالى أنصاره . وعند ذكر الحاكم : أيد الله تعالى أحكامه ، وما أشبه
ذلك مما يجرى هذا الجرى .

الأمر الثاني — أن يقتضى التصريح إلى التلويح والإشارة إذا أبلغته الحال إلى
المكتبة بما لا يجوز كشفه وإظهاره على صراحته ، مما في ذكره على نصه هناك ستره ،
أو في حكايته أطراح مهابة السلطان ، وإسماعه ما يلزم منه إخلال الأدب في حقه ؛
كما لو أطلق مدوه لسانه فيسه بلفظ قبيح يسوء سماعه . قال في " مواد البيان " :
فيحتاج المنشئ إلى استعمال التورية في هذه المواضع ، والتلطيف في العبارة عن هذه
المعاني ، وإبرازها في صورة تقتضى توفية حق السلطان في التوقير والإجلال
والإعظام ، والتترية عن المخاطبة بما لا يجوز إمراره على سمعه ، وإصالح المعنى إليه
من غير خيانه في طي ما لا غنى به عن علمه . قال : وهذا مما لا يستقل به إلا المبرز
في الصناعة ، المتصرف في تأليف الكلام .

الأصل الثامن

(أن يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين في المكتبات من اللسان
فيخاطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ ، وما يصل إليه فهمه من الخطاب) .
قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : "أول ما ينبغي أن تستعمل في كتابك
مكتبة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام وقوتهم في المنطق . قال : والشاهد
على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس ، كتب
إليهم بما يمكنهم ترجمته فكتب إليهم : " من عهد رسول الله إلى كسرى أبرويز
عظيم فارس ، سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله
فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة (لينذر من كان حياً ويحيى القول على الكافرين)
فأسلم تسلم ، وإن آتيت فإثم الجؤس عليك " فمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانقطاع غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة بالعربية .

ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب ، نظم اللفظ لما حارف من قوتهم على
فهمه ، وعانتهم بسماع مثله ، فكتب لوائلي بن حجر الحضرمي : " من عهد رسول الله
إلى الأقبال العبايلة من أهل حضرموت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : على التبعة
الشاة ، والبيعة لصاحبها ، وفي الشيوب الخمس ، لا خلاط ولا وراط ولا شيناقي
ولا شنار ، ومن أجي فقد أربي ، وكل مسكر حرام " .

وقد ذكر العسكري أيضاً في باب الإطناب ما يحسن أن يكون شاهداً لذلك
من القرآن الكريم - قال : قد رأينا أن الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب ،
أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي كما في قوله تعالى خطاباً لأهل مكة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ وقوله : ﴿ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ وقوله : ﴿ أَوَلَيْي السَّمْعُ وَوُشَاهِدٌ ﴾ في أشباه كثيرة لذلك . وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم ، جعل الكلام مبسوطا ، كما في سورة طه وأشباهها ، حتى إنه قلما تجد قصة لبنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع مُعادة ، لبعده فهمهم ، وتأخر معرفتهم .

قال في "موادّ البيان" : فيجب على الكاتب أن ينتقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رتبة الخطاب والمخاطبين ، وتوجيه الأحوال المتغيرة ، والأوقات المختلفة : ليكون كلامه مشاكلا لكل منها ، فإن أحكام الكلام تتغير بحكم تغير الأزمنة والأمكنة ومنازل المخاطبين والمكانين .

قال : ولتحرى الصنعة الأولى من الخُطاب إيقاع المناسبة بين كُتُبهم وبين الأشياء المتقدمة الذكر استعمل كُتَاب الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفحلة ، والمتينة الجزلة ، ما لم تستعمل مثله الدولة العباسية : لأن كُتَاب الدولة الأموية قصصوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها ، حتى عُدَّت في جملة الفضائل التي يثابر على اقتنائها ، والأمكنة التي نزلوا ملوكهم من بلاد العرب ، والرجال الذين كانت الكُتُب تصنّف إليهم ؛ وهم أهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر .

أما زمان بنى العباس ، فإن الهمم تقاصرت عما كانت مُقيلة على تطلبه فيما تقدم من العلوم المتقدم ذكرها ، وشغلت بغيرها من علوم الدين ؛ ونزل ملوكهم ديار العراق وما يُجاورها من بلاد فارس ، وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستيفاضتها في أرض الحجاز والشام . ومن المعلوم أن القوم الذين كانوا يكتبون عنهم لا يُجَارون تلك الطبقة

في القَصَاحَةِ والمُعْرِفَةِ بِدِلالاتِ الكلام؛ فانتَقَلَ كُتَّابُهَا من اللَّفْظِ الْمَتِينِ الْجَزَلِ، إِلَى اللَّفْظِ الرَّيِّقِ السَّهْلِ، وَكَذَلِكَ أَنتَقَلَ مَتَأَخَّرُو الْكُتُبِ عَنِ أَقْطَافِ الْمُتَقَدِّمِينَ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَبُ مِنْهَا وَأَخْفَ، لِلْعُنَى الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ .

قال : وَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يُرَاعِيَ هَذِهِ الْأَحْوَالَ، وَيُوقِعَ الْمُشَاكَلَةَ بَيْنَ مَا يَكْتُبُهُ وَبَيْنَهَا، فَإِذَا أَحْتَاجَ إِلَى إِصْدَارِ كِتَابٍ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاسِي، فَلْيَنْظُرْ فِي أَحْوَالِ قَاطِنِيهَا : فَإِنْ كَانُوا مِنَ الْأَدْبَاءِ الْبُلَغَاءِ الْعَارِفِينَ بِنَظْمِ الْكَلَامِ وَتَأْلِيفِهِ، فَلْيُودِعْ كِتَابَهُ الْأَقْطَافَ الْجَزَلَةَ، الَّتِي إِذَا حُلِّيتْ بِهَا الْمَعَانِي زَادَتْهَا نِغَامَةٌ فِي الْقُلُوبِ، وَجَلَالَةٌ فِي الصُّدُورِ . وَإِنْ كَانُوا عَنِ لَا يُهْرَقُ بَيْنَ خَاصِ الْكَلَامِ وَعَامَّةٍ، فَلْيُضَمِّنْ - آتِيَهُ الْأَقْطَافَ الَّتِي يَتَسَاوَى سَامِعُوهَا فِي إِدْرَاكِ مَعَانِيهَا، فَإِنَّهُ مَتَى عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ ضَاعَ كَلَامُهُ، وَلَمْ يَصِلْ مَعْنَى مَا كُتِبَ فِيهِ إِلَى مَنْ كَتَبَهُ : لِأَنَّ الْكَلَامَ الْبَلِغَ إِنَّمَا هُوَ مَوْضُوعٌ بِإِزَاحِ أَفْهَامِ الْبُلَغَاءِ وَالْقَصَصَاءِ . فَمَا الْعَوَامُّ وَالْحِشْوَةُ : فَإِنَّمَا يَصِلُ إِلَى أَفْهَامِهِمُ الْكَلَامُ الْعَاطِلُ مِنْ حُلِّ النَّظْمِ، الْعَارِي مِنْ كُسُوةِ التَّأْلِيفِ، فَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي غَاظِبَةٍ مِنْ هَذِهِ صُورَتُهُ أَذْنَى رُتَبِ الْبَلَاغَةِ وَأَقْرَبَهَا مِنْ أَفْهَامِ الْعَامَّةِ وَالْأَهْلِ الْأَعْجَمِيَّةِ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِمْ .

ثم قال : فَمَا الْكُتُبُ الْمُتَنَتَّةُ عَنِ السُّلْطَانِ، فَإِنَّ مِنْهَا كُتُبَ الْفَتْوحَاتِ وَالسَّلَامَاتِ وَنَحْوِهَا، وَهِيَ مُحْتَمَلَةٌ لِلْأَلْطَافِ الْقَصِيحَةِ الْجَزَلَةِ، وَالْإِطَالَةِ الْقَاضِيَةِ بِإِشْبَاعِ الْمَعْنَى، وَوَصُولِهِ إِلَى أَفْهَامِ كَلَّةٍ سَامِعِيَةٍ مِنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ . وَمِنْهَا كُتُبُ الْخَرَاجِ وَجِبَابَتِهِ وَأُمُورِ الْمَعَامَلَاتِ وَالْحِسَابِ، وَهِيَ لَا تَحْتَمِلُ اللَّفْظَ الْقَصِيحَ، وَلَا الْكَلَامَ الْوَجِيزَ لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَمَثُّلِ مَا يَحْتَمِلُ طَبْعُهُ، وَإِفْهَامِ مَنْ لَا يَصِلُ الْمَعْنَى إِلَى فَهْمِهِ إِلَّا بِالْيَأْنِ الشَّافِي

في العبارة . ومنها مخاطبته السلطان عن نفسه ، فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانته من الخدمة من الألفاظ المتوسطة ، ولا يجوز أن يستعمل فيها الفصيحة التي لا تحتل من تابع في حق متبوع : لما فيه من تعاطي التفاضل على سلطانه ، وهو غير جائز في أدب الملوك ؛ وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المبسطة الدائرة بين السوقة ، لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته إياه بما لا يسيه رتبته .

وأما الكتب الإخوانيَّات النافذة في التهاى والتماي ، فإنها تحتل الألفاظ الغريبة القوية الأخذ بجامع القلوب ، الواقعة أحسن المواقع من القوس : لأنها بنية على تحسين اللفظ ، وترين النظم ، وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه .

قلت : والذي ترأى الفصاحة والبلاغة فيمن المكتبات عن الأبواب السلطانية في زماننا مكاتبات ملوك المغرب : كصاحب تونس ، وصاحب تلمسان ، وصاحب فاس ، وصاحب غرناطة من الأندلس ، وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ومن يجرى هذا المجرى ، ممن تستعمل بلاده على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة . ويظهر ذلك بالاستخبار عن بلادهم ، وبالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم إلى الأبواب السلطانية . بخلاف من لا عناية له بذلك : كحكم أصاغر البلدان وأصحاب اللغات العجمية : من الروم والفرنج والسودان ومن في معانهم ، فإنه يجب خطابهم بالألفاظ الواضحة ، إلا أن يكون في بعض بلادهم من يتعاطى البلاغة من الكتاب ووردت كتبهم على نهجها فإنه ينبغي مكاتبتهم على سنن البلغاء .

الاصـل التاسع

(أن يُرَاعَى رتبةُ المكتوب عنه والمكتوب إليه في الخطاب ،

فيُعبَّر عن كل واحدٍ منهما في كلِّ مكتبة بما يليق به ،

ويُخاطَب المكتوبُ إليه بما يقتضيه مقامه)

فأما المكتوب عنه ، فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته .

فإن كان المكتوبُ عنه خليفةً ، قد جرت عادةٌ من تقدم من الكُتَّاب بالتعبير عنه في الكُتُب الصادرة عن أبواب الخلافة بأمير المؤمنين ، مثل أن يقال : فَجَرَى أَمْرُ أمير المؤمنين في كذا على كذا وكذا ، وَأَوْعَزَ أمير المؤمنين إلى فلان بكنا ، وَأَقْتَضَى رَأْيُ أمير المؤمنين كذا ، وَنَرَجَ أَمْرُ أمير المؤمنين بكنا ، وتقدَّم أَمْرُ أمير المؤمنين إلى فلان بكنا ، وما شاكل ذلك . وربما صُبرَّ عنه بالسلطان ، مثل أن يقال في حقِّ المخالفين : وحاربوا عساكرَ السلطان ، أو ومنعوا خراجَ السلطان وما أشبه ذلك ، يريدون الخليفةَ ، على ما استقيف عليه في الكُتُب التي تُوردها في المكاتباب عن الخلفاء فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

وقال ابنُ شيث في "معالم الكتابة" : وَيُخاطَبُ بِالْمَوَاقِفِ الْمُقَدَّسَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْعَتَبَاتِ الْعَالِيَةِ ، وَمَقَرِّ الرَّحْمَةِ ، وَعَمَلِّ الشَّرَفِ . وذكر المَقَرَّ الشَّهَابِيَّ بن فضل الله في "التعريف" نحوه . فقال : وَيُخاطَبُ بالديوان العزيز ، وَالْمَقَامِ الْأَشْرَفِ ، والجانب الأَعْلَى أو الشريف ، وبأمر المؤمنين ، مجرَّدة عن سيِّدنا ومولانا ، ومَرَّةً خَيْرَ مجرَّدة ، مع مراعاة المناسبة ، والتسديد والمقاربة . قال : وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخُضْعَانُ عن مخاطبة الخليفة نفسه ، وتزِيلُ الخطاب منزلةً من يُخاطَب

نفس الديوان ، والمعنى به ديوان الإنشاء ، إذ الكُتُب وأنواع المخاطبات إليه واردةٌ وعنه صادرةٌ .

وقد سبق في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة قهلاً عن ابن حبيب النعمان في " ذخيرة الكاتب " إنكار هذه الاستعارات والمقترحات ، وسيأتى في المكتبة إلى الخلقاء ذكر ترتيبها إن شاء الله تعالى .

وإن كان المکتوب عنه ملكاً ، فقد جرت العادة أن يعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال : فعلنا كذا ، وأمرنا بكذا ، وأقتضيت آراؤنا الشرففة كذا ، وبرزت مراسمتنا بكذا ، ومرسومتنا إلى فلان أن يتقدم بكذا ، أو يتقدم أمره بكذا ، وما شبه ذلك . وذلك أن ملوك الغرب كانوا يحثرون على ذلك في مخاطبتهم ، فجرت الملوك على سبيلهم في ذلك . وفي معنى الملوك في ذلك سائر الرؤساء : من الأمراء ، والوزراء ، والعلماء ، والكُتّاب ، ونحوهم من نوى الأقدار العلية ، والأخطار الجليلة ، والمراتب السنية في الدين والدنيا ، ممن يصلح أن يكون أمراً ونهياً ، إذا كتبوا إلى اتباعهم ومأمورهم ، إذ كانت هذه النون بما يختص بنوى التعظيم دون غيرهم . وشاهد ذلك من القرمان الكريم قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ فدعاه دعاء المفرد لعدم المشاركة له في ذلك الاسم ، وسأله سؤال الجمع لمكان العظمة ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة مؤرد الاختصاص له كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَإِنَّ عَلَيْنَا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ وقوله : ﴿ نَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ وغير ذلك من الآيات . قال في " معالم الكتابة " : وقد أخذ كُتّاب المغرب بهنا مع ولادة أمورهم في الجمع بالميم فخطبوا الواحد مخاطبة الجمع مثل : أتم ، وفضلتم ، وأمرتهم ، وما أشبه ذلك .

(١) في الأصول والمواضع وهو تبه عرقى .

قلت : والآخر في ذلك عنهم مستمر إلى الآن . قال ابن شيث : وهو غير مأثور به عند غيرهم .

وإن كان المكتوب عنه مرعوسا بالنسبة إلى المكتوب إليه كالساج ومن في معناه ، فقال في "موادّ البيان" : ينبغي أن يحفظ في الكتب النافذة عنه من الإتيان بنون العظمة وغيرها من الألفاظ التي فيها تعظيم شأن المكتوب عنه مثل أن يقول : أمرت بكنا ، أو نهيته عن كذا ، أو أوعزت بكنا ، أو قدّم أمرى إلى فلان بكنا ، أو أنهى إلى كذا ، أو خرج أمرى بكنا ، وما في معنى ذلك مما لا يُخطب به الأتباع رؤسائهم ، بل يعدل عن مثل هذه الألفاظ إلى ما يؤدى إلى معناها مما لا عظمة فيه ، مثل أن يقول : وجدت صواب الرأي كذا ففعلته ، ورأيت السياسة تقتضى كذا فامضيته ، وما أشبه ذلك ، إن كان عرّف الكتاب على الخطاب بالتاء ، وإلا قال : وجد المملوك صواب الرأي كذا ففعله ، ورأى السياسة تقتضى كذا فامضاه ، وما يجري هذا المجرى .



وأما المكتوب إليه ، فقال أبو هلال العسكري في دأبه "الصناعتين" : ينبغي أن يعرف قدر المكتوب إليه من الرؤساء ، والنظرّاء ، والعلماء ، والوكلاء : ليُفرّق بين من يكتب إليه «أنا أفضل كذا» ومن يكتب إليه «نحن نفعل كذا» (فأنا) من كلام الأشباه والإخوان ، (نحن) من كلام الملوك ؛ ويفرّق بين من يكتب إليه «إن رأيت أن تفعل كذا» وبين من يكتب إليه : (قرأيك) . قال في "موادّ البيان" : وذلك أن قولهم «إن رأيت أن تفعل كذا» لفظ النظرّاء والمساوين ، بخلاف «قرأيك» ، فإنه لا يكتبه إلا جليلاً ، معظم : لتضمنها معنى الأمر والتقدير «قرأيك» ، بخلاف «إن رأيت» ، فإنه لا أمر فيه ، إذ يقال : «إن رأيت أن تفعل كذا فافعله» . على أن الأخفش

قد أنكر هنا على الكُتّاب، لأن أقل الناس يقول للسلطان : أنظر في أمرى، ولفظه لفظ الأمر ومعناه السؤال . وذكر مثله في "صناعة الكُتّاب" عن التحوين . قال في "مواد البيان" : ووجه الكُتّاب أن المشافهة تختمل ما لا تختمله المكتبة، لأن المشافهة حاضر يحضر الإنسان لا يمكنه تهيدته وترتيبه، والمكتبة بخلاف ذلك، فلا حذر لصاحبها في الإخلال بالأدب . قال ابن شيث : وقد أصطلحوا على أن يُكتب في أواخر الكتب : «وللآراء العالية فضل السمو والقُدرة إن شاء الله تعالى» . ودون ذلك : «والرأى السامى حكمه» ودونه : «والرأى أعلى» . ودونه : «والرأى موقى» وموقى بالرفع والنصب . ودونه : «ورأيه للجلس» : «ورأياها للفضرة» . قال : وربما قالوا : «إن رأى مولانا أن يكون كذا وكذا امر به أو فعل» إلا أنها لا تقوم مقام قوله : والرأى أعلى . فاما لمن دونه فمحمّل . وذكر أنه كان مصطلحهم أن يقال في آخر كُتُب السلطان : «فاعلم ذلك واعمل به إن شاء الله تعالى» . وأن أعيان أصحاب الأقلام كانوا يكتبونه إلى من دونهم .

قلت : والذي استقر عليه الخصال أن يُكتب في مثل ذلك : «وللآراء العالية مزيد العلو» وأن تختم الكتابة للأكابر بمثل : «فتحيط علمه بذلك» ولين دونهم : «فتحيط بذلك علما» وللأصاغر : «فليعلم ذلك ويستمنه» وبحوزك . قال محمد ابن إبراهيم الشيباني : إن أحجبت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكُتّاب والأدباء والمخطّباء وأوساط الناس وسوقهم ، فخطب كل منهم على قدر أهله وجلالته وعُلوّه وارتفاعه وفضلته وأتباعه . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراعى في مراسلتك إليهم في كُتُبك ؛ وتزين كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قيسمه ، وتوقيه نصيبه ؛ فإنه متى أهملت ذلك واضعته ، لم آمن طبعك أن تقلد بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ،

وَيُجْرَى شُعَاعٌ بِلَاغِكَ فِي غَيْرِ جَوَاهِرٍ ، وَتَقْطَعُ جَوْهَرَ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ سِلْكِهِ ، فَلَا تَعْتَدُ
بِالْمَعْنَى 'الْجَزْلَ مَا لَمْ تَكُنْ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَلَى قَدَرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ؛ فَإِنْ الْبَاسَكَ الْمَعْنَى' -
وإن صحَّ إِذَا أَثَرِبَ^(١) - لَفْظًا لَمْ يُجْرِهِ عَادَةُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ تَهْنِئَةً لِلْعَنْي ، وَإِخْلَالٌ بِقَدْرِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَظُلْمٌ يَلْحَقُهُ ، وَنَقْصٌ مِمَّا يَجِبُ لَهُ ؛ كَمَا أَنَّ فِي اتِّبَاعِ مُتَعَارِفِهِمْ ،
وَمَا انْتَشَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ ، وَجَرَتْ بِهِ سُلَّتْهُمْ ، قَطْعًا لَعُنُورِهِمْ ، وَخُرُوجًا عَنْ حَقِّهِمْ ،
وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ ، وَإِسْقَاطًا لِمُجْتَمَعِ آدِبِهِمْ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : فَاثْمِيلُ هَذِهِ
الْمَذَاهِبِ وَأَجْرٌ عَلَيْهَا الْقَوْمُ .

قال في "مواد البيان" : وذلك أن المعاني التي يكتب فيها وإن كان كل منها
جنسا بعينه : كالتعزية والاعتذار والعتاب والاستظهار ونحو ذلك ، فإنه
لا يجوز أن يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ ، بل ينبغي
أن يخرج في الصيغة المشاكلة للمخاطب ، اللاتفة بقدره ورؤيته . ألا ترى أنك لو خاطبت
سلطاناً أو وزيراً بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا ، لما جاز أن تنبي الكلام
على وعظه وتبصيره وإرشاده وتذكيره وحضه على الأخذ بحظ من الصبر ، وبمجانبة
الجزع ، وتلقي الحادثات بالتسليم والرضا ؛ وإنما الصواب أن تنبي الخطاب على
أنه أعلى شأنًا ، وأرفع مكانًا ، وأصح حزمًا ، وأرجح حلمًا ، من أن يعزى ؛ بخلاف
المناخرف الرتبة ، فإنه إنما يعزى تنهيا وتذكيرا ، وهداية وتبصيرا ، ويعرف الواجب
في تلقي السرر بالشكر ، والضراء بالصبر ، ونحو ذلك .

وكذلك إذا كانت رئيسا في معنى الاستزادة والشكوى ، لا يجوز أن تأتي بمعناها
في ألفاظها الخاصة ، بل يجب أن تبدل عن [ألفاظ] الشكوى إلى ألفاظ الشكر ،

(١) هذا الشرط غير موجود في النسخة .

(٢) لم يذكر في النسخة لفظ القوم .

وعن ألفاظ الاستراحة إلى ألفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر، لتكون قد رُبِّيتَ
كلامك في رُبِّته، واتَّخِذَتْ معتك تَحْجِجَ مَنْ يَسْتَدْعِي الزيادة لا مَنْ يَسْكُو التَّقصير.

قال ابن شيت في "معالم الكتابة": ولا يخاطبُ السلطانُ في خلال الكتابة إليه
بِسَيِّدنا مكان مولانا، فإن سيدنا كانها خُصِّصَتْ بأرباب المراتب الدينية والديوانية،
ومولانا تُخَصُّ السلطان وحده، وإن كان من نُعُوت السلطان السيد الأجل.

قال: على أن ذلك مخالفٌ لمنهَب المغاربة: فإنهم يعبرون عن ولاة أمورهم
بالسادة، ويعبرون عن صاحب الأمر بسيدنا، وكان هذا كان في زمانه،
ولما فالعروف عند أهل المغرب والأندلس الآن التعييرُ عن السلطان بالمولى، يقول
أحدهم مولانا فلان. وأهل مصر الآن يُطلقون السادة على أولاد الملوك.

وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته لم يحز أن تُورد ذلك مورد التنبيه على
ما أغفله، والإيقاظ لما أهمله، والتعريف من الصواب لما جهله: لأن ذلك
من القبيح الذي لا يمتلئه الرؤساء من الاتباع، ولكن تبنى الخطاب على أن السلطان
أعلى وأجل رأيا، وأصح فِكْرا، وأكثر إحاطةً بُمَسْئُورِ الأمور وأعجازها، وأن آراءه
خَدِمَ جزء من رأيه، وأنهم إنما يتفرضون تحايُّل الإصابة بما وَقَّعُوا عليه من سلوك
مَنهَبه، والتأديب بأدبه، والأرتياض بسياسته، والتثقل في خدمته، وإن مما يفرضونه
في حكم الإشفاق والأهتمام، وما يُسَيِّخ عليهم من الإنعام، المطاعة بما يجرى في أوهامهم،
ويُخَنَّث في أفكارهم، من الأمور التي يتخيلون أن في العمل بها مصلحة للدولة،
وعِمارة للملكة، ليتصفَّحه بأصالة رأيه التي هي أوفر وأثبت. فإن استصوبه
أمضاه، وإن رأى خلافه ألغاه، وكان الرأي الأعلى ما يراه إلى غير ذلك مما يجرى
هنا المجرى.

قال ابن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يقارن الكاتبُ السلطان في تكرار المواضع التي يقع الاكتباسُ فيها بين الكاتب والمكتوب إليه ، لأن هاء الضمير تعود عليهما معا لما تهتم من ذكرهما ، وإن كان في القرينة ما يدل على ذلك بعد الفكرة وإذا ابتدأ معهم بالملوك لا يقال بعد ذلك العبد ولا الخادم ، وإن كان ذلك جائزا مع غير السلطان .

قال : ولا بأس بتكرار الإشارة إلى السلطان في المواضع التي يجمل فيها الاشتراك بينه وبين المكتوب إليه ، مثل أن يقال : وكان قد ذكر كذا وكذا ، والضمير في كان يصلح لهما معا ، فلا بد هنا من ذكر الملوك ، إن كان الاكتباس من جهة الكاتب ، أو مولانا إن كانت الإشارة إلى السلطان .

الأصل العاشر

(أن يراعى مواقع آيات القرآن والسجع في الكتُب ،
وذكر آيات الشعر في المكتبات)

أما آيات القرآن الكريم ، فقد ذكر ابن شيث في "معالم الكتابة" أنها في صدر الكتُب قد يذكرها الأذن للأعلى في معنى ما يكتب به ، مثل قوله تعالى : (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَقَامَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بِصِيرًا) وقوله تعالى : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) إلى غير ذلك من الآيات المناسبة للوقائع وإن كانت في أثناء الكتُب ، فقد استشهد بها جماعة من الكتّاب في خلال كتبهم مما رأيت .



وأما السجع ، فقد ذكر ابن شيث : أنه لا يُفَرَّق فيه بين كتابِ الأعلى للأدنى وبالعكس ، وأنه بما يُكْتَب عن السلطان أُلَيِّق ؛ لكن قد ذكر بعض المتأخرين أن الكتابة بالسجع نقص في حق المكتوب إليه ، وقضيته أنه لا يُكْتَب به إلا من الأعلى للأدنى ، إلا أن الذي جرى عليه بمصطلح كُتب الزمان تخصيصه ببعض الكُتب دون بعض من الجانبين .



وأما الشعرُ فيُورِدُه حيث يحسن إيرادُه ، ويمتنعه حيث يحسن منعه ، فليس كل مكتبة يحسن فيها إيراد الشعر ، بل يختلف الحال في ذلك بحسب المكتوب عنه والمكتوب إليه . فاما المكاتبات الصادرة عن الملوك والصادرة إليهم ، فقد ذكر في "موادّ البيان" : أنه لا يُمَثَّل فيها شيء من الشعر ، إجلالاً لهم عن شوب العبارة عن عزائم أو أميرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة إليهم ، بما يُخالِف تَبَطُّها ووضعها ، ولأن الشعر صناعةٌ مغايرةٌ لصناعة الترسُّل ، وإدخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن .

قلت : الذي ذكره عبد الرحيم بن شيث في كتابه "معالم الكتابة ومواضع الإصابة" أنه [يُمَثَّل] بالشعر في المكاتبات الصادرة عن الملوك دون غيرهم ، وهو معارض لما ذكره في "موادّ البيان" . وكأنه في موادّ البيان يريد الكُتب النافذة عن الملوك إلى مَنْ دُونهم ، أو مَنْ دُونهم إليهم . أما الملوك والخلقاء إذا كتبوا إلى مَنْ ضاهاهم في أبهة الملك وقاربهم في علو الرتبة ، فإنه لا يمتنع التمثُّل بأبيات الشعر فيها ، تطريزاً للشربانظم ، وجمعاً بين جنبتي الكلام اللذين هما خلاصة مقاصده .

وما زالت الخلفاء والملوك السالفة يَحْلُونَ كُتُبَهُم الصادرة عنهم إلى نُظرائهم في علو الرتبة بالآليات الرقيقة الألفاظ ، البديعة المعاني ، للاستشهاد على الوقائع المكتوب فيها : كما كتب أمير المؤمنين "عثمانُ بنُ عفان" رضى الله عنه حين تملاً عليه القوم وأجمعوا على قتله إلى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه !

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُؤُولًا ، فَكُنْ خَيْرًا كَلِي * وَإِلَّا فَأَذِرْ كُنِي وَلَا أَمْرِقِ !

وكما كتب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ! إلى معاوية بن ابي سُفْيَان ، في جواب كتاب له حين جرى بينهما التنازع في الخلافة ، قال في أثناء كتابه : وَزَعَمْتُ أَنَّ لِكُلِّ الْخَلْفَاءِ حَسَنَتٌ ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغِيَّتٌ ؛ فَإِنْ يَكُ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجَنَاحُ عَلَيْكَ ، فَيَكُونُ الْعُدْرُ إِلَيْكَ :

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا *

وعلى ذلك جرى كثير من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية : كما حكى العسكري في "الأوائل" أن أهل حمص وثبوا بماملها فأنجزوه ، ثم وثبوا بعده بمامل آخر ، فأمر المتوكل إبراهيم بن العباس أن يكتب إليهم كتاباً يحذرهم فيه ويختصر ، فكتب .

أما بعده ، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى عليه فيما أقوم به من أود أو عدل به من زيف ، أو لم به من شعث ، ثلاثاً يقدم بعضن أمام بعض : فأولاهن ما يستظهر به من عظمة وُجْهَةٍ ، ثم ما يشفعه به من تحذير وتنبيه ، ثم التي لا ينفع حسم الداء غيرها :

أَنَاءً ؛ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبٌ بَعْدَهَا * وَعَيْدٌ ، فَإِنْ لَمْ يُجِدْ أَجْدَتْ عَزَائِدُ !

(١) أى الصول .

(٢) فى الاسول قد من يقوم به الخ . والتصحيح من "أدب اللغة" للشيخ أحمد السكتري .

ومن كان يُكثر التمثل بالشعر في المكتبات من خلفاء بني العباس وتصدّر إليه المكتبات كذلك «الناصر لدين الله» حتى يُحكى أن الملك الأفضل، على - ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب دمشق حين تعصب عليه أخوه الملك العزيز عثمان وعنه الملك العادل أبو بكر، كتب إلى الناصر لدين الله يستجيشه طليهما كتاباً يُشير فيه إلى ما تعتقده الشيعة من أن الحق في الخلافة كان لعلّ، وأن أبا بكر وعثمان رضى الله عنهما هتَمَا عليه، إذ كان الناصر يُميل إلى التشيع، وكتب فيه :

مَوْلَايَ ! إِنَّ أبا بَكْرٍ وَصِيحَتِي * عُثْمَانُ قَدْ غَضِبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ !

فَانظُرْ إِلَى لِحْظٍ هَذَا الْإِسْمَ كَيْفَ لَقِيَ * مِنَ الْأَوَانِرِ مَا لَاقَى مِنَ الْأَوَّلِ !

فكتب إليه الناصر الجواب عن ذلك، وكتب فيه : .

وَأَفِي كِتَابِكَ يَا أَبْنَ يُوسُفَ نَاطِقًا * بِالْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرُ !

غَضَبُوا قَلِيلًا حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ يَثْرِبَ نَاصِرُ !

فَاصْبِرْ فَإِنَّ عَلَى الْإِلَهِ حِسَابَهُمْ * وَأَنْتَ فَنَاصِرِكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

وعلى ذلك جرى الملوك القائمون على خلفاء بني العباس في مكاتبتهم أيضا .

كما كتب أبو إسحاق الصابي عن مُعِزِّ الدولة بن بُوَيْه، إلى عُدَّة الدولة أَبِي قَلْبَ كِتَابَا بِذِكْرِهِ فِيهِ خِلَافَ قَرِيبَيْنِ لَهُ ، لَمْ يُمَكِّنْهُ مَسَاعِدَةُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ ، وَأَسْتَشْهَدُ فِيهِ

بقول المتلمس :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا بِشَلِّ قَاطِعِ كَفِّهِ * بِكَفِّ لَهُ أَثَرِي فَأَصْبَحَ أَجْمَعَا !

فَلَمَّا اسْتَفَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ ، لَمْ يَجِدْ * لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ يَبِينَا فَاثْمَعَا .

وعلى هذا التهج جري الخلل في التولية الأيوبية بالديار المصرية . كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين "يوسف بن أيوب" إلى ديوان الخلافة ببغداد ، عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتاباً ليسل الخليفة عنه ، وكان من أساء السيرة وأكثر الفتك ، متمثلاً باليتين المقولين في أبي حفص الخلال : وزير أبي العباس السفاح ، وكان يعرف بوزير آل محمد .

إِنَّ الْمَكَارَةَ قَدْ تَسُرُّ ، وَرُبَّمَا * كَانَ السُّرُورُ بِمَا كَرِهْتَ جَدِيرًا !

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ * أَوْدَى ، فَنَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرًا .

وكما كتب القاضي « محي الدين بن عبد الظاهر » عن « المنصور قلاوون » إلى صاحب اليمن في جواب تعزية ارسلها إليه في ولده الملك الصالح ، مع تعريضه في أمره له بأن الحروب مما يشغل عن المصائب في الأولاد ، مستشهداً فيه بقوله :
إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَتَايَا ، * فَاهْوَتْ مَاتَرُهُ الْوُحُولُ !

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين اليربي رحمه الله عن « الظاهر برقوق » صاحب الديار المصرية ، جواباً لصاحب تونس من بلاد المغرب ، وأستشهد فيه بلغة الكتاب الوارد عنه بقوله :

وَكَلَامٍ كَدَمَجٍ صَبَّ غَرِيبٍ * رَقَّ حَتَّى الْمَوَاءُ يَكْتَفِ عِنْدَهُ !

رَأَى لَفْظًا ، وَرَقَّ مَعْنَى ، فَاحْشَى * كُلُّ سَجَّارٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ عِنْدَهُ !

وعلى ذلك جرت ملوك المغرب من بني مرين وغيرهم . كما كتب بعض كتّاب السلطان أبي « الحسن المريني » عنه إلى السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار المصرية كتاباً يُخبره في خلاله أن صاحب بجاية خرج عن طاعته فغزاه ، وأوقع به ويحبوشه مائمه ، مستشهداً فيه بقوله :

إِنْ عَادَتِ الْقَرْبُ ، مُدْنَا لَهَا * وَكَانَتِ التَّمْلُ لَهَا حَاضِرَةً !
إلى غير ذلك من المكاتبات الملوكية التى لا تحصى كثرة . بل ربما وقع التمثل
بالشعر فى المكاتبات من الخلفاء والملوك إلى من دونهم وبالعكس . كما حكى العسكرى
فى " الأوائل " أن رافعاً رفع كتاباً إلى الرشيد ، وكتب فى أسفله :

إِذَا جِئْتُ عَارَا أَوْ رَضِيتُ بِذِلَّةٍ ، * فَتَقِمْنِي عَلَى تَقَمِّي مِنَ الْكَلْبِ أَهْوَنُ !
فكتب إليه الرشيد كتاباً وكتب فى أسفله :

وَرَفَعْتُ قَسَا طَالِبًا فَوْقَ قَدِيرِهَا * يَسُوقُكَ الْخَفَافُ الْمُعْجَلُ وَالذَّلَالُ
وبالجملة فذهابُ الناس فى التمثل بالشعر فى المكاتبات الملوكية مختلفة ،
ومقاصدهم متباينة بحسب الأغراض ، ولذلك أورد الشيخ جمال الدين بن نباتة
هذه المسئلة فى جملة أسئلته ، التى سأل عنها كُتَّابُ الإنشاء بدمشق ، مخاطباً بها
الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى ، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء بها فقال :
وَمَنْ كَرِهَ الِاسْتِشْهَادَ فِى مَكَاتِبَةِ الْمُلُوكِ بِالْأَشْعَارِ ؟ وَكَيْفَ تَرْكُهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْآثَارِ ؟
أما المكاتبات الإخوانيات الواقعة بالتهانى ، والتعازى ، والترأؤر ، والتبديد ،
والمُداعة ، وسائر أنواع الرِّقاع فى فنون المكاتبات ، فقد قال فى " مواد البيان " :
لَئِنْ يَجُوزُ أَنْ تُودَعَ آيَاتُ الشَّعْرِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْلِ وَعَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِرَاعِ ، مَحْتَجاً بِأَنْ
الصَّدْرُ الْأَوَّلُ كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ ذَلِكَ فِى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ . وَهَذَا الَّذِى ذَكَرَهُ لَأَخْفَاءُ فِيهِ ،
وَكُتِبَ الرِّسَالُ الْمَدُونَةُ مِنْ كَلَامِ الْمُتَقَلِّمِينَ وَالتَّائَحِرِينَ مِنْ كُتَّابِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ ، نَاطِقَةٌ بِاسْتِعْمَالِ الشَّعْرِ فِى الْمَكَاتِبَاتِ ، وَأَثْنَاتُهَا وَنِيَّاتُهَا ، مَا يَنْبَغُ
وَالْيَتِينَ فَكَثُرَ ، حَتَّى الْقَصَائِدُ الطُّوَالُ . وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ مِنْ ذَلِكَ الْيَتِ الْمَفْرَدُ وَالْيَتَانِ
فَمَا حَوَّلَ ذَلِكَ . كَمَا اسْتَشْهَدَ الْقَاضِى الْفَاضِلُ فِى بَعْضِ مَكَاتِبَاتِهِ فِى الشُّوقِ بِقَوْلِهِ :

وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَحْنُ إِلَيْهِمْ ، * وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَىٰ وَهُمْ مَعِيَ !
وَتَطْلُبُهُمْ عَنِّي وَهُمْ فِي سَوَاحِلَا * وَيَسْتَأْذِنُونَنِي قُلَىٰ وَهُمْ يَنْ أَسْأَلُنِي !

وكما كتب أيضا لبعض إخوانه في جواب كتاب :

وَكَمْ قُلْتُ حَقًّا : لَيْتَنِي كُنْتُ عَنْدهُ ! * وَمَا قُلْتُ إِجْلَالًا لَهُ : لَيْتَنِي عِنْدِي !

وكما كتب في وصف كتاب ورد عليه مستشهدا بقوله :

وَحَسْبَتْهُ - وَالطَّرْفُ مَعْقُودُهُ - * وَجَهَ الْحَبِيبِ بَدَأَ لَوَجْهٍ مُّحِبِّهِ !

وكما كتب في كتاب تعزية بصديقي مستشهدا فيه بقوله :

وَذَاكَ الَّذِي لَا يَرِيحُ النَّحْسَ رُزْؤُهُ ، * وَلَا ذِكْرُهُ مَا أَرَزَمَتْ أُمُّ حَائِلٍ .

إلى غير ذلك من المكاتبات التي لا يأخذها حصر ، ولا تمحل تحت حد ، مما

ستقف على الكثير منه في الكلام على مقاصد المكاتبات ، إن شاء الله تعالى .

الأصل الحادى عشر

(أنب يأتى في مكاتباته بحسن الاختتام)

ويرجع إلى معنيين ، كما في حسن الافتتاح المقدم ذكره .

المعنى الأول - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى المعنى المختتم به : إما بمطابقة
الآدب من المرعوس إلى الرئيس ونحو ذلك ، وإما بما يقتضى التعزيز والتوقير من
الرئيس إلى المرعوس ، كالاختتام بالدعاء ونحو ذلك ، مما يقع في مصطلح كل زمن .

المعنى الثانى - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين من سهولة
اللفظ ، وحسن السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات

الحسين ؛ كما كتب صاحبُ بنُ عباد في آخر رسالة له : " لَيْتَ حَيْثُ فِيمَا حَلَلْتُ ، فَلَا خَطَوَاتٍ لِتَحْصِيلِ بَعْدٍ ، وَلَا تَهْتَفُتِ لِإِقْنَاءِ تَحَدٍ ، وَلَا سَعَيْتُ إِلَى مَقَامٍ نَفَرٍ ، وَلَا حَرَصْتُ عَلَى عُلُوِّ ذِكْرٍ " . قال أبو هلال العسكري : فهذه إيمان ، لو سمعها عامرُ بنُ الظَّرب ، لقال هي إيمان الغموس لا الصَّمُ بِاللَّاتِ وَالْعَزَى وَمَنَاةُ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى ، ونحو ذلك مما يحجى هذا المجزئ .

قلت : وأعتبرُ هذه الأصول [الأحد عشر]^(١) بعد ما تقدّمَ اعتباره في الكلام على صنعة إنشاء الكلام وترتيبه في المقالة الأولى ، من أنه لا يستعمل في كلامه ما أتت به آياتُ القرآن الكريم : من الاختصار ، والحنف ، وخطابة الخالص بخطابة العام ، وخطابة العام بخطابة الخالص ، ولا ما يختص بالشعر : من صرف مالا ينصرف ، وحنف مالا يحنف ، وقصر الممدود ، ومدّ المقصور ، والتقديم والآخر ، والإضمار في موضع الإظهار ، وتصغير الاسم في موضع التعظيم ، مثل دُوبِيَّةٍ ، وما شا كل ذلك مما تقدّم التنبيه عليه في موضعه ، فلا بدّ من اعتباره هنا .

الأصل الثاني عشر

(أن يعرف مقادير قطع الورق ، وسعة الطرة والهامش ، وسعة بيت العلامة ومقدار ما بين السطور وما يترك في آخر الكتاب)

أما مقدار قطع الورق ، فقد تقدّم في المقالة الثالثة أنه يختلف باختلاف المکتوب إليهم عن السلطان ، فكما عظم قدرُ المکتوب إليه ، عظم مقدار قطع الورق ؛ وربما روي في ذلك قدرُ المکتوب عنه والمكتوب إليه جميعا .



وأما طولُ الطَّرة في أعلى الكتاب ، فقد ذكر في "معالم الكتابة" أنها تُطَوَّلُ فيما إذا كان الكتابُ من الأعلى إلى الأدنى ، وتكون متوسطة من الاتِّباع ، وسيأتي أن المصطلح عليه في زماننا أن المكاتبات الصادرة عن السلطان تكون الطَّرة فيها ما بين ثلاثة أوصال إلى وصلين ، ومن التَّواب ومن في معنهم تكون وصلا واحدا .



وأما مقدارُ سَعَةِ الهامش فقد سمعتُ بعض فضلاء الكُتَّاب يذكر أن الضابط فيه أن يكونَ ثلثُ عَرْضِ الدَّرَجِ المكتوب فيه .



وأما بيتُ العَلَّامة فقد تقدَّم أنه يكون مقدارُ نحوِ شبرٍ في كُتُبِ السلطان ، أما في غيره - حيث كانت العلامةُ تحت البسملة - فتكونُ نحوَ ثلاثة أصابعٍ أو أربعة .



وأما سَعَةُ ما بين السطور فقد تقدَّم أنها تكون بمقدار نصفِ بيتِ العلامة . وذكر ابن شَيْث : أنها ثلاثة أصابعٍ أو أربعة .



وأما [ما يترك في] آخر الكتاب فقد ذكر ابن شَيْث أنه لا يترك في آخر المكتبة شيئا .



وأما الخطُّ فإنه كلما غلُظَ القلم واتَّسعت السطور كان انقِصَّ في رُبَّةِ المكتوبِ إليه وقد ذكر في "معالم الكتابة" أنَّ الكتب الصادرة إلى السلطان لا يكونُ بين سُطورها أكثرُ من إصبعين .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في بيان مقادير المكاتبات وما يتأصلها من البَسْط والإيجاز،

وما يلائمُ كلَّ مكتبة منها من المعاني)

ولتَعْلَمَ أَنَّ المكاتبات على ثلاثة أقسام :

القسم الأول

(ما يُكْتَبُ عن السلطان أو مَنْ في معناه من الرؤساء

إلى الأتباع . وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُعْمَلُ فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد استحسنوا الإيجاز في خمسة مواضع :

أحدها — أن يكون المکتوبُ من السلطان في أوقات الحروب إلى ثَوَابِ
الْمَلِكِ . قال في "حُسن التوسل" : فيجب أن يتونى الإيجاز والألفاظ البليغة
الدالة على القصد، من غير تطويل ولا بسط يُضيق المقصدَ ويقصِل الكلامَ بعضه
من بعض . ولا يعمد في ذلك إلى تهويل لأمر العدو يُضعِف القلوبَ، ولا تهوين
لأمره بحيث يحصل به الاعتقاد .

. الثاني — أن يكون ما يُكْتَبُ به عن السلطان خيراً يريد التورية به عنه وسرّ
حقيقته ، كما علمهم بالحوادث الحادثة على الملوك ، والنواب السكينة بالدولة : من
هزيمة جيش ، أو تغيير رسم ، أو إحدائه ، أو تكليف الرعية ما لا يستعمل عليها تكليفه

وما أشبه ذلك . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يقصده في ذلك إلى الاختصار والإيجاز، ويُعدّل عن استعمال الألفاظ الخاصة بالمعنى إلى غيرها مما يحتمل التأويل، ولا تتفرّق الأسماع عنه، ولا تُراعِ القلوب به، من غير أن يحتمل كذباً صراحاً، فإنه لاشيء أقبح بالسلطان، ولا أغمص لشأنه وقدره من أن يُضمّن كتابه ما ينكشف للعامة بطلانه . قال وينبغي للكاتب أن يتخلّص من هذا الباب التخلّص الجليّد الذي يُزيّن به الأثر، من غير تصريح بكذب، وأن يخرج الباطل في صورة الحق، ويعرّض سلطانه في ذلك للإجماد والتقريط من حيث يستحقّ التأنيب والإذمّ فإن هذه سبيلُ البلاغة، وطريقةُ فضلاء الصّابة، لأن الأمر الظاهر الحسَن المجمع على فضله لا يحتاج في التعبير عن حسنه إلى كذ الخاطر، وإتتاب الفكر، إذ الأكثَر لا يَحِيزُ عن التعبير عنه فضلاً عن اللّسن، وإتباع الفضل في تحسين ما ليس بحسَن، وتصحيح ما ليس بصحيح، بضروب من التّويه والتّخيل، وإقامة المعاذير، وإلّلال المعقّية على الإساءة والتقصير، من حيث لا يلحق كذبٌ صريحٌ ولا زورٌ مطلق .

وليضيق هذا المقام وضُوبة مرّتهاه، أورده الشيخ جمال الدين بن تباتة في جملة مسائله التي سأل عنها كُتّاب الإنشاء بدمشق - فقال : وما الذي يُكتِّب عن المهزوم إلى مَنْ هَزَمَهُ ؟ .

الثالث - أن يكون المكتوب به عن السلطان أمراً أو نهياً . قال في "مواد البيان" : حكّمها حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للعاني، الجازمة بالأمر أو النهي . اللهم إلا أن يكون الأمر أو النهي مما يحتاج إلى رسوم ومثّل يُعمل عليها، فيحتاج إلى الإطالة والتكرير، بحسب ما يؤمّر به ويُنهى عنه دون الحذف والإيجاز.

الرابع — أن تكون الكُتُب المكتوبة عن السلطان باستخراج الخراج وجباية الأموال وتدبير الاعمال . قال في "موادّ البيان" : فسيلها أن ينصّ فيها على ما رآه السلطان ودبره ، ثم يختتم بفصل مقصور على التوكيد في أمثال أمره وإنفاذه ، ولا يقتصر على ما تقدم ، إيجاباً للحجة ، وتضريفاً للعدو ، وحسباً لاسباب الاعتذار .

الخامس — أن يكون ما يكتب به عن السلطان إحماداً أو إنذاراً ، أو وعداً أو وعيداً أو استقصاراً أو عدلاً أو توبيخاً . قال في "موادّ البيان" : فيجب أن يُسجّع الكلام ويمد القول ، بحسب ما يقتضيه أمر المكتوب إليه : في الإساءة والإحسان ، والاجتهاد والتقصير ، لينشرح صدر المشمر المحسن ، وينهبط أمله ورجاؤه ، ويرتدع المقصر المفسد ، ويرتجع عما يلزم منه ، ويتلافى ما قرط فيه .

الضرب الثاني

(ما يُعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحسنوا البسط في موضعين :

أحدهما — أن يكون ما يكتب به عن السلطان خبراً يُريد تقرير صورته في قُوم العامة ، كالإخبار بالفتوحات المتجددة في إعلاء الدين والسلطان . قال في "موادّ البيان" : فيجب أن يُسجّع القول فيها ، وينبئ على الإسهاب والإطناب وتكثير الألفاظ المترادفة ، ليبرقوا قدر النعمة الحادثة ، وترد بصائرهم في الطاعة ، ويسلّو موضع سلطانهم من عناية الله تعالى به ، فتقوى قلوب أوليائه ، وتضعف قلوب أعدائه ؛ لأنه لو كتب كتاباً في فتح جليل يُقرأ في المجالس والمشاهد العامة على رؤوس

الأشهاد بين العامة ومن يرد تفضيم السلطان في نفسه على صورة الاختصار، لأوقع كلامه في غير رتبته، وذلك ذلك على جهله. وقد أوضح الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله هذا المقام في كتابه "حسن التوسل" فقال: وإذا كتب في التهاني بالفتوح فليس بالإسبغ الكلام والإطناب في شكر نعمة الله تعالى، والتبري من الحول والقوة إلا به، ووصف ما أعطى من النصر. وذكر مأمع من الثبات، وتعظيم ما يسر من الفتح؛ ثم وصف ما بعد ذلك: من عزم، وإقدام، وصبر، وجلد، عن الملك وعن جيشه بما حسن وصفه ولاق ذكره، وراق التوسع فيه، وعذب بسط الكلام معه. قال: ثم كُتب آتسع مجال الكلام في ذكر الواقعة ووصفها، كان أحسن وأدلى على السلامة، وأدعى لسرور المكتوب إليه، وأحسن لتوقع المنّة عنده، واشتهى إلى سمعه، وأشغى لقليل شوقه إلى معرفة الحال. قال: ولا بأس بتحويل أمر العدو، ووصف جمعه وإقدامه، فإن في تصغير أمره تحقيراً للظفر به.

قال في "مواد البيان": ولا يمتنع للإيجاز في كتب الفتوح بما كتب به كاتب المهلب بن أبي صفرة إلى الجحّاج في فتح الأزارقة، على أرضاع خطره، وطول زمانه، وعظم صيته، من سلكه فيه مسلك الاختصار؛ حيث كتب فيه:

«الحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ماسواه، وجعل الحمد متصلاً بثناءه؛ وقضى أن لا ينقطع المزيد من فضله، حتى ينقطع الشكر من خلقه. ثم إنّا كنّا وعدونا على حالين مختلفين، نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسوئنا، ويرون منا ما يسوئهم أكثر مما يسرهم؛ فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم: ينصرون الله ويخلفون، ويحصنوا ويحققهم؛ حتى بلغ الكتاب بتأديسهم أجله» (فقطيع دأب القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين).

فإنه إنما حَسُنَ في موضعه لمخاطبة السُّلطان به، ولغرض كانت المكتبة فيه . قال : فإن كُتِبَ مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا الفتح أو ما يقاربُه ، لِيُورَدَ عَلَى العامة ، وَيُقَرَّرَ في نفوسهم به قَدْرُ النعمة ، لم يحسن موقعه ، ونرجع عن شَرَطِ البلاغة بوضعه لِمَا هُ في غير موضعه ، وذكر العسكري نحو ذلك في "الصناعتين" .

ثم قال في "حسن التوسل" : وإن كان المكتوبُ إليه مَلِكًا صاحبَ مملكة بمفرده ، تعيَّن أن يكون البَسْطُ أَكْثَرَ ، والإطنابُ والتهويلُ أبلغ ، والشرحُ أتم . ثم قال : وإن أضْمُرَ أن يَكُتَبَ مثل ذلك إلى ملكٍ غير مسلم لكنه غير محارِبٍ ، فالحكم في ذلك أن يذْكَرَ من أسباب المودة ما يقتضى المشاركة في المَسَارِ ، وأنْ أُمِرَ هذا الملعوم كثرته أَخَذَ بأطراف الأنامل ، وآل أمره إلى ما آل . ويُعْظَمَ ذِكْرُ ما جرى عليه من القتل والأمر . ويقول : إن تلك عوائد نصر الله تعالى لنا ، وأستقامه مِن عادانا ،

وإن كان المكتوبُ إليه مَتَمَّا بمالأة العدو ، كتب إليه بما يدل على التقرُّع والتَّهْمُ والتَّهْدِيدُ في معرض الإخبار .

الثاني — أن يكون ما يَكُتَبُ به عن السلطان في أوقات حركات العدو إلى أهل الثغور ، يُسَلِّمُهم بالحركة للقاء عليهم . قال في "حسن التوسل" : فيجب أن يَبْسُطَ القولُ في وصف العزائم ، وقُوَّةِ الهِمَمِ ، وشِدَّةِ الحِمِيَّةِ للدين ، وكثرةِ العساكر والجيشِ وسُرْعَةِ الحركة ، وعلَى المراحل ، ومعالجة العدو ، وتخييلِ أسباب النصر ، والوثوق بعوائد الله تعالى في الظفر ، وتقوية القلوب منهم ، وبَسْطِ آمالهم ، وحَثِّهم على التيقُّظِ ، وحفظ ما بأيديهم ، وما أشبه ذلك . ويُرِزُّ ذلك في أمثل كلام وأجله وأمكنه ، وأقربه من القُوَّةِ والبَسالة ، وأبعد من اللين والرقَّة . ويُبالِغُ في وصف الإنابة إلى الله تعالى وأستزال نصره وتأيسده ، والرجوع إليه في تثبيت الأقدام ، والأعتصام به

في الصبر، والاستعانة به على العدو، والرغبة إليه في خذلانهم وزلزلة اقدائهم وجعل الدائرة عليهم، دون التصريح ببطلان حركتهم، ورجاء تأخيرهم، وانتظار العرضيات في ضعفهم، لما في ذلك من لهما الضعف عن لقاءهم، واستشعار الوهم والخوف منهم .

القسم الثاني

(ما يكتب به عن الأتباع إلى السلطان والطبقة العليا
من الرؤساء، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يعمل فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد استحبوا الإيجاز في ثلاثة مواضع :

أحدها — أن يكون ما يكتب به من باب الشكر على نعمة يسبقها سلطانه عليه، وعافية يسبقها إليه . قال في "مواد البيان" : فسيئله أن لا يبينها على الإسهاب وتجاوز الحد، بل يبينها على الألفظ الوجيز، الجامع لمعانى الشكر، المشتغل على أساليب الاعتراف والاعتقاد، فإن إطناب الأصاغر في شكر الرؤساء داخل في باب الإحجار والإبرام، ولا سيما إذا رجعوا إلى خصوصية وقدم خدمة . وكذلك لا يكثر من الثناء عليه ، لأن ذلك من باب المآق الذي لا يليق إلا بالأبعد الذين لم يتقدم لهم من الموات والحرم ما يدل على صحة عقائدهم، ولم يضاف عليهم من النعم ما يوجب خلوص نياتهم . أما إذا كان المثنى أجنبيا مكتسبا بالتقرظ والثناء، فإنه لا يفتح به الإنغال والإغراق فيها . قال : وكذلك لا ينبغي للخاصة الإكثار من الثناء، وتكرره في صدور الكتب

عند ما يجري ذكرُ الرئيس ، فإن في ذلك مشقةً وكلفةً يستغلها المُلوك . والحكم فيما يُستعمل من ذلك في الكُتب شبهةٌ بما يُستعمل شفاهاً منه . ويقبَح من خادم السلطان أن يَسْغَلَ سمعه في مخاطبته إياه بكثرة السَّاء وتكريره .

الثاني — أن يكون ما يكتب به التابع إلى السلطان ونحوه في سؤالِ حُسن النظر وشكوى الفقر والخصاصة . قال : في ”موادِّ البيان“ : فينبغي القول على الإيجاز ويزجُّ الشكوى بالشكر والاعتداد بالآلاء ، والرغبة في مضاعفة الإحسان والزيادة في البرِّ والإحلاق بالطبقة الرابعة في إيلاء العوارف ، فإن ذلك أعطف لقلب الرئيس ، وأدعى إلى بلوغ الغرض ، ولا يُكثر شكوى الحال وراثتها ، وأسئلة الخصاصة والفقر عليه ، فإن ذلك يجمع إلى الإحجار والإبرام شكاية الرئيس بسوء حال مرؤوسه ، وقلة ظهور نعمته عليه ، وذلك مما يكرهه الرؤساء ويلُمونه .

الثالث — أن يكون ما يكتب به التابع إلى المتبوع من باب التنصل والاعتذار عن شيء قُرب به عند رئيسه . قال في ”موادِّ البيان“ فسيله أن يبنى كلامه على الاختصار ، ويعدِّل عن الإسهاب والإطناب ، ويقصد إلى النكت التي تُزيل ما عرض عنده من الشبهة في أمره ، وتمحو المَوْجدة السابقة إلى ضمير رئيسه ، ولا يصرِّح براءة الساحة عن الإساءة والتقصير ، فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء من أتباعهم ، لأنَّ عادتهم جارية بإيثار أعتراِف الخدم لهم بالتقصير والتفريط ، والإقرار بالمعروف به ليكون لهم في القَوْع عند الإقرار موضعٌ مِنَّة مستأنفة تستدعي شكرًا وعافية مستجدة تفتي نَشْرًا . أما إذا أقام التابعُ الحجَّة على براءته مما قُرب به ، فلا موضعَ للإحسان إليه في إقراره على مَقْرَئته والرضا عنه ، بل يكونُ ذلك قدرا واجبا له ، إن منعه إياه ظلمه وتعدى عليه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحبوا البسط هنا في موضع واحد : وهو ما إذا كان ما يكتب به التابع إلى السلطان واقفاً في باب الإخبار بأحوال ما ينظر فيه من الأعمال ، وما يجري على يديه من المهمات . قال في "موادّ البيان" فسيhle أن يؤقّ حقه في الشرح والبيان ، ويسلك فيه طريقة يجمع فيها بين إيضاح الأغراض من غير هذر يُضجر ويُمل ، ولا اختصار يُقصّر ويُمل ، وأن يقصد إلى استعمال الألفاظ السهلة التي تصل معانيها إلى الأفهام من غير كلفة ، ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتوهم أوليham ، إلا أن يعرض له في المكتبة ما يحتاج إلى التورية والكناية كما هلم فيما إذا أطلق عبوسانه في السلطان فإنه يحتاج إلى الكناية عنه على ما مر .

القسم الثالث

(ما يكتب به إلى الأكفاء والنظراء ، والطبقة الثانية من الرؤساء)

قال في "موادّ البيان" : وسيل مكاتبتهم أن يؤقّ فيها باللفظ المساوي للمنى من غير إيجاز ولا إطناب : لأنها رتبة متوسطة بين الرتبين المتقدمتين . ولا يخفى أن ما ذكره إنما هو عند الوقوف مع حقائق المكاتبات . أما الإخوانيات المطلقة ، فإنها تكون في الطول والقصر بحسب ما بين الصديقين من المودة والقرب ، وما يعلمه كل واحد منهما من خلق الآخر ، وما توجه دأله عليه .

وسياتى في مقاصد المكاتبات من أمثلة الأقسام الثلاثة ما يؤمّم مقاصدها ويقرّب ما ختمها إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ الثَّالِثُ

(في أمور تختص بالاجوبة ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان أىّ الأمرين من الابتداء والجواب أعلى رتبة وألغ في صناعة الكتابة)
وقد اختلف الكُتّاب في ذلك : فذهب أكثر البُلغاء إلى أن الكُتْب الجَوَابِيَّةُ
أعْبُ مَطْلَبًا وأصعب مُرتَقًى من الكُتْب الابتدائية ، وأن فيها تظهر مهارة الكاتب
وَحِدْقُهُ ، لا سيما إذا كان الخطاب محتملاً للاعتذار والاعتذار عن استئثار الأوامر
والنواهي ، والتورية عن نصوص الأحوال ، والإعراض عن ظواهرها ، قائماً إلى
استعمال المُغالطة ، مُوجِباً للانفصال عن الاحتجاج والإلزام ، ونحو ذلك مما يؤدي إلى
الخلاص من المكاره .

واحتجوا لترجيح ذلك بوجوه .

منها — أن المبتدئ مُحْكَمٌ في كتابه ، يبتدئ بالقائمه كيف شاء ، ويقطعها حيث
يشاء ، ويتصرف في التقديم والتأخير ، والخلف والإثبات ، والإيجاز والإشهاد ،
ويبنى على أساس يؤسسه لنفسه ، والمحجِبُ ليس له تقديم ولا تأخير ، وإنما هو
تابع لغرض المبتدئ ، وبيان على أساسه .

ومنها — أنَّ المُحجِبَ — إذا كان جوابه محتملاً للإشباع والتوسع — مضطراً إلى
اقتصاص الفاظ المبتدئ واتباعها للإجابة عنها ، وذلك يؤدي إلى تصفُّح كلام
المبتدئ والمحجِبِ ويصل ما بين الكلامين : لأن الكلامين يتقابلان فلا تتخفى وتبهما
والفاضلُ منهما من الرُّذْل ، وهذا مرفوعٌ عن المبتدئ .

ومنها - أن تأليف الكلام وانتظامه وأنساقه وألئامة يُقدَّر منها المبتدئ على ما لا يقدر عليه المحيَّب : لأن الجواب يُفَصِّل أجزاء الكلام ويُبَيِّن نظامه ويُقَسِّمُه أقساماً ، لمكان الحاجة إلى استئناف القول من الفصل بعد الفصل بقول وأما كذا وأما كذا ، فظهور الصورة المستحسنة في المتصل أكثر من ظهورها في المتفصل .

أما إذا كان الجواب مقتضياً مبيِّناً على أمثال مأمور ، أو انتهاء عن منهي عنه ، فإنه سهل المرام ، قريب المتناول : لأنه إنما يشتمل على ذكر وصول الكاتب والعمل بما فيه .

وذهب صاحب "مواد البيان" إلى أن الابتداء والجواب في ذلك على أحد واحد ، وإن كان الكاتب قد يُجيد في الابتداء ولا يجيد في الجواب وبالعكس ، محتجاً لذلك بأن كلاً من المبتدئ والمحيَّب متمسِّحٌ من جودة الغريزة ، محتاجٌ من البلاغة والصناعة إلى ما يحتاج إليه الآخر : لأن الكاتب يكون تارة مبتدئاً وتارة محيِّباً ، وليست الإجابة بصناعة على حياؤها ، ولا البداية بصناعة على حياؤها ، بل هما كالنوعين للجنس ، ولا منع من أن يكون الكاتب ماهراً في نوع دون نوع .

قال : والكاتب لا يكون في الأمر الأعم كاتباً عن نفسه وإنما يكون كاتباً عن أمرٍ يأمره بالكتابة في أغراضه ويسألها إليه مثورة ، فيحتاج إلى نظمها وصنمها وإبرازها في صورةٍ محيطيةٍ بجميع تلك الأغراض من غير إخلال بشيءٍ منها ؛ فعلى المبتدئ من المشتقة في إيراد أغراض المكتوب عنه في الصورة الجامعة لها مع نظمها

(١) الظاهر أن كان زائمة والاصل وأن الكاتب قد يجيد الخ كما يفيد المعنى وآخر العبارة .

في سلك البلاغة مثل ما على المجيب من المشقة في توفية فصول كتاب المبتدئ حقها من الإجابة والتصرف على أوضاع ترتيبها ، بل كلفة المجيب قريصة ، لأنه يستندط من نفس معاني كتاب المبتدئ للعاني التي يُجيب بها : لأن الجواب لا يخلو من أن يكون يوافقُ الابتداء أو يناقضه : فإن وافقه فالأمر سهل ، وإن ناقضه فإن كل قبض قائم في الوهم على مقابلة قبضه ، إلا أنه أتعب على كل حال من الموافق ، ولا شك أن الجواب بتجزئته قد خفَّ ثقله : إذ ليس من يجمع خاطره على الفصل الواحد حتى يخرج عن جوابه كن يجمع خاطره على الكتاب كله . ثم قال : وليس القصد مما ذكرناه مناقضة مشايخ صناعتنا ، ولكن القصد ترفيف الحق الذي يجب اعتقاده والعمل عليه .

الجملة الثانية

(في بيان ترتيب الأجوبة)

وأعلم أن للجواب حالتين :

الحالة الأولى — أن يكون الجواب من الرئيس إلى المرعوس عما كتب به الرئيس إليه ، فالذي ذكره في "مواد البيان" أن للرئيس أن يني حكاية كتاب مرعوسه إليه في جوابه على الاختصار ، ويجمع معانيه في ألفاظ وجيزة ، محيط بها وراءها كأن يقول : وصل كتابك في معنى كذا وفهمناه .

الحالة الثانية — أن يكون الجواب من المرعوس إلى الرئيس عما كتب به الرئيس إليه ، قال في "مواد البيان" : والواجب في هذه الحالة أن يحكي فصول كتاب

(١) في الأصول "مشاح هنا عبا" وهو تصحيف ظليع من التامع والتصحيح من الضوء .

رئيسه على نفسها ويقصها على وجهها من غير إخلال بشيء منها ، إعظاماً لقدرة الرئيس وإجلالاً لحطابه . قال : وليس للعجب إن مرّ في كتاب الرئيس بلفظة واقعة في غير موضعها أن يُبدّلها بغيرها : لما في ذلك من الإشارة إلى أن هذا أصحّ من كتاب رئيسه في ألفاظه ومعانيه . قال : ولا يجوز الخروج عن حكاية لفظ رئيسه في كتابه بحال ، اللهم إلا أن يكون الكتابُ الوارد على المحيب في معنى 'الشكر والتعظيم من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة ، فإنه لا يجوز أن يأتي به على نفسه : لأنه يصير لك مادحاً نفسه ، ومدحُ الإنسان نفسه غير سائغ ؛ ولا يجوز أن يُحمل ذكره بحمالة لأنه يكون قد أخلّ بما يجب من شكره له على 'تسريف رتبته بإحماده له والثناء عليه ، بل الواجب أن يُوقع تلك الصفة على 'حمالة تجعل نفسه بعضها منها ، مثل أن يقول : «فأما ما وصفه من اعتدائه بخاديمه في جملة من نهض بحقوق خدمته ، وقام بقرض طاعته ، فأهلّه لما يرفع الأقدار من إحماده وتثانئه ، ويُعلي الأخطار من شكره ودُعائه» وما يضاهي هذا من العبارة التي تستعمل على معاني ألفاظ رئيسه ، فإنه إذا قصد هذا السبيل في حكاية كتاب رئيسه في هذا المعنى ، فقد جمع بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ رئيسه والأدب في ترك التفضيم لنفسه بإضافته لها إلى جملة الخاصة دون إلقاء الملتح عليها فقط .

قلت : هذا هو الترتيب الذي يجب اعتدائه في الأجوبة ، فلا يجوز الخروج عنه إلى غيره ؛ على أن تُكَلَّب زماننا قد اطرسوا النظر في ذلك بحمالة ، وصاروا يكتبون الأجوبة بحسب التثني : فمنهم من يحكي الكتاب الذي يقع الجواب عنه بنفسه مطلقاً ، سواء كان من رئيس أو مرسوم وبالعكس ، مع قطع النظر عما وراء ذلك . فتنبه لهذه الجملة فإنها دقيقة جليلة .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الرابعة

(فى ذكر أصول المكاتبات وترتيبها، وبيان لواحقها ولوازمها . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فى ذكر أصولها وترتيبها . وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فى المكاتبات إلى اهل الإسلام)

وأعلم أن المكاتبات الدائرة بين المسلمين من صدر الإسلام وإلى زماننا لا يأخذها حد، ولا تدخل تحت حصر .

والمشهور أستعمله منها فى دواوين الإنشاء على اختلاف الأزمان خمسة عشر أسلوباً .

الأسلوب الأول

(أن تفتتح الكتب بلفظ «من فلان إلى فلان»)

قال أبو هلال العسكري فى كتابه «الأوائل» : وأول من كتب بذلك قس بن ساعدة الإيادى ؛ وعلى ذلك كانت مكاتبات النبى صلى الله عليه وسلم والسلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم . فكان النبى صلى الله عليه وسلم يكتب : «من محمد رسول الله إلى فلان» . ثم كتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافة : «من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم» . ثم كتب عمر بعده : «من عمر

أَبْنِ الخطاب خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فُلَانٍ . فَلَمَّا لَقِيَ
بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَادَ فِي ذَلِكَ لَفْظَ «عَبْدُ اللَّهِ» قَبْلَ عُمَرَ، وَلَقِبَ «أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» بَعْدَهُ
فَكَانَ يَكْتُبُ : «مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فُلَانٍ» . وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ
إِلَى خِلَافَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَأَمَرَ أَنْ يُزَادَ فِي صُدُورِ الْكُتُبِ بَعْدَ «فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ جَدِّهِ عُمَرَ عِبْدَهُ وَرَسُولَهُ» . فَجَرَى الْأَمْرُ
عَلَى ذَلِكَ فِي زَمَنِهِ وَمَا بَعْدَهُ . قَالَ أَبُو هَالِلٍ الْمَسْكِيُّ فِي «الْأَوَائِلِ» : وَكَانَ ذَلِكَ
مِنْ أَجْلِ مَتَابِقِهِ . قَالَ صَاحِبُ «ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ» : وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ قَالَ لِيَحْيَى
أَبْنِ خَالِدٍ : إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِي كُتُبِي : «مَنْ عَبْدُ اللَّهِ هَارُونَ الْإِمَامُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» - فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : قَدْ عَرَفَ اللَّهُ
نَبْتَكَ فِي هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! [وَأُجِزَلْ] لَكَ الْأَجْرُ، وَالتَّعْبُدُ إِنَّمَا هُوَ وَحْدَهُ
لَا لغيرِهِ - قَالَ : فَاتَّكَبْتُ «مَنْ هَارُونَ مَوْلَى عُمَرَ رَسُولِ اللَّهِ» - فَقَالَ : إِنَّ الْمَوْلَى
رَبْمَا كَانَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَبْنِ الْعَمِّ، وَجِزَى اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا عَنْ هَذِهِ النِّبَةِ
وَهَذَا الْفِكْرِ .

الأسلوب الثاني

(أَنْ يُفْتَحَ الْكُتَابُ بَلْفَظِ «لِفُلَانٍ مِنْ فُلَانٍ» أَوْ «إِلَى فُلَانٍ مِنْ فُلَانٍ»
وَبِقِيَّةِ الصُّدْرِ، وَالتَّخْلُصُ بِ«أَمَّا بَعْدُ» أَوْ بغيرِهَا، وَالْاِخْتِتامُ بِالسَّلَامِ
وَبغيرِهِ عَلَى مَا تَهْتَمُّ فِي الْأَسْلُوبِ الْأَوَّلِ)

وقد اختلف العلماء في جواز الابتداء في المكتبة باسم المكتوب إليه : فنهب
جماعة من العلماء إلى جواز ذلك، محتجين بأن الصحابة رضي الله عنهم وبعض الملوك

(١) لله جدى وسقط لفظ جدّه من عبارة الضوء وهى أوضح وأصرح .

كانوا يكتبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم كذلك . كما كتب إليه خاله بن الوليد والتجاشي والمقوقس في إحدى الروايات ، على ما سياتي ذكره في المكتبات إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه ، إلا إلى والد أو والدته أو إمام يخاف عقوبته » وعن نافع قال : كانت لابن عمر إلى معاوية حاجة ، فقال له ولده : أبدأ به في الكتاب ، فلم يزالوا به حتى كتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى معاوية من عبد الله بن عمر » . وعن الأوزاعي أنه كان يكتب إلى عمر بن عبد العزيز فيبدأ به فلا يترك ذلك . وعن سعيد بن عبد العزيز قال : كتب عمر (يعني ابن عبد العزيز) إلى الجراح ، فبدأ بالجراح قبل نفسه - فقيل له في ذلك - فقال : بدأت به لأحقن دم رجل من المسلمين . قال سعيد : فحقن له دمه . وعن بكر بن عبد الله أنه كتب إلى طميل في حاجة ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى فلان من بكر » - فقيل له أبدأ باسمه فقال : وما على أن أرضى صاحبي وقضى حاجة أخى المسلم ؟ قال في « صناعة الكتاب » : وعلى ذلك جرى التعارف في المكتبة إلى الإمام .

ونذهب قوم إلى كراهة ذلك ، لأنه مأخوذ عن ملوك العجم . قال ميمون ابن مهران : كان العجم يبدون بملوكهم إذا كتبوا إليهم . وقد روى عن العلاء ابن الحضرمي أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه . وعن الربيع ابن أنيس قال : ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يكتبون إليه يبدون بأنفسهم . وعلى ذلك جرى في « نهاية الأرب » فقال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرأه جيوشه يكتبون إليه

كما يكتب إليهم : يدعون بأقربهم . وعن ميمون بن مهران أنه قال : كان ابن عمر إذا كتب إلى أبيه كتب « من عبد الله بن عمر إلى عمر بن الخطاب » . وعن يحيى بن سعيد القطان قال : قلت لسفيان الثوري : اكتب إلى أمير المؤمنين يعني المهدي ، قال : إن كتبت إليه بدأت بنفسي - قلت : فلا تكتب إليه إذن . وهذه الأحوال كلها جائحة إلى ترجيح براءة المكتوب عنه بنفسه . قال أبو جعفر النحاس : وهذا عند أكثر الناس هو الإجماع الصحيح ؛ لأنه هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم .

وتعلم أن الناهيين إلى جواز الابتداء باسم المكتوب إليه اختلقوا : فذهب قوم إلى أنه إنما يكتب « إلى فلان من فلان » كما تعلم في كتاب ابن عمر إلى معاوية ، ولا يكتب « لفلان من فلان » . وأستشهد لذلك بما روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : يكتب الرجل « من فلان إلى فلان » ولا يكتب لفلان ؛ وبما روي عن هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أنه قال : كانوا يكرهون أن يكتبوا « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » لكن قد روي أن رجلا كتب عند ابن عمر « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » فقال ابن عمر : مه ! فإن اسم الله هو له إذن . ومقتضى ذلك أن الكراهة إنما هي لإيهام أن البسملة للمكتوب إليه ، لا لابتداء باسم المكتوب إليه .

ودعت طائفة إلى جواز أن يكتب « لفلان من فلان » واحتج ذلك بما روي عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن ابن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر » وهو ظاهر ، فقد كانت مكتوبة خالد بن الوليد والتجاشي والمقوقس

« لمحمد رسول الله » على ما سيأتى ذكره . وعلى ذلك كانت المكتبة الخلفاء :
فكان يكتب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من عماله وغيرهم « لعبد الله عمر
امير المؤمنين » وعلى ذلك جرى الحال فى المكتبة إلى سائر الخلفاء بعده على ما ستقف
عليه فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ان يفتح الكتاب بلفظ اما بعد)

وطيه ورد بعض المكتبات الصادرة من النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن الخلفاء
من الصحابة فمن بعدهم فى صدر الإسلام على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .
وكانوا بعد حدوث الداء فى المكتبات يتبعونها بالداء بطول البقاء غالباً ، فيقال :
« أما بعد أطال الله بقاءك » ونحو ذلك ؛ ثم أُضربَ فيها بعضُ الكتاب بعد ذلك .
قال أبو هلال العسكري : فى كتابه « الصناعتين » : وكان الناس فيما مضى يستعملون
فى أوائل فصول الرسائل « أما بعد » وقد تركها جماعة من الكتاب فلا يكادون
يستعملونها . قال : وأظنهم ألما بقول ابن القريّة - وقد سألّه الجلاج عما يُذكره
من خطابه - فقال : إنك تُكثر الرّد ، وتشير باليد ، وتستن بأمّ بعد . فتحاووا لهذه
الجهة . ثم قال : فإن استعملتها أتباعاً للسلف ورغبةً فيما جاء فيها من التأويل
أنها فصل الخطاب ، فهو حسن ؛ وإن تركتها توخياً لمطابقة أهل عصرك ، وكرامة
الخروج عما أصلوه لم تكن ضاراً . أما الآن فقد ترك الابتداء فى الكتب بأمّ بعد

حتى لا يكاد يُعَوَّل عليها في الابتداء كاتبٌ من كُتَّاب الزمان ، ولا يَفْتَحُ بها مكتبة .
نعم يؤتى بها في أثناء بعض المكتبات على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .
وقد تقدّم الكلام على معناها وأول من قالها في الكلام على الفوائج في المقالة
الثالثة ، وكُتِّبُ المغاربة ربما أفتحوا مكتباتهم بلفظ وبعد .

الأسلوب الرابع

(أن تفتح المكتبة بخطبة مفتحة بالحمد لله)

وأصل هذه المكتبة مختلّس من الأسلوب الأول من قولهم : فإني أحد إليك الله
الذى لا إله إلا هو . ثم جاء عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد : آخر
خلفاء بني أمية ، وأطال التحميدات في صنّور الكتب مع الإتيان بأما بعد ،
وتبعه الكُتَّاب على ذلك ؛ ثم توسّعوا فيه حتى كرّروا الحمد المرّات في الكتاب
الواحد ، لا سيما في أما كن النعم الحادثة ، كالفتوحات ونحوها ؛ ثم توسّع بعض
الكُتَّاب في ذلك حتى جعل الحمد لله افتتاحاً ، واستمر ذلك إلى الآن . وعلى ذلك
بعض المكتبات السلطانية في زماننا ، على ما ستقف على ذلك جميعه في مواضعه
إن شاء الله تعالى .

ولا خفاء في أن الحمد أفضل الاقتتاحات ، وأعلى مراتب الابتداءات ، وإن لم
يقع الابتداء به في صدر الإسلام ، فهو من المبتدعات المستحسنة . وحيث أفتحت
المكتبة بالحمد لله كان التخلّص منها إلى المقصود بأما بعد ؛ وربما وقع التخلّص
بغير ذلك ، ويكون الاختتام فيها تارةً بالسلام ، وتارةً بالقاء ، وتارةً بغير ذلك . قال
أبن شيث في " معالم الكتابة " : والتحميد في أول الكتب لا يكون إلا في الكتب

المكتوبة عن السلطان . قال : وغاية عظمة الكتاب أن يكرر الصميد ثانية والثالثة .
في الكتاب ، ثم يذكر الشهادتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
قلت : والتكرار في الحمد يكون بحسب مقدار النعمة المكتوب بسببها من فتح ونحوه .

الأسلوب الخامس

(أن تفتح الكتاب بلفظ « كافي إليك » أو « كتابنا إليك من موضع كذا ،
أو في وقت كذا والأمر على كذا » وتشرح القضية ، وتختتم المكتبة
« بكتابنا إليك » بنحو قولك : « فإن رأيت أن نعمل كذا فعلت »
والمكتبة « بكتابي إليك » بنحو قولك : « فرائك
في كذا » وما يجري هذا المنجرى)

والأصل في هذه المكتبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب في بعض
المكتبات الصادرة عنه : « هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان ، أو إلى الجماعة
الفلانية » . فلما كان أيام بني بويه في أثناء التولية العباسية ، استخرج كتابها من
هذا المعنى الابتداء « بكتابي إليك » إذا كانت المكتبة إلى النظيف ومن في معناه ،
والابتداء « بكتابنا إليك » إذا كانت المكتبة عن له رتبة نون العظمة من الملوك
ونحوهم ، وكانوا يتبعون ذلك بالدعاء بطول البقاء نحو « كافي إليك أطال الله بقاءك »
أو « كتابنا إليك أطال الله بقاءك » . وربما عبر بهذه الخدمة ^(١) وما أشبه ذلك ،
ويكون التخلص فيه إلى المقصد يراو الحال ، مثل أن يقال : « كافي إليك والأمر
على كذا وكذا » ونحو ذلك ، وربما وقع التخلص بخلاف ذلك . ويكون الاختتام فيه

(١) أي مريد كافي إليك فلا يقول « هذه الخدمة إليك » كما يؤخذ مما يأتي في الأسلوب السادس عشر

تارةً بالسلام وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . وكُتِبَ المغرب مدلولاً عن لفظ الاسم في كتابي إلى لفظ الفعل . مثل أن يقال : « كُتِبَنا إليك » أو « كُتِبْتُ إليك والأمر على كُنا ، أو من موضع كُنا » .

الاسلوب السادس

(ان هم المكتبة بلفظ « كُتِبَ » بصيغة الفعل)

وهذه المكتبة كان يُكْتَبُ بها عن الوزراء ومن في معانهم إلى الخلفاء . فيكتب الوزير ونحوه : « كُتِبَ عبدُ أمير المؤمنين » أو « كتب العبدُ من محلّ خدمته بمكان كُنا ، والأمر على كُنا وكُنا » . وعلى نحو من ذلك يجري كُتِبَ المغاربة في الكثير من كُتِبَهم ، مثل « إنا كُتِبَنا إليكم من محلّ كُنا » أو « كُتِبْتُ إليك من محلّ كُنا » وما أشبه ذلك . وهذه في الأصل مأخوذة من الأسلوب الذي قبل .

الأسلوب السابع

(أن يقع الافتتاحُ بالدعاء)

والأصل في ذلك ما حكاه أبو جعفر النحاس : ان معاوية بن أبي سفيان كتب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه عند بحرِمان الخلفاء ووقوع الحرب بينهما : « أما بعد طافنا الله وإراك من سوء » . ثم زاد الناس في الدعاء بعد ذلك ..

وقد اختلف في جواز المكتبة بالدعاء في الجملة : فذهب ذاهبون إلى جواز ذلك كما يجوز الدعاء في غير المكتبة ، سواء تضمن الدعاء معنى التوالم والبقاء ام لا . وهو

الذى رَجَّحه محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم واللواة" وإليه يميل كلامُ غيره أيضاً، وحكاه النحاس عن أبي جعفر أحمد بن سلامة، وكلامه يميل إلى ترجيحه .
أما ما يتضمن معنى الدوام والبقاء ، فلما روى أَنَّ النبي صَلَّى الله عليه وسلم قال لأبي اليسر كَتَبَ آيُنُ عَلِيٍّ ^(١) : "اللهم آمِنْنَا بِهِ" قال النحاس : وذلك دليلُ الجواز، بل حُكي عن بعضهم أَنَّ الدماء بطول البقاء أَكْبَلُ الدماء وَأَنْفَعُ ، لأن كل نعمة لا يَنْتَفِعُ بِهَا إِلَّا مع طُولِ الْبَقَاءِ . ثم قال : والمعنى في الدماء في المكتبات التوَدُّدُ والتعجُّبُ ؛ وقد أمر صَلَّى الله عليه وسلم المسلمين أَنْ يَكُونُوا إِخْوَانًا ، ومن أُخْوَتِهِمْ وَدَّ بعضهم بعضًا . وكذلك القولُ بما يُؤَكِّدُ الْأُخُوَّةَ بينهم والمودةُ من بعضهم لبعض ، وإذا قال له ذلك ، كان قد بلغ من قلبه نهايةً مَبْلَغَ مثله منه ، ويكونَ مَنْ قال ذلك قد عَلِمَ من قلبه في شأنه ما يكونُ من قلب مثله . وقد قال الشيخ عبي الدين النوري : من قال لصاحبه - حِفْظًا لمودةٍ - : «أَدَامَ اللهُ لَكَ النِّعَمَ» ونحو ذلك فلا بأسَ به .



وأما ما لم يتضمن معنى الدوام والبقاء : كاللِّمَزِّ وَالكَرَامَةِ ، فقد روى عن كعب ابن مالك رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم قال : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَقْتَلَ حِمْرَةٍ ؟ قَعَلْتُ : أَعَزَّكَ اللهُ ! أَنَا رَأَيْتُهُ » . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخل جريرُ بْنُ عَبْدِ الله عَلَى النبي صَلَّى الله عليه وسلم ، فَصَنَّ النَّاسُ بِمَجَالِسِهِمْ فلم يُوسَّعْ لَهُ أَحَدٌ ، فرمى له رَسُولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بِرِدَّتِهِ وقال أَجْلِسْ عليهما بإجريرُ ، فَتَلَقَّاهَا بِوَجْهِهِ وَتَحَوَّرَ فَقَبَّلَهَا ثُمَّ رَفَعَهَا عَلَى ظَهْرِهِ ، وقال : أَوْكَمَكَ اللهُ

(١) سنن في صفحة ٢٩٢ من هذا الجزء . كتب بن عبيد الله والقي في "خلاصة تدعيب تهذيب الكمال" .
بخزرجة ص ٣٢١ أنه كتب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غزيرة بن سواد بن غم بن كعب بن سلة
الإيضاري السلي بالفتح أبو اليسر فتح الصحافية حتى بدرى جليل . فقل عليه آمه .

يارسول الله كما أكرمتني» فقد دعا له صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك بالعز، وجرى
أبن عبد الله بالكرامة ولم ينكر ذلك على واحد منهما .

ونهب آخرون إلى أنه لا يجوز الكتابة بالثناء، سواء تضمن معنى الدوام والبقاء
أم لا : لأنه خلاف ماوردت به السنة وجرى عليه اصطلاح السلف .

وفصل بعضهم قال : إن كان الثناء مما لا يتضمن معنى الدوام والبقاء نحو
« أكرمك الله بطاعته » و « تولاك بحفظه » و « أسعدك بمعرفته » و « أعزك بنصره »
جاز، لحديث كعب بن مالك وجرير بن عبد الله المتقدمين . وإن كان مما يتضمن
معنى الدوام والبقاء، نحو « أطال الله بقاءك » و « نساأ أجلك » و « أمتع بك » وما أشبه
ذلك، لم تجز الكتابة به .

وأصح ذلك بحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « أن أم حبيبة بنت
أبي سفيان، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : اللهم أمتعني بزواجي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية - فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لقد دعوت الله لأجل مضرورية، وأرزاق مقسومة لا يتقدم منها شيء
قبل أجله ولا يتأخر بعد أجله ! ولو سألت الله أن يريك عذاب النار لكان خيرا لك »
وبما روي أن الزبير بن العوام رضى الله عنه ! قال للنبي صلى الله عليه وسلم :
« جعلني الله فداك » . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أما تركت أعرايتك
بعد؟ » فقد أنكر صلى الله عليه وسلم على أم حبيبة والزبير الثناء بما فيه طول البقاء؛
وإذا أمتنع ذلك في مطلق الثناء، أمتنع في الكتابة من باب أولى : لخالفه طرقها
التي وردت بها السنة . قال حماد بن سلمة : كانت مكتبة المسلمين « من فلاں
إلى فلاں » أما بعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله

أن يصلي على محمد عبده وآل محمّد « حتى أحدث الزنادقة - لنهم الله - هذه المكتبة التي أولها « أطال الله بقاءك » .

وعن إسماعيل بن إسحاق أن أول من كتب « أطال الله بقاءك » الزنادقة . وقد قال الإمام الرافعي وغيره من أئمة أصحابنا الشافعية : إن الدعاء بالطلبقة - وهي أطال الله بقاءك - لا أصل له في الشرع . قال الشيخ محي الدين النووي : وقد نص السلف على كراهته . ونقل النحاس عن بعضهم : أنه استجب تهيبه بالإضافة إلى شيء آخر، مثل أن يكتب « أطال الله بقاءك في طاعته وكرامته » أو « أطال الله بقاءك في أسر عيش وأتم بال » وما أشبه ذلك .

وأعلم أن الناس قد آخضوا في صورة الابتداء بالدعاء : فالأولون - لا ابتداء للدعاء في المكتبات - كانوا يفتتحون بطول البقاء للفقهاء وغيرهم ، ثم توسعت الطبقة الثانية من الكتاب في المكتبة فافتتحوا بالدعاء للفقهاء والملوك بخلود الملوك ، ودوام الأيام ، ودوام السلطان وخلوده ، وما في معنى ذلك ، ولمن كونهم بعد النصر والنصرة والأمنار بدوام النعمة وخلود السعادة ومدّ الظل وإسباغ الظلال ، وغير ذلك مما يأتي ذكره في الكلام على مصطلح كل طبقة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم للكتاب في الخطاب بالدعاء مذهبان ^(١) :

أحدهما - أن يقع الدعاء بلفظ الخطاب ، نحو « أطال الله بقاءك » وأعزك الله ، وأكرمك الله ، وأدام كرامتك وسعادتك ، وما أشبه ذلك .

والثاني - أن يقع بلفظ الدعاء للغائب مثل : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين » و « أطال الله بقاء سيدي » و « أطال الله بقاء مولانا » أو « أعز الله أنصار المقام والمقر »

(١) كذا في الأصول وله في الاتيان بالدعاء الخ .

أو « ضاعف الله تعالى نعمة الجَنَاب » أو « أدام الله نعمة الجَنَاب أو المجلس » وما أشبه ذلك .

قال في « صناعة الكُتُب » : وهو أجل الدماء فيما أصطلحوا عليه . قال : ورأيت علي بن سليمان يُنكر ذلك ويقول : الدماء للغائب جهل باللغة، ونحن ندعو الله عز وجل بالمخاطبة .

الأسلوب الثامن

(أن يُفْتَحَ الكُتَابُ بِالسَّلامِ)

ويقع التخلُّص إلى المقصود بلفظ « وتُبْدَى لِعَلِّهِ » أو نحو ذلك، ويقع الاختتام فيه بالسَّلام أيضا ؛ وهو مترج من قولهم في صدر المكتبة في الأسلوب الأو : سلامٌ عليك فإني أحمدُ إليك الله ؛ تصرف الكُتُب فيه بفعلوا السَّلام في ابتداء المكتبة، وصاروا يتدثرونها بنحو سلامُ الله ورحمته وبركاته . وقد كانوا يتدثرون المكتبة إلى الخلفاء ببغداد في الدولة الأيوبية بالديار المصرية بالسَّلام في بعض الأحيان ، وعلى ذلك استقرت المكتبة من الخليفة الآن . وبه يُفْتَح بعض المكتبات إلى مشايخ الصوفيَّة ، على ما سيأتي في الكلام عليه في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال في « صناعة الكُتُب » : وإنما قسَّموا السَّلام على الرحمة لتصرفه : لأنه من أسماء الله تعالى أوجع سلامة . قال في « مواد البيان » : أو أسم للجنة كما في قوله تعالى : (لَمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ثم عَقِب ذلك بأن قال : والسَّلام في هذا الموضع من السَّلامة ، وتقديم السَّلامة التي تكون في الدنيا أولى من تقديم الرحمة التي تكون في الآخرة .

الأسلوب التاسع

(أَنْ يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِقَبْلِ الْأَرْضِ)

ويتخلص إلى المقصود بلفظ « ونهى » ويقع الاختتام بـ « طالع » أو « أنهى » وهذه المكتبة مما هو موجود في بعض مكاتبات القاضى الفاضل ، ولم أرها فيما قبله ؛ وكأنهم لما استعملوا في صدور المكاتبات إلى الخلفاء المكتبة يقبل الأرض والعتبات ونحو ذلك ، استنبطوا منه آبداء مكتبة وجعلوها لمكتبة الرؤساء من السلطان ومن في معناه بالنسبة إلى المرؤوس . والأصل في ذلك أن تحية الملوك والرؤساء والأكابر في الأمم الحالية كانت بالسجود ، كما يحى المسلمون بعضهم بعضا بالسلام . وقد قال قتادة في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليهم السلام : **(وَنَرَوْا لَهُ مَجْدًا)** : كانت تحية الناس يومئذ يسجد بعضهم لبعض ، وعليه حمل قوله تعالى : **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا)** على أحد التفسير ، وهو المرجح عند الإمام نضر الدين وغيره من المفسرين . قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله في تفسيره : وكان ذلك مشروعا في الأمم الماضية ولكنه تسخ في ملتنا . قال معاذ « يارسول الله ! إني قلمت الشام فرأيتهم يسجدون لآساقفتهم وعلمائهم فانت يارسول الله أحق أن يسجد لك . فقال : [لا] لو كنت أمرا بئرا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لبعلها من عظم حقه عليها . وعن صهيب : « أن معاذ [لما] قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ ما هذا ؟ قال [إن اليهود تسجد لعظمتها وعلمائها ، ورأيت النصارى تسجد لقسيسها وبطارقها ، قلت ما هذا ؟ قالوا تحية الأنبياء - فقال عليه السلام : كذبوا على أنبيائهم » .

(١) الزيادة عن تميم بن كثير .

(٢) الزيادة عن فتاح النيب للعضد الرازي .

وعن سفیان الثوري عن سَمَاعِ بْنِ هَبَانٍ قَالَ : دخل الجاثليقُ على علي بن أبي طالب ، فأراد أن يسجدَ له ، فقال له علي : أُمجِّدُ الله ولا تسجدُ لي .

فلما وردتْ شريعةُ الإسلامِ بِنسخِ التحيةِ بالسجودِ وغلبَ ملوكُ العجمِ على الأقطارِ ، استصحبوا ما كان عليه الأمرُ في الأممِ الخاليةِ ، وعبروا عنه بتقيل الأرضِ فراراً من أَمِّ السُّجودِ ولورودِ الشريعةِ بالنهاي عنه ؛ واستمر ذلك تحيةَ الملوكِ إلى الآنَ ، فاستعار الكُتَّابُ ذلك وقَلَّوه من الفعل إلى اللَّفْظِ ، فاستعملوه في مكاتباتهم إلى الخلفاءِ والملوكِ ؛ ثم تَوَسَّعُوا في ذلك فكَاتَبُوا به كُلٌّ مَنْ له عَظَمةٌ بالنسبةِ إلى المكتوبِ عنه ، ورتَّبوه مراتبَ علي ماسيأتي بيأنه في موضعه إن شاء الله تعالى . ولا خَفَاءَ فِيا في هذه المكتبةِ من الكراهةِ .

الأسلوب العاشر

(أن يُفْتَحَ الكُتَّابُ بِقَبْلِ اليَدِ وما في معناها من الباسِطِ والباسِطَةِ)

ويُفَعُّ التَّخْلِصُ منه إلى المقصودِ بما يَفَعُّ به التَّخْلِصُ في الأسلوبِ الذي قبله من الإنهاء ؛ وَيُحْتَمُّ بِالطَّاءِ ونحوه .

والأصلُ في هذه المكتبةِ أنْ يُقَبَّلَ اليَدُ وما في معناها بما يُؤَدِّنُ بالتعظيمِ ، والتبجيلِ والتكريمِ ، وعُلُوِّ القدرِ وزيادةِ الرُفْعَةِ ، مع أنه ليس بممنوعٍ في الشريعةِ . فقد ثبت في الصحيحين في حديثِ الإفك : « أنه لما أنزلَ اللهُ تعالى بَرَاءَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها ، قال لها أَبُوها : قُومِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبِّلِي يَدَهُ » . ولم يكن الصديقُ رَضِيَ اللهُ عنه لِيَأْمُرَها بما هو ممنوعٌ في الشريعةِ . وقد نصَّ الفقهاءُ

رحمهم الله على أنه يجوز تَقْيِيلُ يَدِ العالم والرجل الصالح ونحوهما، فاستعار الكتاب ذلك وقَلَّوهُ من الفعل إلى الكتابة أيضا، كما فعلوا في تَقْيِيلِ الأرض، ورتَّبوه مراتب على ما سيأتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . على أن بعض الكتاب قد جعل يُقْبَلُ القلم رتبةً بين يُقْبَلُ الأرض ويُقْبَلُ اليد وما في معناها، وهو ظاهر لكنه لم يشتهر في عُرف الكتاب .

الأنساب الحادى عشر

(أن يُفْتَحَ الكتاب بلفظ « صدرت المكتبة »)

ويختص فيها إلى المقصود بلفظ « وتُوَضَّحَ لعلهم » أو « مُوضَّحة لعلهم » وما أشبه ذلك . ويقع الاختتام فيها بمثل « والله الموفق » ونحو ذلك . وربما قيل فيها : « أُصْدِرَتْ هذه المكتبة » أو « أُصْدِرَتَاها » .

وأصل هذه المكتبة أنه كان يُكْتَبُ في الدولة السُلْجُوقِيَّة ببغداد، والدولة الأيوبيَّة بالديار المصرية « صدرت هذه الخلعة » أو « أُصْدِرَتْ هذه الخلعة » . وربما كتب « صدرت هذه الجملة » فعلى عنه تُكَّاب الزمان بالديار المصرية ومن قاربهم إلى التعبير بقولهم : « صَدَرَتْ هذه المكتبة » . على أن تُكَّاب الزمان بالديار المصرية إنما أَخَذُوها من صُور المكتبات المفتحة بالدعاء : مثل أعزَّ الله أنصار المقرِّ، حيث يقال في تصديرها « أُصْدِرَتَاها » ومثل « ضاعفَ الله نعمة الجَنَاب » و« أدامَ الله نعمة الجَنَاب أو المجلس » وما أشبه ذلك ، حيث يقال في تصديرها : « صدرت هذه المكتبة » بفعلوا الصُّدُور ابتداء .

الأسلوب الثاني عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « هذه المكتبة »)

ويتخلص منها إلى المقصود بنحو ما وقع التخلص به في الأسلوب الذي قبله ،
ويقع الاختتام بمثل ما وقع به آختمائه .

وهذه المكتبة مأخوذة في الأصل من ابتدائهم في الأسلوب الخامس بلفظ :
« كتابي إليك » وما في معناه ، على أن تُكتب الزمان إنما أخذوا ذلك من المكتبة التي
قبلها ، فجعلوا بعض الصُدر فيها ابتداءً ، كما جعلوا جميع الصُدر ابتداءً في الأسلوب
الذي قبلها .

الأسلوب الثالث عشر

(أن يفتح الكتاب بالإعلام)

كما يكتب كتاب الزمان : « يعلم فلان أن الأمر كذا وكذا » والاختتام فيها بمثل
الأسلوبين اللذين قبلها ولا تختص فيها ، لأن الإفتتاح فيها موصل إلى المقصود . على
أن الصواب إثبات اللام في أولها ، بأن يقال : « ليعلم فلان » لأن لام الأمر لا يجوز
حذفها على ما تقرر في آخر المقالة الثالثة . وعلى ذلك كتب غازان أحد ملوك بني
جنك خان بيقناد وما معها إلى الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار
المصرية ، وتكتب الجواب عن الملك الناصر إليه كذلك ، على ما سياتي ذكره في موضعه
إن شاء الله تعالى .

الاسلوب الرابع عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ «يُخْتَم»)

مثل « يُخْتَمُ الجَنَابَ » أو « يُخْتَمُ المجلس » وما أشبه ذلك . ويكون التخلُّص منها بمثل : « وَيُنْهَى » أو « وَيُيَدَى » ونحو ذلك ؛ ويقع الاختتام فيها بالدعاء . وهذه المكتبة كانت مستعملة في مكاتبات الفاضل بهلّة ، وتناولها الكتاب بعد ذلك إلى أن صارت مستعملة بين الكتاب في المكاتبات النائرة بين أهل النوازل . في زماننا ؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك وتركَتْ حتى لم يستعملها منهم إلا القليل النادر .

الاسلوب الخامس عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ الخلّافة أو المقام الذي شأنه كذا ،

أو الإمارة التي شأنها كذا)

مثل : « خلافة فلان » أو « مقام فلان » أو « إمارة فلان » وما أشبه ذلك . ثم يقع التخلُّص في ذلك بمثل : « معظّم مقامها يحصّها بسلام صفته كذا ويديّ لعلمها كذا » وما أشبه ذلك . ويقع الاختتام فيها بالسلام ؛ وهذا الأسلوب مما آخض به كُتّاب المغرب لاسيما المتأخرون منهم ، على ما سيأتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

قلت : ووراء هذه الأساليب أساليب أخرى لكُتّاب أهل الشرق والغرب بالديار المصرية في الأزمنة المتقدمة ، لا يأخذها خصر ، ولا تمحل تحت حدّ ، وأكثر ما تكون في الإخوانيات ، وسيأتى ذكر الكثير من أنواعها في مواضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المكاتبات إلى أهل الكُفر؛ وللْجَلْب فيه أُسْلُوبَانِ)

الأسلوب الأول

(أن تُنْتَحَ المكاتبَةُ بلفظِ «من فلانٍ إلى فلان»)

وعلى ذلك كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكُفر ، وكان يُكْتَب في مكاتباته صلى الله عليه وسلم : «السلامُ على من أتبع الهدى» بدل «والسلام» ويتخلّص فيها بأما بعد تارة ، وبغيرها أخرى ، وعلى ذلك جرى الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم ، وخلفاء بني أمية ، وخلفاء بني العباس ببغداد ، ومن شاركهم في الأمر من ملوك بني بويه وبني سلجوق ومن في معناهم . وتُنتَحَم هذه المكاتبَةُ تارة بلفظ «والسلامُ على من أتبع الهدى» إن لم يذكر السلامُ في الأول ، وتارة بغير ذلك .

الأسلوب الثاني

(أن تُنْتَحَ المكاتبَةُ بالدعاء)

كما يكتبُ كُتّاب الزمان «أطال الله بقاء الحضرة الفلانية : حضرة المَلِكِ الفلاني» أو «أطال الله بقاء المَلِكِ الفلاني» وما أشبه ذلك . وقد تقدّم الخلاف في أصل جواز المكاتبَةِ بالدعاء ، وما قيل في الدعاء بطول البقاء وما في معناه : من الكراهة ، وأن جماعة من العلماء والكُتّاب أجازوه .

فإن قيل : على تهذير جواز ذلك في حقّ المسلم ، فكيف يجوز في حقّ الكافر . فالجواب أنه قد ورد «أنت النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاء يهودي»

فقال له : جَمَلَك اللهُ ، فما رُؤِيَ الشَّيْبُ في وَجْهِهِ حَتَّى مات « فقد دعا صليَّ الله عليه وسلم ليهودىَّ بالجَمال ، وقد لا يكون في طول بقائه على الإسلام ضررٌ ، بل قد يكون فيه نفع ، كَحَمَلِ حَزِيَّةٍ ونحوه ، وإنما يُنْتَعِ النِّساءُ له بِالْعِزِّ والنَّصْرِ وما في معنى ذلك .

تنبه - اعلم أن الأجوبة قد تُفْتَحَ بما تُفْتَحُ به الاستدعاءات من الأساليب المتقدمة ، ثم يُؤْتَى بالأجوبة في أثناءها مثل أن يقال : « وقد وصل كتابُ المجلس أو الجَنابِ » أو « وردتْ مكاتبته » أو « عُرِضَتْ مكاتبته على أمير المؤمنين ، أو على المَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ » وما أشبه ذلك . وقد يُعْمَلُ الجوابُ ابتداءً ، فيُفْتَحَ الكتابُ بنحو : « عُرِضَتْ مكاتبك على أمير المؤمنين » مثلاً كما كان يكتب في الزمن المتقدم ، أو « عُرِضَتْ المكتبةُ الواصلةُ من جهة المجلس أو الجَنابِ الفلاني على المَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ » أو « وردتْ مكاتبته » أو « وصلتْ مكاتبته » ونحو ذلك ، ويُؤْتَى على ما تَضَمَّنَتْهُ المكتبةُ وما أَقْنَضاهُ الجوابُ عنه ، ثم يُؤْتَى في الاختتام بنظير ما يُؤْتَى به في المكتبة المبتدأة .

الطرف الثاني

(في ذكر لواحق المكتبات ولوازمها ، وفيه ستُّ جمل)

الجملة الأولى

(في التَّرجمة عن المکتوب عنه)

أما التَّرجمة عن السلطان ، فقد ذكر ابن شَيْثٍ أَنَّ مصطلحَ الدولة الأيوبيَّة أن يَكْتُبَ لأَرْبابِ خِدْمَتِهِ العلامةَ فلانها أَلْبَقِيَ به معهم . فإن أراد تمييزَ أحدٍ منهم ، كتب له بخطه شيئاً مكانَ العلامة ؛ وأن ترجمته للفقهاء والقضاة ودُورَى التَّنَسُّكِ « أخوه »

و «ولده» . وذكر أن الأحسن أن يقال في «ولده» «عمل ولده» لقوله تعالى :
 ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ أما «أخوه» فلا حرج عليه فيه : لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
 وقوله : ﴿فَأَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وذكر أنه يترجم لهؤلاء من ولّى الأمر أيضا :
 «المعترف بركبته» و «المتبرك بدعائه» و «المرتبن بمودته» . وذكر أن الفقهاء
 والقضاة ودوى التنسك يترجمون عن أنفسهم بـ «الخادم» ودون ذلك «خادمه» .

قال : وربما ترصّوا عن الترجمة بهذه اللفظة مطلقا فقالوا : «الخادم بالدعاء
 الصالح» أو «الخادم بدعائه» . قال : وأهل الورع خاصة يترجمون بـ «الفقيه إلى
 رحمة الله» . وربما راعوا المترجم له مثل أن يكون ولّى الأمر ، فيقول : «العبد
 الفقير إلى رحمة الله» ويعنى أنه عبد الله ، ويحصل بذلك المقصود من الأدب مع
 السلطان ، ومنهم من يكتب : «الداعي لدولته» و «المتبرل بدعائه الصالح لأيامه»
 و «المواظب على خدمته بالدعاء» وأمثال ذلك . قال : وأكثر الناس يرى الترجمة
 لولده ، فإن ترجم له لم يسم اسمه لأنه ليس له والدان ، ولا أقل من أن يكون بينه
 وبين من يكتب بوالده غير الأب هذا الفرق ؛ فأما أن يقول : «والله فلان بن
 فلان» بحيث يذكر اسم أبيه قبيح . ثم قد كانوا في الزمن الأول يكتبون بذكر اسم
 المكتوب عنه في صدر الكتاب وعنوانه ، نحو : «من فلان إلى فلان» ثم أحدث
 الكتاب في أيام بنى بويه وما بعدها تراجم رتبوها ، بعضها أرفع من بعض .

وقد ذكر في «ذخيرة الكتاب» لذلك مراتب في الصدور والعنوان بعضها أعلى
 من بعض ، بفصل أعلاها بالنسبة إلى المكتوب عنه أن يكتب اسمه ، ودونه
 «صديقه» ودونه «حبه» ودونه «شاكركه» ودونه «المتنّبه» ودونه «أخوه»
 ودونه «وليّه» ودونه «عبدّه» ودونه «خادمه» ودونه «عبدّه وخادمه» ودونه

«العبد» ودونه «العبد الخادم» ودونه «الصنيعة» ودونه «مملوكه» ودونه «المملوك» ودونه «المملوك الصنيعة». وهو الأعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه . ثم قال: ويتفرع من هذه الأصول فروع كثيرة لا يحصر مما يختاره الكُتّاب ويقرّحونه ويتكرونها ، ويكتبون به أصلقاعهم وأوداعهم حسب ما تقتضيه مودّاتهم وتوجّبهُ مصافاتهم : كصنعتي مودّته ، والمفتخر بحمته ، والمعتمد على أخوته ؛ وعبد مودّته ، وخدام مجّده ، وشاكر أيّاديه ؛ وحامد تفضّله ، والمعتد بتطوّله وما يجري هذا المجرى مما هو أوسع من أن يُجمع وأكثر من أن يُحصّر ؛ ولكنه أكثر ما يكون بين النظراء والأقران .

وربّ عبد الرحيم بن شيث في "معالم الكتابة" ترتيباً آخر: فذكر أن الترجمة إلى ديوان الخلافة من ذوى الولايات كلّهم «العبد» ومن المملوك كلّهم «الخادم» وأن الترجمة إلى المملوك من الأجناد كلّهم «المملوك» مع النسبة إلى أشهر ألقاب الملك : كالناصري للناصر ، والعاقل للعاقل ، وما جرى مجرى ذلك . ودون المملوك في الخضوع : «عبد» وخدامه ودونه «العبد» مفردة . ودونه «مملوكه» ودونه «العبد الخادم» لأن الثاني كأنه ناسخ للأول ؛ ودونه «الخادم» ودونه «عبد» ودونه «خدامه» ودونه «عبد وأخوه» ودونه «أخوه» ودونه «شاكر تفضّله» ودونه «شاكر إحسانه» ودونه «شاكر مودّته» ودونه «وليّه وصفيّه» ودونه «محبه وواقه وشاكره» . ودونه الاسم ، ودونه العلامة .

ثم قال : أما «أصغر الممالك» وما يجري مجراها ، فلا يليق من الأجانب . ورأيت في دستور صغير في المكاتب يعزى للقرن الثماني بن فضل الله ، أن أكبر الآداب في أسم المكتوب عنه بالنسبة إلى المكتوب إليه «المملوك» ثم «المملوك الرق» ثم «المملوك الأصغر» ثم «المملوك المحب» ثم «المملوك الداعي» ثم «مملوكه ومحبه» ثم «الخادم»

ثم «خادمه» ثم «أخوه» ثم «مُحبّه» ثم «شاكره» ثم «الفقير إلى الله تعالى» .
ولا يخفى ما في بعض هذه التراجم من التخالف بين ما ذكره وما تقدم ذكره عن
«ذخيرة الكُتّاب» .

والذي استقر عليه الحال في زماننا في ترجمة العلامة بالقلم الشريف السلطاني
«أخوه» ثم «والده» ثم الأسم؛ وفي حق غيره «المملوك» ثم الأسم . وربما كتب
بعضهم «العبد» بدل الأسم تواضعا . علّا أنهم قد اختلفوا في جواز الترجمة بالعبد
والمملوك : فذهب بعضهم إلى منع ذلك ، محتجا بما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أَمَتِي ، كُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ
وَلَكِنْ غُلَامِي وَجَارِيتِي» . والذي عليه العمل جواز ذلك احتجاجا بقوله تعالى :
(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) والاستدلال به لا يخلو من نزاع ؛
وقضاة القضاة يكتبون «الداعي» .

الجملة الثانية

(في العُنوان، وفيه سبع لغات)

حكاها صاحب «ذخيرة الكُتّاب» . واقتصر في «صناعة الكُتّاب» على ذكر
بعضها : إحداهما عُنوان – بضم العين وواو بعد النون . والثانية عُنيان – بضم العين
وياء تحتية بعد النون . والثالثة عُنيان – بكسر العين . والرابعة علّوان – بضم العين
ولام بدل النون . والخامسة علّوان – بفتحها . والسادسة علّوان – بكسرهما .
والسابعة علّيان بالكسر مع إبدال الواو ياء ؛ ويجمع عُنوان على عُنَاوِينَ ، وعلّوان
على عَلَاوِينَ . ويقال : عُنُوْتُ الكُتّابَ عُنُونَهُ وعلّوْنُهُ وعلّونته ، وعُنُنْتُه بنونين الأولى

منهما مشلدة تَعْنِيْنَا، وَعَيْنُهُ بنون مشلدة بعدها ياء تَعْنِيَّةٌ، وَعَوْنُهُ عَنْوُهُ ففتح العين وسكون النون، وَعُوْنُوا بضمهما وتشديد الواو .

وَأُخْتَلَفَ فِي أَشْتَقَاقِهِ : فَمَنْ قَالَ عُنُونٌ، جَعَلَهُ مَأْخُودًا مِنَ الْعُنُونِ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، لِأَنَّ عُنُونًا الْكَلْبَ [أَثَرِيَّانَ] ^(١) مَنْ هُوَ وَالْيَ مَنْ هُوَ . قَالَ النَّحَّاسُ : وَأَكْثَرُ الْكَلْبَ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ هَذَا ؛ وَأَحْتَجُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ بِذِكْرِ قَتْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُبَّانَ بْنِ عُفَّانَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

صَحُّوا بِأَسْمَطَ عُنُونُ السُّجُودِ بِهِ * يَقُطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

وَزَعِمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعُنُونَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : عَنَتِ الْأَرْضُ تَعْنُو إِذَا أَحْرَجَتِ النَّبَاتَ ، وَأَعْنَاهَا الْمَطَرُ إِذَا أَظْهَرَ نَبَاتَهَا . قَالَ النَّحَّاسُ : فَيَكُونُ عُنُونٌ عَلَى هَذَا فُعْلَانًا يَنْصَرِفُ فِي التَّنْكِيرِ وَلَا يَنْصَرِفُ فِي الْمَعْرِفَةِ . وَقِيلَ هُوَ مَأْخُودٌ مِنْ عَنِ يَنْ . إِذَا عَرَضَ وَبَدَأ . قَالَ النَّحَّاسُ : فَعِلٌّ هَذَا يَنْصَرِفُ فِي التَّنْكِيرِ وَالْمَعْرِفَةِ لِأَنَّهُ فُعْلَالٌ .

وَمَنْ قَالَ : عُلوَانٌ ، أَبْدَلَ مِنَ النُّونِ لَامًا ، كَمَا فِي صَيْدَلَانِي وَصَيْدَلَانِي ؛ فَيَكُونُ الْأَشْتِقَاقُ وَاحِدًا ، وَقِيلَ عُلوَانٌ مَشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَانِيَّةِ ، لِأَنَّهُ خُطَّ ظَاهِرٌ عَلَى الْكَلْبِ .

وَمَنْ قَالَ : عُتَانٌ وَعِنَانٌ ، جَعَلَهُ مِنْ عُنَيْتَ فُلَانًا بِكُنَا إِذَا قَصَدْتَهُ . قَالَ فِي "مَوَادِّ الْيَانِ" : وَالْعُنُونُ كَالْعَلَامَةِ ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَى مَرْتَبَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ . وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِخْبَارُ عَنْ أَسْمِهِمَا حَتَّى لَا يَكُونَ الْكَلْبُ مُجْهُولًا ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَكْتُبُ فِيهِ «مَنْ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ» أَوْ «لِفُلَانٍ مِنْ فُلَانٍ» قَالَ : وَلَمْ يَزَالُوا يَكْتَابُونَ بِأَسْمَائِهِمَا إِلَى أَنْ وَلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ وَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) الزيادة من الضوء لولف ص ٤٤١ .

(٢) عبارة الضوء والمعنى فيه وهو مراده بما هنا .

فكتب : « من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » . ثم وقع الاصطلاح على
العنونة للرؤساء والنظراء والمرؤسين والأتباع بالأسماء ، ثم تغير هذا الرسم أيضا .
وكان المأمور يكتب في أول عنوانات كتبه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكانت
تكتب قبل اسم المكتوب إليه والمكتوب عنه . وقد ذكر أبو جعفر النحاس أن
ذلك بقي إلى زمانه ، وكان بعد الثلاثمائة . قال في « مواد البيان » : ثم بطل بعد
ذلك . قال : والأصل فيه أن يبدأ باسم المكتوب عنه ثم باسم المكتوب إليه
وهو الترتيب الذي تشهد به العقول : لأن نقود الكتاب من المكتوب عنه إلى
المكتوب إليه كل شيء ونروجه من ابتداء إلى نهاية . فابتدأه من المكتوب
عنه ، وأتته إلى المكتوب إليه ، ولفظ « من » يتقدم لفظ « إلى » بالطبع : لأن
حرف « من » يبنى عن مثله الشيء ، و « إلى » حرف يُجبر عن النهاية التي عندها قرار
الشيء ، والإبتدأت في الأشياء قبل النهايات .

قال : وعلى هذا كانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من الأمم
الماضية ، ثم عرض للناس رأي في تغيير هذا الرسم إلى غيره ، ففزعوا بين مراتب
المكاتب من الرؤساء والعظماء والخلفاء والأتباع بتقديم اسم المكتوب إليه إذا قصدوا
إعطاءه وإجلاله وتأخير اسم المكتوب عنه ، ورواؤا أنه الصواب الصحيح .
على أن كتاب زماننا يقتصرون في أكثر عنواناتهم على ذكر المكتوب إليه دون
المكتوب عنه ولا يذكرون المكتوب عنه إلا في مكاتبات خاصة قليلة . قال
في « صناعة الكتاب » : ولا يتكنى المكتوب عنه على نظيره ، بل يسمى له ولبن
فوقه ، ثم يقول : المعروف بأبي فلان . وإن كانت كنيته أشهر من اسمه وأسم

أبيه ، جاز أن يَكْتُبَ كنيته بغير ألف ويُحَرِّبُها مُجَرِّبُ الأسم . قال النحاس : وإن كان الكتابُ إلى اثنين أحدهما أكبرُ من الآخر ، فيقدم الأكبر ، وكذلك لو كان إلى ثلاثة . قال أبو جعفر النحاس : وقد استحسن جماعة أن يصغرَ اسمُ المكتوب عنه على عنوانات الكتب ، ورأوا أن ذلك تواضع . وما ذكره هو المستعمل في المكتبات الجارية عليه حكم النواوين إلى زماننا . والأصل في ذلك ما ذكره النحاس أن الجحاجَ ابنَ يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان وهو خليفة في طومار : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » ثم كتب في طوته بقلم ضئيل : من الجحاج بن يوسف ، فحرى الكتاب على أسلوبه فيما بعد .

قال في " معالم الكتابة " : ولا يكثرُ النوعُ ولا الدُّعاء على العنوان للسلطان ولا للكبراء ، أما من الأعلى إلى الأدنى فحسن^(١) . وقد تهتم في مقامة الكتاب أن صاحب ديوان الإنشاء هو الذي يُسَمِّي الكتاب السلطانية ، وأنها كانت لا تُسمَّى قبل كتابة السلطان عليها علامته ؛ والذي استقرَّ عليه الحال في كتب السلطان وما في معناها من المشتملة على الألقاب أن تكتب الألقاب في العنوان ، ويُدعى فيها بدعوة واحدة وهي المفتوح بها المكتوبة .

(١) عبارة الضرر « جاز أن يكتب كنيته ويحربها ... الخ » وهي واضحة ولكن قد ورد في سائر الأبحاث في كتاب اطلاع النجى صلى الله عليه وسلم إلى تميم القداري وذكره المؤلف فيما تقدم أن الكنية فيه بغير ألف ونس على ذلك ، فقل مراده أن الكنية في هذه الكتب تكتب بغير ألف فيقال في أبي بكر بوبكر .

(٢) لأن ذلك يؤذن بتعريف المكتوب إليه كما تقدم .

الجملة الثالثة

(في طي الكتاب ويختمه)

أما طيه فمعروف ، وهو أن يلف بعضه على بعض لفا خاصا . والطي في اللغة خلاف النشر ، ويقال : طوى الكتاب يطويه طيا ، ومنه قوله تعالى : (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ) . والترتيب في ذلك أن تكون الكتابة إلى داخل الكتاب : لأن المقصود صَوْنُ المكتوب فيه .

ثم للناس في صورة الطي طريقتان :

الطريقة الأولى - أن يكون لفة مَدَوْرًا كُتُبِيَّة الرَّخْخ ، وهي طريقة كُتَّاب الشرق من قديم الزمان وإلى الآن .

والطريقة الثانية - أن يكون طيه مبسوطا في قدر عرض أربعة أصابع مطبوقة ، وطي ذلك كان الحال جاريا في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . فقد ذكر عبد الرحيم ابن شيت من كُتَّاب دولتهم : أن طي الكُتُب السلطانية يكون عرض أربعة أصابع ، وكذلك من العلية إلى ن دونهم ، أما الكُتَاب من الأدنى إلى الأعلى فلا يُجَاوِزُ به عرض أصبعين ، وهذا ظاهر في أن الطي يكون عريضا لأمَدَوْرًا ، وهي طريقة أهل المغرب والروم والفرنج .



وأما ختمه ، فالتختم مصدر ختم ، يقال : ختم الكتاب يختمه ختماً ، ومعناه الطبع ، ومنه قوله تعالى : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ) والمراد شدُّ رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم ، حتى لا يطالع أحد على ما في باطنه حتى يقضيه المكتوب إليه ، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى . وهو أمر مطلوب مُرَغَّب فيه ، فن كلام عمر

رضى الله عنه : « طَبِئَةُ خَيْرٌ مِنْ طَلَّةٍ » يعنى أَنَّ خَتَمَ الْكَلْبِ بِطَبِئَةِ خَيْرٍ مِنْ طَلَّةٍ تَقَعُ فِي الْكَلْبِ بِالْظَرْفِ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ قَصٍّ ، وَالطَّلَّةُ التَّهْمَةُ . وَمِنْ كَلَامِ غَيْرِهِ : « اخْتِمَ تَسْلِمٌ » . وَمِنْ كَلَامِ غَيْرِهِ : « إِنْ طَبِئْتَ وَإِلَّا وَقَعْتَ » يعنى إِنْ طَبِئْتَ الْكَلْبُ وَإِلَّا وَقَعْتَ فِي الْمَحْشُورِ . وَيُقَالُ : إِنْ فِي خَتَمِ الْكَلْبِ تَعْظِيماً لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ . قَالَ بَزْرَجُهُرُ أَحَدُ مَلُوكِ الْقُرْسِ : مَنْ لَمْ يَخْتِمِ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِصَاحِبِهِ ، وَجَهْلٌ فِي رَأْيِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ أَوَّلَ مِنْ خَتَمِ الْكَلْبِ سَلْيَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَقَدْ قُسرَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يَلْقَيْسَ : (إِنِّى أَلْقِىَ إِلَى كَلْبٍ كَرِيمٍ) بَأَنَّهُ غَنُومٌ . وَعَلَى نَهْجِهِ فِي ذَلِكَ جَرَتْ مَلُوكُ الْعَجَمِ . قَالَ فِي «مَوَادِّ الْبَيَانِ» : وَلَمْ تَزَلْ كَتَبَ الْعَرَبُ مَشْهُورَةً حَتَّى كَتَبَ عُمَرُ بْنُ هِنْدٍ الصَّحِيفَةَ إِلَى الْمُنَاسِّسِ ، فَقَرَأَهَا وَلَمْ يُوصِلْهَا ، فَخَسَمَتِ الْعَرَبُ الْكُتُبَ مِنْ حَيْثُئِذٍ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَلِيبِ « أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى بَعْضِ الْعَجَمِ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا غَيْرَ غَنُومٍ ، فَأَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ حَدِيدٌ ، فَوَضَعَهُ فِي إِصْبَعِهِ ، فَأَنَاهُ جَبْرِئِلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أَنْبِئْهُ مِنْ إِصْبَعِكَ ، فَنَبِّئْهُ وَأَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ نُحَاسٌ فَوَضَعَهُ فِي إِصْبَعِهِ فَأَنَاهُ جَبْرِئِلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَنْبِئْهُ مِنْ إِصْبَعِكَ فَنَبِّئْهُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ ، فَأَتَّخَذَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ نَقَمَ بِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ مِنَ الْأَعْجَمِ ، وَبُقِيسَ عَلَيْهِ « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ ، وَكَانَ الْخَاتَمُ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ؛ ثُمَّ تَحَنَّنَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُبِضَ ؛ ثُمَّ تَحَنَّنَ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ ؛ ثُمَّ تَحَنَّنَ بِهِ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى بَرْ أَرِيَسَ مِنْ بَنَاءِ الْمَدِينَةِ ، إِذْ صَبَتْ بِالْخَاتَمِ فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ ، فَتَزَحَّ كُلُّ مَا كَانَ فِي الْبِرِّ

(١) قَالَ فِي إِرْشَادِ السَّارِي " شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ٨ ص ٣٦٢ لَا يَنْصَرَفُ عَلَى الْأَمْعِ . وَقَالَ صَاحِبُ "نَجَاحِ الْعُرُوسِ" مِنْ أَهْلِ مَالِكٍ جَوَازُ مَرْفُوحٍ . وَقَالَ أَهْلُ قَارِسِ الْمَهْمَزَةِ وَالزَّاءِ وَالسِّينِ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً .

من الماء فلم يُوجد ؛ فلما يَكس منه أمر أن يُصاغ له خاتمٌ مثله وينقش عليه
 «مُحمد رسولُ الله» فنُقِل ذلك وتحمَّ به . هكنا أورده صاحب «ذخيرة الكتاب»
 وبعضه في الصحيح . وقيل : إن نقش الخاتم الذي آتخذه كان «أمنتُ بالذي
 خلق فسوى» . وقيل : كان نقشه «لصبرن أو لتندمن» .

ثم كان لكل من الخلفاء بعد عثمان رضى الله عنه خاتمٌ يحمي به ، عليه نقش
 مخصوص : فكان نقش خاتم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه
 «الملكُ لله الواحد القهار» ونقش خاتم ابنه الحسن «لا إله إلا الله الملك الحق المبين»
 ونقش خاتم معاوية بن أبي سفيان «لكل عمل ثواب» وقيل : «لا قوة إلا بالله»
 ونقش خاتم يزيد بن معاوية «ربنا الله» ونقش خاتم معاوية بن يزيد «الدنيا غرور»
 ونقش خاتم مروان بن الحكم «الله تقي ورجائي» ونقش خاتم عبد الملك بن مروان ،
 «أمنت بالله مخلصا» ونقش خاتم الوليد بن عبد الملك «يا وليد إنك ميت ومحاسب!»
 ونقش خاتم عمر بن عبد العزيز «عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله» ونقش خاتم يزيد بن
 عبد الملك «تقي السيئات يا عزيز» ونقش خاتم هشام بن عبد الملك «الحكم للهكم
 الحكيم» ونقش خاتم الوليد بن يزيد «يا وليد أحمز الموت» ونقش خاتم يزيد بن
 الوليد «يا يزيد قم بالحق» ونقش خاتم إبراهيم بن الوليد «توكلت على الحى القيوم»
 ونقش خاتم مروان بن محمد «أذكر الله يا غافل» .

وكان نقش خاتم السفاح : أول خلفاء بني العباس «الله تقي عبد الله» ونقش خاتم
 المهدي^(١) «حسى الله» ونقش خاتم الرشيد «العظمة والقدر لله» . وقيل :
 «نحن من الله على حذر» ونقش خاتم الأمين «محمد وأتقى بالله» ونقش خاتم المأمون

”سَلِّ اللَّهُ بِعَطِيكَ“ ونقش خاتم المعتصم ”اللَّهُ هُوَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بْنِ الرَّشِيدِ وَبِهِ يُؤْمِنُ“
 ونقش خاتم الواثق ”اللَّهُ تَعَالَى الْوَاقِثُ“ ونقش خاتم المتوكل ”عَلَى الْحَيِّ - أَتَنَالِي“
 ونقش خاتم المتنصر ”يُؤْنَى الْحَيُّ مِنْ مَأْنِيهِ“ ونقش خاتم المستعين ”فِي الْإِعْتِبَارِ
 غَنَاءٌ عَنِ الْإِخْتِبَارِ“ ونقش خاتم المعز ”الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ“
 ونقش خاتم المهتدي ”مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ“ ونقش خاتم المعتمد
 ”السَّعِيدُ مِنْ وَعِظَ بغيره“ ونقش خاتم المعتضد ”الْإِضْطِرَارُ يُزِيلُ الْإِخْتِيَارَ“ ونقش
 خاتم المكتفي ”بِاللَّهِ عَلَى بْنِ أَحْمَدَ يَتَّقِ“ ونقش خاتم المقتدر بالله ”الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ“ ونقش خاتم القاهر ”مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ“ ونقش خاتم المتقي ”الْمُتَّقَى اللَّهُ“ كلقبه للخلافة، ونقش خاتم المستكفي
 ”الْمُسْتَكْفَى بِاللَّهِ يَتَّقِ“ ولم أقف على نقش خاتم أحد من الخلفاء غير هؤلاء .

وأعلم أنه كان الختم في أيام الخلفاء ديواناً مقرراً يعبر عنه بديوان الخاتم .
 وقد اختلف في أول من اتخذ ديوان الخاتم : فروى محمد بن عمر المسدائي في كتاب
 ”العلم والنواعة“ بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : لم يكن أبو بكر ولا عمر
 يلبسون خواتم ولا يطبعون كتاباً ، حتى كتب زياد بن أبي سفيان إلى عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه : إنك تكتب إلينا بأشياء ليست لها طوابع ، فاتخذ عند
 ذلك عمر طاباً يطبع به ، ونزح الكتاب ولم يكن قبل يُجزم .

ومقتضى ذلك أن يكون أول من اتخذ الختم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
 ويكون لبسه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم لغير الختم . وذكر الطبري في تاريخه :
 أن أول من اتخذ ذلك معاوية بن أبي سفيان في خلافة ، وذلك أنه أمر لعمر بن

الوزير بمائة ألف من عند زياد، ففتح الكتاب وجعل المائة مائتين؛ فلما رفع زيادُ حسابه أنكر ذلك معاوية؛ وطلب عمراً لحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله ابن الوزير وأتخذ معاوية حينئذ ديوان الختم، ونَحَرَمَ الكتاب ولم يكن قبل يُحَرَمَ . قال القاضي «ولي الدين بن خلدون» في تاريخه : وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كُتُب السلطان . قال : وهذا الخاتم خاصٌ بديوان الرسائل ، وكان ذلك للوزير في أيام الدولة العباسية . ويشهد لذلك قول الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفرًا ، ويستبدل به من الفضل أخيه : إني أحول الخاتم من يميني إلى شِمالي ، فكفى بالخاتم عن الوزارة ، لا تضام ديوان الرسائل إلى الوزير إذ ذاك . ثم اختلف العُرف بعد ذلك ، فصار ليس إليه الرسائل في الدولة .

ثم ختم ثلاثُ صُور :

الصورة الأولى — أن يُلصَقَ رأس الكتاب بنوع من أنواع اللصاق ، كالكتِّيراء المدفأة بالماء ، والنَّشَا المطبُوخ ونحو ذلك . وهذا هو المستعمل بالديار المصرية وبلاد المشرق من قديم الزمان وهلمَّ جرًّا إلى زماننا ؛ والمستعمل بالدواوين هو النَّشَا دون غيره ، لنَصَاعَةِ بَيَاضِهِ وَشِدَّةِ لِصَاقِهِ . قال في «مواد البيان» : ويجب أن يكون اللصاق خفيفًا كالدهن لئلا يَتَكثَّرَ ويكثَّف في جانب الورق . وقد كانت عاداتهم في بلاد المشرق أيام الخلفاء أن يُخْتَمَ بخاتم الخليفة ، بأن يَمَسَّ في طين معد لذلك أحمر الصبغ ، ويختم به على طرفي اللصاق ، ليقوم مقام علامة الخليفة . وكان هذا الطين يحلب إليهم من سِيرَاف من بلاد فارس ، وكأنَّه مخصوصُ بها ؛ وعلى نهج الخلفاء جرى الملوك حينئذ . والذي استقرَّ عليه الحال الآن بالديار المصرية ونحوها من البلاد الشرقية الاكتفاء على مجزء اللصاق آكفاء بما فيه من الضبط وظهور

فَقَضَهُ إِنْ قُضِيَ . وهذه المسئلة مما سأله الشيخ جمال الدين بن بُنَاتَةَ كُتَّابُ
ديوان الإنشاء بِدَمَشْقَ مخاطباً به للشيخ جمال الدين محمود الحلبي - فقال : وَمَنْ ختم
الكتاب بالطين ورَبَطَهُ ؟ ومن غَيَّرَ الطين إلى النَّشَا وَضَبَطَهُ ؟ . وفيه سبق الكلامُ
في النَّشَا وسائر أنواع اللَّصاق في الكلام على آلات الدواة في المقالة الأولى .

الصورة الثانية - أن يُخَزَمَ الكُتَّابُ من وَسَطِهِ بالأشْفَارِ حَتَّى تَتَفَدَّ في بضع
طَيَّاتِ الكُتَّابِ ثم تخرج من وجه الورق أيضاً ، ويدخل فيه دَمْرَةٌ من الورق كَالسَّيْرِ
الصغيرِ وَيُقَطُّ طَرَفُ الدَّمْرَةِ ، ثم يُلصَقُ على ذلك بِسَمْعِ أَحْمَرٍ ، ثم يَخْتَمُ عليه بخاتم
يُظْهِرُ نَفْسَهُ فيه ، ويسمى هذا النوع من الختم الخَزْمَ - بالخلاء والراي المعجمتين - أخذنا
من خَزَمَ البعير ، وهو أن يُتَقَبَّ أَفْهُهُ وَيُحْمَلُ فيه خيط أَوْ بَحْوُهُ . ولعل هذه الطريقة
من الختم هي التي كان عليها الحال حين أُحْدِثَ الختمُ في صدر الإسلام ، ويدل على
ذلك قولُ أَبْنِ عُمرٍ رضي الله عنه في رواية الطبري المتقدمة ^(١) : وَخَزَمَ الكُتَّابَ ولم يكن
قَبْلُ يُخَزَمُ . وعلى هذا الآن أهل المغرب والرُّومَ والفَرَجَ وَمَنْ في معناهم .

الصورة الثالثة - أن يُلَفَّ على الكُتَّابِ بعد طَيِّهِ قَصَاصَةٌ من الورق كَالسَّيْرِ
في عرض رَأْسِ الخَنْصِرِ ، وتلف على الكُتَّابِ ثم يُلصَقُ رَأْسُهَا ؛ ويكون ذلك في الرَّقَاعِ
الصغيرة المترددة بين الإخوان ، وتسمى القَصَاصَةُ التي يُلصَقُ بها بِمِخَاةٍ - بفتح السين
وبالمدة ، وتقال بكسر السين أيضاً ، وربما قيل بِمِخَاةٍ ؛ ويقال فيه : تَحَوَّتْ الكُتَّابُ

(١) مراد المؤلف بالدمرة القسار أي المسار أو الخيط من الليف وجاري العامة في تعييرهم به بالدمرة .

(٢) الذي تقدم عن الطبري أن أول من اتخذ الختم والخزم معاوية وأما رواية ابن عمر التي تفيد أن أول
من اتخذ الختم والخزم عمر فقد رواها محمد بن عمر المدايني في الكلام سهواً واشتباه .

أَمْحُوهُ مَحْوًا ، وَتَحْتَهُ بِالتَّشْدِيدِ أَمْحِيهِ تَسْحِيَةً فَهُوَ مَسْحُوٌّ وَمَسْحَىٌّ وَمُسْحَىٌّ ؛ وَالْأَمْرُ
 مِنْ مَحَوْتُ الْكَاتِبِ أَمْحَ ، وَمِنْ تَحْتَهُ بِالتَّشْدِيدِ مَحَّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّحْوِ وَهُوَ الْقَشْرُ .
 يُقَالُ : يَمْحُوهُ الْحَمَمُ عَنِ الْعَظْمِ إِذَا قَشَرَتْهُ .

الجملة الرابعة

(فِي حَمْلِ الْكُتُبِ وَتَأْدِيتِهِ)

وهو من جملة الأمانات الداخلة في عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
 الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ۝ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ أَعْظَمِ
 الْأَمَانَةِ إِدَاءُ الْكُتُبِ إِلَىٰ أَهْلِهَا . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَدَائِنِيِّ : حَمْلُ الْكُتُبِ أَمَانَةٌ ،
 وَتَرْكُ إِعْصَالِهَا خِيَانَةٌ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ بَلَغَ كِتَابَ
 غَايِزٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَىٰ أَهْلِهِ أَوْ كَتَبَ أَهْلُهُ إِلَيْهِ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِتْقٌ رَقِيَّةٌ وَأَعْطَاهُ
 اللَّهُ كِتَابَهُ بِمِثْلِهِ وَكَتَبَ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ " . وَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِتَأْدِيَةِ الْمُتَّهَدِ
 كِتَابَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ يَلْقَيْسَ ، حَيْثُ قَالَ حِكَايَةً عَنْ سُلَيْمَانَ : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي
 هَذَا فَأَلْقَيْتُهُ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾ إِلَىٰ أَنْ قَالَ : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِي إِلَىٰ كِتَابٍ كَرِيمٍ ۚ ﴾ .

وقد وردت الأحاديث بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ كُتُبَهُ مَعَ رُسُلِهِ
 إِلَى الْمُلُوكِ : فَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُنَافَةَ إِلَى كِسْرَى أَرْبُوزَ مَلِكِ الْفَرَسِ ؛ وَبَعَثَ
 دُخْيَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ؛ وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ
 صَاحِبِ مِصْرَ ؛ وَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى الضَّحَّاكِ مَلِكِ الْحِشَةِ ؛ وَبَعَثَ
 تَجْدَعَ بْنَ وَهْبِ الْأَسَدِيِّ إِلَى الْخَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِي ؛ وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو

إلى هُوَذَة بن عليّ صاحب اليمامة ؛ وبعث العلاء بن الحَضْرَمِيّ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ؛ وبعث عمرو بن العاص إلى جَيْدٍ وَجَيْفَرِ ابْنَيْ الْجَنْدِيِّ مَلِكَيْ عُمان . قال ابن الجوزي : وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذى الكلاع الحِمْيَرِيّ .

وأعلم أنه يجب أن يكون حاملُ الكُلب المؤدّي له عن الملك ونحوه وإفْرِ العقل ، شديدَ الشَّكِيمة في الجواب ، طاقى اللسان في المُحاورَة ، فإنه لسانُ مَلِكٍ ، وتَرْجَمَانُ مُرْسِلِهِ ، وربما سألَه المكتوبُ إليه عن شيءٍ أو أورد عليه افتراضًا فيكون بصدد إجابته . وقد قيل : إنه يُسْتَدَلُّ على عقل الرجل بكتابه ورسوله . ومن غريب ما يروى في ذلك ما ذكره ابنُ عبد الحكم : أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم لما بعث حاطبَ ابنِ أبي بلتعمة إلى المقوقس صاحب مِصرَ ، وبلغه كتابُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، قال له : مامنه أن يدعو عليّ - فَيُسَلِّطَ عَلَيَّ ؟ - قال له حاطبُ : مامنع عيسى أن يدعو عليّ من أبي عليه أن يفعل ويفعل ؟ فوجِمَ ساعة ثم استعاضها ، فأطاعها عليه حاطبُ ، فسكت . ويروى : أنه حين سألَه عن أمر النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم في حرب قومه ، وذكر له أنَّ الحربَ تكونُ بينهم سِجَالًا : تارة له وتارة عليه ، قال له المقوقس : النبيُّ يُغَلِّبُ ! فقال له حاطبُ : فالإلهُ يُصَلِّبُ ! - يشير بذلك إلى ما ترجمه النصراني من أن المسيح عليه السلام صُلبَ مع دعوام فيه أنه إلهٌ .

وذكر السهيلي أن دحية الكلبي حين دخل على قيصر بكتاب النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، قال له دحية : هل تعلم أكان المسيح يُصَلِّي ؟ قال نعم ، قال : فإني أدعوك إلى من كان المسيح يُصَلِّي له ، وأدعوك إلى من دَبَّرَ خَلْقَ السموات والأرض والمسيح في بطن أمه . فالزمه من صلاة المسيح أنه عبدُ الله تعالى ، وصنَّ ذلك بيتًا من أبيات له فقال :

فَقَرَّرَتْهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ ، * وَكَانَتْ مِنَ الْجَوْهَرِ الْأَحْمَرِ !

وَيُحْكِي أَنَّ بَعْضَ مَلُوكِ الرُّومِ كَتَبَ إِلَى خَلِيفَةِ زَمَانِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَنْ يَنَظُرُ عِلْمَاءَ
النَّصْرَانِيَّةِ عِنْدَهُ فَإِنْ قَطَعَهُمْ أَسْلَمُوا ، فَوُجِّهَ إِلَيْهِ بِالْقَاضِي أَبِي بَكْرَ بْنِ الطَّيِّبِ الْمَالِكِيِّ ،
وَكَانَ مِنْ أَمَّةِ عِلْمَاءِ زَمَانِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ الْمَجْلِسَ وَاجْتَمَعَ لَدَيْهِ عِلْمَاءُ النَّصْرَانِيِّ ،
قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مَعْتَقِدَكُمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعْصُومُونَ فِي الْفِرَاشِ ، وَقَدْ
رُبِّيتْ عَائِشَةُ بِمَا رُبِّيتَ بِهِ : فَإِنْ كَانَ مَا رُبِّيتَ بِهِ حَقًّا ، كَانَ نَاقِضًا لِصَلَمِكَ الَّذِي
أَصْلَبْتُمُوهُ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْفِرَاشِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ حَقٍّ كَانَ مُؤَثِّرًا فِي إِيْمَانِ
مَنْ وَقَعَ مِنْهُ . فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ : امْرَأَتَانِ حَصِيصَتَانِ رُبِّيتَا بِالْفِرْيَةِ ، إِحْدَاهُمَا
لَهَا زَوْجٌ وَلَا وَلَدٌ لَهَا ، وَالْأُخْرَى لَهَا وَلَدٌ وَلَا زَوْجٌ لَهَا - يُشِيرُ بِالْأُولَى إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا ، وَبِالثَّانِيَةِ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَسَجَدُوا لَهُ عَلَى عَادَةِ تَحِيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي لَا تُحْصَى كَثْرَةً .

فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مِمَّا كَانَ مِنْ عَقْلِهِ ، عَلِمَا بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ ، كَفَى مِلَكَةً مُثُونَةً
غِيْبَتَهُ ، وَأَجَابَ عَنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ ؛ وَإِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ أَعْيَسَتْ الْقَضِيَّةُ ،
وَرَجَعَ عَلَى مُرْسَلِهِ بِالْوَبَالِ . ثُمَّ إِنَّ أَقْنَضَى رَأَى الْمَلِكَ زِيَادَةَ فِي الرِّسَالَةِ عَلَى الرَّسُولِ
الْوَاحِدِ فَعَلَ : لِيَتَعَاوَنَا عَلَى مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ، وَيَتَشَاوَرَا فِيمَا يَفْعَلَانِ ، فَقَدْ ذَكَرَ الْمُهَيْتِيُّ :
أَنَّ جَبْرًا مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ كَانَ رَسُولًا مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ .
وَإِنَّ أَقْنَضَى الْحَالِ إِرْسَالَ أَكْثَرِ مَنْ أَتَيْنِ أَيْضًا فَعَلَ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الْجَوْزِيِّ أَنَّ
أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ بَعَثَ إِلَى قَيْصَرَ ثَلَاثَةَ رُسُلَ ، وَهُمْ : هِشَامُ
ابْنُ الْعَاصِ ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَجَبَلُ الْأَنْصَرِ .

(١) فِي فَرْجِ الْمَوَاهِبِ الدِّنِيَّةِ ج ٤ ص ٣٩٨ عَنْ السَّيْلِ مَاتَهُ "مَوْلَى أَبِي رَهْمٍ الْغِفَارِيِّ وَهُوَ رَافِعُ الْقَالِي
فِي الْاِسْتِيبَابِ وَالْاِصَابَةِ وَغَيْرِهَا أَنَّ جَبْرًا كَانَ مِنَ الْقَبِيْطِ وَأَنَّهُ رَسُولُ الْمُقَوْقِسِ بِمَارَةٍ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" .

ومما يجب التنبيه عليه أنه يحرم على حامل الكتاب النظر فيه ، والأطلاع على مضمونه . قال محمد بن عمر المدائني : في قَصِّ الكتاب إثمٌ وسوءُ أدب ، وساق بسنده إلى معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **”من أطلع في كتاب أخيه بغير إذنه ، أطلعه طلعة في النار“** .

الجملة الخامسة

(في قَصِّ الكتاب وقراءته)

أما قَصُّه فالمراد فكَّ ختمه وفتحته ، والقَصُّ في أصل اللغة الكسر والتفريق ، ومن الأوّل ما ثبت في الصحيح من قول القائلة لابن عمّها في قصّة الثلاثة الذين دعوا الله بأحبّ أعمالهم : **« اتّق الله ولا تُفصّ الخاتم إلا بحقه »** تريد إزالة بكارها . ومن الثانى **(مُهم الذين يقولون لا تستفحوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا)** . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب الملوك في المقالة الثانية أن الرسول أو البريديّ الواصل إلى باب السلطان يقدّمه النوادار إلى السلطان ، ثم يتناول الكتاب منه ويمسح به وجهه من حضر على يده ، ثم يدفعه إلى السلطان فيقُصّ ختامه ، ثم يتناوله النوادار من السلطان وينقله إلى كاتب السر ، فيقرؤه على السلطان .

وأعلم أن لقص الكتاب حالتين :

الحالة الأولى - أن يكون مضموناً باللصاق بالنّشا على طريقة المشاركة وأهل الديار المصرية ، فيشق ظاهره على القُرب من محلّ اللصاق بسكين ثم يفتح .

الحالة الثانية - أن يكون مخزوماً مسمراً بئسرة من الورق على عادة المغاربة ومن جرى مجراهم ، فيرفع الختم الملتصق عليه من الشمع ، ويُخلع البئسرة ويفتح الكتاب .



وأما قراءة الكتُب فإنه يجب أن يكون من يقرأ الكتب على الملوك ومن في معانهم ماهرًا في القراءة، فصيح اللسان في النطق، رقيق حاشية اللسان في حسن الإيراد، قوي المَلَكَة في استخراج الخطوط المختلفة، سريع الفهم في إدراك المعاني الخفية؛ وأن تكون قراءته على رئيسه - من سلطان أو غيره - بحسب ما يؤثر ملكه أو أميره سماعه من السرعة والبُطء؛ وأن يكون ذلك بصوت غير خفي بحيث يفسر سماعه، ولا مرتفع بحيث يُعَدُّ صاحبه خارجًا عن أدب مخاطبة للأكابر؛ وأن يُقَرَّبَ لمن يقرأ عليه فهم المقاصد التي أعتاصت عليه إذا سأل عنها، أو غلب على ظنه أنها لم تصل إلى فهمه، بحسن إيراد، وتلطيف عبارة يحسن موقعها في النفوس ويَجِلُّ وقعها في الأذهان.

المجلة السادسة

(في كراهة طرُح الكتاب بعد تخزيقه : وهو قُضيه ،

وحفظه بعد ذلك في الإضبارة)

أما كراهة طرُحه فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة": "كرهوا تخزيق الرسائل ورميها في الطرُوق والمزابل، خوفا على اسم الله تعالى أن يداس، أو تلحقه النجاسة والأذناس". قال: وفي رفع ما طرُح من الكتاب أعظم الرغائب وأجل الثواب؛ وساق يستند إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من كتاب يُنقى بِنُقْمَةٍ من الأرض فيه

أَسْمُ من أسماء الله إِلَّا بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُحْفَوْنَهُ بِأَجْحَتِهِمْ وَيُقَدِّسُونَهُ ،
حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَيَرْفَعُهُ مِنَ الْأَرْضِ . وَمَنْ رَفَعَ كِتَابًا مِنَ الْأَرْضِ
فِيهِ أَسْمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى ، رَفَعَ اللهُ أَسْمَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَخَفَّفَ عَنْ وَلَدَيْهِ الْعَذَابَ
وَإِنْ كَانَ مُشْرِكِينَ . و يروى : « مَنْ رَفَعَ قِرْطَاسًا مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مَكْتُوبٌ
« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » إِبْجَالًا لَهُ أَنْ يُدَاسَ ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ وَشَقَّعَهُ فِي عِشْرِينَ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَ لَهُ النَّارُ » .



وَأَمَّا حِفْظُهُ فِي الْإِضْبَارَةِ فَهُوَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ ؛ وَالْإِضْبَارَةُ عِبَارَةٌ عَنْ وَرْقَةٍ تُلْفَ عَلَى
جَمْعَةٍ مِنَ الْكُتُبِ قَدْ جُمِعَتْ فِي دَاخِلِهَا وَيُصَبَّقُ طَرَفُهَا بِالنَّشَا . وَالْقَاعِلَةُ فِيهَا أَنْ
تُلَوَّى الْكِسْرَةُ مِنْ أَسْفَلِهَا ، وَإِنْ طَالَ بَعْضُهَا فِي طَيِّهِ وَقَصُرَ بَعْضُ جَعَلَ التَّفَاوُتُ
فِي الطُّوْلِ وَالْقَصْرِ مِنْ أَعْلَاهَا . قَالَ فِي «صِنَاعَةِ الْكُتَابِ» : وَمَعْنَاهَا الْجَمْعُ ، لِأَنَّهَا
يُجْمَعُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ . وَمِنْهُ قِيلَ : تَضَبَّرَ الْقَوْمُ إِذَا تَجَمَّعُوا ، وَرَجُلٌ مَضَبِّرٌ أَنْتَلَقَ
أَيَّ جَمْعِيَّتِهِ ، وَفَاقَةُ مَضَبِّرَةٍ وَمَضْبُورَةٍ ، وَضَبَرَ الْفَرَسُ إِذَا جَمَعَ قَوَائِمَهُ وَوَثَبَ . وَبِقَوْلِهِ
لِلْإِضْبَارَةِ أَيْضًا إِضَامَةٌ بِكسرِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ لَضَمِّ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَالْمَعْنَى
فِيهَا صِيَانَةُ الْكُتُبِ وَحِفْظُهَا عَنِ الضَّيَاعِ . وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ كُتَّابِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ
بِالدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنْ يَجْعَلَ لِكُلِّ شَهْرِ إِضْبَارَةٌ تَجْمَعُ فِيهَا الْكُتُبُ الْوَارِدَةُ عَلَى أَبْوَابِ
السُّلْطَانِ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَيُكْتَبُ عَلَيْهَا « شَهْرُ كَذَا » . وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ
فِي مَقْلَمَةِ الْكُتَابِ أَنَّ الدِّيْوَانَ كَانَ لَهُ فِي زَمَنِ الْفَاتَمِيِّينَ كَاتِبٌ يَكْتُبُ الْكُتُبَ

(١) كذا في الأصول والنسوخ والقي في أمهات اللغة بهذا المعنى في مادة ض م م « إضامة » أي بكسر

الهمزة وتخفيف الميمين بينهما ألف فتحة .

الواصلَة ويُسَط عليها جرائد ، كما يكتبُ الكتبَ الصادرة عن الأبواب السلطانية ويُسَط عليها جرائد ؛ وأن ذلك بطل في زماننا وصار الأمر قاصراً فيها على حفظ الكتب في الإضبارات ؛ متى احتيج إلى الكشف عن كتاب منها ، أخذ بالحدث أنه ورد في السنة الفلانية ، وتُكشَف إضباراتها واحدةً بعد واحدة حتى يقع العثور عليه ، ولا خفاء فيما في ذلك من المشقة ، بخلاف ما إذا كان لما جرائد مهسولة ، فإنه يسهُل الكشف منها ، ويستدلُّ بتاريخه على إضبارته فتُخرج ويقع الكشف منها ، ولكن أهمل ذلك في جملة ما أهمل .

الباب الثانى

من المقالة الرابعة

(فى مصطلحات المكتبات النائرة بين كُتّاب أهل الشرق والغرب
والديار المصرية فى كل زمن من صدر الإسلام
وهلمّ جراً إلى زماننا، وفيه ستة فصول)

الفصل الأول

(فى الكُتُب الصادرة عن النبی صلی الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(فى ذكر ترتيب كُتُبهِ صلی الله عليه وسلم فى الرسائل على سبيل الإجمال)
كان صلی الله عليه وسلم يفتّح أكثر كُتُبِهِ بلفظ «من عهد رسول الله إلى فلان»
وربما أفتتحها بلفظ «أما بعد» وربما أفتتحها بلفظ «هذا كتابٌ» وربما أفتتحها
بلفظ «سلم أنت» .

وكان يصرّح فى الغالب باسم المکتوب إليه فى أول المکتبات، وربما أكتفى
بشهرته، ^(١) فإن كان المکتوبُ إليه ملكاً كتب بعد ذكره اسمه «عظيم القوم الفلاني»
وربما كتب «ملك القوم الفلاني» وربما كتب «صاحب مملكة كذا» .

وكان يعبر عن نفسه صلی الله عليه وسلم فى أثناء كُتُبِهِ بلفظ الأفراد، مثل : «أنا»
و «لى» و «جاءنى» و «وفد لى» وما أشبه ذلك ، وربما أتى بلفظ الجمع مثل
«بلغنا» و «جاءنا» ونحو ذلك .

(١) أى بما أشهر به كالنصر ونحوه .

وكان يخاطبُ المكتوبَ إليه عند الأفراد بكاف الخطاب . مثل : « لك »
و « عليك » وتاء المخاطب . مثل : « أَنْتَ قَلْتَ كَذَا وَفَعَلْتَ كَذَا » . وعند الثنية
بلفظها مثل : « أَنْتَا » و « لَكَا » و « عَلَيْكَا » . وعند الجمع بلفظه . مثل : « أَنْتُمْ »
و « لَكُمْ » و « عَلَيْكُمْ » وما أشبه ذلك .

وكان يأتي في صدور كُتُبِهِ بالسَّلام . فيقول في خطاب المسلم « سَلامٌ عليك »
وربما قال : « السَّلامُ عَلَى مَنْ آمَنَ بآلِهِ وَرَسُولِهِ » وفي خطاب الكافر : « سَلامٌ
عَلَى مَنْ آتَبَعَ الْهُدَى » وربما أَسْقَطَ السَّلامَ من صَدْرِ الْكَلَامِ .

وكان يأتي في صدور الكتب بالتحميد بعد السلام . فيقول : « فَلَئِنْ أَحَدُ إِلَيْكَ
اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وربما تركه ، وقد يأتي بعد التحميد بالتشهد وقد لا يأتي به .
وكان يختص من صدر الكُتُبِ إلى المقصود تارةً بأما بعد وتارةً بغيرها .

وكان يختم كُتُبَهُ بالسَّلام تارةً ، فيقول في خطاب المسلم : « وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » وربما اقتصر على السلام . ويقول في خطاب الكافر : « وَالسَّلامُ عَلَى
مَنْ آتَبَعَ الْهُدَى » وربما أَسْقَطَ السَّلامَ من آخِرِ كُتُبِهِ .

♦ ♦
أما عنوانه كتبه صلى الله عليه وسلم ، فلم أقف فيها على نص صريح ، والذي يظهر
أنه صلى الله عليه وسلم كان يُعَيِّنُ كُتُبَهُ بلفظ : « من عهد رسول الله إلى فلان »
على نحو ما في الصَّدر ، وتكون كتابته « من عهد رسول الله » عن يمين الكتاب ،
و « إلى فلان » عن يساره ، وعليه يدل ما تقدم من كلام صاحب « موادَّ البيان »
في الأصل الثاني عشر من أصول المكتبات حيث ذكر في الكلام على العنوان أن
الأصل أن يُتِمَّلاً باسم المكتوب عنه ويُنْتِى باسم المكتوب إليه ، ثم قال : وعلى هذا
كانت كُتُبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الطرف الثاني

(في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ،
وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يفتتح الكتاب بلفظ «من عهد رسول الله إلى فلان»)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد ، في جواب كتابه إليه صلى
الله عليه وسلم بإسلام بني الحارث وهو على ما ذكره ابن إسحاق في سيرته :

«من عهد رسول الله إلى خالد بن الوليد :

سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك
جاءني مع رسولك ، يُخبرني أن بني الحارث قد أسلموا قبيل أن تُهايَلَهُمْ ، وأجابوا
إلى ما دَعَوْتَهُمْ إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،
وأن قد هداهم الله بهداه ، فبَشَّرَهُمْ وأَنْذَرَهُمْ ، وأَقْبَلَ وَلَبَّيْكَ مَعَكَ وَفَعَلَهُمْ ، والسلامُ
عليك ورحمة الله وبركاته .»



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين من جهة
الفرس ، في جواب كتابه إليه صلى الله عليه وسلم . ونسبته على ما ذكره السهيلي
في «الروض الأثف» :

”من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .

سلام عليك ، فإني أهدئك الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع ربي ويطيع أمرهم فقد أطاعنى ، ومن نصح لم فقد نصح لى ، وإن ربي قد أشوا عليك خيرا ، وإنى قد شفعتك فى قومك فأتزك للمسلمين ما أسأموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل لهم ، وإنك مهما تصلح فلن نغزلك ، ومن أقام على مجوسيته فعليه الجزية .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى قروة بن عمرو الجذامى . ونسخته على ما ذكره ابن الجوزى فى ”كتاب الوفاة“ .

”من محمد رسول الله إلى قروة بن عمرو .

أما بعد ، فقد قدم علينا رسولك ، وبلغ ما أرسلت به ، وخبر عما قبلكم خيرا ، وأنا بإسلامك وأن الله هناك بهداه .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى طهفة التهدى وقومه . ونسخته فيما حكاه ابن الأثير فى ”المثل السائر“ :

”من محمد رسول الله إلى بنى نهد .

السلام على من آمن بالله ورسوله . لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ، ولكم الفارض^(١) والقريش ، ودو العنان الركوب والقلو الضبيس ، لا يمنع سرحكم ، ولا يعضد

(١) يرى بالقاه واليمن فاما بالقاه فيكون المراد بها المريضة وأما باليمن فهي التي أمها با آة أو كسراه

طَلَحَكُمْ ، وَلَا يُجَبِّسُ دَرَكَكُمْ مَالٌ تُضْمِرُوا الْإِمَاقَ ، وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ . مَنْ أَقْسَرَ
[بِمَا فِي هَذَا الْكُتَابِ] فَهُوَ [مِنْ رَسُولِ اللَّهِ] الْوَفَاءُ بِالْمَهْدِ وَالذِّمَّةُ ، وَمِنْ أَبِي
فَطْلَيْهِ الرَّوَّةُ .

وهذا الكتاب مما يحتاج إلى شرح غريبه ليفهمه . فالوظيفة «النَّصَابُ» في الزكاة وأصله
الشيء الراتب . «والفريضة» الحرمة المستة ، والمراد أنها لا تؤخذ منهم في الزكاة
بل تكون لهم . «والقريش» بالقاء والشين المعجمة ما أنبسط من النبات وقَرَشَ
على وجه الأرض ولم يبق على ساق ، وقد يُطلق على القرس إذا نُحِلَ عليها بعد النتاج
أيضا . «وذوالعتان الركوب» القرس الذلول ، «والقلو» المهر الصغير وقيل القطيم
من جميع أولاد الحافر . «والضئيس» بالضاد المعجمة والباء الموحدة والسين المهملة
السير الصعب الذي لم يرض . «والسرح» السارحة وهي المواشي ، والمعنى أنها لا تُمنع
من الرعى . والعفسد القطع . والطلع شجر عظام من شجر المضاه . والدّر اللبن ،
والمراد فوات الدر من المواشي ، أراد أنها لا تنحسر إلى المصدق وتُمنع الرعى إلى أن
تجتمع الماشية ثم تعد لما في ذلك من الإضرار . و«الإماق» مخفف ، من أماق الرجل
إذا صار ذامقة وهي الحمية والأفة ، وقيل مأخوذ من الموق وهو الحرق ، والمراد
إضممار النكت والغدر أو إضممار الكفر . و«الرِّبَاق» بالراء المهملة والباء الموحدة
والقاف جمع رِبْقَة ، وهي في الأصل أسمٌ لرؤة تجعل في الحبل وتكون في عنق
البيمة أو يدها تحسبها ، والمراد هنا تقصُّ العهد واستعمار الأكل لذلك ، لأن البيمة
إذا أكلت الرِّبْقَة خلصت من الشدة . و«الرؤة» بكسر الراء الزيادة ، والمراد هنا الزيادة
في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له .

(١) الزيادة من «الثلث السائر» . ورواية «الشفا» كما في الأصل .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أُكَيْدِرُ ثُومَةَ فيما ذكره أبو عُبَيْدَةَ، وهو :
 ” من محمد رسول الله لَا أُكَيْدِرُ ثُومَةَ حِينَ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ
 وَالْأَصْنَامَ ، مع خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ سَيْفِ اللَّهِ فِي ثُومَةِ الْجَنْدَلِ وَأَكْافِهَا : إِنَّ لَنَا الضَّاحِيَةَ
 مِنَ الضُّعْفِ وَالْبُورَ وَالْمَعَامِي وَأَغْفَالَ الْأَرْضِ وَالْحَلْقَةَ وَالسَّلَاحَ وَالْحَافِرَ وَالْحِصْنَ .
 وَلَكُمْ الضَّامِنَةُ مِنَ النَّخْلِ ، وَالْمَعِينُ مِنَ الْمَعْمُورِ ، لَا تُعْدِلُ سَارِحَتَكُمْ ، وَلَا تُعَدِّ فَارِدَتُكُمْ ،
 وَلَا يُخْطِرُ عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ ، تُقِيمُونَ الصَّلَاةَ لَوْقَتِهَا ، وَتُقَوِّتُونَ الزَّكَاةَ بِحَقِّهَا ، طِبِكُمْ بِذَلِكَ
 عَهْدُ اللَّهِ وَالْمِيثَاقُ “ .

وهذا الكتاب أيضا مما يُجْتَنَبُ إِلَى مَعْرِفَةِ غَيْرِهِ : فَلَا تُدَادُ جَمْعٌ نَدَّ بِكسر النون
 وهو ضِدُّ الشيءِ الَّذِي يَخَالِفُهُ فِي أُمُورِهِ ، وَيَنَادِيهِ أَى يَخَالِفُهُ ، وَالْمُرَادُ مَا كَانُوا يَتَعَدُّونَهُ
 آلهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى . وَالْأَصْنَامُ جَمْعُ صَنَمٍ : وَهُوَ مَا أُشِيدَ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَقِيلَ :
 مَا كَانَ لَهُ جِسْمٌ أَوْ صُورَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ فَهُوَ وَثَنٌ . وَالْأَكْافُ
 بِالنون جمع كَنَفٍ بِالتحريك وهو الْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ . وَالضَّاحِيَةُ بِالضاد المعجمة والخاء
 المهملة النَّاحِيَةُ الْبَارِزَةُ الَّتِي لَا حَائِلَ دُونَهَا ، وَالْمُرَادُ هُنَا أَطْرَافُ الْأَرْضِ ؛ وَالضُّعْفُ
 بِفَتْح الضاد المعجمة وسكون الخاء المهملة الْقَلِيلُ مِنَ الْمَاءِ ، وَقِيلَ الْمَاءُ الْقَرِيبُ
 مِنَ الْمَكَانِ ، وَبِالتحريك مَكَانُ الضُّعْفِ . وَالْبُورُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ تُزْرَعْ ، وَهُوَ بِالْفَتْحِ
 مُصْدَرٌ وَصِفٌ بِهِ ، وَبِالضَمِّ جَمْعُ بَوَارٍ : وَهُوَ الْأَرْضُ الْخَرَابُ الَّتِي لَمْ تُزْرَعْ . وَالْمَعَامِي
 الْجَهْلُولَةُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا أَثَرٌ عِمَارَةٍ ، وَاحِدُهَا مَعْمَى . وَأَغْفَالَ الْأَرْضِ
 بِالْفَاءِ الْمَعْجَمَةُ وَالْفَاءُ الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا أَثَرٌ يَعْرِفُ كَأَنَّهَا مَغْفُولٌ عَنْهَا . وَالْحَلْقَةُ
 بِسُكُون اللام السَّلَاحُ طَائِفًا ، وَقِيلَ الدَّرُوعُ نَخَاصًا ، وَالسَّلَاحُ مَا أُعِدَّ لِلْحَرْبِ مِنْ آلَةٍ

الخليد مما يُقاتل به ، والسيف وحده يسمى سلاحا . والضامنة من النخل بالضاد
المعجمة والتون ما كان داخلا في العمارة من النخيل وتضمنته أمصارهم وقراهم ،
وقيل سميت ضامنة لأن أربابها صَنِمُوا عِمَارَتَهَا وَحَفَظُهَا ، فهي ذات صَمَانٍ كَمَيْشَةٍ
راضية بمعنى ذات رِضًا . والمعين من المعمور المساء الذي يُنْبَغ من العين في العاصر
من الأرض . وقوله : لَا تُعْصَلْ مَارِحَتُكُمْ بِالنَّالِ الْمُحْجَمَةِ ، أى لَا تُصَرَفْ مَا شِئْتُمْ
وَتَسْأَلْ عَنِ الرَّغْيِ وَلَا تَمْنَحْ . وقوله : وَلَا تُعَدَّ فَارِدُكُمْ أَى لَا تُضْمَ إِلَى ضِيرِهَا وَتُحْشَرُ
إِلَى الصَّدَقَةِ حَتَّى تَعُدَّ مَعَ غَيْرِهَا وَتَحْسَبَ . والفاردة الزائدة على الفريضة . وقوله :
وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ بِالْفَاءِ الْمُحْجَمَةِ ، أى لَا تُنْمَعُونَ مِنَ الزَّرْعِ وَالْمَرْعَى حَيْثُ
شِئْتُمْ ، وَالْحُظَرُ الْمَنْعُ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حَضْر موتَ ، وهو:
”من عهد رسول الله إلى الأقبالِ البَاهِلَةِ من أهل حَضْر موتَ ، بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ،
وإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ . عَلَى التَّيْعَةِ الشَّائِءِ ، وَالتَّيْمَةِ لِمَاصِحِهَا ، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسَ ، لَا خِلَاطَ
وَلَا رِبَاطَ وَلَا شِتَاقَ وَلَا شِفَارَ ، وَمَنْ أَجْبَى فَقَدْ أَرْبَى ؛ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ“ .

وذكر القاضي عياض في ”الشفاء“ أن كتابه لم : « إلى الأقبالِ البَاهِلَةِ ،
وَالْأَرْوَاحِ الْمَسَايِبِ . وَفِي التَّيْعَةِ شَائِءٌ ، لِمُقَوَّرَةِ الْإِبْطِ ، وَلَا ضِنَاكَ ، وَأَنْفَلُوا النَّبِيعَةَ ،
وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسَ ، وَمَنْ زَنَى مِنْ بَكْرٍ فَاصْقَعُوهُ مِائَةً وَأَسْتَوْفِضُوهُ عَامًا ، وَمَنْ زَنَى
مِنْ نَيْبٍ فَصَّرِّجُوهُ بِالْأَضَامِ ، وَلَا تَوْصِيْمَ فِي الدِّينِ ، وَلَا عَمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَوَائِلُ بْنُ حُجْرٍ يَقُولُ عَلَى الْأَقْبَالِ » .

(١) مواهب بالهال المهمة كما يفيد المعنى وقد أورده صاحب اللسان ج ١٣ - في مادة ع دل بالهال
المهمة فانظروه .

وهذا الكتاب في معنى ما تقدم من الاحتياج إلى شرح غريبه . الأقيال بالفتح
والياء المثناة تحت جمع قيل : وهو الملك . والعبالة الذين أقروا على ملكهم لا يؤزن
عنه ؛ وحضرموت بلدة في اليمن في أقصاها ، وقيل هي أحد تخاليفها . والتبعة
بالمثناة من فوق ثم المثناة من تحت والعين المهملة اسم لأدنى ما يجب فيه الزكاة من
الحيوان : كالخمس من الإبل والأربعين من النعم . قال ابن الأثير : وكأنها الجملة
التي للسعاة عليها مبيع من ناع يتبع إذا ذهب إليه . والتبعة بالكسر الشاة الزائدة
على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، وقيل هي الشاة التي تكون لصاحبها
في منزله يحلبها وليست بساعة ، وهي بمعنى الداجن . والسيوب الرّكاز أخذنا من
السبب وهو العطاء ، قاله أبو عبيدة ؛ وقيل هي عروق الذهب والفضة التي تسهب
في المعدن بمعنى تتلون وتظهر . وقال الزمخشري : هي جمع سبب ، يريد به المال
المدفون في الجاهلية أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى لمن أصابه . والحلاط بالكسر
مصدر خالط ، يقال : خالطه يحالطه خلاطا وخالطة ، والمراد أن يحلط الرجل إبله
بإبل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله تعالى منها ، ويخص المصدق فيما يجب له .
والوراط بالكسر أيضا أن تجعل النعم في هذه من الأرض لتخفي على المصدق ،
ماخوذة [من الورطة] وهي القوة من الأرض . والشقاق بكسر الشين المشاركة
في الشق بفتح النون : وهو ما بين الفريضتين من كل ما يجب فيه الزكاة ، وهو
ما زاد من الإبل على الخمس إلى التسع ، وما زاد على العشر إلى أربع عشرة ، والمراد
أن لا تؤخذ الزائدة على الفريضة . قال ابن الأثير : ويجوز أن يكون معناه المشاركة
في الشق والشقين ، وهو بمعنى الحلاط المتقدم ذكره ، لكن جملة على الأقل أولى ،
لتمتد المعنى . والشغار بكسر الشين والسين المعجمة نكاح معروف في الجاهلية ،
وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه بنته أو أخته ، ويكون بضع كل

منهما صدقاً للأخرى . والأرواحُ جمع راح : وهم الحسانُ الوجوه من الناس .
وقيل : الذين يروعون الناس أى يُفزعونهم بشدة الهيبة . قال ابن الأثير : والأوّل
أوجه . وقوله : ومن أجبى هو بالجيم والباء الموحدة : وهو بيع الزرع قبل بلوغ
صلاحه . وقيل هو أن يُغيب إبله عن المصدق أخذاً من أجباته إذا واريته .
وقيل هو أن يبيع من الرجل سلعةً بئن معلوم إلى أجل معلوم ثم يشتريها منه بالتقد
بأقل من الثمن الذى باعها به ؛ ومعنى أربى وقع فى الربا . والء شايبُ السادة العروس
الزهر الألوان الحسانُ المناظر واحداً مشبوب . والمقورة الألياط المسترخية
الجلود لهاؤها والأقورار الاسترخاء فى الجلود . والألياط جمع ليط : وهو قشر العود ،
شبه به الجلد لاكثرافه بالهم . والضناك بالكسر الكثير اللحم ، ويقال الذكر والإثني
فيه سواء ، والمراد أنه لا تؤخذ المفردة فى السمن كما لا تؤخذ الهزيلة . وقوله :
وأعطوا هو بلغة أهل اليمن بمعنى أعطوا ، خاطبهم صلى الله عليه وسلم بلغتهم . والنجبة
بشاء مثله بعدها باء موحدة ثم جيم هى الوسيط من المال التى ليست من خياره
ولارذائته ، أخذاً من نتيجة الناقة وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . وقوله ثم يكرجرى
فيه على لغة أهل اليمن حيث يُبدلون لام التعريف ميما . قال ابن الأثير : وعلى هذا
فتكون راء بكر مكسورة من غيرتوين لأن أصله من البكر ، فلما أبدلت الألف واللام
ميما بقيت الحركة بها ، ويكون قد استعمل البكر موضع الأيكار . قال : والأشبه
أن تكون بكر متونة ، وقد أبدلت نون من ميما ، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء
قلبت فى اللفظ ميما نحو عتبر ومبتر ، ويكون التقدير ومن زنى من بكر . وقوله
فاصقعو هو بالصاد المهملة والقاف أى أضربوه ، وأصل الصمغ الضرب على الرأس ،
وقيل الضرب بيطن الكف . وقوله : وأستوفضوه هو بالفاء والضاد المخجمة أى
أنفوه ، أخذاً من قولهم : استوفضت الإبل إذا تنفخت [فى رعيها] وقوله : فضرّجوه -

بالضاد المعجمة والجيم أى أتموه بالضرب، ويطلق الضَرْج على الشَّق أيضا .
والأضاميم بالضاد المعجمة الحجارة واحدا إضمائةً، والمراد أَرْجُوهُ بالحجارة . والتوصيم
بالضاد المهملة الفثرة والتواني، أى لا تَهْتَرُوا في إقامة الحدود ولا تَوَانُوا فيها . وقوله :
ولا تُعْثِمَنَّ في فرائض الله - أصل النُّعْمَة السُّرَّة ، أى لا تُسْتَرْفِرْهُنَّ الله ولا تُخْفِي ،
بل تُظْهِرْ ويُجَهِّزْهُنَّ . وقوله : يَرْقُل - أى يَسُودُ وَيَرَأْسُ ، استعارة من
تَرْفِيل الثوب وهو إسباغُه وإرساله ؛ والأَقْيَالُ الملوك وقد تهتمَّ الكلامُ عليه .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بلفظ « هذا كتاب » ويُذكر المقصد فيها بعد ،

وهو قليل الوقوع في المكتبات)

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لقبيلة همدان من اليمن ، فيما ذكره ابن هشام
وهو : « هذا كتاب من عهد رسول الله لمُخْلَافِ خَارِفٍ وأهل جِيَابِ المَضْبِ وحَقَافِ
الرَّمْلِ ، مع وإفديها ذى المشعار ، لِمَالِكِ بْنِ تَحِيَّتٍ وَلِئِنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ
فِرَاعَهَا وَيَوْعَاطُهَا [وعَزَازَهَا] مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ ، يَأْكُلُونَ عِلَافَهَا ، وَيَرْعَوْنَ
عَافِيَهَا ، لَكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَدِمَامُ رَسُولِهِ ، وشَاهِدُكُمْ الْمَاهِرُونَ وَالْأَنْصَارُ » .

وذكر القاضي عياض في « الشفاء » أن في كتابه إليهم : « إِنَّ لَكُمْ فِرَاعَهَا وَيَوْعَاطُهَا
وَعَزَازَهَا ، تَأْكُلُونَ عِلَافَهَا وَتَرْعَوْنَ عَفَاقَهَا ، لَنَا مِنْ دِقَقِهِمْ وَصِرَامِهِمْ مَا سَلَبُوا بِالْيَتَاقِ

(١) كذا في الامهات القوية أيضا وفي شرح الزرقاني على المواهب ج ٤ ص ٣٩ أنه ذوالمشغار
بالمصبتين أو المهملتين .

(٢) في المواهب مالك يدين لام الجبر وأمر به الشاج بدلا مما قبله .

(٣) ضبطه صاحب اللسان بالقصر وضبطه الزرقاني وملا على قارى بالذ .

والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب والتاب والفصيل والفارض والداجن والكش الحورى، وعليهم فيها الصالغ والقارح.

وهذا من نسبة ما تقدم مما يحتاج إلى شرح غريبه : فالفراع بالكسر جمع فرقة، وهو ما أرتفع من الأرض . والوياط جمع وهطة : وهى ما أطمأن من الأرض ؛ والعلاف بالكسر - جمع علف بكَلَّ وجَال، والمراد ما تمتقه الدواب من نبات الأرض ؛ والعزاز - ماصلب من الأرض وأشدَّ وخشن، ويكون ذلك في أطرافها؛ والعفاء العافى - وهو ما ليس لأحد فيه ملك، من قولهم : عفا الأثر إذا دَس، والدفء - نجاج الإبل وما يُتَّق به منها، سُمي دِفًا لأنه يُتَّق من أوبارها ما يُستَدَف به، والمراد هنا الإبل والغنم . والصرام - النخل، وأصله قطع الثمرة ؛ والثلب من ذكور الإبل - الذى هَيرِم وتكسرت أسنانه . والتاب - المُسنة من إناثها . والفصيل من أولاد الإبل - الذى فُصل عن أمه من الرضاع . والفارض - المسن من الإبل، والمراد أنه لا يُؤخذ منهم في الزكاة . والداجن - الشاة التى يعلقها الناس في منازلهم ؛ والكش الحورى منسوب إلى الحور وهى جلود تُؤخذ من جلود الضأن . وقيل : هو ما دُبِغ من الجلود بغير القرظ . والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة : وهو من البقر والغنم الذى كُمل وأتَمى، ويكون ذلك في السنة السادسة، ويقال : بالسين بدل الصاد . والقارح الفرس الذى دخل في السنة الخامسة .

الأسلوب الثالث

(أن تفتتح المكاتبة بلفظ « سَلِّمَ أَنْتَ »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى . وهو فيها ذكره أبو عبيد في " كتاب الأموال " : « سَلِّمَ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَأَكَلَ ذَيْبَحَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ
لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ الرَّسُولِ ؛ فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُجُوسِ فَإِنَّهُ آمِنٌ ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ
عَلَيْهِ الْحِزْيَةَ » .

الطرف الثالث

(في كُتِبَهِ صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكُفْرِ لِلنَّهْيَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ،

وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يُفْتَتَحَ الْكِتَابُ بلفظ « مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فُلَانٍ »

كما في الأسلوب الأول من كُتِبَهِ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْلَ : وهو قَصِيرٌ ، وَقِيلَ
نَائِبُهُ بِالشَّامِ .

وهو على ما ثبت في الصحيحين . « مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ،
سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَى الْهُدَى » .

أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ،
فإن تَوَلَّيْتَ فإنَّ عليكَ إثمَ الأَرِيسِيِّينَ، ويأهلُ الكُتَابِ تَمَآلَوْا إِلَى كَلِمَةٍ مَسْوَءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
فإن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .

وذكر أبو عبيد في "كتاب الأموال" : أنَّ كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هِرَ قَل
كان فيه .

"من عهد رسول الله إلى صاحب الروم، إني أدعوك إلى الإسلام: فإن أسلمت فلَكَ
مَالُ السَّامِيِّينَ وَمَلِكُكَ مَالَهُمْ، وإن لم تَدْخُلْ في الإسلام فَأَعِطِ الْحِزْبِيَّةَ، فإنَّ الله تعالى
يقول : قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ
وإلا فلا تَحُلْ بَيْنَ الْفَلَاحِينَ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ" .

قال أبو عبيد : وأراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأنَّ الحِجَمَ عند العرب كلُّهم
فَلَّاحُونَ لأنَّهم أهل زرع وحرث .

وفي مسند البزار أنه صلى الله عليه وسلم كتب إليه : « من عهد رسول الله إلى
قَبِيصَ صَاحِبِ الرُّومِ » .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كِسْرَى أَرْوِيَزَ^(١) : ملك الفرس فيما ذكره
أَبْنُ الْجَوْزِيِّ ، وهو :

(١) فتح الروادكرها وبقائه أروازوسناه بالبرية المنقورة - اه الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٢٨٩ .

”من عهد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .

سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك ببداية الله عز وجل
فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ،
وأسلم تسلم فإن توليت فإن إثم الجحوس عليك .“



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب مصر . وهو فيما ذكره
أبن عبد الحكم .

(١)

”من عهد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من أتبع الهدى .

أما بعد ، فإني أدعوك ببداية الإسلام ، فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك
مرتين ، فإن توليت فليكن إثم القبط . يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله
فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون .“

وذكر الواقدي أن كتابه إليه كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن فيه

”من عهد رسول الله إلى صاحب مصر .

أما بعد ، فإن الله أرسلني رسولاً وأنزل عليّ قرآنًا ، وأمرني بالإنذار والإنذار
ومقاتلة الكفار حتى يدينوا يديني ويدخل الناس في مليتي ، وقد دعوتك إلى الإقرار
بوحديته ، فإن فعلت سعت ، وإن آبيت شقيت ، والسلام .“

(١) أسهم جميع من بينا من قروب كما ذكره الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٣٩٧ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي: مَلِكِ الْحَبَشَةِ . وهو فيما ذكره
أَبْنُ إِصْحَاقَ :

”من عهد رسول الله إلى النجاشي مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، إلى أَحْمَدَ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسَ السَّلَامَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيِّمَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ ،
حَمَلَتْهُ مِنْ رُوحِهِ وَفَضَّلَهُ ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ . وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَنْ تُقِيمَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُتُوكَ إِلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ بَلَغْتُ وَنَصَحْتُ ، فَاقْبَلُوا نَصِيحِي . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَبْنَ عَمِّي جَعْفَرًا
وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَى الْمَدِيْنَةَ“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هَوْتَةَ بْنِ عَلِيٍّ : صَاحِبِ الْيَمَامَةِ ، وَكَانَ
نَصْرَانِيًّا . وهو فيما ذكره المصلي :

”من عهد رسول الله إلى هَوْتَةَ بْنِ عَلِيٍّ .
سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَى الْمَدِيْنَةَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ دِيْنِي سَيُظْهَرُ إِلَى مُتَنَاهِي الْخَلْفِ وَالْحَافِرِ ،
فَأَسْلِمْتُ ، وَأَجْعَلُ لَكَ مَاتَحَتَ يَدَيْكَ“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نَصَارَى تَجْرَانَ . وهو فيما ذكره صاحب
”الْمَدِيْنَةِ الْمَدِيْنَةِ“ .

(١) هو بفتح الهاء كما في الصحاح وقل الحميري منها والواو ساكنة على كل حال .

بسم الله الرحمن الرحيم ، لله إبراهيم وإسماعيل ويعقوب .

أما بعد ، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أريدتم فالجزية ، فإن أريدتم فقد آذنتكم بحرب الإسلام .

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى جعفر وعبد أبي الجندى ملكي عمان . وهو : « من عهد رسول الله إلى جعفر وعبد أبي الجندى ، سلام على من أتبع الهدى .

أما بعد ، فإني أدعوكم بدعاية الإسلام ، أسلمنا تسلمنا ، فإني رسول الله إلى الناس كافة لا تذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وإنك إن أقررتنا بالإسلام ولينكنا ، وإن أبيتنا أن نهرأ بالإسلام فإن ملككنا زائل عنكنا ، وخلي نحل إساحكنا ، وتظهر نبؤتي في مائ ككنا . وكتب أبي بن كعب » .

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في « كتاب الأموال » أنه كتب إليهما .

« من عهد رسول الله لعباد الله أسيد بن مئوك عثمان ، وأسيد عثمان : من كان منهم بالبحرين ، فإنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حق النبي صلى الله عليه وسلم ونسكوا نسل المسلمين ، فإنهم آمنون ، وإن لم يأمروا عليه ، غير أن مال بيت النار ثلثا لله ورسوله ، وإن عشور الثمر صدقة ، ونصف عشور الحب ، وإن للمسلمين نصرتهم ونصحتهم ، وإن لم يعل المسلمون مثل ذلك ، وإن لم أرعاء يطحنون بها » .

قال أبو عبيد : وبعضهم يرويه لعباد الله الأسبين. أسما أعجميا نسبهم إليه .
قال : وإنما سمو بذلك لأنهم فسبوا إلى عبادة قرآن ، وهو بالفارسية أسب فسبوا
إليه ، وهم قوم من القرمن وفي رواية من العرب .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب في جواب كتابه إليه
صلى الله عليه وسلم : أنه إن جعل لله الأمر بعده آمن به .
وهو : « من عهد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من أتبع الهدى ،
أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . »

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بلفظ « أما بعد » وهو أقل وقوعا مما قبله)
فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل تجران ، ودينهم النصرانية .
وهو فيما ذكره ابن الجوزي .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لله إبراهيم وإسماعيل ويعقوب .
أما بعد : فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله
من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد أدتكم بحرب الإسلام . »

(١) كنا في الأصول والمناسبات لما تقدم له في اختتام الكتب ما في "مفتاح الأفكار" هي "بحر
والسلام" .

الأسلوب الثالث

(أن يفتح الكتاب بلفظ « هذا كتاب »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم مع رفاعه بن زيد إلى قومه . وهو فيما ذكره ابن إسحاق .

« هذا كتاب من عند رسول الله لرفاعة بن زيد ، إلى بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم فبي حبيب الله وحبيب رسوله ، ومن أذبر فله أمان شهرين » .

قلت : وقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى جماعة غير من تقدم ، لم أقف على صورة ما كتب إليهم ، بجيلة بن الأيهم النساني ، وذى الكلاع الحميري وغيرهم ، وستأتي كتبه صلى الله عليه وسلم في معنى الولايات والإقطاعات والمُدن والأمانات في مواضعها إن شاء الله تعالى .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الرابعة

(فى الكُتُبِ الصادرة عن الخلفاء ، وهى على قسمين)

القسم الأول

(المكتبات إلى أهل الإسلام ، وفيه تسعة أطراف)

الطرف الأول

(فى الكُتُبِ الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فى المكتبات الصادرة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

وكانت تُفتتح بلفظ : « من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان »
وباقى الكتاب من نسبة كُتُبِ النبي صلى الله عليه وسلم من التصدير بالسَّلام
والتَّحْمِيد ، والتَّخْلُصُ بأما بعدُ ، والاختتام بالسَّلام وما يجرى هذا التجزئ ، مع لزوم
الخطاب بالكاف وتاء المخاطب للواحد ، وبالثنائية للثنين ، والجمع للجماعة . وعنوانها
« من أبى بكر خليفة رسول الله » فى الجانب الأيمن ثم « إلى فلان الفلانى »
فى الجانب الأيسر على ما يقتضيه الترتيب المتقدم .

وهذه نسخة كتابه رضى الله عنه إلى أهل الرِّدة حين أرتكوا عن الإسلام بعد
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وهو على ما ذكره صاحب "نهاية الأرب"

"من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على الإسلام أو رجّع عنه :

سلام على من أتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ؛ فإنني أحمد
إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً
عبدُه ورسولُه ، وأقر بما جاء به [وأكفر من أبي وأجاهله] .

أما بعد ، فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى
الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، يهدي الله
لحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى
صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً ؛ ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد نفذ لأمر
الله ، ونصح لأئمة ، وقضى الذي عليه ؛ وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام
في الكتاب الذي أنزله ، فقال : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وقال : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ
مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) وقال للمؤمنين : (وَمَا عِدَّ الْإِسْلَامُ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ
يُضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن
كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد ، حتى قيوم لا يموت ولا تأخذه
سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من صدقه يحزبه ، وإني أوصيكم بتقوى الله
وحظكم ونصيحتكم من الله ، وما جاء به نبيكم ، وأن تهتدوا بهديه ، وأن تعتصموا بِدِينِ
الله ، فإن من لم يهد الله ضل ، وكل من لم يلفه مبتلى ، وكل من لم ينصره مخلول .

فَمِنْ هَٰذَا اللَّهُ كَانَ مَهْدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا : (مَنْ يَدَّ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْدِي وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ يَجِدَهُ وَلِيًّا مَرِئِيًّا) ولم يُقبل منه في الدنيا عملٌ حتى يُقرَّبَه ، ولم يُقبل له في الآخرة صَرفٌ ولا عَدْل .

وقد بلغني رجوعٌ من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرب بالإسلام وعمل به ، أغترارًا بالله وجهالةً بأمره ، وإجابةً للشيطان ، وقال الله جل ثناؤه : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) . وقال جل ذكره : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وإني أنفقت إليكم فلتانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يُقاتل أحدًا ولا يُقتله حتى يدعوه إلى داعية الله ؛ فإني استجاب له وأقرب وكف وعمل صالحًا ، قيل منه وأعطاه طيه ؛ ومن أبي أمرته أن يُقاتله على ذلك ، ولا يُبقَى على أحدٍ منهم قدر طيه ، وأن يُحرقهم بالنيران ، ويقتلهم كل قتلة ، ويبقى النساء والنراير ، ولا يُقبل من أحدٍ إلا الإسلام ؛ فمن آمن فهو خير له ، ومن تركه فلن يحجز الله . وقد أمرت رسولي أن يقرأ كلَّ كتابي في كلِّ مجمعٍ لكم ، والباعية الأذان ، فإن أذن المسلمون فأذنوا ، كفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا [طاجلهم ، وإن أذنوا] سلوهم ما عليهم ، فإن أبوا طاجلهم ، وإن أقروا قيل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم .

(١) في البرقية ج ٢ ص ٧٠ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ "فمن أتبعه"

(٢) الزيادة من رماية الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الصادرة عن بقية الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وهي على أسلوبين :

الأسلوب الأول

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ «من فلان إلى فلان»)

يقال إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما صارت الخلافة إليه بعد أبي بكر، كان يكتب في كتبه : «من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان» فلما تلقب أمير المؤمنين على ما تقدم في المقالة الثالثة، أثبت هذا اللقب في كتبه، وزاد في ابتدائها لفظ «عبد الله» قبل اسمه، ليكون اسمه نعتاً له^(١)، فكان يكتب : «من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى فلان» وباقي الكتاب على ما مر في كتب النبي صلى الله عليه وسلم والصديق بعده في التصدير والتعير من نفسه بلفظ الإفراد، مثل أنا ولي وصلى، وعن المكتوب له بكاف الخطاب : مثل لك وطيلك، وتاء المخاطب : مثل قلت وفعلت، وتبعه الخلفاء على ذلك . وعنوانها «من عبد الله فلان أمير المؤمنين» في الجانب الأيمن، ثم «إلى فلان الفلاني» في الجانب الأيسر كما تقدم ترتيبه .

فمن ذلك ما كتب به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو يومئذ أمير مصر، وهو :

(١) له «تبا له» .

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلام عليك .

أما بعد ، فقد بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبد ، وعهدى بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكذب إلى من أين أصل هذا المال . »



ومن ذلك ما كتب به معاوية بن أبي سفيان في خلافته إلى ابنه يزيد ، وقد بلغه مقارفته اللذات ، وأنها كحل الشبهات ، وهو :

« من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية .

أما بعد ، فقد أدت السنة التصريح إلى أذن العناية بك ما بجمع الأمل فيك ، وبإدعاء الرجاء منك إذ ملأت العيون بهجة ، وألقت هبة ؛ وترامت إليك آمال الراغبين ، وهم المتنافسين ؛ وتحت بك قيان قريش وكهول أهلك ، لما يسوغ لهم ذكرك إلا على الحرمة الموهوبة ، والكف الجشء . اقتضت البوائق ، واقتدت للمعاري ، واعتضبتا من سمو الفضل ، ورفع القدر ، فليتك يزيد إذ كنت لم تكن . سررت يافعا ناشئا ! وأكلت كهلا ضالعا ، فوآخزناه طليكَ يزيد ! وياحَ صدر المُنكَلِ بك ! ما أثمرت قيان بنى هاشم ! وأذل قيان بنى عبد شمس ! عند تفاوض المفاحر ودراسة المناقب ! فمن لصلاح ما أفسدت ، ورتقي ما فقتت ؟ هيات تهمشت الذربة وجهه الصبر بك ، وآيت العناية إلا تحسدا على الألسن ، وحلاوة على المناطق ، ما أرتج فائدة نالوها ، وفرصة أتتهزوها ! ؛ أنقذ يزيد للفظه ، وشاور الفكره ، ولا تكن إلى تميم أسرع من معناها إلى عقلك . وأعلم أن الذي وطأك وسوسة الشيطان ، وزحرفة السلطان ، مما حسن عندك قبحه ، وأحلو لك عندك مُره ، أمر شركك فيه

السَّوَادُ وَنَافِسَكُ الْأَعْبُدِ ، لَا لِأَثَرَةٍ تَدْعِيهَا أَوْ جَبَّتْهَا لَكَ الْإِمْرَةُ ، وَأَضَعْتَ بِهَا مِنْ قَدْرِكَ ، فَا مَكُنْتَ بِهَا مِنْ نَفْسِكَ ، فَكَأَنَّكَ شَأْنِي نَفْسِكَ ، فَمِنْ لِهَذَا كَلِمَةُ ؟ .

إِعْلَمْ يَا زَيْدُ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ وَأَسِيرُ الْحَيَاةِ ، بَلَفَنِي أَنَّكَ أَتَخَلَّصْتَ الْمَصَابِعَ وَالْمَجَالِسَ لِلْمَلَاحِي وَالْمَزَامِيرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَابِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴾ وَأَجْهَرْتَ الْفَاحِشَةَ حَتَّى أَتَخَلَّصْتُ سَرِيرَتَهَا عِنْدَكَ جَهْرًا .

إِعْلَمْ يَا زَيْدُ أَنَّ أَوَّلَ مَا سَلَبَكَ الشُّكْرَ مَعْرِفَةُ مَوَاطِنِ الشُّكْرِ عَلَى نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ ، وَالْآيَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، وَهِيَ الْحَرَجَةُ الْعُظْمَى ، وَالْفَبْجَةُ الْكُبْرَى : تَرْكُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَحْدُثُ مِنْ آفَاتِهَا ، هُمْ أَسْعِجُ سَائِلِ الْعُيُوبِ ، وَرُكُوبِ الذُّنُوبِ ، وَإِظْهَارُ الْعَوْرَةِ ، وَإِباحَةُ السَّرِّ : فَلَا تَأْمُنْ نَفْسَكَ عَلَى مِيرِكَ ، وَلَا تَعْقِدْ عَلَى فِعْلِكَ . فَا خَيْرُ لَدَةِ تُعْقِبُ النِّدَمَ ، وَتُعْفَى الْكَرَمَ ؟ وَقَدْ تَوَقَّفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ شَطْرَيْنِ مِنْ أَمْرِكَ ، لَمَّا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ غَلَبَةِ الْآفَةِ وَأَسْتِهْلَاكِ الشُّبُهَةِ . فَكُنِ الْحَاكِمَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَاجْعَلِ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ ذِهْنَكَ تَرْتُدُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَلِيُتْلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَرُدُّ شَارِدًا مِنْ نَوْمِهِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ نُصَبَ الْأَعْتَرَالِ مِنْ كُلِّ مُؤَانِسٍ ، وَدُرَّةُ الْأَلْسَنِ الشَّامِتَةِ ، وَقَفَّكَ اللَّهُ فَاحْسَنَ .

الأسلوب الثاني

(أَنْ يُفْتَحَ الْكَلْبُ بِقِطْعَةٍ «أَمَّا بَعْدُ»)

وَهُوَ عَلَى مَا خَتَمَ خِلَا الْإِبْتِدَاءِ وَالتَّصْدِيرِ بِالسَّلَامِ وَالتَّحْمِيدِ ، وَيَكُونُ الْاِفْتِتَاحُ فِيهِ بِالْمَقْصِدِ ، كَمَا كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ حِينَ نَحَرَ عَلِيٌّ إِلَى الْبَيْتِ وَأَخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عُمَانٍ .

(١) لَهُ دَرَجَةٌ وَهِيَ الْخَلْقَةُ الَّتِي يَعْلَمُ عَلَيْهَا الْعِلْمُ .

أما بعدُ، فقد بلغ السيلُ الزبيءُ ^(١) [وجاوزَ] الحِزَامَ الطَّيِّبِينَ، وطَمَعَ في كُلِّ مَنْ
كانَ يَضَعُفَ [عن الدِّعْ] عن نفسه، ولم يَتَّقِكَ مِثْلُ مُقَلَّبٍ، فاقْبَلْ إِلَى صَدِيقًا
كَتَّ أَوْ عَلَوًا :

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُؤُولًا، فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ * وَإِلَّا فَأَذِرْ كُنِي وَلِمَا أُمِرْتُ

الطرف الثاني

(في الكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ خَلْفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ)

وهي على ما تَهَيَّأَ من الكُتُبِ عن الخلفاء من الصَّحَابَةِ في التصدير والتعبير، إلا
أنه يسبِّرُ عن الخليفة بأمير المؤمنين، وربما صَبَّرَ عنه بلفظ الأفراد . مثل : فَعَلْتُ
وَأَفْعَلْتُ وما أشبه ذلك؛ أما الخطاب للكتاب له فكان الخطاب وتاء المخاطب،
مثل : إِنَّكَ أَنْتَ قَلْتَ كَذَا، وَفَعَلْتَ كَذَا، وما أشبه ذلك . وضوئها : « من عبد الله
فلان أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن، ثم « إلى فلان الفلاني » في الجانب الأيسر .
ثم هي على أسلوبيين :

الأسلوب الأول

(أن يَفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « من عبد الله فلان أمير المؤمنين إلى فلان »)

كما كتب عبد الملك بن مروان إلى الجُحَّاجِ بن يوسف - وقد بلغه تَعَرُّضُهُ لَأَنْتَسِ
أَبْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - « من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الجُحَّاجِ
أَبْنِ يَوْسُفَ

أما بعد، فإنك عبدٌ حلت بك الأمورُ فطعنت، وغلوت فيها حتى جُزئت حدُّ قدرِكَ، وعَلَوَت طُورُكَ . وإيَّم الله لأَعْمَزَنَّكَ كِبَاضُ عَمَزَاتِ الْيُوثِ الثَّعَالِبِ ! وَلَا رَكْضَتَكَ رَكْضَةً تَدْخُلُ مِنْهَا فِي وَجَعَاءِ أُمِّكَ ، اذْكُرْ مَكَايِبَ آبَائِكَ فِي الطَّائِفِ ، اذْكَانُوا يَنْقَلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، وَيَحْفِرُونَ الْآبَارَ وَالْمَنَاهِرَ بِأَيْدِيهِمْ ! ، قَدْ تَسَيَّتَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَأَبَاؤُكَ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِطَالَةَ مِنْكَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ جُرْأَةً مِنْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغِرَّةً بِمَعْرِفَةِ غَيْرِهِ وَنِقَاتَهُ وَسَطَوَاتِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَ مَبِيلَهُ ، وَعَمَدَ إِلَى غَيْرِ مَحَجَّتِهِ ، وَنَزَلَ عِنْدَ مُخْطَطِهِ ، وَأَطْلُكَ أُرِدْتَ أَنْ تَرُوزَهُ بِهَا فَعَلِمَ مَا عِنْدَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّنْكِيرِ فِيهَا ، فَإِنْ سَوَّقَهَا مَضَيْتَ قُدَمَا ، وَإِنْ غَضِبْتَ بِهَا وَلَيْتَ دُبْرًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْأَخْفَشُ الْعَيْنِي ، الْأَصْلُ الْرَحْلِي ، الْمَسْوُوحُ الْجَاعِرَيْنِ ، وَلَنْ يَنْجُوَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَبِيُّكَ ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكاتب بلفظ «أما بعد» ويقع الشروع منه في المقصد)

كما كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام - وقد بلغه خلافتهم عليه .

«أما بعد، فإن الله لا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأْتُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ مُسْوَءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ . لَئِي وَافَقَهُ قَدْ لَيْسْتُمْ فَخَلَقْتُمْ ! وَرَفَعْتُمْ عَلَى رَأْسِي ، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي ، ثُمَّ عَلَى قَمِي ، ثُمَّ عَلَى بَطْنِي ؛ وَإِيَّمُ اللَّهُ لَئِنْ وَضَعْتُمْ

(١) في مفتاح الأنكار ص ١٨١ "طعت" وهي أقرب إلى المعنى وفيه في آخر الكتاب زيادة فراجع .

(٢) في "مفتاح الأنكار" ضليك لمة الله من عبد أخفش الخ .

تحت قدي لأطانتكم وطاة أقل بها عندكم ، وأترككم بها أحاديث تمسخ منها أخباركم كأخبار عاد وممود .

وكما كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة ، وهو عامله على بعض النواحي .
 "أما بعد ، فإذا أمكنتك القدرة على المخلوق ، فأذكر قدرة الخالق عليك ! وأمل أن
 مالك عند الله مثل ما للرعية عندك" .

وكما كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص إلى مروان بن محمد - وقد بلغه عنه
 تلك في بيته - .

"أما بعد ، فإني أراك هدم رجلا وتوخر أخرى ، فإذا أتاك كتابي فاعتمد على أيهما
 شئت والسلام" .

قلت : ولم يزل الأمر في المكتبات في الدولة الأموية جاريا على سنن السلف ،
 إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك ، بختود القراطيس ، وجلل الخطوط ، وتعم المكتبات ؛
 وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ، إلا عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن الوليد
 المقدم ذكره ، فلهما جرأ في ذلك على طريقة السلف ؛ ثم جرى الأمر بعدهما على
 ماسنه الوليد بن عبد الملك ، إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم ،
 وكتبه عبد الحميد بن يحيى - وكان من اللسن والبلاغة على ما أشتهر ذكره - فاطال
 الكتب وأطنب فيها ، حيث أقضى الحال تطويلها والإطناب فيها ، حتى يقال :
 إنه كتب كتابا عن الخليفة جاء وقرب جيل ، وأستمر ذلك فيما بعده .

الطرف الثالث

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس بنفداد
وولاية العهد بالخلافة، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في بيان ترتيب عُقْبَتِهِمْ في الرسائل على سبيل الإجمال)

كانوا يفتحون أكثر عُقْبَتِهِمْ بلفظ « من فلان إلى فلان » وتارة بـ « أما بعد »
وربما أفتحوها بغير ذلك ؛ فأما أفتتاحها بلفظ من فلان إلى فلان فكان يُكْتَب
عنهم في أول دولتهم كما كان يُكْتَب عن خلفاء بني أمية ، وهو « من عبد الله فلان
أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو »
ثم يتخلص إلى المقصود بلفظ أما بعد . إلا أنهم زادوا بعد اسم الخليفة لفظ
« الإمام الفلاني » بلقب الخلافة ، فكان يقال : « من عبد الله الإمام الفلاني
أمير المؤمنين » فلما صارت الخلافة إلى الرشيد زاد بعد التمجيد « ويسأله أن يصلي
على عهد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » فلما وليَّ أبنته الأمين آكتنى في كتبه
وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك .

وقد اختلف في تقديم الأسم والكُنية واللقب ، والذي رتبّه أبو جعفر النحاس
في « صناعة الكتاب » تقديم الأسم على الكُنية وتقديم الكُنية على اللقب . مثل
أن يقال : « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » ثم قال :
وهذه المكتبة هي التي أصطلح عليها في الأمور السلطانية التي تُنشأ بها الكتب من
الدواوين ، إلا أن بعض العلماء قد خالفهم في هذا ، وقال : الأولى أن يُبدأ

باللقب، مثل أن يقال «من الراضى» أو «المتوكل» وما أشبه ذلك، كما قال الله جل وعز: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وذلك لأن اللقب لا يشاركه فيه غيره، فكان أولى أن يُبدَأَ به .

وترتيب المكتبة على ما ذكره في «صناعة الكُتُب» أن يكتب : «من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين، سلام عليك؛ فإن أمير المؤمنين يمدُّ إليك الله الذى لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلى على عهد عبده ورسوله». ثم يفصل ببياض يسير، ويكتب «أما بعدُ فإن كذا وكذا»؛ ثم يأتي على المعنى، فإذا فرغ من ذلك وأراد أن يأمر بأمر، فصل ببياض يسير، ثم يكتب : «وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ورأى أن يكتب إليك بكذا»، فيؤمر بامتنال ما أمر به والعمل بحسبه؛ ثم يفصل ببياض ويكتب : فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين، وأعمل به، إن شاء الله تعالى. «وكتب فلان بن فلان» باسم الوزير وأسم أبيه، يوم كذا، من شهر كذا، من سنة كذا . وقد يكتب فى أواخر المكتبة بعد استيفاء المقصود : «هذه مناجاة أمير المؤمنين لك» أو «هذه مقاضة أمير المؤمنين لك» .

ويقال : فى السلام على أعلى الطبقات من المكتوب إليهم «والسلام عليك ورحمة الله» وربما قيل : «ورحمة الله وبركاته» .



وأما افتتاحها بلفظ أما بعد، فنالِب ما يقع فى الكتب المطلقة : كالْبُشْرَى بالفتوح وغيرها. ثم تارة يعقب البعديَّة بالحمد لله، إما مرة أو أكثر، وغالب ما يكون ثلاث، وتارة يعقب بغير الحمد .



وأما الافتتاح بنير هذين الافتتاحين، فتارة يكونُ بالدعاء، وتارة يكونُ بنيره ، ويكونُ التعبير عن الخليفة في كتبه الصادرة عنه « بأمر المؤمنين » على ما تقدم في خلافة بنى أمية .

ثم إن كان المكتوبُ إليه معيَّنًا، فالذى كان عليه الحال في أوَّل دولتهم أن يُكتب إليه باسمه ؛ ثم لما تغلب بنو بويه على الخلفاء وظلُّوا عليهم ، وطعت كلمتهم في الدولة وتلقَّبوا بفلان الدولة وفلان الملة ، فكان يُكتب إليهم بذلك في الكتب إليهم ؛ ثم لما كانت الدولة السَّلاجقية في أواخر الدولة العباسية ببغداد ، استعملوا كثرة الألقاب للكتب إليهم عن الخليفة في صدر المكتبة . قال في « موادَّ البيان » : ولا يخاطبُ أحدٌ عن الخليفة إلا بالكاف . وقد يخاطبُ الإمام وزيره في المكتبة الخاصة بما يرقعه فيه عن خطاب المكتبة العامة الديوانية ، ويتصرَّف في ذلك ويُزاد ويُنقص على حسب لطافة عمل الوزير ومترئيه من الفضل والجلالة .

قال في « ذخيرة الكلب » : ويكونُ الدعاء من الخليفة لمن يكتبه على قدر موضعه من خدمته ومحلِّه عنده ؛ وقد تقدَّم أن أعلى الدعاء كان عندهم بإطالة البقاء ؛ ولذلك كان يُدعى للملك بنى بويه فن بعدهم بلفظ : « أطال الله بقاءك » وقد تقدَّم في المقالة الثالثة في الكلام على مقادير قطع الورق وما يناسب كلَّ قطع من الأقسام أنه إن كانت المكتبة عن الخليفة ترك الكاتبُ من رأس الدُّرج قدر ذراع بيضاء ؛ ثم يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج يسيرًا من عبد الله إلى آخر التصدير الذى يليه أمَّا بعد ، وأن التصدير يكون في سطرين .

بينهما قضاء قدر شبر، لا يزيد عن ذلك ولا ينقص؛ ثم يترك بعد هذين السطرين قضاءً بنصف ما بين الأولين فيما ذكره في "موادّ البيان" : وبقدومه فيما ذكره في "ذخيرة الكتاب" ثم يقول : أما بعد، ويأتى على المكتبة إلى آخرها على هذا النحو .

أما عنوانه كتبهم، فكانت في أول دولتهم : « من عبد الله فلان الإمام الفلاني » أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن، وفي الجانب الأيسر « إلى فلان بن فلان » . ثم زاد المأمون في أول عتواناته « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولما تكثرت الأئمة في كتبه بعد ذلك زيدت الكنية في العنوان، فكان يكتب في الجانب الأيمن « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني » وفي الجانب الأيسر، « إلى فلان ابن فلان » . وقد تهتم في الكلام على ترتيب المكتبات أن البسمة بقيت في العتونة إلى زمن النعاس في خلافة الراضي ، وأن صاحب "موادّ البيان" ذكر أنها بطلت منه بعد ذلك .

قال النعاس : فإن كان المكتوب إليه من موالى بنى هاشم ، تُسبب إلى ذلك ، وإن لم يكن ينسب إليهم تُرك .

الجملة الثانية

(في الكتب العامة ، وهي على أسلوبيين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « من فلان إلى فلان »)

بأن يكتب « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » إلى آخر

المكتبة على ما تقدم ترتيبه .

وهذه نسخة كتاب من ذلك كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله إلى
صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه بسبب كردويه ، الخارج عن الطاعة ، وليس
فيه تكتية لخليفة وهو .

من عبد الله « عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين » إلى صمصام الدولة
وشمس الملة أبي كالجبار بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بَوَّأَكَ المَنَزلةَ العُلَيَّا ،
وأنا لك من أثرته الغاية القُصوى ؛ وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة
رحمة الله عليه من القدر والمحل ، والموضع الأرفع الأجل ؛ فإنه يُوجب لك عند
بذلك أثرًا يكون لك في الخلد ، ومقام حمد تقومه في حاية اليضة ؛ إنعامًا يظاهاه ،
وأكرامًا يتابعه ويؤاثره . والله يؤيدك من توفيقه وتسديده ، ويمتلك بمعوته
وتأييده ؛ ويغير لأمر المؤمنين فيما رآه مستمر عليه من مزيدك وتمكينك ، والإبقاء
بك وتعظيمك ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنبئ .

وقد عرفت - أدام الله عزك - ما كان من أمر كردويه كافر نعمة أمير المؤمنين
ونعمتك ، وجاحد صنيعته وصنيعتك ، في الوثبة التي وثبها ، والكيرة التي أرتكبها ؛
وتقريره أن يتهنر الفرصة التي لم يمتكنه الله منها ، بل كان من وراء [ذلك] دغفه ورده
عنها ؛ ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله نأرها ، وقنعه طارها وشأرها ؛ حتى أنهزم
والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة على أقبح أحوال الذلة والقلّة ، بعد القتل
الدرّيع ، والإثم الخان الوجيع ؛ فالحمد لله على هذه النعمة التي جَلَّ موقعها ، وبأن على

الخاصة والعامة أثرها، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرها، والحديث بها، وهو المسؤول إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يُجَارِكَ عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المجيد الكريم ؛ بِجَلْعِ تَامَةٍ ، ودَابَّتَيْنِ ومركبين ذهباً من مرأكبِهِ ، وسَيْفٍ وطَوْقٍ وسوارٍ مرصَّعٍ ؛ فتلقى ذلك بالشكر عليه ، والاعتداد بنعمته فيه ، وألبسَ خَلْعَ أمير المؤمنين وتكريمته ، وسرَّ من بابه على حملاته ، وأظهر ما حباكَ به لأهل حضرته ، لِعِزِّ الله بذلك وليِّهِ ووليِّكَ ، ويُنْذِلُ عدُوَّهُ وعَدُوَّكَ ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .
(وكتب أحمد بن محمد ثمان إن بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة) أطال الله بقاءك ، وأدام عزَّكَ ، وأحسنَ حفظك وحياطتك ، وأمتعَ أمير المؤمنين بك ، وبالنعمة فيكَ وعِندَكَ .



وهذه نسخةُ خطابٍ آخر من ذلك أيضاً، كُتِبَ به عن المقتنى لأمر الله إلى السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في تعزية بوليد مات له ؛ وفيه تكنية انخليفة وتقديم التكنية على الأسم وكثرة الألقاب للكتوب إليه وهو .

« من عبد الله أبي عبد الله محمد المقتنى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى شاهنشاه المعظم مولى الأمم ، مالك رِقَابِ العرب والعجم ؛ جلالِ دين الله ، ظهير عِبَادِ الله ؛ حافظ بلاد الله ، مُعَيِّن خليفة الله ؛ غِيَاثِ الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين ؛ محيي الدولة القاهرة ، مُبْرِزِ الملة الزاهرة ، عماد الملة الباهرة ، أبي الفتح » مسعود ابن محمد ملكشاه « قسم أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يَحْدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَصَلِّيَ عَلَى عَهْدِ عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَيُسَلِّمَ تَسْلِيمًا .

أما بعد ، أطال الله بقاءك ! وأدام عزك وتأييدك وسعادتك ونعمتك ، وأحسن
حفظك وكلاءك ورعايتك ؛ وأمتع أمير المؤمنين بك ، وبالنعمه الخليله والموهبه
الجزيلة والمئنه النفيسه فيك وعندك ، ولا أخلاه منك ! ، فإن أولى من أدرع للحوادث
جُبّة الإصطبار ، ونظر أحوال الدنيا في قلبها بين الاعتبار ؛ ورجع إلى الله تعالى
في قدره وقضائه ، وسلم لأمره الذي لا راد له في امتحانه وأبتلائه ، وعرف أنّ له
سبحانه في كلّ ما يُخْرِجُهُ عَلَى عِبَادِهِ حِكْمَةً بَاطِنَةً ، ومصلحةً كَامِنَةً ؛ من خير عاجل
يُنْشُرُهُ ، وثوابٍ أَجَلٌ يُؤْتِيهِ لِمَنْ إِلَى يَوْمِ الْجَزَاءِ وَيُدْنِيهِ ؛ وفائدةً هُوَ أَدْرَى بِهَا وَأَعْلَمُ ،
وفعله فيها أَهْنٌ وَأَحْكَمُ ؛ مَنْ خَصَّهُ بِمَا خَصَّكَ اللهُ بِهِ مِنَ الدِّينِ الرَّاجِحِ ، وَالْخَلْقِ
الصَّالِحِ ، وَالْمَعْتَقَدِ الْوَاضِحِ ؛ وَالنَّعَمِ الَّتِي جَادَكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُقَامِ مَحَابِبِهَا ، وَأَسْعَتْ
بَيْنَ يَدَيْكَ عِنْدَ مَضَايِقِ الْأُمُورِ رَحَابِهَا ، وَأَنْسَتْ إِذَا اسْتَوْحَشْتَ مِنَ الْعَاجِزِينَ عَنْ
أَرْتِبَاطِهَا بِالشُّكْرِ مَحَابِبِهَا ؛ وَالْمَنَاقِبِ الَّتِي فَرَعَتْ بِهَا صِهَوَاتِ الْمَجْدِ ، وَتَمَلَّكَتْ رِقَ النَّبَاءِ
وَالْحَمْدِ ، وَطَوَّتْ فِيهَا عَنِ الْمَسَاجِلِ وَالْمُطَاوِلِ ، وَبَعْدَ احْضَرَّكَ مِنْهَا عَنِ أَنْ تَتَالَهَ يَدُ
الْقَائِمِ الْمُحَاوِلِ . وَتَأْذَى إِلَى حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَمْتَعَهُ اللهُ بِبَقَائِكَ ، وَدَافِعَ لَهُ عَنِ
حَوَائِلِكَ ^(١) نَبَأُ الْحَادِثَةِ بِسَبِيلِكَ الَّذِي آخَرَهُ اللهُ لَهُ كَرِيمَ جَوَارِهِ ، فَاحْبَبَ لَهُ الْإِنْتِقَالَ
إِلَى مَحَلِّ الْقُوَّةِ وَمَدَارِهِ ، فَوَجَدَ لِنَاكَ وَجُوهًا مَوْقِرًا ، وَهَمًّا لِسُبُحَانَ مُنْقَرًا ، وَتَوَزُّعًا
تَهْتَضِيهِ الْمَشَارِكَةُ لَكَ فِيمَا سَاوِيَتُهُ (؟) وَالْمُسَاهِمَةُ الْخَاصِلَةُ فِي كُلِّ مَاحَلٍّ مِنَ الْأُمُورِ وَأَمْرَةٍ ،
وَأَمْرٍ عِنْدَ وَرُودِ هَذَا الْخَبَرِ بِالتَّصَدُّى لِلْعَزَاءِ ، وَإِعْلَانِ مَا يُعْلَنُ عَنْ مَقَامِئِكَ فِي الضَّرَاءِ
- دَفَعَهَا اللهُ عَنْكَ - وَالْعَمْرَاءِ - وَتَدَبُّعِ بَعْثَا مِنَ الْخَلْقِ الْمُطِيفِينَ بِشَرِيفِ سُدَّتِهِ ،

(١) الحواريه النفس انظر القاموس .

المختصين بعزیزِ خلعتہ ؛ بتعزیتِ تصوّتہ لباس التعزیه ، ویستدنی بتقمصہ طازب التسلیہ ؛ إبانۃ عن أنصراف الهمم الإمامیۃ إلیک فیما خصّ وعمّ من حالک ، وأستجلیہ لک دواعی المسار فی حلّک وترحالک ؛ وکون الأفكار الشریفۃ موکلةً بكل ما حمی من الروائع قلبک ، وأعذب شربک ؛ وأنت حقیقٌ بمعرفة هذه الحال من طویته لک ونیته ، ورأیہ فیک وشفقته ، ورعاية مصلحتک منه بعین کالیہ ، ورُجوعہ من المحافظة فی حقّک إلی ألفۃ بالصفاء حالہ ؛ وتلقی الرزیه التي أَرادها الله وقضاها ، وأنفذ مشیتہ فیها وأمضاها ؛ بالصبر المأمور به والاحتساب ، والتسليم الموعود علیہ بمجزل الثواب ؛ .
 علما أن الأقدار لا تُنأب ، وغیرہما لا یطالَب ؛ وإن الله تعالى إذ قال لنبیہ صلی الله علیہ وسلم - وهو سید البشر - ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فلا سبیل لأحد من خلقه إلی البقاء ، ولا وَجْهٌ یخلود فی دار الفناء ؛ ولا دافع لحکمه جلّت عظمته فیما قدره من الآجال ، وسبق فی علمه من الروائع فی دار الابتلاء والأحوال ؛ وما یزال التطلع واقعا إلی وصول جوابک الدالّ علی السلوۃ التي هی الألیقُ بک ، والأذعٰی إلی حصول بُشْتِک من قضاء الله وأدبک ؛ لتُحطّ الآئسۃ مع وصولہ فی رحالہا ، وتُوَدِّنَ لِصَرْفِ النُّعُومِ الجاریۃ لِأجلک بارتحالہا .

هذه مناجاةُ أمير المؤمنين لک ، أدام الله تأييدک ! وأتمت بک ! إن شاء الله تعالى ، والسلام علیک ورحمة الله .

الأسلوب الثاني

(أن يكون الإفتتاح بلفظ «أما بعد» وهو على نوعين)

النوع الأول

(أن يعقب البعديّة «الحمد لله» ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يعتمد الحمد في أول الكتاب)

ويكون ذلك في الكتب المؤدّنة بمحصل نعمة ظاهرة : كالفتوح ونحوها . ويقع التعلّد فيها بحسب ما تقتضيه النعمة ؛ وغالب ما يكون ثلاث مرات ، وربما وقع التعميد في أول الكتاب وآخره .

وهذه نسخة كتاب من هذا النوع كتّيب بها عن المعتصم إلى ملوك الآفاق من المسابيين عند قبض الأقرشين على بابك ملك الروم ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لبيّنه ، والعصمة لأوليائه ، والعز لمن نصره ، والفلاح لمن أطاعه ، والحق لمن عرّف حقه ؛ وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدّف عنه ، ورغب عن ربوبيته ، وأبغى إلها غيره . لا إله إلا هو وحده لا شريك له . يحمد أمير المؤمنين حمداً من لا يعبُد غيره ، ولا يتوكّل إلا عليه ، ولا يفوّض أمره إلا إليه ؛ ولا يرجو الخلق إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ؛ ولا يستعين في أحواله كلّها إلا به . ويسأل الله أن يصلي على عبد عبده ورسوله ، وصفوته من عباده ، الذي أرتضاه لنبوته ، وأبنته بوجّه وأختصّه بكرامته ؛ فأرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . والحمد لله الذي توجه

لأمير المؤمنين بصنعه، فيسر له أمره، وصدق له ظنه، وأنجح له طلبته، وأنفذ له
 حيلته، وبلغ له محبته، وأدرك المسامون بثأرهم على يده، وقتل عدوهم، وأسكن
 روعهم، ورحم فاقمهم، وآس وحشتم، فأصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين
 في ديارهم، متمكنين في أوطانهم؛ بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء، وتتابع
 البلاء؛ متأمنين الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به، وصنعا له فيما وفقه لطلبه،
 وكرامة زادها فيما أجرى على يده؛ فالحمد لله كثيرا كما هو أهله، ونزغب إلى الله
 في تمام نعيمه ودوام صنعه، وسعة ماعنده بمنه ولطفه؛ ولا يعلم أمير المؤمنين - مع
 كثرة أعداء المسلمين وتكثفهم إياه من أقطاره، والضغائن التي في قلوبهم على أهله،
 وما يترصدونه من العداوة، وينطوون عليه من المكيدة، إذ كان هو الظاهر عليهم،
 والآخر منهم - ملأوا كان أعظم بليّة، ولا أجل خطبا، ولا أشد كلبا، ولا أبلغ
 مكيدة، ولا أزمى بمكره، من هؤلاء الكفرة الذين يغزوهم المسامون، فيستعلون
 عليهم، ويقضعون أيديهم حيث شاعوا منهم، ولا يقبلون لهم صلحا، ولا يميلون معهم
 إلى موادعة؛ وإن كان لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال
 يكون من قرأت ولاية الثغور أدنى دولة من دولات الظفر وخلسة من خلس
 الحرب، كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك متغصبا لما تعجلوا من سروره،
 وما يتوقعون من الدوائر بعد، مكثرا لما وصل إليهم من قرعة .

فأما اللعين بابك وكفرته، فإنهم كانوا يغزون أكثر مما يغزون، وينالون أكثر
 مما ينال منهم؛ ومنهم المنحرفون عن الموادعة، المتوحشون عن المراسلة؛ ومن
 أدبوا من نتائج الدول، ولم يخافوا عاقبة تدريكهم، ولا دائرة تدور عليهم . وكان مما
 وطأ ذلك ومكثه لهم أنهم قوم أبندوا أمرهم على حال تسافل السلطان، ونتائج من
 الفتن، وأضطراب من الحبل، فاستقبلوا أمرهم بيزة من أهسهم، وضعيف

وَأَسْتَارَةٌ تَمْنٍ بَارَاهِمَ ، فَأَجْلَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ لَتَخْلُسَ الْبِلَادُ لَهُمْ ؛ ثُمَّ أَتْرَبُوا الْبِلَادَ لِعِزِّ مُطْلَبِهِمْ ، وَتَشَدُّ الْمَوْتَةِ وَتَعْظَمُ الْكُفَّةُ ، وَيَهْوُوا فِي ذَاتِ أَيْلِهِمْ ؛ فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُودَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْعَلَ أَمْرَهُمْ ، وَعَظَّمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَأَشْتَدَّتْ ضُرُورَاتُهُمْ وَاسْتَجْمَعَ لَهُمْ كَيْتُهُمْ ، وَكَثُرَ صَدَقَتُهُمْ وَأَعْتَدَادُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ الْهَيْبَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي قُلُوبِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَا يَمْلِكُهُمُ الْكَافِرُ وَيُمْنِيهِمْ أَخْذُ الْبَالِدِ . وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عَنْدهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى ، وَبَدُونَ هَذَا مَا يَخْتَدِعُ الْأَرِيبَ وَيُسْتَتِرُ الْعَاقِلَ وَيَعْتَلِّ الْقَطِنَ ، فَكَيْفَ بَيْنَ لَافِكَةِ لَهُ ، وَلَا رُويَةٍ عَنْهُ ؟

هَذَا مَعَ كُلِّ مَا يَقُومُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ حَسَدِ أَهْلِ النَّعَمِ ، وَمَنَافَسَتِهِمْ عَلَى مَا فِي أَيْلِهِمْ ، وَتَقَطُّعِهِمْ حَسَرَاتٍ فِي إِثْرِ مَا خُصُّوا بِهِ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ لَا يَكُونُوا يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَحَقَّ بِذَلِكَ ، فَانَّهُمْ يَرُونَ أَنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .

وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ تُفْضِيَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ مَاذَا عُنْتُهُ ، مُوجِّهًا هِمَّتَهُ إِلَى أَنْ يُؤَيِّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةِ وَيَمْلِكَهُ حَرْبَهُمْ ، وَيَجْعَلَهُ الْمُقَارِعَ لَهُمْ عَنْ دِينِهِ ، وَالْمُنَاجِزَ لَهُمْ عَنْ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْلُو فِي ذَلِكَ حِرْصًا وَطَلْبًا وَاحْتِيَالًا ؛ فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْبَى ذَلِكَ لِنُصْرَتِهِ بِهِ ، وَصِيَانَتِهِ بِقَرْبِهِ ، مَعَ الْأَمْرِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُ وَآثَرَهُ بِهِ ؛ وَرَأَى أَنْ شَيْئًا لَا يَفِي بِقِوَامِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الْأَمْرِ .

فَلَمَّا أَفْضَى اللَّهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافَتِهِ وَأَطْلَقَ الْأَمْرَ فِي يَدِهِ ، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَلَا أَخَذَ بِقَلْبِهِ مِنَ الْمَعَاجِلَةِ لِلْكَافِرِ وَكَفَرَتِهِ ، فَأَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَعَانَهُ اللَّهُ ، فَفَتَحَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ وَتَبَشَّرَهُ ، فَأَعَدَّ مِنْ أَمْوَالِهِ أَخْطَرَهَا ، وَمِنْ قُودَادِ جَيْشِهِ أَعْلَمَهُمْ بِالْحَرْبِ وَأَنَّهُمْ بِالْمُعْضَلَاتِ ، وَمِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَبْنَاءِ دَعْوَتِهِ وَدَعْوَةِ آبَائِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ

عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشدهم نكايه ، وأكثرهم عدوة . ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصة مواله وعدد غلبانه ، وقبل ذلك ما أتكل عليه من صنعة الله جل وعز ، ووجه إليه من رعيته . فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملاحين ؟ ألم يكذب الله ظنونهم ، ويشف صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شأوا في كل موطن ومعتزك ، مادامت عند أنفسهم مقاومة .

فلما ذلوا وقلا وكرهوا الموت ، صاروا لا يقرأون إلا في رؤوس الجبال ومضايق الطرق وخلف الأودية ومن وراء الأنهار ، وحيث لاتالم الخيل ، حصنا للطاولة وانتظارا للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين ، وأستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم لحين لم ، وصنع لأوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، فجمعهم وحصرهم لكن لا تبقى منهم بقية ولا ترجى لهم عاقبة ، ولا يكون الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأوليائه ، ولا التمس والتكس إلا لمن خله .

فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودأبهم مصارعهم ، سلطهم الله عليهم كيده واحدة ، يخطفونهم بسبوفهم ، وينتظمونهم برماحهم ، فلا يجيدون ملجأ ولا مهربا ، ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وحرهم وصبروا الدار دارهم والمحلة محلتهم ، والأموال قسما بينهم ، والأهل إماء وعبيدا . وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء وأعظام من الرحمة والثواب ، وما أعد لأولئك من الخزي والعقاب ؛ وصار الكافر يابك لا فيمن قتل فسليم من ذل الغلبة ، ولا فيمن نجا فمات في الحياة بعض العوض ، ولا فيمن أصيب ، فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، لكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسد مذاهبه ، وتركه ملدبا بين النل والخوف ، والقصة والحسرة ، حتى إذا ذاق

طعم ذلك كله وفهمه، وعرف موقع المصيبة، وظنَّ مع ذلك كله أنه على طريق من النجاة، فاضرب الله وجهه، وأعمى بصره، وسدَّ سبيله، وأخذ بسمعه وبصره، وحازَه إلى مَنْ لَا يَرِيقُ له، وَلَا يَرَى لِمَصْرَه؛ فامتثل ما أمَرَ به الأَفْشِين (حيدر بن طلوس) مولَى أمير المؤمنين في أمره؛ فبثَّ له الجبال، ووضع عليه الأرصاد، ونَصَب له الأشرار حتى أظفَره الله به أسيراً ذليلاً مَوْثِقاً في الحديد، يراه في تلك الحالة مَنْ كَانَ يراه رباً، ويرى الدائرة عليه مَنْ كَانَ يظُنُّ أنها ستكون له. فالحمد لله الذي أعزَّ دينه، وأظهر حُجَّتَه، ونَصَرَ أوليائه وأهلك أعداءه، حمداً يُقضى به الحق، وتَمِّم به النعمة، وتتصل به الزيادة. والحمد لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقق ظنَّه، وأمنح سعيه، وحازله أجر هذا الفتح ودُنَّره وشرفه، وجعله خالصاً لتمامه وكلامه باكل الصبح وأحسن الكفاية، ولم يربوساً فيه ما يُقْدِى عينه، ولا خَلا من سُرور يراه، وبشارة تتجدد له عنه، فما يدرى أمير المؤمنين مائتٌ فيه من الأمل، أو ما ختم له من الظفر؛ فالحمد لله أولاً! والحمد لله آخر! والحمد لله على عطاياه التي لَا تُحصى، ونِعَمه التي لَا تُنسى، إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة كتاب من هذا الضرب، كتب به أبو سعيد العلاء بن مَوْصِلًا عن القائم بالله، إلى عَصْد الدولة «ألب أرسلان» إلى مسعود بن محمود صاحب غَزَنَة من أوائل بلاد الهند، بالإشارة بالنصر على البَساسِيرى وهو.

أما بعد، فالحمد لله مُبِيرِ الحق ومُبِيدِهِ، ومُبِيرِ الباطل ومُرِيدِهِ؛ الكافِل بإعزاز حُرِّيه، وإذلال حُرِّيه، المؤيِّد في نُصْرَةِ دينه خَصْبَ النَّهر بعد إخماله وجَدِيدِهِ، النَّاظِم تَمَلُّ الشَّرع بعد شَتائِهِ وتَفَرُّقه، الحَاسِم دَائِعَى الفَسَاد بعد أَسْتِيلائِهِ وتَطَرُّقه، ذِي المَشِيئَةِ النَّاظِنَةِ المَاضِيَةِ، والعَزَّةِ الكَامِلَةِ الوَافِرَةِ والعَظْمَةِ الظَّاهِرَةِ البَادِيَةِ،

والبراهين الرائعة الرائقة، والدلائل الشاهدة بواحدانيته الناطقة؛ حمدا لا انتهاء
لأئده، ولا إحصاء لعدده . والحمد لله الذى آخض معنا صلي الله عليه وسلم برسائته
وحبائه، وأولاده من كرامته ما حاز له به الفضل وحواه؛ وبعثه على حين فترة
من الرسل، وخلاء من واضح السبل؛ بفاهد بن أطاعة من عصاه، وبلغ في الإرشاد
أقصى غايته ومناه؛ ولم يزل مبدياً أعلام الإعجاز، وملحقا الهوادي بالأنجاز؛
إلى أن دخل الناس في الدين أفواجا، وسلكوا في نصرتهم جدنا وانحنا ومنهاجا؛
وغدت أنوار الشرع ضاحكة المباسم، وأثار الشرك واهية البطام؛ ومناهل الهدى
عذبة صافية . فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المنتخبين وخلفائه
الأئمة الراشدين، وسلم تسليما . والحمد لله الذى أصار إلى أمير المؤمنين من ثراث النبوة
ما أستوجبه وأستحقه، وأثار لديه من مطالع الجلال ما تملك به الفخر وأسترقه؛
ومنحه من حسن التمكن والإعطاء، وإجراء الأقضية على أمراده والأقدار؛ ما رد
صرف الدهر عن حوزته مقلول الحد، ومد باع مجده إلى أقصى الغاية والحد؛
وحمل سرب إمامته من دواعي الخوف والخدر، ووقى مشرب خلافة من عوادي
الرتق والكدر؛ وجعل معالم العدل في أيامه مشرقة الأوضاح والمجول، مفتحة النواجد
عن الكمال الضافي الأهداف والذبول؛ مؤذنة باستقرار أمداد السعادة، واستمرار
الأحوال على أفضل الرثم والمعاد؛ وهو يستدعيه من لطيف الصنع وجميله،
ووافي الطول وحزيله؛ ما يزيد آراه سدا ورشادا، وأرومة عزه أساطا وأمتدادا،
ومجاري الأمور لديه أساقا على المراد وأطرادا؛ وماتوفيق أمير المؤمنين إلا باقه عليه
يتوكل وإليه يُنبأ ! .

ومعلوم ما آخضه شاهنشاه المعظم بعد مسيره إلى العراق، في الجيوش التي يضيق
بها القضاء، ويجرى على مرادها القضاء؛ قاصدا تلبية الدعوة، وخاضعا شوك كل

مَنْ صَدَّ عَنْ الدِّينِ أَسْبَابُ الْمَضَرَّةِ وَالْمَعْرَةِ ؛ وَمَعْتَمِدًا مَا حُمِيَ حَوَزةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الشَّوَابِ الْمَعْتَرِضَةِ ، وَحَوِيَ أَقْسَامَ الْفَخَّارِ فِي اتِّبَاعِ شُرُوطِ الْخِدْمَةِ الْمُقَرَّرَةِ الْمَقْتَرَضَةِ ؛ مِنَ الْمُبَادَرَةِ لِلْحَكْمِ اللَّعِينِ الْبِئْسَاسِيَّ وَلَقِيفِهِ الْخَازِلِ ، مُدْرِيًا مِنَ الْاِعْتِضَادِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَقْوَى الْجُنْدِ وَأَسْبَغَ الْعَرَابِيلَ ، لِيَطْهَرَ الْأَرْضَ مِنْ دَنَسِ كُفْرِهِمْ ، وَيُوقِرَ الْجَدَّ فِي قَصَمِ حَتَمِمْ وَحَسَمِ كَيْدِهِمْ ؛ فَاطْلُ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ مُتَطَلِّبًا مِنْ أَلْجَاءِ حِذْرِهِ إِلَى الْإِمْعَانِ فِي الْهَرَبِ ، وَقَطَعَ كُلَّ أَخِيَّةٍ وَسَبَبٍ ؛ وَمَعْتَرِيَا الْإِنْتِمَاءَ إِلَى مِصْرَ لَا تَرَاعَاهَا وَبَقِيَةِ الْأَعْمَالِ ، مِنْ أَيْدَى أَحْلَافِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ ، وَقَرَّبَ الْأَمْرَ فِيهَا حَاوِلَةً مِنْ ذَلِكَ وَرَامَهُ ؛ اعْتِمَادُهُ فِيهِ صَنُوفَ التَّجَدُّدِ وَأَقْسَامَهُ ؛ فَاعْتَرَضَهُ مِنْ عَصِيَانِ إِبْرَاهِيمَ إِنِالَ وَعَقُوقِهِ ، وَنُجُوجِهِ عَنْ زُمْرَةِ أَبْنَاءِ الطَّاعَةِ وَمُرُوقِهِ ؛ بِإِفْسَادِ اللَّعِينِ إِيَّاهُ ، وَإِحَالَتِهِ بِمَكْرِهِ عَنْ مَتَابِجِ هُدَاهُ ، مَا أَحْجَوْجَهُ إِلَى تَرْكِ مَا هُوَ بِصَلَدِهِ وَالْحَقَاقِ بِأَثَرِهِ حَذَارًا مِنْ أَسْتَفْحَالِ خَطْبِهِ ، وَبِدَارًا إِلَى قَلِّ حَدِّهِ وَغَرَبِهِ ؛ فَصَادَ ذَلِكَ بِتَجَمُّعِ الْأَعْدَاءِ وَأَحْشَادِهِمْ ، وَمَسْلُوكِهِمْ الْحَبِجَةِ الَّتِي خُصُّوا فِيهَا بِعِلْمِ تَوْفِيقِهِمْ وَرِشَادِهِمْ ، وَأَقْدَامِهِمْ عَلَى فَضْلِ الْإِمَامَةِ الْمَكْرُمَةِ بِالْمَحَارِبِ ، وَأَطْرَاحِهِمْ فِي مَنَابِلَتِهَا حَكْمَ الْأَحْتِشَامِ وَالْمُرَاقِبَةِ ؛ وَوُقُوعِ التَّظَافُرِ عَلَى الْمَجَاهِرَةِ بِخِلَافِهَا ، وَالنِّظَاهَرِ بِشِعَارِ أَشْيَاعِ الْغَوَايَةِ وَأَحْلَافِهَا ؛ جَرَاءَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِزَالًا لِعِقَابِهِ ، وَأَطْرَاحًا لِمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْجَنَائِدُ الْعُظْمَى مِنْ تَوَقُّعِ الْعَذَابِ وَارْتِقَائِهِ ؛ وَأَدْرَامًا لِلْمَلَابِسِ الْخِلَازِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاتِّبَاعًا لِدَاعِي الضَّلَالَةِ الْمُغْوِيَةِ فِي الْبَدَنِ وَالْخَاتِمَةِ ؛ فَاقْتَضَى حَكْمَ الْأَسْتَظْهَارِ الْاِسْتِقَالَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ - بِمَدِينَةِ السَّلَامِ - إِلَى (حَدِيثَةِ عَاتِهِ) لِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ اِسْتِنَاعِ الْجَانِبِ وَشِدَّةِ الْحَصَانَةِ ؛ إِلَى أَنْ أَسْفَرَ خَطْبَ شَاهِدِشَاهِ رُكْنِ الدِّينِ - أَمْعَاقُهُ - عَنْ إِدْرَاكِ الْمَطَالِبِ ، وَتَيَسُّرِ الْمَصَاعِبِ ؛ فَصَادَ بِنُصْرَةِ الْعَوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقَاسِمِيَّةِ مُسْتَعْنِدًا فِي ذَلِكَ أَقْسَامَ الْوُسْعِ

والاجتهاد ، ومستنجدا بمَعُونَةِ الله تعالى على إبادة الكُفْرِ بصُنُوفِ الْقِرَاعِ ، والجهاد ؛ ولم يزل ساعيا في إزالة العار ، وارتفاع الغتَصَبِ ، وارتجاع المستعار ؛ إلى أن صدق الله تعالى الأملَ وحَقَّقَهُ ، وأصغى مَنَهلَ العز من كل ما شابهَ وَدَّعَهُ ؛ وأطلع شمس الحقِّ بعد غروبها ، ومنَّ بِمُحَمَّدٍ شَوْكَةَ الباطل وَقَلَ غروبها .

وعاد أمير المؤمنين إلى دار مُلْكِهِ ومَقَرَّ مَجْدِهِ في يوم كذا ضافيةً على رايته جَلَابِيبُ النُّصْرِ وَالظَّفَرِ ، جاريةً على إرادته تصاريُفُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، يُمْنُ قَبِيَّةِ شاهنشاه الذي أدى في الطاعة الْقَرَضَ الْوَاجِبَ ، وتمسك من الْمَشَايِعَةِ بأفضل ما تُضْمُّ عليه الرُّوْاجِبَ ؛ وَفَدَا للدولة عَضُدًا مُؤَفِّيًا على الأمتال ، في دَفْعِهِ عن الإسلام وَذَبَّهُ ، ومتقِمًّا لِلْجَلَالِ ، بِمُحَسِّنِ إخلاصه في حَالَتِي بُعْدِهِ وَقُرْبِهِ ؛ وما زالت نِقَّةُ أمير المؤمنين مستَحِكَّةً بالله تعالى عند ما أَلَمَّ به من تلك الحال ، وَدَعَمَ من انْقَطَبَ المحتفُّ به سَطْوَةُ الاكْتِنَادِ وَالِاسْتِفْحَالِ ؛ في إجرائه على ما أَلَّه من النُّصْرِ وَالِإِعْزَازِ ، وإظهار آيَاتِهِ في تأييده والإعجاز ؛ إذ لم يكن ماعِراً استعادةً لِحَقِّ الْمَسْلَمِ إِلَيْهِ ، وَالْمَوْجِبَةِ الَّتِي ضَمَّتْ جَلَابِيبُهَا عليه ؛ بل جعل الله ذاك إلى أَمْتِحَانِ صَبْرِهِ سَبِيلًا ، وعلى وَفُورِ أَجْرِهِ دَلِيلًا ، وبإياديه كل ناعتي في الْفِتْنَةِ كَفِيلًا ؛ لترداد أنوارِ عُلَاهِ نَضَارَةِ وَحْشَتِهِ ، وأعلامِ جَلَالِهِ سَعَادَةً وَيُمْنًا ، ورباعِ عِزِّهِ سُكُونًا وَأَمْنًا ؛ لُطْفًا مِنْهُ جَلَّتْ آلاؤُهُ مِنْكَ وَمِنَّا .

وتلا هذه النعمة التي جَدَّتْ عُهُودَ الشَّرْعِ وَافِيَةَ النَّضَارَةِ ، وَأَزَالَتْ عَنِ الدِّينِ مَفَاسِدَهُ الْعَارِضَةَ وَمَضَارَهُ ، مَا سَهَّلَهُ اللهُ وَهَيَّأَهُ ، وَأَجَزَلَ بِهِ صَبِيغَةَ الْجَزِيلِ وَأَسْأَدَهُ ؛ مِنْ ظَفَرِ السَّرَايَا الَّتِي تَوَرَّدَها لِاصْطِلَامِ اللُّسَاءِ وَأَجْتِيَا حِمِّهِمْ ، وَحَمِّمْ فَسَادِهِمْ وَهَدَمِ عِرَاصِهِمْ ؛ وَإِحْمَادِ مَا أضرُّهُ مِنْ نَارِ الشَّرِّكَ وَشَبُوهِ ، وَإِبْطَالِ مَا أَحْدَثُوهُ مِنْ رِسمِ الْجَوْرِ وَسُنُوهِ ، وَأَفْضَى الْحَالِ إِلَى النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَقَهْرَ كُلِّ مُتَحَرِّفٍ عَنِ الرِّشَادِ وَمُجَانِبٍ ، وحلولِ التأييد على الرايات المنصورة العباسية التي لم تزل مَكْبُوفَةً

على صَرفِ الدهرِ أَشْيائها وأنصارُها ؛ وإجلاءِ الحربِ عن قتلِ اللعينِ البَساسيري
وأخذِ رأسه ، وتكذيبِ ظَنِّه في احترازه من طوارقِ الغَيرِ وأحتراسه ، وإراحةِ الأرضِ
وأهلها من دَنَسه وعُتوانه ؛ وكونِ من ضامِّه من طبقاتِ العربِ والأكرادِ والأحرارِ
البغداديينِ والعَوَّامِينَ قَتيلِ مُرْمِلِ بَدَمِهِ ^(١) ، وأميرِ ثُلثِ المنونِ بِنُصَّةِ أَسَفِهِ وتَدَمِّهِ ،
وصَريحِ في بَقِيَّةِ من ذِمَّاتِهِ ^(٢) ، وهارِبِ والطلبِ واقعٌ من ورائِهِ . فأنجز اللهُ وَعْدَهُ في هذا
المارِقِ ، والعبدِ الآبِقِ ؛ الذي غَوَّه إِمهالُ اللهِ تعالى لِإِيَّاهُ فَنَبَسَى عَوَاقِبَ الإِهمالِ
في العَوَاقِبِ ، والإِهمالِ في الطُّغْيَانِ إلى أَقصى الحَدِّ والغايَةِ ؛ وحملَ رأسَهُ إلى البابِ
العَزيزِ فَتَقَدَّمَ بِالتَّطَوُّافِ بِهِ في جَانِبَيْ مَدِينَةِ السَّلامِ وشَهرِهِ ، لإِيَّانَةٍ عن حالِهِ وإيضاحِ
جَلِيَّةِ أَمْرِهِ ؛ وكَفَى ما يوجبُهُ لإِقْدَامِهِ على العَظائمِ التي عَلمَ اللهُ تعالى سُوءَ مَصِيرِها
ومآلِها ، وحَرَمِ الرُّشدِ في التَّمسُّكِ والتَّشَبُّثِ بِأَذْيالِها ؛ وتلكَ عَاقِبَةُ من بَنَى وأَعْتَدَى ،
وأُتِّرِرَ البَعْدُ وأَرْتَدَى ، وأَمِنَ في الضَّلَّةِ وأَعْتَدَى . والحَدُّ واقعٌ من بَعْدُ في المَسيرِ
لِلإِحتواءِ على بلادِ المخالفينِ الدَّانِيَةِ والقاصِيَةِ ، والأخذِ مع مَشِيئَةِ اللهِ تعالى بِنَواصِي
كلِّ فِتْنَةٍ طاغِيَةٍ عاصِيَةٍ .

فالْحَمْدُ لله على هَذِهِ المِنَّةِ التي بَشَّرَتْ الإِسْلامَ بِجَبرِ كُفْرِهِ ، وأَقْبَلَتْ المُهْدَى من
ضِيْقِ الكُفْرِ وأَمْرِهِ ؛ وأَبَدَتْ نَجْمَ العَدْلِ بَعْدَ أنْ أَظَلَّتْ وَغَارَتْ ، وأَرَدَتْ شِيعَةَ
الباطلِ بَعْدَ أنْ أَعْتَدَتْ على الحَقِّ وأَغَارَتْ ؛ وهو المَسْئُولُ صِلَتِها بِأَمْدَادِها تَقْضِي
إِذْ ذَاكَ سائرَ الأَغْراضِ ويلوِغُها ، وتَقْضِي بِكُلِّ رائي الآلَاءِ وَسُبُوغِها .

(١) أى يَرَأى المَهْمَلَةُ بمعنى مَلْطَحٌ قال الشاعر :

ان بَنَى رَمَلُونِي بِالْهَم * شَنَنَتْ أَمْرَها من أَنْزَم

(٢) القِماءُ بِالقِاءِ المَجْمَعَةُ والمَلَقِيَّةُ النَفْسُ .

أَقْتَضَى مَكَانَكَ - أَمْتَعَ اللهُ بِكَ - مِنْ رَأَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي وَطَأَ لَكَ مَعَايِدَ
الْعِزِّ وَهَضَابِهِ، وَكَلَّ لَدَيْكَ دَوَاعِيَ الْفَخْرِ وَأَسْبَابِهِ؛ وَتَحَلَّكَ مِنْ لِحَابِهِ الَّذِي وَصَلَتْ بِهِ
إِلَى ذِرْوَةِ الْعُلَاءِ، وَصُلَّتْ عَلَى الْأَمْثَالِ وَالنُّظَرَاءِ، إِشْعَارَكَ بِمَا جَدَّدَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ
النِّعْمَةِ الَّتِي غَدَّتِ السُّعُودَ بِهَا جَمَّةَ الْمَنَاهِلِ، سَامِيَةَ الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَازِلِ؛ لِتَأْخُذَ مِنْ حِفْظِهِ
بِهَا، وَالشُّكْرَ لِمَنْ تَعَالَى عَلَيْهِ مَا تَحْضِلُ بِهِ فِيهَا بِالْقِسْمِ الْأَوْفَى؛ كِفَاءً مَا يُوجِبُهُ وَلَا تُؤْكَ الَّذِي
أَمْتَعَيْتَ بِهِ كَاهِلَ التَّجِدِّ، وَأَصْطَفَيْتَ بِهِ كَامِلَ السَّعْدِ، وَكَوْنَكَ لِنُؤْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
شِبَاهًا الْمُشْرِقِ فِي الْخَنَادِسِ، وَصَفِيًّا الرَّافِلِ مِنْ إِخْلَاصِ مُشَايِعَتِهَا فِي أَنْفَرِ الْحُلَلِ
وَالْمَلَابِسِ؛ وَاللهُ تَعَالَى لَا يُخْلِيكَ، مِنْ كُلِّ مَا تَسْتَدِرُّ بِهِ أَخْلَافَ مَعَالِيكَ؛ وَلَا يَعْدُمُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدَ السَّيِّدَ، الرَّشِيدَ الْعَقِيدَةَ وَالسَّرِيرَةَ، الشَّدِيدَ الشَّاكِلَةَ
وَالْوَتِيرَةَ .

هَذِهِ مَنَاجَاةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ، أَجْرَكَ فِيهَا عَلَى مَا عَوَّدَكَ مِنَ التَّجَمُّلِ وَالْإِكْرَامِ،
وَحَبَّكَ فِيهَا بِمَا هُوَ مَهْشُرُكَ بِالسَّعَادَةِ الْوَافِيَةِ الْأَصْنَافِ وَالْأَقْسَامِ؛ فَتَلَقَّهَا بِالْحَلَلِ
وَالِاسْتِبْشَارِ، وَوَاصِلْ شُكْرَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ حَسَنِ تَجَارِي الْأَقْصِيَّةِ
وَالْأَقْدَارِ؛ وَطَالِعْ خُضْرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْبَاءِكَ، وَتَابِعْ لِنَهَاءِ مَا يُتَشَوَّفُ نَحْوَهُ
مِنْ تَلْقَائِكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(أَنْ يَتَخَذَ التَّحْمِيدَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، وَهُوَ أَقْلُ وَقُوْمَا مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي قَبْلَهُ)
وهذه نسخة كتاب من ذلك، كتب به أبو إسحاق الصابى عن «الطبيع لله» إلى
بعض ولاة الأطراف، عند طاعة عبد الملك بن نوح أحد ملوك بني ساسان، وهى :

أما بعد ، فالحمد لله الولي بالاستجداد ، المستحق لِكُنْه الإعتقاد ، القدير على تأليف الأجساد ، البصير بسبيل خفايا الأحقاد ؛ ذى الحكمة فى تبديل الضغن والسَّخِيمَةِ ذِمَّة ، والمُنَابَذَةِ عِصْمَةٍ ؛ والقَطِيعَةِ وَصْلَةٍ ، والسَّخْتَانِ خَلَّة ؛ والْحَرْجِ فَرْجَةٍ ، والشَّعْثِ نَضَارَةٍ وَبَهْجَةٍ . الذى جعل الصِّلَحَ قِطْعًا هَنِيئًا ، والسَّلْمَ مَنَاجِيًا ؛ والمُؤَادِمَةَ مَنَاجِيًا جَزِيلًا ، والإِرْمَاءَ أَمْنًا جَمِيلًا ؛ والإِقَالَةَ حَرَمًا لَا يَضِلُّ هَدَاهُ ، وَلَا تُحِلُّ قُوَاهُ ؛ وَلَا تَحْبِبُ عَوَاقِبُهُ ، وَلَا تَخْفَى مَآثِرُهُ وَمَنَاقِبُهُ ؛ رَافَةً مِنْهُ بِالْخَلْقِ ، وَصِيَانَةً لِأَهْلِ الْحَقِّ ؛ وَإِسْهَالًا فِي الْعَهْدِ ، وَرُخْصَةً فِي الْأَخْتِصَارِ دُونَ الْحَذَرِ ؛ لِيُقَرَّبَ فِئْتَةُ الْمُتَأَمِّلِ ، وَيُسَهَّلَ رَجْعَةُ الْمُتَحَصِّلِ ؛ وَيُسْرَعَ رِفَاقَةُ الْمُسْتَبْصِرِ ، وَيَخْفَ أَجْتِهَادُ الْمَزَاوِلِ الْمُسْمَرِ ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَالصِّلَحَ خَيْرٌ) وهو المسئول عِمَارَةَ الْإِسْلَامِ بِالسَّلَامَةِ ، وَالْأَنَامِ بِالِاسْتِقَامَةِ ؛ وَالسُّلْطَانَ بِالطَّاعَةِ ، وَالْمُلُوكَ بِتُجُوعِ الْجَمَاعَةِ ؛ حَتَّى لَا تَزَالَ الْفِتْنَةُ مَيِّضَةً الْجَنَاحِ ، مَرِيضَةُ الْأَجْبَاحِ ؛ قَلِيلَةُ الشَّبَابَةِ ، قَلِيلَةُ الْأَدْوَاتِ ؛ فَتَكُونُ النَّفُوسُ وَاحِدَةً ، وَالْأَيْدِي مُتَرَاغِدَةً ؛ وَالْمُؤَادَاتُ صَافِيَةً ، وَالْمَارَبُ مُتَكَافِيَةً مُتَضَاهِيَةً ، فِي الشُّكْرِ الَّذِي يُبَادُّهُ عَنِ النَّفُوسِ ، وَيَحْمِيْ بِهِ حَرِيمُ الدِّينِ ؛ وَيُرْسِيْ مَعَهُ التَّائِيدُ ، وَيُبْتَنِيْ بِوَسِيلَتِهِ الْمَزِيدُ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : (لَنْ شُكِّرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) وَاللهُ سَمِيعٌ عَجِيبٌ . وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ !

وقد علمت مَاقَرَطُ مِنْ نُوْحِ بْنِ نَصْرِ فِي الْمَسْهُوِّ ، وَتَقِيْمُ مِنْهُ فِي الْهَفْوِ ؛ الَّذِي أَلْهَاهُ عَنِ التَّقْوَى ، وَأَنَسَاهُ شَيْعَةَ الرُّقْبَى ؛ فَدَلَّ عَنْ سَنَنِ الْقَصْدِ ، وَزَاغَ عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ ؛ وَحَالَ عَنْ آدَابِ آبَائِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ الْقُسْنُوهُ ، وَتَجَنَّبَاهُمْ وَبِهِمُ الْأُسْوَةُ ، وَمَا كَانَ يَنْتَمِيْ بِهِ مِنَ الْوَلَاءِ ، وَيَتَرَى إِلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ ؛ وَصَارَ أَدْنَى مَعْنَى مَنْ يَحْسُدُهُ عَلَى كَرَمِ الْأَصْلِ ، وَيَنَافِسُهُ فِي شَرَفِ الْمَحَلِّ ؛ وَيُدْخِلُ عَلَى عَقْلِهِ مُدْخَلَ النَّصِيحَةِ ، وَيَطْلُعُ

بظاھرھا علی آرائه الصریحہ ؛ وكلّ ذلك إلحادٌ فی أمر المؤمنین وعُھدته ، ومُروق
عن أزمته ، وعقوقٌ بالبریة یُسْقٰ به الباقی ، ولن یُسْقٰ به التنازحُ الماضی . فإن
أمیر المؤمنین مازال واعیاً لأوامر سلفه ، عارفاً بما یرثُ خلفه ؛ متجافياً لأولئك عما
آبتدعه ، متنوّیاً لهذا التجاوز عما صنعه ؛ فقد كان نعیّ إلى أمیر المؤمنین أن عبد الملك
أبن نوح مولیٰ أمیر المؤمنین سلیمُ العریرہ ، سدیدُ البصیرہ ؛ یرجعُ إلى رأیه وتقدیرہ ،
ولم یجدْ وشمکیر بن زنار ، عاجله بالبوار ؛ مساعفاً إلى ختلہ ، ولا آخیالاً فی لیّہ وقتلہ ؛
وكان لعبد الملك ركن الدولة بن مالك مولیٰ أمیر المؤمنین ظہیرُ صُنق ، إن وسین
أیقظہ ، وإن مادأیدہ ؛ حَلَّةٌ فَضَّلَ قَطْرُهُ اللهَ علیها ، وغریزةٌ تُمیزُ اللهَ إلیہ فیہا ؛
فإنه لو قال أمیر المؤمنین : إنه لا یمثلُ له أستحقُّ هذا الوصف . ولأین أمیر المؤمنین
فیہ الخلف . ترك لیباسِ أبیه فقرعه ، وأعتاضَ منه وخلفه ؛ وتصلَّ مما كان منه
منہكاً ، فعاد علیہ محنتكاً ؛ وأتى الأمر من طریقہ ، ولجأ فیہ إلى فریقہ ؛ ركن الدولة
أبی علی مولیٰ أمیر المؤمنین ، أحسنُ اللهَ ولایتہ ، ومُعزُّ الدولة أبی الحسن تولى اللهَ
معونته ، وأستصلحهما ، وكفی ، وأستخلصهما ، وغنی ؛ وراسل فی الإثابة وإن لم
یکن حادثاً ، والأستقالة وإن لم یكن جانیاً ؛ فما ترك ركن الدولة ومعز الدولة -
كلاهما الله - إكبار قدره ، وإجلال أمره ؛ والقیامُ بخلاصه ، والنطقُ عن أمیر المؤمنین
بلسان مشاركتہ ؛ وإذ کار أمیر المؤمنین بما لم یُسَّه من تلك الوثائق ، التي صدر بها
كتابه ، والعلاق ، التي وثَّعَ بها خطابه ؛ إلى أن أجَلَ أباعمد نوحاً وترحم علیہ ، وقیل
عبد الملك وأحسن إلیہ ؛ وواصل رُسله ، وأستمع رسائله ؛ وقلَّده ثمراسان ونواحيما ،
وسائر الأعمال الجارية فیہا ، وعَھدَ إلیہ فی ذلك عَھدا ومیزَ باللواء ، والخلع والحیاء ؛
بعد أن كُتِّبَ بلسانه ، ووقَّاه جُلودَ إحسانہ ؛ وألحقه فی ذلك بابائہ ، ولم یُقصِّر فیہ
بشأوه . وكتَّابُ أمیر المؤمنین هذا وقد أطردت الحالُ وأستوهقت ، وأمتزجت الأهواء

وَأَتَفَقْتُ ؛ وَخَلَا الْمَشْرِقُ مِنَ الْأَضْطِرَابِ الَّذِي طَالَ أَمْدُهُ ، وَلَمْ يَكْدِرْ يُرَى أَثَرُهُ ؛ وَصَارَتِ الْعَسَاكِرُ الدَّانِيَّةُ وَالنَّائِيَةُ فَوْضَى لَا تَمْتَازُ ، وَلَا تَتَفَرَّدُ وَتَحَازُ ، وَذَلِكَ صَنَعُ اللَّهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمْعِ الشَّتَاتِ ، وَتَلَاغِي الْمَنَاتِ ، وَلَمْ خَلَّ الصَّخَاذِلُ ، وَمُدَاوَاةِ نَقْلِ الدَّخَاذِلِ ؛ لَتَتِمَّ الْكَلِمَةُ فِي وِلَايَتِهِ ، وَتَعَمَّ النِّعَمُ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَا يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ سَبِيلٌ عَلَى شِيعَتِهِ ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى مَكِيدَةِ أُنْبَاءِ دَعْوَتِهِ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى هَذَا النِّبَا الَّذِي تَطَوَّعَ بِهِ الْمِقْدَارُ ، وَالْخَبْرُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْإِخْبَارُ ؛ مِنَ الْفَتْحِ الَّذِي لَمْ يَنْغْصَمْ تَعَبٌ ، وَلَمْ يَكْثُرْ عَنَاءٌ وَلَا نَصَبٌ ؛ فَإِنَّهُ تَأْتِي سَهْلًا ، وَأَتَى رِسَالًا ؛ وَأَبْتَدَأَ عَفْوًا ، وَأَتَمَّى خَالصًا صَفْوًا ؛ فَقَدْ قَعَّ اللَّهُ بِهِ الْعَنَدَ ، وَجَمَعَ بَهْرَتَهُ الْعَبْدَ ؛ وَأَذَنَ عُقْبَاهُ بِالْإِسْعَادِ ، وَبَشَّرَ سِيَمَاهُ بِاتِّصَالِ الْمُسَادَةِ ؛ وَأَنْزَلَ أَبَا الْفَوَارِسِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ نُوحٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْرَلَةً مِنْ رَأَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلًا لِلْوُدَيْعَةِ ، وَأَمَنَهُ عَلَى الصَّبِيغَةِ ؛ وَرَتَّبَهُ مَرْتَبَةَ الْمُسَبِّحَةِ ، وَاسْتَحْفَظَ اللَّهُ حَسَنَ الْمَوْجِبَةِ بِهِ ، وَمَا قَدْ تَجَمَّدَ بَيْنَ أَبِي الْفَوَارِسِ وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْإِتِّحَادِ ، الْمُتَوَلَّدِ عَنِ الْإِغْبَاطِ وَالْإِعْتِدَادِ ؛ فَقَلَّ مِنْ شَاقِّهِمَا فَلَمْ يَنْتَمِ ، وَتَوَدَّ عَلَيْهِمَا فَلَمْ يُكْثَرْ ؛ وَتَمَسَّكَ بِهِمَا فَلَمْ يَتَسَّعَدَ ، وَارْتَبَعَ أَكْثَافُهُمَا فَلَمْ يُوْعَدَ ؛ وَأَجَبَ عَنْ هَذَا الْكَتَابِ بِوَصُولِهِ إِلَيْكَ ، وَمَوْقِعِ مِتَضَمِّنِهِ لَدَيْكَ ؛ وَمَا يُجِدُّهُ لَكَ مِنَ الْجَلَلِ ، وَأَنْفَسَاحِ الْأَمَلِ ؛ مُوَقِّعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(أَنْ لَا يَمُتُّبِ الْبَعْدِيَّةَ تَحِيدٌ ، بَلْ يَقَعُ الشَّرُوعُ عُقْبَاهُ فِي الْمَقْصُودِ)

وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كَتَبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّبَّاحِيُّ عَنِ الطَّائِعِ اللَّهِ إِلَى مِنْ بَصَّحَارٍ وَسَوَادِيهَا ، وَجِبَالِ عُثْمَانَ وَأَعْمَالِهَا ، وَحَاضِرَتِهَا وَبَادِيَتِهَا ، بِالْأَمْرِ بِالْإِجْتِمَاعِ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَهِيَ :

أما بعد، فإن أمير المؤمنين الذي حمّله الله من أعباء الإمامة، وأهله له من شرف الخلافة، وأستودعه من الأمانة في حياة المسلمين، والاجتهاد لهم في مصالح الدنيا والدين؛ يرى أن يُراعى من بعد منهم ونأى، كما يُراعى من قرب ودنا؛ وأن يلاحظ جماعتهم بالعين الكالية، ويطلبهم بالعين الوافية؛ ويتصفح ظواهر أمورهم، وبواطن دواخلهم؛ فيحمد من سلك نهج السلامة، ويُرشد من عدل عن الاستقامة؛ وينظم شمل الجماعة على الألفة التي أمر الله بها وحض عليها، ويزيلهم عن الشرقة التي ذمها ونهى عنها؛ إذ يقول جل من قائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعَوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فلا يزال أمير المؤمنين يُعرفهم ما أقرض الله عليهم من طاعة الأئمة وأولى الأمر الذين لا عصمة لمخالفيهم، ولا ذمة لمُعائديهم؛ ولا عُذر لئسلم ولا معاهد نأى بجانبه عنهم، وضلل بوجهه عن سبيلهم؛ إذ كان الإمام حجة الله على خلقه، وخليفته في أرضه؛ وكانت الطاعة واجبة له ولن قلته أزيمة أموره، وأستتابه في حمل الأعباء عنه؛ فمن آتس منه الهداية أحده، ومن أنكر منه القواية أرشده بالوعظ ما أكتفى به، أو بالهسط إن أوجب إليه. وإن أمير المؤمنين يسأل الله أن يوقه للرأى السديد، ويمثله بالصنع والتأييد؛ ويتولاه بالمعونة على كل ما ألمّ الشعث، وسد الخلل، وقوم الأود وعدل الميل؛ وأحسن العائكة على المسلمين جميعا في شرق الأرض وغربها، وسبلها وحرثها؛ إنه بذلك جدير، وطيه قدير؛ وماتوفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُتنب.

وقد علمتم أن أمير المؤمنين أحسن إلى الرعية بما كان قوضه إلى عضد الدولة وتاج الملة - رحمة الله عليه - من سياستهم باديا، ثم أحسن باستخلاف عديله وسليله ضمّصام الدولة وشمس الملة تائيا؛ إذ كان خيرة أمير المؤمنين وصفوته، وحسامه وجنّه، والموريد المصدّر عنه بالعهدين المستعترين: من أمير المؤمنين بالنص عليه، ومن

الوالد رحمه الله بالوصية إليه . وإن هذه العقود المؤكدة ، والعهود المشددة ؛ موجبة على الكافة طاعة مَنْ حَصَلَتْ لَهُ ، أو استقرت بوثائقها في يده ؛ إذ لا يصح من حاكم حُكْم ، ولا من عاقد عَقْد ، ولا من وإل إقامة حد ، ولا من مسلم تأديته فرض حتى يكون ذلك مبنيًا على هذا الأصل ، ومُدارًا على هذا القطب ، وإن كان خارج عنهما وراض بخلافهما ، نخرج من دينه ، أئيم بربه ، برئ من عصمته ، وأثم من بين الرعية فقد خصصتم سالفًا بحسن النظر لكم ، وعُرفت الطاعة الحسنة منكم ؛ فتقابلت النعمة والشكر ، تهابلاً طالب به الذكر ، وانتظم به الأمر ؛ ثم حدثت الحقوة المعترضة قُبيل ، فكان أمير المؤمنين مُوجِبًا للعاقبة المُوجِبة على الجاهل المُوضِع في الفتنه ، والمُعَانِبة المُمِضَّة على الحكيم منكم القاعد عن النصرة ؛ إلى أن وردت كُتُب أستاذهم من بن الحسن ، حاجب صمصام الدولة ، باستمراركم على كلمة سواء ، في نصرة الأولياء ، والحماية ثوبهم ؛ ومُدافعة الأعداء والمُراماة لهم ؛ فوقع ذلك من أمير المؤمنين أحسن مواقعِه ، ونَزَلَ لديه أَلطف منازِلِه ؛ وأوجب لكم به رضاه المقتَرَن بِرضا الله سبحانه ، المُوَجِب للقربة والزُلْفَى عنده ؛ وأمير المؤمنين يأمركم بالدوام على ما أتم ، والثبات على ما استأنفتم ، والمبادرة إلى كل ما يأمركم به فلان الوالى عليكم من صمصام الدولة بالاستخلاف والتفويض ، ومن أمير المؤمنين ، بالإمضاء لما أمضاه ، والرضا بما يرضاه ، فاعلموا ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وآتوهما فيه إلى حدّه وبرئتم به ؛ وكُونُوا لفلان الوالى خير رعيّة ، يُكُنْ لكم خير راع ؛ فقد أَمَرَ فيكم بحسن السيرة ، وإحمال المعاملة ، وتخفيف الوطأة ، ورفع المشونة ؛ وجعل إليه عقاب المُسيء ، وثواب المحسن ، ومسالمة المسالم ، ومحاربة المُحارب ، وأمان المستأمن ، وإقالة المستقيل ، وحمل الجماعة على سواء السبيل ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزرائهم)

قال في "صناعة الكتاب" : ويكتب الإمام الوزيرَ أو من حلّ محله «أمتنى الله بك وبدوام النعمة عندى بك ، وبقاء الموهبة لى فيك» وما جرى هذا المجرى .

وذكر في "ذخيرة الكتاب" : أن الدعاء للوزير «أمتنا الله بك وبدوام النعمة لنا فيك وتجديد الموهبة عندنا بك» . ثم قال : ودعا "المكتفى بالله" للقاسم بن عبد الله لما أمر بتكليفه ، وكان الكتاب بخطه «أمتنى الله بك وبالنعمة فيك» ووقع المستنصر إلى وزيره أحمد بن الخصب «مد الله في عمرك» . وهو قريب مما ذكره في "صناعة الكتاب" في ذلك كله . والذي رأيت في مكاتبات العلاء ابن موصلاً عن «القائم بأمر الله» التصدير بما فيه تعظيم الوزير وتقرّظه ، من غير ضابط في الابتداء ، والدعاء في أثناء ذلك بالحياطة ثم التوصل إلى المقصد .

وهذه نسخة كتاب كتب به العلاء بن موصلاً عن القائم إلى وزيره :

لما خص الله تعالى الدولة القاهرة العباسية بامتداد الرّواق ، في العز وآساع النطاق ، وأجرى لها الأقدار بما يجمع شمل الحق ويمتد من تقاطع النّفاق ؛ وأفرد أيامها بالبهاء المثير الأعلام ، والاكتماء في قوة الأمر إلى ما يتأدّى في طاعتها بين اليقظات والأحلام ، وجعل الزمان واقفاً عند حثها في التقض والإبرام ، ومتصرفاً على حكمها في كل ما حاول من حالٍ ورام ؛ ومكّن لها في الأرض حتى أذلت نواصي الأعداء قهراً .

وقسراً، وحسرت عن قنّاع القدرة على رد الطامعين في إدراك مداها ظُلماً حسرياً؛
 فإن الله تعالى لم يُخلِّها كلَّ وقتٍ من قائلٍ في نصرتها فاعل، وقائم بإقامة حشمتها من
 كل حافٍ من الأثام وناعِلٍ، وراغب في اللبّ عن حوزتها سرّاً وجهراً، وخاطب
 من خدمتها ما يُرجى أن يكون رضا الله في المُقابلة عنه أغلَى مَهراً؛ ونالج جدد الرشد
 في المناضلة عنها بسيفه وقلمه، وفارح للكرب الحادثة فيها بنطقٍ فيه وسعى قديمه .
 وقد منح الله أيام أمير المؤمنين - من كوثك الولي بمواصلات المقامات الغرفيا،
 والخلّي من كل ما يبين صحة الموالاة ويُنافيها؛ والضمين لما عاد عليها باستقامة
 النظام، والضمين بما يُوجد للغير الطريق إلى وصول الخنف إليها والأهتظام؛
 والمتجرد في إمداد عزها بالإحصاف والإمرار، والمتفرد بإعداد أقسام المناضلة
 دُونها في الإعلان والإسرار؛ والبازل وسعه فيما نَحَى إليها أَعنة السعد ولَوَاهَا، والخالذ
 كلَّ مستنجد بها فيما يخالف محبتها وهوأها؛ ما أوفى على المألوف في أمثلها من قبل،
 وصارك به على كل من سلفك من الأعضاء التقدّم والفضل، فهي - بآثارك الحميدة
 فيها، وإجارك الحد في تشييد مبانيها؛ وكوثك كافيًا أمر المحاماة من ورائها، كافًا عنها
 ما يُخشى من حدوث أسباب الفساد وأعتراها - مينةُ الجانب مريعةُ الجانب،
 سريرةُ فيها السعود إلى ما يلبي نداءها بأحسن التلية والجواب .

ثم إنه وإن كانت زُفْلُك إلى حضرة أمير المؤمنين باديةً المُجول والقرّر، غير محتاجة
 إلى إقامة الدليل عليها بما اتّضح من أمرها وأشتهر، فإن فلانا يُعيد جلاها دائماً
 في أبهى الملبّس وأنضرها، ويُجسد الحد في الدلالة على تعالٍ تحبّرها في الجنال
 ومَنظرها؛ ويكشف من صفاء السرائر فيها والبواطن، وما يطلع عليه منها في كل
 الحال والمواطن؛ ما يُنبه في وصفه ويُسبج سماع ذكروه ويُطرب .

وفي هذه التوبة عاد، وقد زاد، على المهود من شُكرك وجازته، وأبان عن صلته بالوعد في ضمان التَّجَحُّج منك تَجَازَه؛ وأوجب على نفسه أن لا يَقيف عند حدٍّ فيما يؤدي إلى نشر محامدك في الأرض، وطلى الجوانح لك على الإخلاص الصادق المتخص.

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين على رثمه الذي ومم بالجمال جبينه، وأبتسم نثر التوفيق فيه عما أصبح التَّجَحُّج ألبس سعيه وقريته، وبحسب فوزه من شرف الخطوة برتبة لم يثلها أحد الأقران له في الزمان، وقوته شأوا أبناء جنسه يوم المضار والرهان؛ كفاء ما يستوجبه بقاء قيمته في الكمال، والبقاء به في كل مقام أمين حد مضايه فيه الكلال؛ أشار يذكر مقاصدك التي حُرِّت بها من غنائم التمدد الصفايا، وشاد مباني محامدك بفضل الإبانة عن السرائر والحقايا؛ وتابح الثناء على كل من أفعالك التي أسى هلاكك فيها مُقِمِّرا، ووصَّح فيها كوثك بشروط الإخلاص محبا مُضْمِرا؛ وشرح من توفرك على كل قرابة غراء تغري الألسنة بمحمدك، وتنبئ عن حُسن مقصديك برفع عماد الحق وعمدك؛ ما قامت عليه الأدلة، واستقامت به على سنن الرشد الأهواء المُضِلَّة؛ وبين من إمضاءك كل عزم في تهيئة القُرْبَات إلى حضرة أمير المؤمنين حالا خالا، وإبطائك خطا الحد فيما يُراد بزلِّك البالغة أقصى الغايات لديه سابقا واتصالا، ما يضاهي المظنون في تلك العقيدة التي طالما ألفت في نصرة الدولة القاهرة صافية المورِد والمتمهل، حالية من الحُسن بكل حلٍ أتضح فيها ما أُلْهِ عن غيرها من الوصف وأذهل؛ فقويست بما تستحقه من إحداء أُنْسِج وأُدْبِج، وأُنْسِج فيه الواجب وأطيع؛ وتضاعف الاعتداد بأفعالك التي أعنت بالوَر من أفعال والأبكار، وأعدت بها الأمور في الصَّلاح إلى ما يؤمن بإيضاحه المجد والإبتكار. ومن أحق منك بكلِّ فعَالٍ تُضَيء مصابيح الخير فيه، وينتشر جميل الذِّكر من مفاويزه، وأنت للدولة الولي الأمين!، وبحفظ نظام كلِّ أمرٍ يختص بها التكميل

الضَّعِيفِينَ؟ وَمِنْ أَوْلَىٰ مِنْكَ بِكُلِّ حَيْدٍ يَهْدُ إِلَيْكَ إِمْدَادُهُ أَرْسَالًا، وَيَجِدُ مِنْهُ ضَالَّةً تَسْتَدْتُ
مِثْلَهَا آمَالٌ سِوَاكَ قَابَتْ بِالنَّحِيَةِ عَجَالًا؟ فَلَاكَ مِنَ الْحَقُوقِ مَا لَا يُلْمَىٰ، وَمَا يَلْزَمُ أَنْ يُرْعَىٰ
فِي كُلِّ مُصْبَحٍ وَمُمْسٍ. فَأَحْسِنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ عَنْ كَوْنِكَ فِي دَوْلَتِهِ ذَابًا عَنْ الْجَمْدِ حَامِيًا.

فَأَمَّا مَا تُمَحَّدُ فِي مَعْنَى الْأَعْمَالِ عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي قَضَىٰ بَزْوَالِ الْخُلُفِ وَالْأَحْسَامِ،
وَأَقْتَضَىٰ رَأْيَكَ لِإِبْرَاءِ الْأَمْرِ عَلَى مَا اسْتَصْبُوبٌ مِنْ أَسَاقِفِهِ وَأَنْتَظَامِهِ؛ فَقَدْ وَقَفْتَ
عَلَيْهِ، وَأَجِيزًا أَثَرْتَ إِلَيْهِ؛ فَأَعْوَاضُ الدُّنْيَا تَهْوَنُ وَتَسْهَلُ فِي ضَمْنِ مَا يُحَظُّ مِنْ
اعْتِنَاكَ أَحْكَامَ مَشَايِعِ الدَّوْلَةِ الَّتِي قُتَّتْ بِأَعْيَانِهَا فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَغَدَتْ أَثَارُكَ فِيهَا
بَاقِيَةُ الذِّكْرِ وَالْأَجْرِ عَلَى تَقْضَى الْأَزْمَانِ؛ فَأَنْتَ الْمَرْغُوبُ فِي النَّشَاءِ وَالْيَأْيَةِ وَإِنْ شَانَتْ
الْأَحْوَالُ، وَالْمُخْلِصُ الَّذِي لِأَعْوَضَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَمَقَالٍ؛ فَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ بِتَفْصِيلِ
ذَلِكَ وَجَمَعْتَهُ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ إِلَىٰ سُلُوكِ طَرِيقِهِ وَجَدَدَهُ، وَلِذَلِكَ
أُجِيبُ فُلَانًا إِلَى الْحُضُورِ وَالْمُسْتَعْظَمُونَ مَعَهُ، وَأُذِنَ فِي الْمَقَابِلَةِ بِالْقَوَانِينِ الْقَدِيمَةِ وَالْبَاقِي
وَالْجَرَائِدِ، وَالْمُوَافَقَةُ عَلَى مَا رَأَيْتَهُ فِي الْبَوَادِي وَالْعَوَائِدِ، وَالتَّزَيُّعُ عَنْ كُلِّ مَا شَدَّ عَنْ
الْجَمْعَةِ الْمُؤَكَّدَةِ بِتَوْفِيقِكَ وَتَوْفُرِ الْمَوْجُودِ لِهَذِهِ السَّنَةِ فِيهِ عَلَيْهِ، وَحُجْمُ مَوَادِّ اسْتِرَادَتِهِ
فِي كُلِّ مَا تَمَسَّكَ بِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ؛ وَالثَّقَّةُ مِنْ بَعْدِ مُسْتَحْكِمَةٍ بِتَوْفُوقِكَ عَلَى مَا يُرَادُفُ إِلَيْكَ
إِمْدَادَ الْحَمْدِ، وَتَجْدِيدِكَ كُلِّ قُرْبَةٍ تَتَضَمَّنُ إِلَى سَوَابِقِهَا الْمُتَجَاوِزَةِ حُدَّ الْإِحْصَاءِ وَالْعَدِّ.

فَأَمَّا مَا تَضَمَّنَتْهُ إِشَارَتُكَ فِي حَقِّ السِّرِّ الرَّفِيعِ، فَهَلِ الصَّلَاحُ إِلَّا مِنْ تَسَامِيحٍ
أَقْوَالِكَ؟، وَهَلِ مَسَاعِيكَ إِلَّا مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْخَيْرِ وَأَفْضَالِكَ؟، وَهَلِ الْمُوَافَقَةُ إِلَّا لَكَ
فِي جَمِيعِ آرَائِكَ وَأَبْجَائِكَ، وَبِحَكْمِ آبَتِكَ لَاسْتِقَامَةِ النَّظَامِ فِيهَا قُرْبٌ وَبَعْدٌ،
وَالسُّكُونُ إِلَى إِسْعَافِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحْتَدُّ وَيَتَجَدَّدُ؛ وَيَبْعَثُ عَلَى مَا يُبْعِدُ رَوْقَ
الْحِشْمَةِ مِنَ الْوَهْنِ، وَيَهْزِ طَاعَتَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُحَقِّقُ التَّقْدِيرَ فِيهَا وَالظَّنَّ؛ فَإِذَا

تُصَفِّحَتْ حقوقُ الوكلاء المُجْتَبَاةِ وَجِلَتْ مَوْفُورَةٌ عَلَى أَقْتَاءِ الْأَجْرِ، مَصْرُوفَةٌ فِي وَجُوهِ
 الْبَرِّ الَّتِي هِيَ أَفْعَى الذُّخْرِ فِي قَدِّ . وَهَلِ الْأَعْوَاضُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَطُنُّ الدُّنْيَا بَيْنَهَا قِيَمَةٌ
 تَنَافَسَ ، وَهَلِ مَصِيرُهَا إِلَّا إِلَى أَقْضَاءَ وَلَوْ أَسْعَفَتْ بِالرَّغَائِبِ وَالتَّغَائِسِ ، غَيْرَ أَنَّ
 الْأَحْوَالَ إِذَا كُشِفَ مُسْتَوْرُهَا أَثْبَتَ مَا يَحْتَضِي إِسْبَالِ سِتْرِ الْإِشْفَاقِ ، وَالْبَوَاطِنُ مَتَى
 أُعْرِبَ عَنْهَا أَثْبَتَ ذَلِكَ كُلُّ جُنَائِبِ الدَّوْلَةِ مِنْ أَهْلِ التَّقَاقُ ، وَأَنْتَ الْمُعْتَمَدُ لِتُدِيرَ
 مَا يَصُونُ حِشْمَةَ الدَّوْلَةِ عَنِ الْبُذْلَةِ وَالْخَلَلِ ، وَالْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الْأَمْرِ فِيمَا وَقَعَ
 الْاجْتِهَادُ فِيهِ حَتَّى تَيْسَّرَ قَدْرُهُ وَتُسَهَّلَ ، وَلِهَذَا تَفْصِيلُ قَدْ أَوْعِزَ إِلَى فُلَانٍ بِاسْتِقْصَاءِ
 شَرْحِهِ ، وَإِطْلَاقِهِ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَقَصِّهِ ، فَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فِيكَ ، تَجِدُ زَيْدًا بِكَ
 بِذَلِكَ أَوْرَى ، وَتَجِبُ لَكَ بِهِ صُنُوفُ الشُّكْرِ طَوْرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(ما يكتب عن الخلقاء إلى وزراء الملوك)

وهي مما يؤتى في صدرها بحرف النداء غالبًا . كما كُتِبَ عن المسترشد إلى معز الدين
 الفضل بن محمود ، وزير معز الدين سنجر بن ملكشاه .

مَقَامُكَ يَا مَعِزَّ الدِّينِ - أَحْسَنَ اللَّهِ حَيَاتُكَ وَكُلَّ مَوْهِبَتِهِ عِنْدَكَ - فِي خِدْمَةِ الدَّارِ
 الْعَزِيزَةِ الَّتِي مَازَلْتَ بِجُهِدِكَ فِيهَا بِإِذْنًا ، وَفِي جَلَابِيبِ الْمُنَاصَحَةِ رَافِلًا ؛ لَا يَقْبِضُكَ
 أَنْ تَوَاصِلَ حَالًا خَالَا بِأَنْبَاكَ ، وَتَسْتَلِيمَ مَا خُصِّصَتْ بِهِ مِنْ شَرِيفِ الْأَدَابِ
 الْمُؤَيَّةِ بِكَ عَلَى أَكْفَانِكَ . وَعُرِضَ بِمُضَرَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًا عَلَى طَاعَتِكَ
 الْمَعْهُودَةِ ، وَمَوَالِيكَ الرَّاهَةِ الْمَشْهُودَةِ ، وَأَسْتَمْرَارِكَ عَلَى الْجَدِّ وَالْمَهْيَعِ فِي مَا حَازَ الْعَرَضِيُّ

الشريفة الإمامية لك ، وحقق في الفوز بجيـل الآراء أمـلـك . وناطقاً بحال فلان المارق عن الدين ، المجاهر بمعية الله تعالى في مخالفة أمير المؤمنين ، وما اقتضاه الرأي المعزى بحسن سفارتك ، وسداد مقصدك في الطاعة وصفاء نيتك . وأحاط علماً بمضمونه الذي لا ريب أنه ثمرة مناصحتك ، ونتيجة سعيك المضاهي نصيحة عقيدتك ؛ ومن أولى منك بهذه الحال ؟ وأنت الحول القلب ، ذو الحنكة المحرب ، الذي تفرد في الأتـام بكـالـه ، وقصر أكفـاؤه عن درك شأوه في الخير ومثاله ، وما زلت حديثاً وقديماً موسوماً ، بهذه العزيمية مرفوقاً ؛ وبغير شك أنك تُراعى مابدأت به ، وتعضد ممالك في موارد ، بما تعمله في مصادره ، وتحرس ما قدمته من الاحتياط بتحرّيك في أواخره ؛ وتُمنى العزيمة لإتمام ما شرعت فيه ، كفاء ما يُوجبه دينك ويقتضيه ؛ جراً على وتيرتك فيما قضى للأحوال بالانتظام والأتساق ، وأذنَ لشمس الصلاح بالإضاءة والإشراق .

وبعد فقد عرفت ما تكرر إليك في أمر هذه الطائفة الخبيثة ، المكاشفة بذهب الإلحاد ، المبارزة بسوء الاعتقاد ؛ بعثاً على جهادها ، وكف ضررها عن الإسلام وفسادها ؛ ورفع ستر المراقبة عنها ، والانتقام لله ولرسوله منها ؛ وما يُقنع من همة معز الدولة والدين - أمتع الله ببقائه - ومن أفر عقلك ودينك ، وصنق يقينك ؛ إلا بإزهاف العزيمة في مكاشفتها ، وخوض الغمار في محاربتها ؛ والقصد لمضايقته من أحصم منها بالقلاع ، وقتل كل من يُظفر به في سائر البقاع ؛ حيةً وأمتاعاً للدين ، وأنفاً مما أسئولى عليه بها من الضرر الممين ؛ فكُنْ من وراء الحبِّ لمز الدنيا والدين على تيقنك هذا المثال ، والآدكار بما تفوز به مع الامتثال له في المال ، وأنهُضْ في تنفيذ ما يأمرُك به في هذا الباب نهضةً من أثر رضا الله وأرادته ، وبذل في صلاح معاده أجتهاده ؛ فإن الله سبحانه لا يرضى منك إلا الانتصار لدينه بالتقصير ،

وأمر المؤمنين أمركا بالحدّ فيه والتشمير؛ وقد شرفك بحَقّة أمر بجلها إليك من بين
يَدَي مُدَّتِه، وأعرب بها عن مكانك من حضرة؛ إنافة على الأمثال بقدرك،
وإضافةً لملايس تخرك؛ فأعرف بمكان النعمة في ذلك، وأسلك في القيام بشكرها
أوضح المسالك؛ وأديم المواصلة بمطالعتك، وقدم التوقُّع من إجابتك، تُز من المراضى
الشريفة بالخط الأسنى، ويحتج لك منها الاسم والمعنى، إن شاء الله تعالى.

الطرف الرابع

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بنى العباس في الديار المصرية)

بعد مصير الخلافة إليها)

وهي على ثلاثة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يُفتَح الكتاب بلفظ « من فلان إلى فلان »)

والحكم فيها على ما كان الأمر عليه في خلافتهم ببغداد ، إلا أنه زاد فيه لفظ
« ووليه » بعد لفظ « عبد الله » في أوّل الكتاب فيقال في افتتاحه : « من عبد الله
ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى » . ثم يقال : أما بعد حمد الله، ورضوا على آخر
الخطبة، ثم يتخلّص منها ويختم بالأمر بامتثال ما أمر به . ويقال بعد ذلك : موقفا
إن شاء الله تعالى . والخطاب فيه بالكاف، وربما أفتتح الكتاب بآية من القرآن الكريم
مناسبة للمعنى .

وهذه نسخة كتاب كُتِب به عن الإمام المستكفى بالله « أبى الربيع سليمان ابن
الحاكم بأمر الله أحمد » إلى الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر صلاح

الدين يوسف بن رسول في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » في سنة سبع وسبعائة ، حين منع صاحبُ اليمن الهدية ، التي جرت العادة بإرسالها إلى الأبواب الشريفة بالديار المصرية ، مفتحة بآية من القرآن ، وهو :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) .

من عبد الله وولَّيه أبي الربيع سليمان .

أما بعد حمد الله ما نَحِيَّ القلوب السليمة هُندًا ، وحرَّشِدِ العقول إلى أمر مَعَادِهَا ومَبْدَاهَا ؛ ومُوفِّق من أختاره إلى حُجَّةِ صوابٍ لا يَضِلُّ سَالِكُهَا ، ولا تُظْلَمُ عند إخلافِ الأمور العِظامِ مَسَالِكُهَا ؛ ومُلهِمٍ من أصطفاه لاقتناء آثَارِ السُّنَنِ النبوية ، والعمل بمُوجِبَاتِ القواعد الشرعية ، والانتظام في سِلْكٍ من طَوْقَتِهِ الخِلافةُ عَقُودَهَا ، وأفاضتْ على سُدَّتِهِ الجَلِيلَةِ بُرُودَهَا ؛ وملكته أفاصِيَّ البلاد ، وأناطتْ بأحكامه السديدة أُمُورَ العباد ؛ وسارتْ تحتِ خَوَافِقِ أعلامه أعلامُ الملوك الأَكاسِرَةِ ، وشِدَّتْ بأحكامه مَنَاجِجُ الدُّنْيَا وَمَصَالِحُ الْآخِرَةِ ، وتَجَرَّكُلُ مِنِيرٍ من ذِكْرِهِ في قُوبٍ من السيادة مُعَلَّمٌ ، وتَهَلَّلَتْ من ألقابه الشريفة أسَارِيرُ كُلِّ دِينَارٍ وِدْرِهِمْ .

يَحْمَدُهُ أمير المؤمنين على أن جعلَ أُمُورَ الخِلافةِ بِنِي العباس مَنُوطَةً ، وجعلها كلمةً باقيةً في عَقِبِهِ إلى يومِ القِيَامَةِ مَعُوطَةً ؛ ويَصَلِّي على ابنِ عمِّه الذي أَمَحَدَ اللَّهُ بِمَعْنَتِهِ مَا نَارَ من الفَنِّ ، وأطفأ برسالته ما أضرطهم من نارِ الإحْنِ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه الذين سَمَّوْا حِمَى الخِلافةِ وذادُوا عن مَوَارِدِهَا ، وعمدُوا إلى تَهْيِيدِ الْعَالَمِ الدِّينِيَّةِ فَأَقَامُوهَا على قَوَاعِدِهَا ؛ صلاةً دائمةً القُدُورِ وَالرَّوَّاحِ ، متصلةً أَوَّلُهَا بِطَرَةِ اللَّيْلِ وَآخِرُهَا بِحَيِّينِ الصَّبَاحِ .

هذا وإن الدين الذى فرض الله على الكافة الانضمام الى شعبه ، وأطلع فيه شمس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب في غربه ؛ جعل الله حكمه بأمرنا منوطا ، وفى سلك أحكامنا مخروطا ؛ وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفا طال نجادُه ، وكثر أعوانه وأنجادُه ؛ وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية وإلى حرمانها ثمراتها ، ورفع إلى ديواننا العزيز قضيها وإثباتها ؛ يتخلف الأسد إن مضى في غايه شبلة ، ويقتفى في الخبر والخبر مثله .

ولما أفاض الله علينا حلة الخلافه ، وجعل علنا الشريف محل الرحمة والرافه ؛ وأقمدا على سدة خلافة طالما أشرقت بالخلائف من آبائنا ، وأبتهجت بالسادة الفطارييف من أسلافنا ؛ وألبسنا خلعة هى من سواد السؤدد مصبوغه ، ومن سواد العيون وسويداوات القلوب مصبوغه ؛ وأمضينا على سلتنا الشريفة أمر الخاص والعام ، وقلدنا كل إقليم من عملنا من يضلح سياستها على اللوام ، واستكفينا بالكفاة من عملنا على أعمالنا ، واتخذنا مصر دار مقامنا وبها سدة مقامنا ، لما كانت في هذا العصر ربة الإسلام ، وبيعة الإمام وثانية دار السلام ؛ تعين علينا أن نتصفح جرائد عملنا ، وتامل نظام أعمالنا ؛ مكانا فمكانا ، وزمانا فزمانا ؛ قصصنا فوجدنا قطر اليمن خاليا من ولايتنا في هذا الزمن ؛ عرقنا هذا الأمر من اتخذناه للملك الإسلامية عينا وقلبا ، وصندرا ولبا ؛ وفوضنا إليه أمر الممالك الإسلامية فقام فيها مقامنا أقعد الأضداد ، وأحسن في ترتيب ممالكها نهاية الإصدار وغاية الإيراد ، وهو السلطان الأجل ، السيد الملك الناصر المبجل ؛ لازالت أسباب المصالح على يديه جارية ، وصحابة الإحسان من أفق راحته سارية ؛ فلم يعد جوابا لما ذكرناه ، ولا عذرا عما أبديناه ، إلا بتجهيز شريفة من بحافله المشهورة ، وتعيين أناس من فوارسه المذكورة ؛

يَقْتَحِمُونَ الْأَهْوَالَ، وَلَا يَتَّبِعُونَ بَتَغْيِرَاتِ الْأَحْوَالِ؛ يَرَوْنَ الْمَوْتَ مَغْنَمًا إِنْ صَادَفُوهُ، وَشَبَابَ الْمَرْهَفِ مَكْسَبًا إِنْ صَافَحُوهُ؛ لَا يَشْرَبُونَ سِوَى الْمُدَامِ^(١) مُدَامَهُ، وَلَا يَلْسُونُ غَيْرَ التَّرَانِكِ عِمَامَهُ؛ وَلَا يَعْرِفُونَ طَرًّا إِلَّا مَا أَصْدَرَهُ صَلِيلُ الْحُسَامِ مِنْ غَنَاءٍ، وَلَا يَزَلُونَ قَفَرًا إِلَّا وَابِتَّ سَاعَةٌ نَزُولِهِمْ مِنْ قَتَا. وَلِأَوْثَقِنَا مِنْهُ بِإِفَادَتِهِمْ رَاجِعًا رَأْيِنَا الشَّرِيفَ، فَاقْضِي أَنْ يُكَاتَبَ مَنْ بَسَطَ يَدَهُ فِي مَمَالِكِهَا، وَأَخْطَأَ عَلَى جَمِيعِ مَسَالِكِهَا؛ وَأَتَّخِذْ أَهْلَهَا حَوْلًا، وَأَبْدَى فِي خِلَالِ دِيَارِهَا مِنْ عَدَمِ سِيَاسَتِهِ خَلًّا. بَرَزَ مَرِئُونُ الشَّرِيفِ النَّبَوِيَّ أَنْ يُكَاتَبَ مَنْ قَعَدَ عَلَى تَحْتِ مَمْلَكَتِهَا، وَتَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ أُمُورِ دَوْلَتِهَا؛ وَطُولِعَ بِأَنَّهُ وَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي هِنْدٍ، وَشُبَّهَ تَمَسُّكُ بِأَذْيَالِ الْمَوَاقِفِ الْمُسْتَعْصِمِيَّةِ وَهُوَ مُسْتَصْحِبُ الْحَالِ عَلَى زَعْمِهِ؛ أَوْ مَا عَلِمَ الْفَرَقَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ؟ أَوْ مَا تَحَقَّقَ الْحَالُ الَّذِي بَيْنَ النَّفْسِ وَالْإِثْبَاتِ؟، أَصْدَرْنَا إِلَى الرَّحَابِ التَّعْزِيَةَ، وَالْمَعَالِمَ الْيَمْنِيَّةَ تُشْعِرُ مَنْ تَوَلَّى عَنْهَا فَاسْتَبَدَّ، وَتَوَلَّى كِبَرَهُ فَلَمْ يُسْرِجْ عَلَى أَحَدٍ؛ أَنْ أَمْرَ الْيَمَنِ مَا بَرَحَتْ قُوَانِنُهَا تَحْكُمُ فِيهِ بِالْأَيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَالتَّقْوِيَّاتِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ جَرِيحَةٍ؛ وَمَا زَالَتْ تَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ وَمَا تَمَّشِي بِهِ الْجِبَالُ مَشْيًا وَثِيدًا، وَتَقْنِفُهُ بَطُونُ الْجَوَارِي إِلَى ظُهُورِ الْعَمَلَاتِ وَلَيْسَ، وَطُطَالِنَا بِأَمْرِ مَصَالِحِهِ وَمَفَاسِدِهِ، وَبِحَالِ دِيَارِهِ وَمَعَاهِدِهِ؛ وَلِكِ أَسُوءِ بَوَالِيكَ فُلَانٍ، هَلَّا أَقْتَفَيْتَ مَا سَنَّهُ مِنْ آثَارِهِ، وَقَلَّتْ مَا دَوَّنتَهُ أَيْدِي الزَّمَنِ مِنْ أَخْبَارِهِ.

وَأَتَّصِلُ بِمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ أُمُورَ صَدَرَتْ مِنْكَ.

منها - وهى العظمى التى ترتب عليها ما ترتب - قطع الميرة عن البيت الحرام ، وقد علمت أنه وإد غير ذى زرع ، ولا يحل لأحد أن يتطرق إليه بجمع .

ومنها - انصبأبك إلى تفرغ مال بيت المال في شراء لمو الحديث، وقض المهود القديمة بما تُبديه من حديث .

ومنها - تعطيل أجياد المتأبر من عقود آسمنا، وخلو تلك الأماكن من أمور عقدا وحلنا؛ ولوأوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطلال، ولا تسعت فيه دائرة المقال؛ رمتنا بها والسيف يود لو مبق القلم حده، والعلم المنصور يود لو فات العلم وأهتر بتلك الروابي قده؛ والكاتب المنصورة تختار لو بدرت عنوان الكتاب، وأهل العزم والحزم يوثون إليك أعمال الركب، والجواري اللشآت قد تكوئت من ليل ونهار، وبرزت كصور الأفيصة ليكنها على وجه المساء كالأطيار؛ وما عمدنا إلى مكاتبتك إلا للإندار، ولا احتجنا إلى غاطبتك إلا للإعذار؛ فأقلع عما أنت بصديه من الخيلاء والإعجاب، وانتظم في سلك من استخلفناه فأخذ يمينه ما أعطى من كتاب؛ وصن بالطاعة من زعمت أنهم مقيمون تحت لواء حلمك، ومتظلمون في سلك أوامر كليك، وداخلون تحت طاعة قلبك؛ فلست نسن الغارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبه، وأمتل أوامر الله المطاعة عقله ولبه؛ ودان بما يجب من الديانة، وتقلد عقود الصلاح والتحف مظارف الأمانه؛ ولستنا ممن يأمر بتجريد سيف إلا على من حلمنا أنه تخرج عن طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا . فأصدرنا مرسومنا هذا إليه نقض عليه من أنباء حلمنا ما أطال مدة تولته، وشيد قواعد صوته؛ ونستدعي منه رسولاً إلى مولفنا الشريفة، ورحاب ممالك المنيعة؛ لينوب عنه في قبول الولاية نائب نفسه، وليجن بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غرس تجر طاعتنا - ومن سعادة المرء أن ينجي ثمار غرمه - بعد أن يضحجه من ذخائر الأموال ما كثر قيمة وخف حملا، وتعالى رتبة وحسن مثلاً؛ وأشرط على نفسك في كل سنة قطيمة ترقها إلى بيت المال . وإياك ثم إياك ! أن تكون على هذا الأمر ممن مال؛

وَرَبَّ جَيْشًا مَقِيًّا تَحْتَ عَلمِ السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْمَلِكِ النَّاصِرِ لِقَاءِ الْعُدُوِّ الْخَنُذُلِ النَّسَارِ،
 الْحَقَّ اللَّهُ أَوْلَاهُمْ بِالْمَلَاكِ وَأَخْرَجَهُم بِالْبَوَارِ . وقد علمتَ غَضَائِلَ أَحْوَالِهِمِ الْمَشْهُورَةِ ،
 وَتَوَارِيخَ مَبِيرِهِمِ الْمُنْكَورَةِ ؛ فَأَحْرِصْ عَلَيَّ أَنْ يُحْصِكَ مِنْ هَذَا الْمَشْرَبِ السَّائِغِ أَوْفَرُ
 نَصِيبٍ ، وَأَنْ تَكُونَ مِنْ جَهَّزِ جَيْشِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرِيًّا بِسَمِّهِمْ فَلَهُ أَجْرُكَانِ مُصِيبَا
 أَوْ [غير] مُصِيبٍ ؛ لِيَعُودَ رَسُولُكَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ بِتَقَالِيدِهَا وَتَسَارِيفِهَا حَامِلًا أَهْلَةً
 أَعْلَامَنَا الْمَنْصُورَةَ ، شَاكِرًا بِرِّمَوَاقِفِنَا الْمُبْرُورَةِ ؛ وَإِنْ أَبِي حَالُكَ إِلَّا أَنْ أَسْتَمَرَّتْ عَلَيَّ
 غَيْبُكَ ، وَأَسْتَمَرَّتْ مَرَّعِي بَنِيكَ ؛ فَقَدْ مَنَعْنَاكَ التَّصَرُّفَ فِي الْبِلَادِ ، وَالنَّظَرَ فِي أَحْكَامِ
 الْعِبَادِ ؛ حَتَّى تَطْلُأَ خَيْلُنَا الْعِتَاقُ مَشْمِخَاتٍ حُصُونِكَ ، وَتَجْعَلَ حَيْلُنَا سَاعَةً مَنُونِكَ ؛
 وَمَا عَلَمْنَاكَ غَيْرَ مَا عَلِمَهُ قَلْبُكَ ، وَلَا فَهَمْنَاكَ غَيْرَ مَا حَمَلَهُ لُبُّكَ ؛ وَلَا تُكُنْ كَالصَّغِيرِ
 يَزِيدُهُ كَثْرَةُ التَّحْرِيكِ نَوْمًا ، وَلَا مِنْ غَزَاهِ الْإِمَهَالِ يَوْمًا فَيَوْمًا . أَعْلَمْنَاكَ ذَلِكَ فَأَعْمَلْ
 بِمَقْتَضَاهُ ، مَوْفِقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الأسلوب الثاني

(أَنْ يُفْتَحَ الْكُتَابُ بِخُطْبَةٍ أَوْ مَصْدُورَةٍ بآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ دُونِهَا)

كَمَا كَتَبَ عَنِ الْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ « أَحْمَدُ بْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قِلَادُونَ ،
 الرِّبِيعِ سَلِيمَانُ » إِلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ : أَحْمَدُ بْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قِلَادُونَ ،
 وَهُوَ بِالكَرْكِ ، يَسْتَدْعِي حُضُورَهُ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ لَتَقْلِيدِ السُّلْطَنَةِ
 الشَّرِيفَةِ ، بَعْدَ خَلْعِ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ ، وَإِسْكَاتِ الْأَمِيرِ
 قُوصُونَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ .

وقد ذكر صاحب "الدر المنقط" أنه كتبه في قطع البغدادى الكامل بين يدي
 الأمير قطلوبغا الفخرى كافي السلطنة الشريفة . وهذه نسخته :

﴿الَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَخَوَّلَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبينٍ﴾ .

فالحمد لله الذى أسبغ نعمة الظاهرة والباطنة، وألف قلوب أوليائه المتفقة والمُتباينة، وأخذ بنواصي أعدائه المُراجعة والبائسة؛ وأعلى جَنَته الدولة القاهرة، وأطلع في أسنة العوالي نجومها الزاهرة؛ وحرك لها العزائم فلبكت والأمور بحمد الله ساكنة، والبلاد - والمنة لله - آمنة، والرمايا في مكانها قاطنة، والسيوف في أغمارها مثلُ الثيران في قلوب حُسادها كامينة . وأقام أهل الطاعة بالفرض، واستوفى بهم القرض، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعدهُ وأورثنا الأرض، وأعز أنصار المقام الشريف العالى وأعز نصره، وأعد لسُنُوهُ حَضْرهُ، وأتى بدولته الفراء تسمو ثُموسها، وتُشمر غروبها، وتظهر في حُلّ الصباح المشرق عروبها، ونجى منه بغير راع للرعية يسومها؛ وبشّرهُ بالملك والنوام، وسرّه بما أجمع له من طاعة الأنام، وأقدمه على الكرمى ملكه يُظله النعام، وأراه يوم أعدائه وكان لا يُظن أن يرى في المنام؛ ولا يزال مؤيد الهِمم، مؤكداً الذم، مجدد البيعة على رقاب الأمم؛ ولا برحت أيامه المقبلة مُقبلة بالثَم، خُضر الأكاف على رَغَم من كاد وَغِيظ من رَغَم؛ ولا قُتلت عهود سلفه الشرفَةُ نُسْناً له كما كانت، ورطايه تدب له بما دانت، وجنوده تُقدِّبه من النفوس بأعز ما ذُخِر وما صانت؛ وسعاده سلطانه تُكشِف الغم، وتُنشر الذم، وتُعيد إلى أنوف أهل الأتفة الشَم، وتحفظ ما بقي لأوليائه من بياض الوجوه وسواد اللَّحم .

سَطَرها وأصدرها وقد حُققت بوائد الله الظنون، وصَلَّت الخواطر العيون؛ وأنجز الله وعدهُ، وأتمَّ سَعْدَهُ، وجمع على مقامه الكريم قلوب أوليائه،

وَفَرَّقَ فِرْقَ مَدُونِهِ وَأَبَانَهُ بِدَائِهِ ؛ وَوَلَّدَ لِرُقِيَّةِ الْمَنَارِ ، وَرَجُلٍ لَتَرْقُبِهِ الْعَسَاكِرَ ، وَهِيَ
لَمَعَايِلُ أَعْدَائِهِ فِي أَيْدِي أَوْلِيَاءِهِ السُّيُوفِ الْبَوَارِ . وَأَخَذَ قُوصُونَ وَأُمْسِكُ ، وَنُهِبَ
مَالُهُ وَأَسْتَهْلِكَ ؛ وَهَدِمَتْ أَسْبَتُهُ ، وَهَدَمَتْ أَفْنِيَّتُهُ ؛ وَخَرِبَتْ دِيَارُهُ ، وَقَلِعَتْ آثَارُهُ ؛
وَأُخْلِيَتْ خَزَائِنُهُ ، وَأُنْخَرِجَتْ مِنْ بَطُونِ الْأَرْضِ دَفَائِنُهُ ، وَمَا مَانَعَتْ عَنْهُ تِلْكَ الرَّائِبُ
الَّتِي ظَنَّمَا قَسَاوِرَ ، وَلَا نَاضَلَتْ تِلْكَ الْقَيْمَى الَّتِي طَبَعَهَا أَسَاوِرُ ؛ وَلَا أَغْنَى عَنْهُ ذَلِكَ
الْمَالُ الَّذِي ذَهَبَ ، وَلَا ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الَّذِي كَانَ عَرَضًا لِمَنْ نَهَبَ . وَأُعِيدَ إِلَى الْمَهْدِ
ذَلِكَ الْوَلَدُ الَّذِي أَكَلَ الدُّنْيَا بِأَسْمِهِ ، وَقَهَرَ أَبْنَاءَهَا بِحُكْمِهِ ؛ وَمَوَّهَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ،
وَأَخْلَى لَهُ الْغَابَ وَمَانَحَرَ مِنْ الْكِتَاسِ ؛ وَغَالَبَ بِهِ الْقَلْبَ حَتَّى وَطِئَ الرِّقَابَ ، وَدَاسَ
الْأَعْقَابَ ؛ وَخَادَعَ وَدَلَّ الشَّيْطَانَ بِفُرُورِهِ ، وَدَلَّسَ عَلَيْهِ طَاقِبَةَ أُمُورِهِ ؛ فَاعْتَدَ بِعَتَادِهِ ،
وَأَعْتَرَقَ بِقِيَادِهِ ، وَاعْتَرَبَ أَنَّ الْأَرْضَ لَهُ وَمَاعِلِمَ أَنَّ الْأَرْضَ قَدِ يَوْرِدُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ؛
فَأُمْسِكَ وَمَعَهُ رُءُوسَ أَشْيَاعِهِ ، وَحَصَرَتْ بِالْخَوْفِ قُوصُ أَتْبَاعِهِ - وَمِنْهُمْ الطَّنِيفَا .
وَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ بِكَيْفِيَةِ وَصُولِهِ وَحَقِيقَةِ الْخَبَرِ ، وَمَا قَاسَاهُ فِي طَرِيقِهِ مِنْ
الْعَبَرِ ، وَدَاسَ عَلَيْهِ حَتَّى وَصَلَ مِنْ وَخْرِ الْإِبْرَةِ ؛ وَكَذَلِكَ مَنْ جَاءَ مَعَهُ ، وَخَلَّفَ وَرَاءَهُ
الْحَقُّ وَتَبِعَهُ ، بَعْدَ الْمُزِيْمَةِ الَّتِي أَلْجَاهُمْ إِلَيْهَا خَوْفُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي قَعَسَتْ لَهُمْ
عَلَى الطَّرِيقِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِمْ بِمَدَارِجِ أَنْفَاسِهِمْ فِي قَمِّ الْمَضِيقِ ؛ وَعُبِّتْ لَهُمْ صُفُوفُ
الرِّجَالِ ، وَأُعِيتْ لَهُمْ حُتُوفُ الْأَجَالِ ؛ وَخَرِبَتْهُمْ فِي مَسْعَةِ الْفِتَاجِ ، وَأَرْنَتْهُمْ بَوَارِقَ
الْمَوْتِ فِي مُجَبِّ الْعَجَاجِ ؛ ثُمَّ لَمْ يَصِلُوا إِلَّا وَهُمْ أَشْلَاءُ مَزْمَقَةٍ ، وَأَعْضَاءُ مَفْرَقَةٍ ؛ قَدْ قَبِي
تَحْتَهُمُ الظُّهْرَ ، وَقَبِي بِيَوْمِهِمُ النَّهْرَ ؛ وَسَاقَتْهُمْ سَعَادَةُ سُلْطَانِ الْمَقَامِ الْعَالِي إِلَى شَقَاوَتِهِمْ
وَهُمْ رُقُودٌ ، وَعُبِّتْ لَهُمُ الْخَيْلُ وَالْخَلَعُ إِلَّا أَنَّهُمْ مَلَأُوا النَّدْلَ وَهِيَ الْقِيُودُ ؛ فَأَخْلَوْا
بِجَمَاعِهِمْ وَمَنْ كَانُوا عَلَى مُوَالَاتِهِ ، وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ لِمُوَالَاتِهِ ؛ وَجُلُّوا إِلَى الْحَبْسِ النَّاسِ
الْمَكَانِ ؛ وَأُودِعُوا أَحْيَاءٌ فِي مَلْحَمِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَالْأَمْوَاتِ ، وَقَدْ نَالُوا الْمَقْصِدَ إِلَّا أَنَّهُمْ

مَا آمَنُوا الْقَوَاتِ ؛ وَوَكَّلَ بِحِفْظِهِمْ إِلَى أَنْ يُشْرِفَ مَرِيرُ الْمَلِكِ قَعُودَ مَقَامِهِ وَعُقُودَ
أَيَّامِهِ الْحَوَالِي ، وَسَعُودَ زَمَانِهِ الَّذِي لَا يَحْتَمُّ بِالنَّجُومِ إِلَّا خَدَمَ اللَّيَالِي .

وَهَذَا النَّصْرُ إِنَّمَا تَهَيَّأَتْ - وَفِيهِ الْحَمْدُ - أَسْبَابُهُ ، وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا حُصِّحَتْ بِمُشِيئَةِ اللَّهِ
أَبْوَابُهُ ؛ بِعَمَّةِ اللَّهِ وَنِيَّةِ الْمَقَامِ الْعَالِي لَا بِعَمَّةِ أَحَدٍ ، وَلَا بِعَمَّةِ بَأْسٍ مِنْ أَقْدَرٍ ، وَلَا بِأَسٍ
مِنْ حَجَرٍ ؛ وَمَا قَضَى اللَّهُ بِهِ مِنْ سَعَادَةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَمَضَى بِهِ الْقَدَرُ السَّابِقُ وَعَلَى اللَّهِ
الْتِمَامُ ، وَبِمُظَافَرَةِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ السَّيْفِيِّ ، فَطْلُوغِنَا الْفَخْرَى السَّاقِي النَّاصِرَى ؛ أَدَامَ اللَّهُ
نُصْرَتَهُ لِهَذِهِ الْمَعْصَاةِ الْمُؤَيَّدَةِ . وَبِمَضَاءِ عَزَائِمِهِ الَّتِي مَأْوَتْ ، وَقَضَاءِ قَوَاضِيهِ الَّتِي
مَأْتَتْ ؛ وَبِمَوَازَرَةِ مَنْ التَّفَّ طَلِبَهُ مِنْ أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ ، وَبِمَا أَجْعَلُوا عَلَيْهِ مِنْ مُظَافَرَةِ
الْآرَاءِ ؛ وَزَوَلُّهُمْ عَلَى النِّيَّةِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَلَطَهُمْ ، وَلَا يُبَيِّنُهُمْ مَنْ بَنَطَهُمْ ؛ وَلَا يَبَالُغُونَ
بِسَاكِرِ دِمَشْقِ الْمُقِيمَةِ عَلَى حَلَبٍ وَمِنْ مَالِ إِلَيْهِمْ ، وَتَمَالَا مَعَهُمْ عَلَيْهِمْ ؛ وَمِنْ أَنْصَافِ
إِلَيْهِمْ مِنْ جُنُودِ الْبِلَادِ ، وَجِيُوشِ الْعِنَادِ ؛ وَلَا تَوَاضَعُوا مَا كَانَ يَبِيعُ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ الْخَلَاتِنُ مِنْ
وَعِيدِهِ ، وَلَا تَوَاضَعُوا مَا كَادَ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ مِنْ تَهْدِيدِهِ ؛ وَلَا تَبَالُغُوا بِمَا أَلْبَسَ عَلَيْهِمْ مِنْ
جُنْدِ الشَّامِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَصَبَّ طَلِبَهُمْ سُيُولُهُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ؛ وَخَادَعَهُمْ بِالرِّسَالِ
الَّتِي مَا تَزِيدُهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا إِيَّاهُ ، وَلَا تُسَكِّكُهُمْ أَنْ السَّيْفُ أَصْدَقُ مِنْهُ إِنْبَاءً ، حَتَّى وَلَّى
لَا تَنْفَعَهُ الْخِلْدَعُ ، وَلَا تَنْصُرُهُ الْبِدْعُ ؛ فَمَا أَسْعَدَتْهُ تِلْكَ الْجُمُوعُ الَّتِي جَمَعَهَا ، وَلَا أَجَابَتْهُ
تِلْكَ الْجُنُودُ الَّتِي سَارَ طَلِبُهَا إِلَى مَكْنٍ أَجَلِهِ ، وَلَا وَقَّتْ تِلْكَ السُّيُوفُ الَّتِي لَمْ يَظْهَرْ لَهُ
مِنْ بَوَارِقِهَا إِلَّا حَمْرُ الْعَجْجَلِ ؛ حَتَّى أَخَذَ مَعَ طَاغِيَتِهِ بِلِ طَاغُوتِهِ بِمَصْرَ ذَلِكَ الْأَخَذِ
الْوَيْلِ ، وَقَذَفَ بِهِ إِلَى مَهْوَى هَلَكَةِ سَبِيلِ ذَلِكَ السَّبِيلِ ؛ وَقَامَ مَنْ بِالْبِدَارِ الْمَصْرِيَّةِ
قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَتَظَاهَرُوا عَلَى إِزَالَةِ ذَلِكَ الْكَافِرِ النَّعْمَةِ الْبَاحِدِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْأُمَرَاءِ
إِلَّا مَنْ بَذَلَ الْجُهْدَ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الرِّعْيَةِ وَالْجُنْدِ ؛ وَفَعَلَ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ مَا لَمْ
يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ ، حَتَّى حُدِّدَ الْأَمْرُ وَحُدِّدَ الْجَمْعُ ؛ وَتَوَارَتْ الْكُتُبُ بِمَا عَمَّتْ بِهِ الْبُشْرَى

من إقامة الشيعة باسمه الكريم ، وأنه لم يبقَ إلا من أعطى اليقين وأعطى اليقين ، وأتم الحليف إتماماً لا يُقَدَّر معه ثمين ، وأقيمت له السكَّة والخُطْبَةُ فُرُجٌ على المنابر اسمه وتهلل به وجوه النُفُود ، وظَّهَرَ على أسرار الوجود ؛ وضربت البشائر ، ونهبت المسرات السرائر ؛ وتشوقت أولياء هذه الدولة القاهرة أدام الله سلطانها إلى حضور ملكها ، وسُفُور الصباح لإذهاب ما بَقِيَتْهُ حَقَابِيلُ تلك الليلة من حَلَكَمَا . والمقام العالى ما يزداد علماً ، ولا يَزَادُ عِزَّماً ، وهو أدري بما فى التأخير ، وبما فى بُعْدِهِ من الضرر الكبير ، ومثله لا يُلَمُّ ، ومنه يَتَعَلَّمُ ؛ فهو أعلَمُ بما يجب من مسابقة قُدُومِهِ للبشير ، وما سيعن من معاجلة لامتطاء جواده ظهر الخيال وبطن السرير ؛ فاقه الله ! فى تعجيل حفظ هذا السَّوَامِ المُشَرَّد ، وضَمَّ هذا الشَّمْلَ المُشْتَتَّ ونظَّم هذا العِقدَ المُبَدَّد ؛ وجمع كلمة الإسلام التى طالما أَفترقت ، وأتَّجَّاجَ عارض هذه النعمة التى أبرقت ؛ وسرعة المسير فإنَّ صبيحة اليوم المبارك الذى يُعرَف من أوَّلِهِ قد أشرقت ؛ فما بَقِيَ ما به يُقْتَدَر ، ولا سِوَى مُقَدَّمَةِ السعيد يُنْتَظَر .

وقد كتبناها ويَدُنَا مملوذة لمبايعة ، وقلوبُ الخلق كلها مستعنة لتابعته ؛ وكرمى المُلْكُ قد أزلَّ له مقعده ، ومؤمل الظفر قد أُجْمِزَ له موعده ؛ والدهر مطاوعة والزمان مُسَبِّحُهُ ، وطوائف أوليائه ليوم لقائه تُرِصُّهُ ؛ والمهد له قد كُتِبَ ، ولواء المُلْكِ طيه قد نُصِبَ ؛ والمُنْبَرُ باسمه عليه قد خُطِبَ ، والدينار والدرهم هذا وهذا له قد ضُربَ ؛ ولم يبقَ إلا أن يَقْتَرِبَ ، وترى العيون منه ما تَرْهَبُ ؛ ويجلس على السرير ، ويُزَمِّعُ المِبَشِّرَ ويعزِّمُ على المسير ؛ وتُزَيِّنُ الأقاليم ، ويبين تسيير شهابه ما كان بَعْرًا فى التَّقَاوِيمِ ؛ لا زال جَبَبُ مُلْكِهِ على الأقطار مَزُورًا ، وذيل نَفَّارِهِ على السماء مجرورًا ؛ وحبلُ وَلِيَّةٍ مُتَّصِلًا وقلبه مَمْرُورًا ، ومقدمه يحوزله من إرث آبائه نِعَمًا جمة ومُلْكًا كَثيرًا ؛ إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ما استقر عليه الحال في زماننا إلى خلافة الإمام

المتوكل على الله خليفة العصر)

وهو أن تفتتح المكتبة بالسلام، ويؤتى في ألقاب المکتوب إليه بما يكتب من الألقاب عن السلطان على ماسياتى ذكره في المکتبات السلطانيات في الباب الثاني من هذه المقالة، إن شاء الله تعالى .

مثال ذلك : أن تكون المكتبة إلى نائب الشام مثلا، فالذى يكتب إليه عن السلطان : « أعز الله تعالى أنصار المَقَرِّ الكريم العالى » إلى آخر الألقاب الآتى ذكرها هناك، ويكتب عن الخليفة « سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يُحْص المَقَرِّ الكريم العالى » إلى آخر الألقاب .

قلت : ولو سلخوا سبيل الخلفاء السابقين في المکتبات الصادرة عنهم : من الإبتداء بلفظ « من عباده ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين إلى فلان على ما تهتم » وأتوا في ألقاب المکتوب إليه بالألقاب المستعملة في [ذلك] الزمان في المکتبات السلطانية : مثل أن يكتب عن الإمام المتوكل على الله محمد خليفة العصر إلى نائب الشام « من عبد الله ووليه أبى عبد الله محمد الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، إلى المَقَرِّ الكريم العالى الأميرى الكبيرى » إلى آخر الألقاب المقدم بيانها في المقالة الثالثة . ثم يقال : « وسلام على المَقَرِّ الكريم ، فإن أمير المؤمنين محمد إليه الله الذى لا إله إلا هو ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » . ثم يقال : أما بعد ، فإن كذا وكذا ، ويؤتى على المقصد ويختتم بالدعاء وغيره لكن أذهب مع الصواب ، وأوفق لمكتبة الخلفاء السابقين ، وأقرب إلى اقتفاء سبيلهم .

الطرف الخامس

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية،
وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في الكُتُب الصادرة عنهم على سبيل الإجمال)

وقد ذكر صاحب " مواد البيان " وكان من كبار دولتهم في المكتابات الصادرة عنهم نحو المكتابات الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد، فقال : وإن كانت المكتابة من الخليفة فينبغي للكاتب أن يفضل من الدرج قدر ذراع ثم يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم في سطر أول : لأنها أولى ما يُستفتح به، ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج يسيراً « من عبد الله ووليه فلان بن فلان إلى فلان » ويبدأ بذكر نعمته إن كان الإمام شرفه بنعت : « سلام عليك فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على عدي خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الأئمة المهديين ويسلم تسليماً » . ويكون هذا التصدير في سطرين، يجعل بينهما فضاء فيمس شبر، ولا يزيده عن ذلك ولا ينقصه فيخرجه عن حدّه، ثم يترك بعد هذين السطرين فضاءً نصف الذي بينهما. ثم يقول : أما بعد، ويقطص المعاني معنى معنى، فإن كان أمراً أمر به الإمام قال بعد آقضاء الكلام : وأمر أمير المؤمنين بكذا . ثم يقول بعد فصل أوسع من الفصل الأول « فأعلم ذلك من أمير المؤمنين ورسمه وأعمل عليه بحسبه » . ويقول للخطابين من الطبقة العالية : والسلام عليك ورحمة الله، ويفرد بالسلام من دونها .

وقد كانت العادة جارية أن يقال في آخر الكتب النافذة عن الإمام « وكتب فلان بن فلان » بامم الوزير وأسم أبيه، ثم بطل هذا الرسم في الدولة العلوية

ولا يكتب أحد بالتصدير إلا الإمام وولي عهده . وهذه المكتبة عامة للناس جميعا في الأمور السلطانية التي تنشأ فيها الكتب من الدواوين، ولا يخاطب أحد عن الخليفة إلا بالكاف .

الجملة الثانية

(في الكتب العامة؛ وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ : « من عبد الله ووليه أبي فلان

فلان الإمام الفلاني » على ما تقدم ترتيبه)

وعلى هذا الأسلوب كان الحال في ابتداء دولتهم وإلى أوساطها .

وهذه نسخة كتاب كتب به الإمام العزيز بالله زيار الفاطمي إلى عامله بمصر يشتره بالفتح حين خرج إلى قتال القرمطي بالشام في سنة سبع وستين وثلاثمائة، مما أورده المسبحي في تاريخه :

من عبيد الله ووليه زيار أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين ، إلى حسين بن القاسم .
سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصلي على جدّه محمد نبيه ورسوله صلى الله عليه ، وعلى الأئمة من عترته الأبرار ،
الطاهرين المطهرين وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله الملك العظيم ، العليم الخليم ، ذي الطول الكريم ، والمنّ الحسيم ؛
والعزّ المديد ، والمحال الشديد ؛ ولى الحقّ ونصيره ، وملاحق الباطل ومُبيده ، المتكفل
بالنصر والتمكين ، والتأييد والتحصين ، لأوليائه المتقين ، وخلفائه المصطفين النبايين

عن دينه ، والقائمين بحقه ، والدالين على توحيدِهِ ، الحاكم بإعلاء كلمتهم ، وإفلاج
مُحججهم وظهورهم على أعدائه المشائين له ، الضالّين عن سبيله ، المُلحدين في آياته ،
الجاحدين نعمه ، المتزلّين رِجْزُهُ ، وقوارع بأسه على من عصاه فحاده ، وصدّ عنه
فناذه ، القاضى بالعواقب الحُسنى والنعماء لمن أسلم وجهه له وتوكل عليه
في أمره ، وقضّ إليه حُكْمُهُ ، كلّ ذلك فضلاً منه وعدلاً ، وقضاءً فصلًا ؛
وهو الحَكَمُ العَدْلُ الذي لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .
فتبارك الله الغالبُ على أمره الفردُ في مُلكه ؛ سبحانه وتعالى علُوًّا كبيرًا . والحمد لله
الذي آتَمَتَّ عَبْدَهُ الْمُصْطَفَى ، وأَمِينَهُ الْمُرتَضَى ؛ من أَكْرَمِ مَنَاشِئِهِ وَنَبْعِهِ ، وأَظْهَرَ مِلَّتَهُ
وشرعه في أَفْضَلِ نَهْرٍ وَعَصْرِ ؛ وأنزل عليه كِتَابًا من وَحْيِهِ حَكِيمًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ قِيمًا
بِذِيْعِ النِّظَامِ ، داخلًا في الأَفْهَامِ ، خارجًا عن جَمِيعِ الكَلَامِ ، ليس كَسَجْعِ الْكُتَّانِ ،
ولا كَتَحْجِيرِ ذَوِي اللِّسَنِ وَالْبَيَانِ ؛ وقد تَفَرَّقَتْ بِالأَئِمِّمْ أَهْوَاؤُهُمْ ، وتَوَزَّعَتْهُمْ آرَائُهُمْ ،
فَضَلَّتْ أَحْلَامُهُمْ وَعَمِيَتْ أَفْهَامُهُمْ وَأَمْتَحَوْذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ
وَالْأَوْثَانَ ؛ جَهْلًا بِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ ، فدماهم إلى الإقْرَارِ بِإِلَهِيَّتِهِمْ ، وعَرَفَهُمْ وَحْدَانِيَةَ رَبِّهِمْ
وكان حَرِيصًا على إرشادهم ، جَادًّا في الاجْتِهَادِ ، هَادِرًا لِلدَّعَةِ وَالْمِهَادِ ؛ صَابِرًا على تَكْذِيبِ
الْمُشْرِكِينَ ، وَتَقْيِيدِ الْمُلْحِدِينَ ؛ يَنْصَحُ لَهُمْ فَيَسْتَكْبِرُونَ ، وَيَنْهَاهُمْ فَيَرْتَابُونَ ، وَيَحْذَرُهُمْ
فَيَسْتَبْزِلُونَ ؛ حَتَّى ظَهَرَ دِيْنُ اللَّهِ فَمَيَّا ، وَطُمِسَ الْكُفْرُ فَانْتَحَى عَقَا ؛ وَعَمَتْ
بِرْكُتُهُ ، وَفُضِّلَتْ عَلَى الْأَئِمِّمْ أُمَّتُهُ ، وَطَلَّتْ عَلَى الْمَلَلِ مِلَّتُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةِ
الْمُصَلِّينَ ، وَزَادَهُ شَرَفًا فِي الْعَالَمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

والْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَّأَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَجَبَهُ لِنِجَاحِهِ ، وَجَعَلَهُ صَفِيَّةً مِنْ خَلْقِهِ وَأَمِينَةً
على عِبَادِهِ وَهَادِيًا إِلَى سَبِيلِهِ ، قَائِمًا بِحَقِّهِ ، مُقْسِطًا فِي أَرْضِهِ ؛ ذَابًا عَنْ دِينِهِ ، مُخْبِيًا
مَا أَمَاتَهُ أَهْلُ الْكُفْرِ مِنْ أَحْكَامِهِ ؛ وَأَيَّدَ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَلَهُ بِقُوَّتِهِ ؛ وَتَكَفَّلَ لَهُ بِالنَّجْحِ .

في مسعاه ، والظفر بمبتغاه ، ونيل طلبه فيما أمه وأرتاه . وحكم بكت كل عدو له
وخزيهم ، وإذلالهم وتحقيهم وخذلهم ، ولهبان كيدهم ؛ وضرب النلة عليهم حيث
كانوا وأين كانوا ؛ فلا يتبع ناعق منهم يطلل ، أو يسعى فيسق وخبال ، أو يدفع
إلى اقتراء على الله أو مروءة عن دينه أو إذهاب ما فرض الله عز وجل من طاعة
إلا أصطلمه وأخره ، وأكبه لوجهه وأزاده ، وقضى عليه بالشقوة في دنياه وعذابه
الآخرة في أخره .

والحمد لله الذي منح فاجل ، وأعطى فاجل ؛ من نعمة السابعة ، والآية المتابعة ؛
التي لا يؤازرها شكر ، ولا يندرك كنهها ذكر ؛ حمداً يوجب منه المزيد ، ويستدعي
المِنَّة والتَّجديد ؛ وإليه يرغب أمير المؤمنين خاضعا ويسأله راعبا حُسن العون على
ما بلغ رضوانه ، وأمرئى فضله وإحسانه . وتقدم أمير المؤمنين إليك بما هياه الله من
وُصوله إلى مدينة الرملة على أجل صنع والطف كفاية ، وأتم أمن ، وأكمل عز
وأوطد حال ، وأحسن انتظام ، وأبسط يد ، وأظهر قدرة ، وأشمل هيئة ؛ وبما أولى
الله أمير المؤمنين في حاله وظلعه ، وأرتجاله وثوابه : من نعمة العميمة ، ومواهبه
الجسيمة ، ومِنِّه الجليله ، ومِنِّه الجزيله ؛ وأنه مما يستغرق الحمد والشكر ، ويفوت
الإحصاء والنشر ، وذكر أمير المؤمنين أمر العيين التركي وهربه من بين يديه ، وأنه لم
يُلوح على شيء إلى أن بلغ طبرية للذي تلبخله من الفرق ، وأستولى عليه من القلق ؛
ولما سكن قلبه من الرعب ، وحشاه من الرهب ؛ بقصد أمير المؤمنين لآله وإغناؤه
السرى طلبه ومواصلته الأسباب ، ومتابعته الإذئاب . ووصف أمير المؤمنين ما عليه
عزمه في تنبيهه واقتفاء أثره ، والحلول بمقوته حيث قصد وحل ، ليقته بالله ربّه ،
وتوكله عليه ، وتفويضه إليه . ولم يزل جل وعز يؤي أمير المؤمنين - بعد نقوذ

(١) القوة ماحول الدار والمحلة ، انظر القاموس ، ويقع في الأصول بإلقاء بدل القاف وهو تصحيف .

كتابہ۔ من عزّ يؤيده، وظفر يؤكده، ونصر يؤطئه؛ وآلاء يُحَدِّثُهَا، ومواهب يُتَابِعُهَا،
وعُدْوٌ بَيْنُهُ، ومُنَاوٍ بَيْنَهُ، وشايد يَصْرِفُهُ إِلَى طَاعَتِهِ، ومارق يُعِيدُهُ إِلَى مُوَالَاتِهِ، إِلَى
أَنْ تَمَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا وَاصَلَ بِهِ حَمْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ مَا تَوَاتَرَ شُكْرُهُ لَهُ جَل وَعِزِّهِ
وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مُوَاصِلًا إِلَى الْعَيْنِ الْإِعْذَارِ، وَمَتَابَعًا الْإِنْتِزَاعِ، وَمَحْذَرًا لَهُ مَا يُعْذَرُ، وَمُسْتَدْعِيَةً
إِلَى مَا يُخْتَارُ وَيُؤْتَرُ، وَمَتَبَاً لَهُ مِمَّا يَمُنُّ بِهِ مِثْلُهُ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُ، وَتَعَمُّدُ مَا جَرَى مِنْهُ،
وَالْإِقَالَةُ لِعَثْرَتِهِ، وَالتَّجَاوُزُ عَنْ هَفْوَتِهِ، وَالْإِمْتِنَانُ عَلَيْهِ بِمَا رَغِبَ فِيهِ مِنْ تَقْلِيدِهِ نَاحِيَةً
مِنْ نَوَاحِي الشَّامِ، وَإِذْ رَارَ الْأَرْزَاقُ عَلَيْهِ وَعَلَى رِجَالِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَإِشَارُهُ بِالْفَضْلِ
الْجَلِيلِ، وَأَخْتِصَابِهِ بِالطُّوْلِ الْجَزِيلِ، فَمَا تَجَحَّجَ فِي الْفَاسِقِ وَغَدَّ، وَلَا تَجَحَّجَ فِيهِ وَعَظَّ،
وَلَا وَفَّقَ إِلَى قَبُولِ حَظٍّ، وَلَا أَصْنَى إِلَى قَبُولِ تَذَكُّرِهِ، وَلَا أَنْابَ إِلَى تَبَيُّرِهِ. وَمَا زَالَ
جَانِدًا فِي تَهَوُّكِهِ، مَتَادِيًا عَلَى تَهَمُّكِهِ، جَارِيًا عَلَى ضَلَالَتِهِ، سَالِكًا سَبِيلَ عَمَايَتِهِ، مُتَرَدِّدًا
فِي غَوَايَتِهِ، مُتَلَدِّدًا فِي جَهْلَانَتِهِ، مُقَدِّرًا أَنَّ بَأْسَ اللَّهِ لَا يَرْهَقُهُ، وَسُطُوَتُهُ لَا تَلْحَقُهُ،
وَرَجْزُهُ لَا يَتَحَقُّهُ، وَذُنُوبُهُ لَا تَرْهَقُهُ، وَأَجْرَاهُ لَا تُؤَيِّقُهُ. وَمَا زَالَ الْعَيْنُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ
يَسْطُ أَمَالَ الْعَرَبِ وَيُرْجِيهَا، وَيُرْضِيهَا وَيَمْتَنِيهَا، بِأَقْوَالٍ كَاذِبَةٍ، وَأَمَالٍ خَائِبَةٍ، وَمَوَاعِيدَ
بَاطِلَةٍ، حَتَّى أَصْنَى أَكْثَرَهَا إِلَى غُرُورِهِ، وَقَبُولِ إِفْكِهِ وَزُورِهِ، وَأَجَابَتَهُ طَائِفَةٌ
طَائِفِيهِ، وَوَصَلَتْ إِلَيْهِ مَتَابِعُهُ، فَتَوَقَّرَ جَمْعُهُ، وَكَثُرَ عِلْدُهُ وَأَشْتَدَّ طَمَعُهُ، وَقَوِيَ
أَمْلُهُ، وَتَمَكَّنَ لَهُ بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ إِلَيْهِ وَغَضَبِهِ عَلَيْهِ أَنْ يورِطَ عُصْبَتَهُ وَمَنْ أَخْتَلَعَهُ
بِقِيَّتِهِ وَأَسْتَفْزَهُ مَعَهُ جَهْلُهُ، وَيُؤَيِّدَهُمْ جَمِيعًا وَنَفْسَهُ الرِّثْلَةُ مُورِدًا لِأَصْدَرِهِ، وَلَا
حَلَّ بَعْدَهُ، فَخَرَجَ مِنْ طَبَرِيَّةَ وَحَلَّ بِسَانَ، مَحَلَّ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ، فَعَنْدَهَا أَتَتْهُ
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَبْرُهُ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ فِي الْمَنْهَلِ، الَّذِي حَصَلَ فِيهِ بَعْدَ رَجِيلِهِ
مِنْ الرَّمْلَةِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ بِالطُّوَاحِينِ. فَعِنْدَ مَا قَرَّبَ أَسْتَجْرَأَ الْفَاسِقُ
الْعَيْنَ، وَأَعْتَمَدَ مَا يَعُودُ بِأَطْلَاعِهِ، أَقَامَ فِي الْمَوْضِعِ أَبَامًا نَاطِرًا فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، مَتَابَعًا

لما يُريده ، وكان ذلك هو السبب الذي أطعمه . فبعد ما طمع فاده الحين
 الغالب ، والقدر الجالب ؛ وما أراد الله عز وجل من استدراجه إلى موضع نكاله ،
 ومثله وباله ؛ ورحل من يسان رحيل من استجطته البلية ، واستدعته الرزية ؛
 فحل بموضع يعرف بكفر سلام ، كافراً بجُود الإسلام ، متجرباً على الله محارباً لتجل
 نيته عليه السلام ؛ وأقام بها متلذذاً في حيرته ، مترقداً في سكرته ؛ ثم استجره شومه ،
 وقاده حينه ولومه ؛ إلى أن رحل فتزل بكفر سباب البريد ، فأنابه أسمها بما حل به من
 السبي الميسد والخرى الشديد ؛ ثم لم يلبث أن ضرب مضاربته المأكولة ، ونصب
 أعلامه المخدولة ، وأقام صقوفه المقلولة ؛ وأظهر آلة الحرب إقداما ، و [أخفى]
 عن اللقاء إجماما .

فامر أمير المؤمنين بترين العساكر المنصورة والجيش المظفرة وتجهتها على
 مراتبها ، وترتيبها على مواكبها ؛ وتقدم إلى قوادها أن لا يمشوا إلا صفًا ،
 ولا يسيروا إلا زحفاً ، وعزفهم أنه سيسير بنفسه ، ويقصد اللعين بموكبه وجمهوره
 ومن معه من حمة رجاله ؛ وأنه لا يثنيه عن الفاسق ثاين ولا يصرفه عن الاقتحام
 صاريف ؛ فبدا من عزائمهم ، وشدة شكائهم ، وخلوص بصائرهم ، وسكون
 أفتلتهم ، وثبات أقدامهم ، ما كانت به دلائل النصر واضح ، وشواهد الفلج لانحه ؛
 وعلامات الفتح ظاهره ، وآيات الشجع باهره ؛ فمشوا على ما أمروا ، وساروا على
 ما سيروا ؛ فعند ما دنوا من علو الله أصابوه للبلاد معدا ، وفي المحاربة مجندا ؛
 واستناروا الله عز وجل وتدانوا للثلاق ، والأخذ بالنواصي والأعناق ؛ وقامت
 الحرب على ساق ، وتجرع منها أمر مَذاق ؛ فاستطار شرارها ، وتاججت نارها ؛
 وأرفع دخانها ، وعظم شأنها ؛ والتم الأقران بالأقران ، واشتد الضرب والطعان ؛

إلى أن مثى أمير المؤمنين بنفسه، وجمهور موكبهُ؛ متوكلاً على الله، ماناً إليه بجمعه
 حيد صلى الله عليه وسلم، متوسلاً بمتقدم وُده، وسالف إمامه عنده، وقصد اللعين
 غير متلوم عن مصادمته، ولا معرج عن ملاحمته؛ فقويت نفوس أوليائه وعبيده،
 ومن أشملت عليه عساكره المنصورة، وجيوشه المظفرة بما تينوه من إقدامه،
 وشاهدوه من اعتزاه به، وحملوا على الفاسق وأحزابه؛ وقذف الله في قلوبهم الرعب
 فترزلت أقدامهم، وأرعشت أيديهم ونجبت أفئدتهم، وولوا الدبر منهزمين، ومنحوا
 ظهورهم مؤلّين؛ وأقترقوا ثلاث فرق: فرقة قتلت في المعركة، وصُيرت في المَلَحمة؛
 فاحتُرت رؤوسهم، وفرقة أحست وقع السيوف وإرهاق الخوف؛ فاستأمنت تحت
 الذلّة والصغار، والغلبة والاقتدار، فُبقيت طيهم الأرواح، وحُفنت منهم الدماء .
 وفرقة أسرت أسرا، وقُيدت قيّدا؛ وهرب التركي اللعين رئيس صلاتهم، وعُميد
 كفرهم، في شريضة من أصحابه، فظن أن ذلك من بأس الله يُنجيه، ومن الأخذ
 بكلمه يُوقيه، هيّات! كما قال الله عز وجل: ﴿هَيَّاتْ هَيَّاتْ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ :
 ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبَاحَةٌ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ فاتبعه سرطان الخيل
 ويخاف الرجال؛ مع مفرج بن دغفل بن جراح، فأخذ قبضا وأتى به قودا أسيرا
 من غير عهد، وذليلا من غير عقد؛ وأستولى أهل الساكر المنصورة، والجيوش
 المظفرة؛ على مئاحه وسواده، وما كان فيه من مال وأثاث وكراع وقناع؛ وقيل
 وكثير، وجليل وحثير؛ فخازوه وأَسَعُوا به، وأكثروا من حمد الله، وأنصروا
 إلى مُعسكرهم سالين، بالمغمم والظفر آمتين؛ لم يكلم منهم أحد، ولم ينقص لهم مدد؛
 وكان جملة ما أتوا به معهم من رؤوس الفسقة زائدا على ألف رأس، ومن أسراهم
 ثمانمائة أسير، غير من أسبغوا وقت الإيقاع بهم، ولم يُقِلت من الفسقة إلا من هرب

بُحْشَاشَةٌ نَفْسُهُ مَعَ مَنْ لَأَمَ التُّرْكَ اللِّعِينَ ، وَصَاحِبُ عَقْدِهِ وَمُورِطُهُ فِي هَلَاكِهِ ،
وَقَاتِلُهُ إِلَى قِيَامَتِهِ ، وَبَاقِيَهُ إِلَى مُوَقِفَاتِهِ ؛ وَهُوَ كَاتِبُ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْحَمَارَةِ ، فَطَحِقَ
بَطْرِيَّةً فَقُتِلَ هُوَ وَجُلٌّ مِنْ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَحْتَرَّ رَأْسُهُ وَأُتِيَ بِهِ ؛ فَكُنْتُ النِّعْمَةَ ،
وَعَمَّتِ الْمَوَهِبَةُ ؛ وَتَجَدَّدَ حُدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَتَصَلَّ شُكْرُهُ ، لَمَّا أَوْلَاهُ مِنْ جَلِيلِ عَطَائِهِ ،
وَكَرِيمِ حِبَائِهِ ، وَسَيِّئِ آلَانِهِ . وَكَانَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ ، وَأَكْبَرِ شَوَاهِدِهِ ،
وَأَخْتَصَاصِ اللَّهِ لِرَأَاهُ وَأَنْتَخَايِهِ لَهُ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
عَلَى عَطَائِهِ الْهَنِيِّ ، وَحِبَائِهِ السَّيِّئِ ؛ وَمَا أَيْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعَزِّ الدِّينِ ، وَقَعِ الْمُشْرِكِينَ ؛
إِذَا كَانَ الْفَاسِقُ اللَّعِينُ ، التُّرْكَ النَّوِيَّ الْمَيِينِ ؛ ثُلَّةً مِنْ تُلَّيْهِمْ وَرُكَّازًا مِنْ أَرْكَانِهِمْ ،
وَحِزْبًا مِنْ أَحْزَابِهِمْ ، وَوَسْطًا مِنْ أَوْثَانِهِمْ ، وَطَاغِيَةً مِنْ طَوَاغِيَتِهِمْ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لِمَنْ فِي بِلَدِ
الْمُسْلِمِينَ يَدُ تَصَدَّقَ عَنْهُمْ بِأَسْ غَيْرِهِمْ ، وَلَا عَضُدٌ يَدْفَعُونَ بِهَا سِوَاهُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
يَرْغُبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوزِعَهُ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاهُ ، وَيُوجِدَهُ سَبِيلًا إِلَى بُلُوغِ
مُبْتَغَاهُ ؛ مِنْ إِعْزَازِ الْمَلَّةِ وَالْدِّينِ ، وَإِحْيَاءِ شَرِيعَةِ جَدِّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ وَمُجَاهِدَةِ التُّرْكَ
وَالْمُشْرِكِينَ ، وَقَمْعِ الظَّالِمِينَ وَالْقَانِظِينَ وَالْمَارْقِينَ ؛ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، وَيَجْمَعَ
الْقُلُوبُ عَلَى طَاعَتِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

أمر أمير المؤمنين بتعريفك ذلك ، وتلخيص الكتاب إليك ، لتقف عليه وتُدريه ،
وتشهره فيما قبلك ؛ وتحمده الله على ما منح أمير المؤمنين من النصر ، ومكنه من الظفر .
فأعلمه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم الخميس
تخمس ليل بقين من المحرم سنة سبع وستين وثلاثمائة .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بمُحِبَّة مَفْتَحَة بالحمد لله)

وعليه كان الحال في أوامر دولتهم . وعليه جرى في "مواد البيان" في الأمثلة التي ذكرها .

وهذه نسخة كتاب مما أورده في "مواد البيان" بشارة بفتح : وهي :

الحمد لله مُدِيلَ الْحَقِّ وَمُنِيرَهُ ، وَمُذِلَّ الْبَاطِلِ وَمُبِيرَهُ ؛ مُؤَيِّدَ الْإِسْلَامِ بِبَاهِرِ
الْإِعْجَازِ ، وَقَصَمَ وَعَدَهُ فِي الْإِظْهَارِ بَوَاشِيكَ الْإِنْجَازِ ؛ أَحْمَدَ كُلِّ دِينٍ وَأَعْلَاهُ ، وَرَقَّصَ
كُلَّ شَرِعٍ وَأَجْنَبَاهُ ؛ وَجَلَّه نُورَهُ الْإِلَاحِ ، وَظَلَّه الْمَنَاعِ ؛ وَأَبْتَسَتْ بِهِ السَّرَاجُ الْمُنِيرُ ،
وَالْبَشِيرُ النَّذِيرُ ؛ فَأَوْصَحَ مَنَاجِيَهُ ، وَبَيَّنَ مَدَارِجَهُ ؛ وَأَنَارَ أَعْلَامَهُ ، وَفَصَّلَ أَحْكَامَهُ ؛
وَسَنَّ حِلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَبَيَّنَ خَاصَّهُ وَعَاطَهُ ؛ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَحَصَّنَ عَلَى التَّسْكُ
بِعَصَمِ دِينِهِ ؛ وَثَمَّرَ فِي نَصَرِهِ مُجَاهِدًا مَن تَدْعُن سَبِيلَهُ ، وَعَدَدَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ حَتَّى قَصَّدَ
الْأَنْصَابَ وَالْأَصْنَافَ ، وَأَبْطَلَ الْمَيْسَرَ وَالْأَزْلَامَ ؛ وَكَشَفَ غِيَابَاتِ الْإِظْلَامِ ، وَأَتَمَّلَتْ
خَيْلُ اللَّهِ بِقِبَائِلِ^(١) الْهَامِ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ جَعَلَهُ مِنْ وُلَاةِ أَمْرِهِ ، وَوَقَّعَهُ لَاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِهِ وَأَقْتَفَاءِ
أَثَرِهِ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى تَمْكِينِ الدِّينِ ؛ وَتَوْهِيهِ الْمُشْرِكِينَ ، وَشِفَاءِ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَنْهَضَهُ
بِالْمُرَامَةِ عَنِ الْمَلَّةِ ، وَالْحُمَامَةِ عَنِ الْحَوَزَةِ ؛ وَإِعْزَازِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَإِذْلالِ حَرْبِ
الْكُفْرَانِ . وَيَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى خَيْرَتِهِ الْحَبَّتِي ، وَصَفْوَتِهِ الْمُتَّصِي ، عَجْدٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَبِّ

(١) كذا في الأصول مضيقاً عليه بعلامة التوقف ولعله وهم وعده الخ كما يفيد السجع .

(٢) قبائل الرأس أطباقه وفي الأصول "قبائل" بالنون وهو تصحيف بإياه المعنى .

وكلّغ، وجاهد ونالغ؛ وحى النّمار، وغزّا الكُفّار. صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه على بن أبى طالب مسيفه القاطع، وبجته الدافع: وسهّمه الصّارذ، وناصيره العاضد؛ فارس الوقائع، ومعوّس(?) الجماع؛ سيّد الأقران، ومبدّد الشّجّان. وعلى الطّهرة من عترته أمة الأزمان، وخالصة الله من الإنس والجنّ. وإنّ أولى النّعم بأن يرقل فى لباسها، ويتوصّل بالشكر إلى لآبائها؛ ويتهادى طيّب خبرها، ويتفاض بحسن أثرها؛ نعمة الله تعالى فى التوفيق لمجاهدة أهل الإلحاد والشّرك، وغزو أولى الباطل والإفك؛ والهجوم عليهم فى عقّر دارهم، وأجنتات أصلهم وهنم منابرهم؛ واستنزاهم من معاقيلهم، وتشرّيدهم عن منازلهم؛ وتغميض نواظيرهم الشّوس، والباسهم لباس البؤس؛ لما فى ذلك من ظهور التوحيد وعزّه، وتُخمود الإلحاد وعزّه؛ وعلوالة المسلمين؛ وانخفاض دولة المشركين؛ ووضوح حجة الحقّ وبجته، وفُضُوح برهانه وآيته.

وكلّب أمير المؤمنين هذا إليك، وقد أنكفأ عن ديار الفلّانيين والمشركين إلى دُست خلافته، ومقر إمامته؛ بعد أن غزاهم براً وبحراً، وشرّداهم سهلاً وعسراً، وجرّاهم من عواقب كفرهم مرّاً؛ وفرّق جماعتهم التى تُطبق سُهوب القضاة خيلاً ورجلاً، وتضيّق بها المهامه حرّاً وسهلاً؛ ومزّق كتابهم التى تُلحق الوهاد بالنّجاد، وتختطف الأبصار بيوارق الأغماد؛ وسبى الدّردارى والأطفال، وأسر البطاريق والأثقال؛ وافتتح المعاقل والأعمال، وحاز الأسلاب والأموال؛ وأستولى من الحصون على حصن كذا وحصن كذا. ومحا منها رسوم الشّرك وعقاها، وأثبت سنن التوحيد بها وأمضاها. وعيّم أولياء أمير المؤمنين ومتطوعة المسلمين من الغنائم ما أقر العيون، وحقق الطّئون؛ وأنقصوا وقد زادت بصائرهم نقاداً فى الدّين، وسرايرهم إخلاصاً فى طاعة أمير المؤمنين؛ بما أولاهم الله من النّصر والإظفار، والإعزاز والإظهار؛ ووضّح للشركين بما أنزل الله عليهم

من الخذلان، وأنالهم إياه من الهوان ؛ أنهم على مِصْلَةٍ من النخى والعمى، ويهد من الرشد والهدى؛ فصرعوا إلى أمير المؤمنين فى السلم والمودعة، وتجللوا بذلا بذلوه تفاديا من الكفاح والمقارعة؛ فأجابهم إلى ذلك متوكلا على الله تعالى، وممثلا بقوله تعالى إذ يقول : ﴿وَأِنْ جَنَّحُوا لِلْإِسْلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . وعاقد طاغيتهم على كتاب هذنة كتبه له ، وأقره فى يده ؛ حجة مضمونة .

أشرك أمير المؤمنين ذلك لتأخذ من هذه النعمة بنصيب مثلك من الخُلصين ، وتعرف موقع ما تفضل الله تعالى به على الإسلام والمسلمين ؛ فحسب ظنك ، وتقر عينك ؛ وتشكر الله تعالى شكر المستمد من فضله ، المعتد بطوله ؛ وتتلو كتاب أمير المؤمنين ، على كافة من قبلك من المسلمين ، ليعلموا ما تولاهم الله به من نصره وتمكينه ، وإذلال عدوهم وتوحيته ؛ فأعلم ذلك وأعمل به .

الجملة الثالثة

(فى الكتب الخاصة ، كالمكتبة إلى الوزير ومن فى معناه)

قال فى "مواد البيان" بعد ذكر صورة المكتبات العامة عنهم : وقد يخاطب الإمام وزيره فى المكتبة الخاصة بما يرقه فيه عن خطاب المكتبة العامة الديوانية ، ويُصرف فى ذلك ، ويزاد ويُقص على حسب لطافة محل الوزير ومزنته من الفضل والجلالة . قال : وليس لهذه المكتبة الخاصة حدود ينتهى إليها ، ولا قوانين يمتد عليها ، وطريقها مستفيضة معلومة . وقد تلم فى المكتبات الخاصة عن خلفاء بنى العباس أن مكتبة الوزير «أمتنى الله بك» فى أدعية أخرى .

الطرف السادس

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس)

ولم أقف على شيء من المكتبات الصادرة عنهم ، وإن ظفرت بشيء منها بعد ذلك لحقته إن شاء الله تعالى .

الطرف السابع

(في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ، أتباع المهدي بن تومرت المستمر بقاياهم الآن بتونس وسائر بلاد أفريقيا ، وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكتبة بلفظ « من فلان إلى فلان »)

وكان الرسم فيها أن يقال : « من أمير المؤمنين فلان » ويدعى له بما يناسبه « إلى فلان » ويدعى له بما يليق به ، ثم يؤتى بالسلام ، ثم يؤتى بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والترضية عن الصحابة ، ثم عن إمامهم المهدي ، ثم يؤتى على المقصود ، ويختتم بالسلام . والخطاب فيه بنون الجمع عن الخليفة وميم الجمع عن المكتوب إليه .

كما كتب عن عبد المؤمن : خليفة المهدي إمامهم إلى الشيخ أبي عبد الله محمد
أبنت سعد :

« من أمير المؤمنين أيده الله بنصره ، وأمله بمعونته ، إلى الشيخ أبي عبد الله محمد
أبنت سعد وفقه الله ، ويسره لنا رضاه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . »

أما بعد فالحمد لله الذي له الاختدار والاختيار، ومنه العون لأوليائه والإعذار،
 وإليه يرجع الأمر كله فلا يمنع منه الاستعداد والاستئثار؛ والصلاة على عهد نبيّه
 الذي أبتعثت ببعثته الأضواء والأنوار، وعمرت بدعوته الإنجاد والأغوار، وخصم
 بحجته الكفر والكفار، وعلى آله وصحبه الذين هم الكرام الأبرار، والمهاجرين
 والأنصار، والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بأمر الله حين غيَّته
 الأغيار، وتقدم الانتعاض له والانتصار. وهذا كتابنا - كتب الله لكم فطرًا يريدكم
 المنهج، ويُفقيكم الأبهج فالأبهج؛ وآتاكم الله من نعمه الإيمان، وعصمة الاقتداء له
 والإذعان، ما تجدون به اليقين والتلج - من حضرة مرآة كشم حرمها الله تعالى،
 ولا أستظهار إلا بقوته وحوله، ولا أستكثر إلا من إحسانه وطوله .

ولما جعل الله هذا الأمر العظيم رحمةً لخلقهِ، ومِطْيةً لرقبهِ وقرارةً لإقامة حَقِّهِ؛
 وحملَ حملته الدعاء إليه، والدلالة به عليه، والترغيب في عظيم ما عنده ونعيم ما لديه؛
 وجعل الإنذار والإعذار من فضوله المستوعب، وأحكامه المرتبة؛ ومتجاته المخلصة
 من الخطوب المهلكة والأحوال المعطية - رأينا أن نخاطبكم بكتابنا هذا أخذًا
 بأمر الله تعالى لرسوله في المضاء إلى سبيله، والتحريض على اغتنام النجاء وتحصيله،
 وإقامة الحجّة في تبليغ القول وتوصيله؛ فاجيبوا - رفعكم الله - داعي الله تسعدوا،
 وتسكّوا بأمر المهدي - رضى الله عنه - في اتباع سبيله تهتدوا؛ وأصروا أعنة
 العناية إلى النظر في المال، والتفكر في تواسي التفرّ والزال، وتدبروا جرى هذه
 الأمور وتصرف هذه الأحوال؛ وأصلحوا أنه لا عزّة إلا بإعزاز الله تعالى فهو
 نوال العزّة والجلال، ولا يفرّجكم بالله الغرور، فالدنيا دار الغرور، وسوق المِطال؛ وليس
 لكم في قبول النصيحة، وأبتداء التوبة الصحيحة؛ والعمل بثبوت الإيمان في هذه
 العاجلة القسيحة؛ إلا ما يحبونه في ذات الله تعالى من الأمانة والدعة، والكرامة

المسعة والمكانة المرفعة، والتنعم بنعيم الراحة المتصلة والنفس المتعنه ؛ فنحن لأتريد
لكم ولستار من نرجو إجابته، ونستدعي قبوله وإجابته، إلا الصلاح الأعم، والنجاح
الأتم، وأملوا - سددكم الله - من كان بتلك الجزيرة - حرصها الله - من أعيانها،
وزعماء شانها ؛ هل تحلص منهم إلى ما يودوه، وفاز بما يدينه ويعدّه، إلا من تمسك
بهذه العروة الوثقى، وأستيق لنفسه من هذا الخير الأديم الأبقى، وتتم بما لقي من
هذا النعم المقيم ويلقى . وأما من أخذ إلى الأرض وأتبع هواه ، ورغب بنفسه
عن هذا الأمر العزيز إلى ما سواه ؛ فقد علم بضرورتي المشاهدة والاستفاضة سوء
مقلبته ، وخسارة مذهبه ومطلبه ، وتقل منه حادث الانتقام أخسر ما تنقل به ؛
وحق عليكم - وفقكم الله ويسركم لما يرضاه - أن تحسنوا الاختيار، وتصلوا الأذكار
والإحترار، وتبتدروا الابتدار؛ وما حق من أقطع إلى هذا الأمر الموصول الواصل،
وأزنع ما يناله من خيره الخور الحاصل ؛ أن يناله منكم شغل يشغله عن مقصوده ،
ويحيط به ما يصرفه عن محبوه ومودوده ؛ فقد كان منكم في أمر أهل بلسية حين
إعلانهم بكلمة التوحيد، وتعلقهم بهذا الأمر السعيد ما كان، ثم كان منكم في عقب
ذلك ما أعتمدتموه في أمر أهل لورقة - وفقهم الله - حين ظهر اختصاصهم ،
وبان إخلاصهم ؛ وليس لذلك وأمثاله عاقبة محمد، فأنلير خير ما يقصد ، والنجاة فيما
يترجح عن الشر ويبعد ؛ وإنا لندرجو أن يكفكم عن ذلك وأشباهه إن شاء الله تعالى
نظراً موثقاً، ومتاعاً محققاً ، ويحبذكم إلى موالاة هذه الطائفة المباركة جاذباً يسعد،
وسائق يرشد ؛ والله يئن عليكم بما ينجيكم ، ويمكن لكم في طاعته أسباب تأمليكم
وترجيكم ، بمنه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في السادس عشر من
جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

الأسلوب الثاني

(أن تُفتَحِ المكتبة بلفظ « أما بعد »)

والأمر فيه على نحو ما تقدم في الأسلوب قبله بعد البعديّة ، كما كتب أبوالميمون عن المستنصر بالله : أحدِ خلفائهم إلى بعض تُوابه ، وقد تقصّ العهد على بعض المهادين من النصاري .

«أما بعد حمد الله الأمر بالوفاء باليهود ، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيّد الوجود ، وعلى آله وصحبه يُؤثّ البأس وغُيُوث الجُود ؛ والرضا عن الإمام المعصوم ، المهديّ المعلوم ؛ الآتي بالتّمتّ الموجود ، في الزّمن المحدود ، وعن خلفائه الواصلين بأمره إلى التّمام والنجود ؛ والدعاء لسيدنا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين بسعدٍ تنبّل له النواصي ، ويهدّ الأفطار القواصي ؛ فكتبناه - كتبكم الله من إذا هم بأمر تدبّر عواقبه ، وإذا عزّم على رُكوب غرر ألقى معاطبه - من فلانة كلاًها الله تعالى . وقد بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصاري ، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى ؛ ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلاً ، ونخوة تُغيب هواناً وذلاً ؛ وقد أخطأتم في فعلكم الشّنعاء من ثلاثة أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالعهد ، والوقوف مع العقد ؛ والثاني عصيان الأمر العزيز وفيه التّغيير بالمُهج ، وترك السّعة للخرج ؛ والثالث أنكم يُثيرون على أنفسكم من شرّ عدوكم - قصصه الله - شراً يستمر ، وضراً يندم فيه المتصر ، فليكن إذ تحلّيتُم بالمُضيان ، ورضيتُم القدر المحترّم في سائر الأديان ؛ يثبّم للعدو إذا دهمكم ، ولقيتموه بالجانب القويّ متى زهجم ؛ بل تدرّعون له الفرار ، وتقرّونه في محلّيقكم وما اختار ؛ وقد جرّتم مرات أنكم لا ترزؤونهم ذرّه ، إلا رزءوكم ألف بذرّه ؛ ولا تُصيبونهم مرّه ، إلا أصابوكم ألف مرّه ؛ وإلى متى

تَنْهَوْنَ فَلَا تَنْهَوْنَ ؟ وَحَتَّامٌ تَنْهَوْنَ فَلَا تَنْهَوْنَ ؟ فَاذَا وَاكَفَّ كَلْبُنَا هَذَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ
فَأَذُوا مَنْ أَسْرَمُوا إِلَى مَأْمَنِهِ ، وَرَدُّوا مَا أَتَيْتُمْ إِلَى مَمَرِّهِ ؛ وَلَا تُمَسِّكُوا مِنَ الْأَسَارَى
بَسْعَرِهِ ، وَلَا مِنَ الْمَاشِيَةِ بَوْبِهِ ؛ وَمَنْ سَمِعْتَا عَنْهُ - بَعْدَ وَصُولِ هَذَا الْكِتَابِ - أَنَّهُ تَعَدَّى
هَذَا الرِّسْمَ ، وَخَالَفَ هَذَا الْحُكْمَ ؛ أَنْفَذْنَا عَلَيْهِ الْوَاجِبَ ، وَحَكَّمْنَا فِيهِ الْمَهْتَدَ الْقَاضِبَ ؛
فَلْتُسْرِجْ مِنْ نَوْمَةِ الْغَفْلَةِ إِنْ أَقَاتَكُمْ ، وَلَا تُعْزِضُوا مِنَ الشَّرِّ لِمَا تَحْجِزُ عَنْهُ طَائِفَتُكُمْ ؛ وَنَحْنُ
مَتَعَرِّفُونَ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مَنْ تَأَنُّ أَوْ يَلْزَأْ ، وَمُقَابِلُونَ لَكُمْ بِمَا يَصُدُّ عَنْكُمْ مِنْ إِقْرَارٍ
وإنكارٍ ؛ وَهُوَ يُرْسِدُكُمْ بِنَهْ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

قلت : ثم طرأ بعد ذلك الإكثار من ألقاب خلقائهم في المكتبات الصادرة عنهم ،
والمبالغة في مدحهم ، وإطرائهم على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكتبات الواردة
من ملوك الأقطار إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ الثَّامِنُ

(في الأجوبة ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُضَاهِي الأجوبة في الابتداء ، وهو على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن يَفْتَحَ الجوابُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

مثل أن يكتب « من عباده ووليه أبي فلان فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين »
إلى آخر الصدر على ما تهتم في الابتداء ؛ ثم يقال : أما بعد ، وينساق منه إلى
ذكر الكتاب الوارد وعرضه على الخليفة ، وما اقتضته آراء الخلافة فيه ، ويكمل

على نحو الابتداء . كما كتب عن المقتنى لأمر الله ، إلى غياث الدين مسعود بن ملكشاه السلفجوقي في جواب كتابه الوارد عليه ، يخبره بأن بعض من كان نخرج عن طاعته دخل فيها ، وأنحاز إليه ، وهو :

”من عبد الله أبي عبدالله محمد الإمام المقتنى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان بألقابه .

أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن كتابك عُرض بحضرة أمير المؤمنين مُعرباً عن أخبار سعادتك ، وبحري الأمور على إرادتك ؛ وبلوغ الأغراض من الوجهة التي توجَّهت إليها ، والأطراف التي أشرقت سعادتك عليها ؛ بيمين مأتق به من الطاعة الإمامية وتضميره ، وتعتقده من الإخلاص وتستشعره ؛ وأن ركن الدين محمداً ومن أنضمَّ إلى جلته ، وأنظم في سلك موافقته لك ظفروا منك بذيام أطمانوا إليه وسكنوا ، وأمان وثقوا به وركنوا ، أبصروا الرشد فاتبعوه ، واستجابوا الداعي إذ سمعوه ؛ وأذعنوا لطاعتك مشيرين ، وأقنأوا إلى متابعتك مهطعين ؛ على استقرار مسيرهم تحت لوائك إلى باب همدان ليكون تقرير القواعد الجامعة للصالح عند وصولها ، والتوفر على تحزى مآقر به الخواطر مع حلولها ؛ والافصال إلى من يفد إلى الأبواب العزيزة مؤتلساً بقرب الدار ، ومستسعيداً بالخدمة الشريفة الإمامية المؤذنة ببلوغ الأوطار . ووقف عليه وعرف مضمونه ؛ وجدد ذلك لديه من الابتهاج ، والاعتباط الواضح المنهاج ، بما تقتضيه ثقته بجانبك واعتقاده ، وتحويله على جميل معتقذك واعتقاده ؛ وأعضاده من طاعتك بجميل لا تنقض الأيام مبرمه ، وسكونه من ولائك إلى وزد لأتروع إخناؤك حرمة ؛ وواصل شكر الله تعالى على ما شهدته به هذه النعمة العظيمة ، والموهبة الجسيمة ، من إجابة الأدعية التي مازالت جنودها نحوك مجهزة ، ووعوده - جلَّتْ عظمته - بقبول أمثالها منجزه ؛ وإمدادك منها بأمداد تستدعي

لك النصر وتستنزله ، وتستكمل الحظ من كل خير وتستجزيه ؛ وتبلغ الأمل منك فيمن هو العنة للبسات ، والحامي لقرار الأس من روائع الشتات ، ومن يبقائه تكف عن الامتداد أكف الخطوب ، وتطلق وجوه المسائر من عقل القلوب ؛ وبإني الله العادل في حكمه وحكمته ، الرؤوف بعباده وخليفته ؛ إلا إعلاء كلمة الحق بالهم الإمامية ، والإجراء على عوائد صديقه الحفيد ، الكافلة بصلاح العباد والرعية ؛ وقد أقيمت أسواق التهنة بهغه البشري ، وأفادت جدلاً تتابع وقوده تحرى ؛ لاسيما مع الإشارة إلى قرب الأوبة التي تؤدي كل صلاح وتجلبه ، وتزيل كل خلل أتعب القلوب وتذهب . وإلى الباري جل اسمه الرغبة في اختصاصك من عنايته بأحسن ماعهده وأجمله ، وصلة آخر وقتك في نفع المساعي بأوله ؛ وأن لا ينجي الدار المزينة من إخلاصك في ولائها ، ورغبتك في تحصيل مرضاها وشريف آرائها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين - أدام الله تأييدك - آتني الله جزاءك فيها على عادة تكريمته ، وأعرب بها عن اعتقاده فيك وطوئيه ؛ ومكانك الأئيل في شريف حضرته ، وأتجاهه بنعمة الله عنك وخيرته ؛ فتأملها تأملاً يشاكل طاعتك الصافية من الشوائب والأفداء ، وثقتها بصديق الاعتدال عليها وحسن الإصغاء ؛ تفز بالإصابة قداحك ، وتقرن بالتوفيق مغذاك ومرأحك ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



وكما كتب بعض كتاب الفاطميين عن الحافظ لدين الله : أحد خلفائهم إلى شمس الدولة أبي منصور محمد بن ظهير الدين بن توري بن طقتكين بعلبك جواباً عن كتابه الوارد عنه على الخليفة ، ويذكر أنه حسن لغفر الملك رواج وروده على الخليفة بالديار المصرية ، ويذكر نصرته على الفرنج بطرابلس ، وقتله القومص ملكها .

« من عبد الله وولّيه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى الأمير فلان .

أما بعد ، فإنه عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك من يفتاه ووزيره ، وصفيّه
وظهيره ؛ السيد الأجل الأفضّل ؛ الذي بذل نفسه في نصرة الدين تُقَى وليّانا ، وأوضح
الله للدولة الحافظيّة بوزارته مُجْتَمَعاً وبرهانا ، وأسبغ النعمة على أهلها بأن جعله فيهم
ناظرا ولم سلطانا ؛ ووقفه في حُسن التدبير ، والعمل بما يقضى بمصالح الصغير والكبير ؛
وبما أعاد المملكة إلى أفضل ما كانت عليه من النضرة والبّهجة ، ولم يخرج المادحون
لها إذا آخِثُوا عَنْ التحقيق وصَدَقَ اللّهُجَه ؛ فقد ساوت سياسته بين البعيد
والقريب ، وأخذ كلّ منهما بأجل حظّ وأوفر نصيب ؛ وسارت مسيرته الفاضلة
في الآفاق مسير المثل ، وأستوجب من خالقه أجر من جمّع طاعته بين القول
والعمل . وشَفَعَ عَرْضُهُ من وَصْفِكَ وشُكْرِكَ ، والثناء عليك وإطابة ذِكْرِكَ ؛ وأنهى
ما أنت عليه من الولاء ، وشُكْرَ الْإِلَآء ؛ بما يُضَاهِي ما ذَكَرْتَهُ فيه مما حُلِمَ عند تلاوته ،
وأصْنَى إليه عند قراءته . وقد آسَتْقَرَّ بحضرة أمير المؤمنين مكانك من المشايخه ،
وموقُفِكَ من الخُلَاصه ؛ وكونك من ولاء الدولة على قضية كَسْبَتِكَ شَرَفًا قَضِيَّاتِ
ظِلَالَه ، وأفاضت عليك مَلَبَسًا جَرَرْتَ أَذْيَالَه ؛ وسمّت بك إلى عمل لا يُسَاهِي مَنْ
بلغه ولا يُطَاوِلُ مَنْ نَالَه ؛ وكنت في ذلك سالكا للمَنَهِجِ التَّوْبِيحِ ، ومعتمدا ما أهل
بيتك عليه في القديم ؛ لا جرم أنه عاد عليك من حُسن رأى أمير المؤمنين بما تقصّر
عنه كلُّ أُمْنِيَّه ، ويشهد لك بخالصة جمعت فيها بين عملٍ ونيّة ؛ والله يضاعف

(١) في المصباح في مادة كسب "ويتمنى بنحوه إلى مفعول ثان يقال كسبت زيدا مالا ومالها أى أتمته .

قال ثعلب وكلهم يقول كسبك فلان خيرا إلا ابن الأعرابيّ فإنه يقول أكسبك بالألف .

أجرك على اعتصامك من طاعة أمير المؤمنين، بالحبل المتين، وئوذك شكر ما منحتك من الاستضاءة بنور الحق المبين .

فأما الأمير الأسفهلارنغر الملك رواج وبثك له على الوصول إلى الباب، وحضك إياه على التعلق من الخدمة بمحصّد الأسباب؛ فما كان الإذن له في ذلك إلا لأنّ كتابه وصل بلمتمة، وعرض فيه نفسه وبذل المناحة والخدمة، ويسأل سؤال من يعرف قدر العارفة بالإجابة إليه وموقع النعمة؛ فأجيب إلى ذلك إسعافاً له بمراده، وعملاً برأى الدولة فيمن يرغب إلى التحيز إليها من أقطاره وبلايه؛ وإلا فلا حاجة لها إليه ولا إلى غيره، لأن الله تعالى - وله الحمد - وفر حظها من الأولياء والأشياء، والأنصار والأتباع؛ والعساكر والجووش والأجناد والأفناد، والأعوان الأقوياء الشداد؛ وعبيد الطاعة الذين يتبارون في النصيح ويتنافسون في الاجتهاد والحرص، وسعة الأموال، وعمارة الأعمال، وجمع الرجال في العزائم بين الأعمال والأحوال؛ ولو وصل المذكور لكنت المنّة للدولة عليه، والحاجة له في ذلك لا إليه، قال الله عز من قائل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَأَمَنُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ يَلُ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

وأما توجهه إلى طرابلس وظفره بقومها وقتله إياه مع من بها، وعظيم أمره فيها؛ فالله تعالى يرضى الإسلام وينشر لوائه، ويغني متاره ويخذل أعداءه؛ وينصر عساكره وأجناده، ويلتقي في أحزاب الكفر والضلال مراده؛ وهو عز وجل يمتك من الولاء بما منحتك، ويُنيلك في دينك ودنياك أملك ومقتحك؛ فأعلم هذا وأعمل به، إن شاء الله تعالى .

الأملوب الثاني

(أن يُفَتِّحَ الجواب بلفظ «أما بعد»)

سُكِّمَ كُتُبَ عَنِ الْمُقْتَنَى إِلَى السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّلْجُوقِ جَوَابًا عَنْ كِتَابِهِ الْوَارِدِ بِإِخْبَارِهِ بِاجْتِمَاعِهِ مَعَ عَمِّهِ سَجَرَ، وَنَسَخَتِهِ :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ كِتَابَكَ عُرِضَ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَاطِقًا بِدَرْكِ الْأَوْطَارِ ، وَحَصُولِ الْمَقَاصِدِ عَلَى الْآثَارِ ، وَمَا أَنْهَيْتَهُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ بَعِزِّ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ جَمَعَ اللَّهُ فِي طَاعَتِهِ تَحْلُكًا ! وَوَصَلَ بِالْأَلْفَةِ وَالْثَوَادُدِ حَيْلُكَ ! وَمِنْ أِكْرَامِ الْوِفَادَةِ الَّتِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَوَلِيُّهُ ، وَحَقِيقُ أَنْ يَتَّبِعَ وَتَبِيعَهُ لَدَيْكَ وَلَيْسَ ؛ وَالْمُوَافَقَةُ عَلَى كُلِّ حَالٍ آذَنْتَ بِبُلُوغِ الْأَغْرَاضِ وَتَيْسِيرِهَا ، وَتَجَازِ الْمَسَاعِي عَلَى أَمٍّ وَفَاقٍ وَتَقَرُّرِهَا ؛ وَأَنْتِظَامِ الْأُمُورِ عَلَى أَجْمَلِ مَعْتَادٍ وَأَكْمَلِ مُرَادٍ ، وَأَحْسَنِ أَسْنَقٍ وَأَطْرَادٍ ؛ وَأَسْتَقْرَارِ الْقَوَاعِدِ عَلَى الْوَصْفِ الْجَامِعِ أَشْنَاتِ الْأَتْفَاقِ ، الدَّالِّ عَلَى صِدْقِ الْحَافِظَةِ بِبِنَاكَ وَقُرْطِ الْإِشْفَاقِ ؛ عَظُوفًا بِالسَّعَادَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ مَا تُرِكَ فِي الطَّاعَةِ الْإِمَامِيَّةِ تَمْلِكُ قِيَادَهَا ، وَتُقَلِّدُكَ عَلَى الْاِكْتِسَالِ نِجَادَهَا ، فَهَلَلَتْ بِهَذَا النَّبَاِ الْمُبْهِجِ أَمْرَةَ الْبُشْرَى ، وَأَصْبَحَ الْجَدُّلُ بِمَكَانِهِ أَفْهَمَ عَرَفًا وَأَذْكَى نَشْرًا ، وَقَامَتْ لِأَجَلِهِ فِي عِرَاصِ النَّارِ الْعَزِيزَةِ مَوَاسِمٌ ، أَمْحَتِ الْمَسْرَّةَ بِهَا مُفْتَرَةً الْفُورِ ضَاحِكَةَ الْمَبَاسِمِ ؛ وَجَدِيرٌ بِمَنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْهِمَمِ الشَّرِيفَةِ مَدَدٌ وَأَفٌ ، وَمُنْجِدٌ يَدْفَعُ فِي صَدْرِكُلِّ خَطْبٍ مُوَافٍ ؛ أَنْ تَكْتَنِفَهُ الْمَيَّامُنُ وَالسُّعُودُ ، وَيَصْدُقَ فِي كُلِّ مَرْمَى يُخَوِّهُ مِنَ النَّجْجِ الْمَوْعُودِ ؛ وَتَقَادُ لَهُ الْمَصَاحِبُ كُلُّهَا ، وَيَعُودُ يَمِينُ قَهْبَيْتِهِ كُلُّ عَافٍ مِنَ الصَّلَاحِ جَدِيدًا مُقْتَبَلًا ؛ وَلَا يَنْفَكُ صَنْعُ اللَّهِ جَلَّ أَسْمَهُ لَطِيفًا ، وَبِرَبَّاهِ

(١) الْوَلِيُّ عَلَى فَيْهِلِ الْمَطْرِبَةِ الْمَطْرُوقَةِ يُخَفِّفُ عَنْ كِرَامِ أَنْظَارِ السَّانِجِ ٢٠ مَادَّةٌ وَلِى .

(٢) لَهُهُ وَيَصَادِفُ النَّجْجِ .

مُحَدِّقًا مُطِيعًا ؛ وَالتَّوْفِيقُ مُصَاحِبَهُ أَثَى حَلٍّ وَثَوَى ، أَوْ ثَنَى عِثَانَهُ إِلَى وَجْهِهِ وَلَوَى ؛
وَاللَّهُ يَمْتَحُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ بِالْعَصْدِ الَّذِي يُثْبِتُ عَنْ دَوْلَتِهِ وَيُحَامِي ، وَيُنَاضِلُ دُونَهَا
يَجْنُودَ الْإِخْلَاصِ وَيُرَاحِي ؛ وَلَا يُجْلِيكَ مِنْ رِعَايَتِهِ الَّتِي لَا يَزَالُ يَسْتَقِرُّ فِيهَا إِلَيْكَ ،
وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي إِسْبَاغِ لِبَاسِهَا عَلَيْكَ ، حَتَّى تَنْقُضَ لَكَ الْمَطَالِبَ مَعًا ، وَيَقْدُوا الزَّمَانَ
فِيهَا يَنْشَأُ مَتْبَعًا .

هذه مفاوضة أمير المؤمنين إليك ، أدام الله تأييدك ، أجزاك فيها على ما لوف
العاده ، وجدد لك بها بُرُودَ الْفَخَّارِ وَالسَّعَادَةِ ؛ فَاجْرِ عَلَى وَتَعَرِّكْ فِي إِتْحَافِ حَضْرَتِهِ
بَطِيبِ أَخْبَارِكَ ، وَجَارِي الْأُمُورِ فِي إِبْرَادِكَ وَإِصْدَارِكَ ؛ تُهْدِ إِلَيْهَا أَتْبَاجًا وَإِفْرًا ،
وَأَبْتَسَامًا يَظَلُّ لثَامُهُ عَنْ حَمْدِ اللَّهِ الْمُسْتَنْدِ بِهَا سَافِرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(أَنْ يَكُونَ الْاِقْتِحَاحُ فِي الْجَوَابِ مُصَدِّرًا بِمَا فِيهِ مَعْنَى وَصُولِ الْمَكْتُوبَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ)
فَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْكُتَّابِ فِي التَّعْيِيرِ عَنْ ذَلِكَ بِلَفْظِ «الْعَرْضُ عَلَى
الْخَلِيفَةِ» وَيُؤْتَى فِيهِ عَلَى مَا تَضُمَّنُهُ الْكُتُبُ الْمَجَابُ عَنْهُ ، ثُمَّ يُحْتَمَّ كَمَا تُحْتَمُّ الْإِبْتِدَآتُ .
كَأَنَّ كُتُبَ الْعَلَاءِ بْنِ مُوَصَّلَايَا عَنْ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى «أَسْرِهِ» عِنْدَ وَرُودِ كِتَابِهِ
عَلَى أَبْوَابِ الْخِلَافَةِ يَتَضَمَّنُ أَنْتِظَامَهُ فِي سِلْكِ الطَّاعَةِ وَظَلَمَتِهِ الْأَعْدَاءِ ، وَهُوَ :

عُرِضَ بِحُضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى تَمَسُّكِكَ مِنَ الطَّاعَةِ الْإِمَامِيَّةِ
بِمَا لَا تَزَالُ تُحِجُّ فِيهِ مَلَاسِ التَّوْفِيقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَتُجِدُّ بِهِ مَرَاثِرَ السَّعْدِ مُحْصَفَةً
فِي كُلِّ حَلٍّ وَتَرْحَالٍ ؛ مُنْبِئًا عَنْ تَوْفُورِكَ عَلَى الْمَقَامَاتِ الَّتِي آتَقَمْتَ بِهَا لِلْهُدَى مِنْ
الْقَبَالِ ، وَأَسْتَقَمْتَ فِيهَا حَتَّى أَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ صِلَاحٍ مَمْدَّةُ الظَّلَالِ ؛ شَاهِدًا بِمَا أَنْتَ

عليه من موالاة لا تألؤ جهدا في ألتزام شروطها بادئا عائدا ، ولا تخلو فيها من حُسن
أثر يكون لدعائم الصواب عامدا ، وثرى فيه قاصدا لا اجتلاب الخير عائدا . ووقف
عليه وقوف من أرتضى ما يتوالى من قُرْبائك التي لا تزال في إغذاب ورؤدها ساعيا .
ولما يُفَضَّى إلى إغشاب مرعاها في طلب الحمد مُراعيا ؛ وأنتضى منك لخدمة بتلك
الأعمال حُساما باترا آجال بقايا الكُفْر هُناك ، ماضيا في كل ما يقضى بأنفساح مجال
آمالك في الدهر ومبارك ؛ وأخذ لك بما أنهاء عنك رسول أمير المؤمنين العائد من
قَبْلَكَ ، وأوضحه من زلْكَ التي شَقَّ قولك فيها عملك ؛ وطلع به الرسول الذي تَهْدِيهِ
معه لقصْد بابه ، والمُنَابُ في تأكيد دواعي النجس وتمهيد أسبابه ؛ وحل كل ذلك
لديه المحل الذي ستجني ثمرة كلما يطيب ويحلو ، ويسلم من كل الاستزادة ^(١) ويخلو ؛
ويبرز مهر القوز به على غيرك ويغلو ؛ وتائل لك من الرتبة بحضرته ما يذني لك كل
مطلب إلى مُرادك آمل ، ويدوى قلب كل متحريف عن وفائك مائل ؛ وصرت
من أعيان الخلفاء الذين سَمَّتِ الهدى أفعالهم بالحمد ، وسَمَّتِ بالطاعة آمالهم
إلى توَقُّلِ هَضاب المجد ؛ فما تهم بك الغير إلا وتتقطع دُونك أعناقها ، وترجع في جلباب
النجية وحضها إليك وإعناقها ؛ ولا تمتد نحووك يدُ ضد إلا ردها عنك بحيل الآراء
الشريرة فيك وغلها ، وأوجب تهلكها عن موارد القصور وغلها ؛ وكيف لا يكون ذاك
ولك في الطاعة كل موقفٍ آخذنى بلبات الحمد ، وأغنى باشتهاره بلوغ المدنى
في وصفه والحد ؛ فأحسن الله توفيقك فيما أنت بإزائه من إجماد لهب الباطل بتلك
الشعاب ، وإجهاذ النفس في إنحمال المتاعب وإذلال الصعاب ؛ وأمدك بالوَن
على ما بدأت له من جب فيما يليك ، وطبَّ أدواء البُساد في نواحيك . ومع .

(١) كلما في الأصول ولله من خلال الاستزادة وفي المختار والقاموس "استزاده استقصاه" .

(٢) يباين في الأصول بهذا المقدار ولله من جب أصول العناد الخ .

ما فُتِّتَ به من هذه المنحة التي قد جاز قدرها التقدير والظن، وجاد لك الدهر فيها بما كان فتح به على أمثالك وضئ؛ فيجب أن تستدبها، وتُحصن من النغل أديمها، بمزيد من الخدمة تتهز الفُرس بالإسراع إليه والبدار، وتتهج أقوم الجُلد في مقابلة الإيراد منه بالإصدار، وتُشدُّ وسُحك في كل مسعى ينثى إليك عنانُ الثناء معه، وتُثيق عُمرُك في كل أمرٍ يجمع لك مرأى الرضا عنك ومُسَمَّعَه؛ لتجد من جدوى ذلك ما ينظم في السعادة شَمْلَكَ، ويضحي به القيادُ فيما يصنق أملك أملك؛ وأن تُحمد السيرة في الرعايا الذين خدوا تحت كَفِّكَ، وتجعل الاشتغال على مصالحهم مُعرباً عن فضل شَفِّكَ بالخير وكَلِّكَ؛ فإنهم ودائع الله تعالى يلزم أن يُحْمَى من ضياع يتسلط عليها في حال، ومُحْيَا من دَرِّ الإحسان برضا لا يخطر القطامُ عنه ببال؛ فلا تَهْفُفْ عند غاية في إفاضة الفضل عليهم وإسباغ ظِلِّهِ، وأعتادهم بتخفيف تَقَلُّ الحيف عنهم أو إزالة كُلِّهِ؛ ليكونوا في أفياء الأمن راتين، ولخرق كل مُلْمٍ بحسن ملاحظتك راقعين؛ فالذي يراه أمير المؤمنين في فرضك حتى يزداد بأُكْ طولا، ولا يترك لك على الزمان أقتراحا ولا سُولا؛ يقتضى أن يُبْسَع كلُّ سابقٍ إليك من الإحسان بلا حق، ويُبرَّع جَنابُ النعمى لديك عند ذَرِّ كلِّ شارق. وكذلك يرى أن يحدِّد لك من تشرفه المنور مطالع الفجر، المنوّه بالذِّكر في الدهر؛ الذي لا تزال الهِمُّ العالية تصبو إلى الفوز به وتميل، وتَقِفْ عند حناجره والتأميل، ما أصحب رسولك المشار إليه لتدريج من خلاله ما الشرف الأكبر في مطاويه، وتمتطي من صهوة العز فيه ما يبعد على النظراء إدراكُ مرآميه. ويجب أن تلقى مقدّم ذلك طيلك بما يُنْبِئُ عن اقتران النعمة الغراء فيه، واقبل أهلة التوفيق عندك بما تَقْصِدُ في المعنى وتصحيه؛ وإذا عاد رسولك إلى باب أمير المؤمنين حسب ما ذكرت، أُصْدِرْ على يده من ضروب التشرفات ما يُقَرَّرُ

فِيكَ عُيُونٌ مِّنْ يُّودِكَ ، وَيَهْتَزُّ فِي مَعَانِيكَ كُلِّ مَسْعِدٍ يُورِي فِيهِ زَنْدُكَ ؛ فَاسْكُنْ لِي
جِبَائِكَ بِالْمَزِيدِ مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ أَهَلَّتْ لَهَا ، وَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فِيكَ تُؤَفِّرُ عَلَيْكَ أَقْسَامُ
الْحَمْدِ كُلُّهَا ؛ وَفِيَّ بِمُتَرَادِفِ آلَاءٍ يَنْتَضِمُ لَدَيْكَ تَمَثُّلُهَا ، وَيُنْقِصُ كُلَّ كَاهِلٍ حَمْلُهَا ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطرف التاسع

(في الكُتُبِ الصادرة عن ولاية العهد بالخلافة)

لَمْ أَقِفْ عَلَى مَكَاتِبٍ صَرِيحَةٍ فِي التَّصْوِيرِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ ، غَيْرَ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا جَعْفَرَ
النَّعَّاسَ فِي "صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ" بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ صُورَةَ الْمَكَاتِبَةِ عَنْ الْخَلِيفَةِ : « مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْإِمَامِ الْفُلَانِيِّ إِلَى فَلَانٍ » أَتَّبَعَ ذَلِكَ بِأَن قَالَ : وَلَيْسَ أَحَدٌ
مِنَ الرُّؤَسَاءِ يُكَاتِبُ عَنْهُ بِالتَّصْدِيرِ إِلَّا الْإِمَامَ وَوَلِيَّ الْعَهْدِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ . وَقَدْ فُسِّرَ
أَبْنُ حَاجِبٍ النَّعَّانَ فِي "ذَخِيرَةِ الْكُتَّابِ" بِالتَّصْدِيرِ بِأَن قَالَ : يَكْتُبُ « مِنْ عَبْدِ اللَّهِ
أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ » بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ وَنَعْتِهِ . وَيُقَالُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي فَلَانٍ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَى آخِرِهِ ، عَلَى
مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ .

وَذَكَرَ النَّعَّاسُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْعُتُونِ مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى الْمَرْعُوسِ أَنَّهُ يُخَدَّفُ
مِنَ الْكُتَّابِ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ لَفْظَ الْإِمَامِ ، وَلَفْظَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُقَالُ فِيهِ : وَلِيَّ
الْعَهْدِ . وَظَاهِرُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَكَاتِبَةَ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ مُشَابِهَةٌ لِلْمَكَاتِبَةِ عَنْ الْخَلِيفَةِ ،
وَأَنَّ لَفْظَ وَلِيِّ الْعَهْدِ فِي الْمَكَاتِبَةِ عَنْهُ يَقُومُ مَقَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَكَاتِبَةِ عَنْ الْخَلِيفَةِ
نَفْسِهِ ؛ وَحِينَئِذٍ فَيَتَجَبَّرُ أَنَّ تَكُونُ الْمَكَاتِبَةُ عَنْهُ « مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْمُتَّصِدِ بِاللَّهِ
مَثَلًا وَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلِّيَ عَلَيَّ بِعَدْبِهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنْ كُنَّا وَكُنَّا »
وَيُؤَيِّئُ عَلَيَّ الْمَقْصِدَ إِلَى آخِرِهِ . وَعَلَيَّ ذَلِكَ يَدُلُّ كَلَامُ صَاحِبِ « ذَخِيرَةِ الْكَتَابِ » .
فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الْمَكْتَبَةِ عَنْ الْخَلِيفَةِ : وَكَفَلَكَ الْمَكْتَبَةُ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ . عَلَيَّ أَنَّ
الْمَكْتَبَةَ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ قَدْ بَطَلَتْ فِي زَمَانِنَا جَمَلَةً .

الطَّرْفُ الْعَاشِرُ

(من المكتبات عن الخلفاء المكتبات إلى أهل الكفر)

وَكَانَ الرَّسْمُ فِيهَا أَنْ يُكْتَبَ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ » . وَيَقَعُ التَّخْلُصُ فِيهَا
إِلَى الْمَقْصُودِ بِ«أَمَا بَعْدُ» . وَيَحْتَمُ الْكَتَابُ بِلَفْظِ «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهَدْيِ» .
فَقَدْ حَكِيَ أَبُو هِلَالٍ الْمُسْكِرِيُّ فِي كِتَابِهِ « الْأَوَائِلُ » أَنَّهُ كَانَ عَلَيَّ الرُّومِ مَلِكَةً ،
وَكَانَتْ تُلَاطِفُ الرَّشِيدَ وَلَهَا ابْنٌ صَغِيرٌ ، فَلَمَّا نَشَأَ قُوضَتْ الْأَمْرُ إِلَيْهِ فَهَاتَ
وَأَفْسَدَ ، نَخَفَتْ أُمُّهُ عَلَيَّ مُلْكِ الرُّومِ فَتَنَّتْهُ ؛ فَنَجَّحَ عَلَيْهَا تَقْفُورُ مَلِكِ الرُّومِ فَقَتَلَهَا
وَأَسْتَوْلَى عَلَيَّ مُلْكُهَا وَكَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ :

«أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَضَعْتَكَ مَوْضِعَ الشَّاهِ ، وَوَضَعْتَ نَفْسَهَا مَوْضِعَ الرَّيْخِ ،
وَيَنْبَغِي أَنْ تَقْلَمَ أَيْ أَنَا الشَّاهُ وَأَنْتَ الرَّيْخُ . فَأَدِّ إِلَى مَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ تُؤَدِّي إِلَيْكَ » .
فَلَمَّا قَرَأَ الْكَتَابَ ، قَالَ لِكُتَّابِهِ أَجِيبُوا عَنْهُ ، فَكَتَبُوا مَا لَمْ يَرْضَهُ ؛ فَكَتَبَ هُوَ إِلَيْهِ :

«مَنْ عَبْدُ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى تَقْفُورِ كَلْبِ الرُّومِ . أَمَا بَعْدُ فَقَدْ قَهِمْتُ
كَتَابَكَ ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهَدْيِ » .

وَيَقَالُ : إِنَّهُ كَتَبَ « الْجَوَابُ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُنِيَ
الْبَارِ » . وَلَا يَخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَعَ الْإِيحَازِ .

وكتب عن الحافظ لدين الله : أحد خلفاء الفاطميين بمصر إلى صاحب صِقلية^(١)
وما معها من ملوك الفرنج :

« من عباده ووليه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى الملك بجزيرة صِقلية ، وأنكورية وأطاليسية وقلورية وسترو وملف وما أنضاف
إلى ذلك ، وفقه الله في مقاصده ! وأرشده إلى العمل بطاعته في مصادره وموارده ؛
سلام على من أتبع الهدى ، وأمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو
ويسأله أن يصل على جده محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله
الطاهرين ؛ الأئمة المهديين ؛ وسلم تسليما .

أما بعد : فإنه عرض بحضرة أمير المؤمنين الكتاب الواصل من جهتك ، فقص
خاتمته وأجبتني ، وقري مضمونه وتلى ؛ ووقت الإصباحة إلى فصوله ، وحصلت
الإحاطة بجملة وتفصيله ؛ والإجابة تأتي على أجمعه ، ولا تحل بشيء من مستودعه ؛
أما ما أفتحت به من حمد الله تعالى على نعمه ، وتوسيع القول فيما أولاك من
إحسانه وكرمه ؛ فإن مواهب الله تعالى ومنته التي جعل توألهما اختبار شكر العبد
وآمنحانه على أنه بخاتمة الأئمة وما تحفى الصدور عليم ، وهو القائل فيمن أنفى عليهم :
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُم لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يزال مضاعفها
ومرادفها ، وثمنا ساقها آتفها ؛ وهو يؤلفها كلاً من عبيده بقدر منزلته عنده ،
ويخص أصفياءه بأوفى مما تمناه الأمل المبالغ ووده ؛ والله تبارك وتعالى يمنح
أمير المؤمنين ، وآباءه الأئمة الراشدين ؛ ما ضلّت مستقدمات الحمد والشكر عند
لوازمه مستأنحه ، إذ كان أفردهم دون الخليفة بأن أعطاهم الدين ثم أعطاهم معها

(١) في التعبير تساهل والفرض معلوم .

الآخِر ؛ وأختصهم من حباته بما لا يُحصى عدداً ، وخولم من آلائه بما لا يُقوّم
بشكره أحد .

وأما ما ذكرته من افتتاحك الجزيرة المعروفة بِجَزِيرَةِ لَانْشَرَحْتِه من عُذوان أهلها ،
وعُدوهم عن طُرُق الخيرات وسُبُلها ؛ وأجترأهم في الطُغيان على أسباب لا يجوز
التغافل عن مثلها ؛ وأستعملهم الظلم ثمرداً ، وتماديهم في النقيّ تباهياً في الباطل وغُلُوّاً ،
يأساً من الجزاء لكما استبطئوه ، فإن من كانت هذه حالته حقيقاً أن تكون الرحمة
عنه نائية ، وخليقاً أن يأخذه الله من مأمِنه أخذه راييه ؛ كما أنه من كان من أهل
السلامة ، وسالكاً سبيل الاستقامة ؛ ومُقِيلاً على صلاح شأنه ، وغير متعدٍّ للواجب
في سرِّه وإعلانه ؛ تعين أن نوفرَّ من الرعاية سَهْمَه ، ونُخزِل من العناية نصيبه وقِسْمَه ؛
ويومئذٍ مما يُقِلُّه ويُزججه ، ويُقصد بما يسره ويُهَيِّجه ؛ ويُصان عن أن ينالهُ مكروه ،
ويُنجى من أذى يُلُمُّ به ويعرّوه .

وأما تُشْكركَ لوزيرك الأمير تَأْيِيد الدولة وعَضُدها عزَّ الملك وفَخْره نظام
الرَّياسَةِ ، أمير الأُمراء ، فإن من تهلَّبَ بهنْييك ، وتخلَّقَ بأخلاقك وتادَّبَ بتأديبك ؛
لا يُنكر منه إصابه المُرَامَى ، ولا يُستغَرَّب عنده مُنْجَحُ المَساعي ؛ وواجبٌ عليه أن
لا يحعل قلبه إلا متَوَّيًّا للنصائح ، وأن لا يزال عُمره بين غادٍ في المخالصة ورائح .

وأما المركب العروس ووصول كتاب وكيله ذا كراما ما اعتمده مقبَلُ أسطولك
من صَوْنِه وحِمايَتِه ، وحِفْظِه ورِعايَتِه ؛ وإعاديَةِ ما كان أخذ منه قبل المعرفة بأنه
جائز في السيوان الخالص الحافِظي ، ففعلَ بِحَمَلِ عتك صَدْرَه ، ويليَقُ بك أن يُنسَبَ
إليك ذِكْرُه وخبرُه ؛ ويدلُّ على علم أصحابك برأيك وإحكام مُعاقِدَةِ المودَّة ، ويُعَرِّب
عن إيتارك لإبرازها كَمَا تَقْدِمُ عنها في ملايِسِ بهجة مُستجَدِّه . وهذا القلُّ من

خلافتك الرضية غير مستبدع، وقد ذُخِرَتْ منه عند أمير المؤمنين ما حصل في أعز مقر وأكرم مستودع؛ لأجرم أن أوامره خرجت إلى مقدى أساطيله المظفرة بما يُجنيك ثمرة ما غرسته، ويُعلي منار شاتك الذي قزرته على أقوى أصل وأُسستَه؛ وقد قدَّمت مراسميه بإجرائك على غلامك المستمرة في المساحة بما وجب للديوان عما وصل برسمك على مرايك، وبرسم الأمير تأييد الدولة وزيرك، والرسولين الواردين عن حق الورود إلى نعر الإسكندرية حماء الله تعالى، ثم إلى مصر حرسها الله وحق الصدور عنهما، وكل ما يصل من جهتك فعلى هذه القضية .

وأما شكرك على الأسرى الذين أمر أمير المؤمنين بإطلاقهم إجابة لرغبتك، ورسم بتسييرهم إليك محافظة على مرادك وبقيتك؛ فأوزعنا شعارهم أنهم عُقلاء شفاعتك، وأرقاء منك؛ فذلك من الدلائل على ما ينطوي عليه من جميل الرأي وكرم النبي، ومن الشواهد بأنه يُوجب لك مالا يُوجب له لأحد من ملوك النصرانية .

وأما سؤالك الآن في إطلاق من تجدد أسرته، وإنهاؤك أن ذلك مما يُهمك أمره؛ فقد شفعك أمير المؤمنين بالإجابة إليه على ما أُلِّف من كريم شيمته، وسير إليك مع رسولك من تضمن الثبت ذكر جدته، وقد علمت ما كان من أمر بهرام ووصوله إلى الدولة الفاطمية خلد الله ملكها شريفا طريدا؛ قد نبت به أوطانه، وقد نشأه دياره؛ لا مال له ولا حال، ولا عشيرة ولا رجال؛ فقبلته أحسن قبول، وبلغت به في الإحسان ما يزيد على السؤل؛ وغمرته من الإتمام ما يقصر عن اقتراحه كل أمل، وجعلته فواضلها يقلب الطرف بين الخليل والخول؛ وكانت أموره كل يوم في نمو وزياده، وأحواله توفى على البقية والإرادة، إلى أن جرت نوبة أفضى التدبير في وقتها أن عُدقت به الوزارة، ونيطت به السفارة؛ فوسوس له خاطره ما زخرقه

البطر وزيته ، وصوره الشيطان وحسنه ؛ وأظهر مظهرت أماراته ، ووضحت أدلته
وعلاماته ؛ فاستدعى قبيله وأمرته ، وجنسه وعشيرته ؛ بمكاتباته منه سرية ،
وخطوط عثر عليها بالأرمينية ؛ فكانوا يصلون أول أول ، إلى أن اجتمع منهم عشرون
ألف رجل من فارس وراجل ، ومن جعلهم أبنا أخيه وغيرهما من أهله ، فدلوه
بالفرور ، وحملوه على ما قضى بالاستبعاث منه والثفور ؛ وقووا عزمه فيما يؤدى
إلى اضطراب الأحوال واختلال الأمور ، فامتعض السائر المنصورة مما أساء به
سياستهم ، وأبوا الصبر على ما غيّر به رسمهم وعادتهم ؛ فلما رأى أمير المؤمنين ذلك
استعظم الحال فيه ، وتيقن أن التناقل عنه يقضى بما يعسر استدراكه وتلافيه ؛
فكتب وليه وصفيّه الذى رُبّى في سجن الخلافة ، وسما به استحقاقه إلى أعلى درج
الإتافه ؛ وحصلت له الرياسة بالكنسايه ، وأنسابه ، وغدا النظر في أمور المملكة
لا يصلح لغيره ولا يليق إلا به ؛ السيد الأجل الأفضل ، وهو يومئذ والى الأعمال
الغربية ، وصدرت كتب أمير المؤمنين تُشعره بهذا الأمر الصعب ، وتستكشف به
ما عرا الدولة من هذا الخطب ؛ فأجاب دعاءه ، ولجّى نداه ؛ وقام قيام مثله بمن
أجزل الله حفظه من الإيمان ، وجعله جلّ وعز حسنة هذا الزمان ؛ وأخصّصه بعناية
قويّه ، وأمدّه بموادّ طويّه ؛ وأيدّه باعانة سماويّه ، تخرج عن الاستطاعة البشريّه ؛
فجمع الناس وقام خطيباً فيهم ، وباعثاً لهم على ما يزلّهم عند الله ويخطيهم ؛ وموحيّاً لهم
ما يحثّنى على الدولة من الأمر المنكر ، فاجتمعوا إليه كاجتماعهم يوم المحشر ؛ وغصبت
التجود والأغوار ، وأمتلأت الشهور والأوعار ؛ وضاعت الأرض على سعتها
بالخلاق ، وأرتمت في توجّهم لطلب المذكور الأعذار والعواقب ؛ ولم يبق فضاء
إلا وهوهم شرق ، ولا أحد إلا وهو مترعج بقصده وعلى تأثر ذلك قلق . وكان
بهراً وأصحابه بالإضافة إليهم كالشامة في اللون البسيط ، كالقطرة في البحر المحيط ؛

وساروا مع السيد الأجلّ الأفضّل نحوه مُسارِعين ، وعلى الأقباض طيهم
متهاوتين ، فلما شمر بذلك لم يبق له قرار ، ولأد بالهروب والفرار ، بهجرُ المناهل ،
وبطوى المراحل ، ويرى الشroud غُنا ، ويعدّ السلامة حُلما ، واستقرت وزارة
أمير المؤمنين لهذا السيد الأجلّ الأفضّل الذي لم تزل فيه راغبه ، وله خاطبه ،
ونحو توليه إياها متطلّعه ، وإلى نظره فيها مبادرة متسرّعه ، ولم تنفك لزينة دسستها
مستبطنه ، وفي التلّيف على تأثر ذلك مُعيدة مُبدئه ، فأحسن إلى الكافة قولا
وفِعلا ، وعمل في حق الدولة ما لم يحصل له في الوزراء شيئا ولا في الملوك العظماء
مثلا ، وغدا لليلة الحنيفة حجة وبرهانا ، وأولى الأولياء إعزازا وتكريما والأعداء
إذلالا وإهوانا ، وصان الخلافة عن تقاذيلهِ ، وتما غيلة ، ومُحادمة مارك ، ومُخالفة
ظاد ، فلذلك أنشاه أمير المؤمنين حساما باترا ماضي الفرار ، وأجتهاه هُما ما
في المصالح لا يعلم جفنه غير الفرار ، وأصطفاه خليلا وظهيرا للتساوى باطنه
وظاهره في الصفاء ، وأستخلصه لنفسه لمقارنه الجمّة التي ليس بها من خفاء ،
وأنتظمت الأمور بكفالاته في سلك الوفاق ، وعمت الخيرات بوزارته عموم الشمس
بانوارها جميع الآفاق ، فسعدت بنظره الجلود ، وتظاهرت ببركاته الميامن والسعود ،
وأصبح غصن المعالي يُمينه مُورقا ، وعلى الملة من بين آرائه تمام من مسّ الحوادث
ورق ، فأثاره توفى على ضياء الصباح ، وعزّ مائه تُزري بمضاء المهنة الصفا ، ومأثره
تقوت شأواثناء غاية الإمتداح . فانه تعالى يحفظ النعمة على الخلافة الحافظية ،
ويوزع شكره على مُبوضها كافة البرية ، بكرمه وفضله ، ومته وطوله .

ولما أمعن بهرام في الهرب ، وجئت العساكر المنصورة وراءه في الطلب ،
وضافت عليه المسالك ، وتيقن أنه في كل وجهة يقصدها هالك ، عاد لمكارم الدولة

وعواطفها ، وسأل أماناً على نفسه من متالفها ؛ فشملت الرحمة ، وكتب له الأمان
فصادقته النعمة ؛ واختلط برجال العساكر المنصورية ، وصار حظه بعد أن كان
مبخوساً من الحظوظ الموقورة .

وأما اعتذار الكاتب عما وجه إليه بأن من الكلام ما إذا قيل من لغة إلى لغة
أخرى اضطرب مبناه فأختل معناه ، ولا سيما إن غرس فيه لفظ ليس في إحدى
اللغتين سواء ؛ فقد أبان فيما نُسب إليه السهو فيه عن وضوح سببه ؛ وقد قيل عذره
ولم تحك يده عن التمسك به .

وأما ما سيرته إلى خزان أمير المؤمنين تحفة هديه ، وأثبت به عن همة بدواي
المجد مليه ؛ فإنه وصل وتسلم كل صنف منه متولى الخزان المختصة به بعد عرضه
على الثبوت المعطوف كالك عليه وموافقته ، وقد أجرى رسولك في إكرامه وملاحظته
على أفضل ما يعتمد مع مثله بمنزلة من ورد من جهته ، وعلى قدر من وصل برساته ؛
وقد سير أمير المؤمنين من أمراء دولته ، ووجوه المقدمين بحضرته ؛ الأمير المؤمن ،
المنصور ، المنتخب ، مجد الخلافة ، تاج المعالي ، نحر الملك ، مؤالي الدولة وشجاعها ،
ذا النجابتين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبا منصور جعفر الحافظي رسولاً بهذه الإجابة ،
لما هو معروف من سداده ، وموصوف من مستوفى قصده ومستصوب اعتياده ،
وألقي إليه ما يذكره ويشرح ، وعول عليه فيما يُسأله به ويوصحه ، وأحبه من يجابه
والطافه ، متضمنه الثبوت الواصل على يده ، إبانة لحلك عنده ، وموقفك منه ، ومكانك
لديه . وأمير المؤمنين متطلع إلى ورود كُتُبك متضمنة من سائر أنباءك وطيب أخبارك
ما يسكن إلى معرفته ، ويتقن بعلم حقيقته ؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم مما الجارى عليه الحال

في زماننا ، وهو على قسمين)

القسم الأول

(المكاتباتُ الصادرةُ عن الملوك إلى أهل الإسلام ، وفيه أطراف)

الطرف الأول

(في مكاتباتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه ثلاث بُحُل)

الجملة الأولى

(في ترتيب كتبهم إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل الإجمال)

- كانت أمراء مَراياَه صلى الله عليه وسلم ومن أسلم من الملوك تفتَحُ المكاتبَةُ إليه .
صلى الله عليه وسلم باسمه صلى الله عليه وسلم ، ويُنتَوْنَ بأنفسهم ، ويأتَوْنَ بالتحميد
والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، ويَتَخَلَّصُونَ إلى المقصود بأما بعد أو غيرها ،
ويَحْتَمُونَ بالسلام . وملوك الكُفريين بأنفسهم ؛ وربما بدعوا باسمه صلى الله
عليه وسلم . وكان المكتوبُ عنه منهم يعبرُ عن نفسه بلفظ الإفراد . مثل : أنا ، ولى ،
وقلت ، وفعلت . وربما عبرَ بعضُ الملوك عن نفسه بنون الجمع . ثم إن كان المكتوب
عنه مسلماً ، خاطبه صلى الله عليه وسلم بلفظ الرسالة والنُّبوة مع كاف الخطاب
وتاء المخاطب ؛ وإن كان كافراً ، خاطبه بالكاف والتاء المذكورتين ، وربما خاطبه
باسمه . فإن كان المكتوب عنه مسلماً ختم الكاتب بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم .

أما عُنُونُهُ هَذِهِ الْكُتُبُ ، فَيُظْهِرُ أَنَّهَا إِنْ أَتَتْ بِاسْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتُحْمَدُ بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ عُنُونَتْ كَهَذَا ، فَيَكْتُبُ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ « لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ » أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَفِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ « مِنْ فُلَانٍ » وَإِنْ كَانَتْ مِنْ يَفْتَحِ الْمَكْتُوبَةَ بِاسْمِ نَفْسِهِ عُنُونَتْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ .

الجملة الثانية

(في صورة مكاتبتهم إليه صلى الله عليه وسلم)

[وفيه أسلوبيان :

الأسلوب الأول

(أن يفتح المكتبة باسم المكتوب إليه)^(١)

كما كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إليه صلى الله عليه وسلم باسم بن الحارث ، بالكتاب الذي تقدمت إجابته صلى الله عليه وسلم عنه ، وهو على ما ذكره ابن هشام في « السيرة » .

« لِمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَإِنِّي أَحَدٌ إِلَيْكَ أَتَى الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلَى ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَأَمَرْتَنِي إِذَا أُيْتُهُمْ أَنْ لَا أَقَاتِلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا قَبِلْتُ مِنْهُمْ وَعَظَّمْتُ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَكَلَّمَ اللَّهُ وَسَنَةَ نَبِيِّهِ ، وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا

(١) الزيادة سابقة من الأصول وهي لازمة لانظام الكلام واتساعه كما يظهر من الأسلوب الثاني الآتي .

قَاتِلْتُمْ . وَإِنِّي قَدِمْتُ إِلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثْتُ فِيهِمْ كِتَابًا : يَا بَنِي الْحَارِثِ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا . فَاسْلَمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، أَمَرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنَاهُمْ عَمَّا نَهَاكَمُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأُعَلِّمُهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ! ” .



وَكَمَا كَتَبَ النَّجَاشِيُّ مُلِكَ الْحَبَشَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوَابِ كِتَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ .

وَنَسَخْتُهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ :

” إِلَى عَمِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ، مِنَ النَّجَاشِيِّ أَحْمَسَةَ ،

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عَمِيِّي فَوَزَّبَ السَّيِّئَ وَالْأَرْضَ إِنِّي عَمِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَزِيدُ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ تَفَرُّوقًا ، إِنَّهُ لَكَمَا قُلْتَ ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْنَا ، وَقَدِمَ ابْنُ عَمِّكَ وَأَصْحَابُهُ (وَفِي رِوَايَةٍ : وَقَدْ قَرَّبْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ) وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ [صَادِقًا مُصَلِّيًا] ، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ ، وَأَسَأَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِأُنْجِي ، وَإِنْ شِئْتَ

(١) فِي ” مِفْتَاحِ الْإِنْكَارِ ” ص ٦٦ وَبَعَثْتُ فِيهِمْ كِتَابًا فَاتَلَوْا يَا بَنِي الْحَارِثِ . وَازْيَادَةُ الَّتِي فِي آخِرِ الصَّحِيفَةِ هـ .

أَتَيْكَ [بنفسى] ^(١) فعلت يا رسول الله ، فإني أشهد أن ما تقولُه حقٌ ، والسلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاته .



وكما كتب المُقَوِّس صاحب مصر إليه صلى الله عليه وسلم جوابَ كتابه الوارد عليه منه في رواية ذكرها ابنُ عبد الحكم ، وهو :

”محمد بن عبد الله ، من المُقَوِّس عظيم القبط . سلامٌ عليك .

أما بعد ، فقد قرأتُ كتابَكَ وفهمتُ ما ذكرتَ فيه وما تدعو إليه . وقد علمتُ أن نبياً قد بَقِيَ وكنتُ أظنُّ أنه يخرجُ بالشام ، وقد أكرمتُ رسولَكَ وبشتُ إليك بجاريتينٍ لهما مكانٌ في القبط عظيمٌ وكسوةٌ ، وأهديتُ إليك بغلةً لتركبها ، والسلامُ عليك .“

ولم يزد على هذا . وزاد غيره أن في أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم . وذكر الواقدي : أن في كتابه إليه :

باسمك اللهم ، من المُقَوِّس إلى محمد .

أما بعد ، فقد بلغني كتابُكَ وفهمته وأنت تقولُ إن الله أرسلَكَ رسولاً ، وفضَّلَكَ تفضيلاً ، وأنزل عليك قرأناً مبيناً ؛ فكشفنا عن خبرك فوجدناك أقربَ دافعَ دَعَا إلى الله ، وأصدقَ مَنْ تكلم بالصَّنَق ، ولولا أني ملكْتُ مُلكاً عظيماً ، لكُنْتُ أوَّلَ مَنْ آمَنَ بك ، لعلِّي أُنَك خاتمُ النبيين وإمامُ المرسلين . والسلامُ عليك مِنِّي إلى يوم الدين .

(١) الزيادة من رواية الموابح ج ٣ ص ٣٩٥ وروايته أنجك . قال شارحه : في موضع القول

أى إتيان .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكاتبة باسم المكتوب عنه)

كما كتب مسيامة الكتاب إليه صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي تقدمت إجابته
صلى الله عليه وسلم في المكاتبات الصادرة عنه، وهو :

« من مسيامة رسول الله إلى محمد رسول الله .

أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، إن لنا نصف الأرض ولقریش نصف
الأرض، ولكن قریشاً قوم يتنون » .

الجملة الثالثة

(في المكاتبات التي كتبت إليه قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته)

أما الكتب التي كتبت إليه صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره، فقد حكى صاحب
الهناء الدائم بولده أبي القاسم، أن تبعاً الأول حين مر بموضع المدينة النبوية، على
ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام، أخبره من معه من علماء أهل
الكتاب أن هذا الموضع مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان، فعمر هناك مدينة وأسكن
فيها جماعة من العلماء، وكتب إليه كتاباً فيه :

« أما بعد، يا محمد، فإني آمنت بك وبربك ورب كل شيء، وبكتابك الذي يؤتله
عليك وأنا على دينك وسنتك . آمنتُ بربك ورب كل شيء، وبكل ما جاء من ربك
من شرائع الإسلام والإيمان . وإني قلت ذلك، فإن أدركتكم فيها ونعمت، وإن لم

أُذِرَكَ فَاشْفَعَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَسْنِي ، فَإِنِ مِنْ أُمَّتِكَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَابَعْتُكَ قَبْلَ
يَحْيِكَ وَقَبْلَ أَنْ يُرْسَلَ اللَّهُ ، وَأَنَا عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) .
وختم الكتاب . ونقش عليه « هَذَا الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ
بِنَصْرِ اللَّهِ » .

وكتب عنوانه : « إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ ، مِنْ تَبِيعِ الْأَوَّلِ خَيْرٍ ، أَمَانَةُ اللَّهِ فِي يَدِ مَنْ وَقَعَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ » .
ودفعه إِلَى رَئِيسِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ رَتَّبَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، فَبَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ بَيْتِهِ يَتَدَاوُلُونَهُ
وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، حَتَّى هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَ الَّذِي صَارَ
الْكِتَابُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَنِي ذَلِكَ الْعَالَمِ فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ .



وَأَمَّا الْكِتَابُ الَّذِي تُمَكِّتُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ
الْأُمَّةِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ بِكَاتِبَةِ الرِّسَالِ إِلَى اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِالسَّلَامِ
وَالْحُجَّةِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّشَفُّعِ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَقَاصِدِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ،
وَتَسْيِيرِهَا إِلَى تَرْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَثُرَ النَّاسُ مَعَاطَاةً لِنَاكِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ
بَعْدَ بِلَادِهِمْ ، وَزُجُوجَ أَقْطَارِهِمْ .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا رَأَيْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا كَتَبَ بِهِ أَبْنُ الْخَطِيبِ وَزَيْرُ بْنُ الْأَحْمَرِ
بِالْأَنْدَلُسِ ، وَصَاحِبُ دِيْوَانِ إِنْشَائِهِ عَنْ سُلْطَانِهِ يُوسُفَ بْنِ فَرْجَ بْنِ نَصْرٍ :

إِذَا فَاتَنِي ظِلُّ الْحَيِّ وَنَعِيمُهُ ، * كَفَّاتَنِي وَحَسْبِي أَنْ يَهْبُ نَسِيمُهُ !

وَيُقِنُّنِي أَنِّي بِهِ مَتَكَيِّفٌ : * قَزَمَ زَمَهُ دَمْعِي ، وَجَسَمِي حَاطِمُهُ !
يُودُّ قُوَادِي ذِكْرٌ مِنْ سَكَنِ الْغَضَى * فَيُقْعِدُهُ فَوْقَ الْغَضَى وَفِيهِمُ !
وَلَمْ أَرَشِيئًا كَالنَّسِيمِ إِذَا سَرَى ، * شَفْنِي مَقَمَ الْقَلْبِ الْمَشُوقِ سَقِيمُهُ !
فَعَلَّ بِالنَّدَاكَ نَفْسًا مَشُوقَةً * تُدِيرُ عَلَيْهَا كَأْسَهُ وَتُدِيمُهُ !
وَمَا شَفْنِي بِالنُّورِ رَنْدٍ مَرْمُوحٍ ، * وَلَا شَاقِي مِنْ وَحْشٍ وَبَحْرَةٍ رَيْمُهُ ،
وَلَا سَهْرَتٍ عَيْنِي لِبَرْقِ ثَنِيَّةٍ * مِنَ الثَّرَى يَتَدَوَّهِنَا فَأَشِيمُهُ .
بَرَأَنِي شَوْقٌ لِلنَّبِيِّ عَجْدٍ * يَسُومُ قُوَادِي بَرْحَهُ مَا يَسُومُهُ !
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَادَاكَ ضَارِعٌ * عَلَى الْبُعْدِ مَحْفُوظُ الْوَدَادِ سَلِيمُهُ
مَشُوقٌ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ * تَهْمٌ بِهِ تَحْتَ الظَّلَامِ هُمُومُهُ
إِذَا مَا حَدِيثُكَ عَنكَ جَاءَتْ بِهِ الصَّبَا ، * شَجَاهُ مِنَ الشَّوْقِ الْحَدِيثِ قَدِيمُهُ
أَيَّجَهْرُ بِالنَّجْوَى ، وَأَنْتَ تَمِيمُهَا ! * وَيَسْرَحُ مَا يَخْفَى ، وَأَنْتَ طَلِيمُهُ !
وَتُعَوِّزُهُ السَّقِيَا ، وَأَنْتَ غِيَاثُهُ ! * وَتُثَلِّفُهُ الْبَلَوَى ، وَأَنْتَ رَحِيمُهُ !
يُنُورِكَ نُورِ اللَّهِ قَدْ أَشْرَقَ الْمُدَى * فَأَقْبَارُهُ وَصَاحَةُ وَجُومُهُ !
إِنَّكَ أَنْهَلْتَ فَضْلَاقَهُ فِي الْأَرْضِ سَائِجًا * فَأَنْوَاهُ مُتَفَقَّةً وَغِيومُهُ !
وَمِنْ فَوْقِ أَطْبَاقِ السَّمَاءِ بِكَ أَقْدَى * خَلِيلُ الَّذِي أَوْطَاكَهَا وَكَلِيمُهُ !
لَكَ الْخَلْقُ الْأَرْضِيُّ الَّذِي بَانَ فَضْلُهُ * وَجُعِدَ فِي الذِّكْرِ الْعَظِيمِ عَظِيمُهُ !
يَجِلُّ مَدَى طِبَاكَ عَنْ مَدَجِ مَادِحٍ * فَمُوسِرُ دَرْ الْقَوْلِ فِيكَ عَدِيمُهُ !
وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيكَ وَرَاثَةٌ ! * وَجُحْتُكَ لَا يَنْسَى الدَّمَامُ كَرِيمُهُ ،

وَعِنْدِي إِلَى أَنْصَارِ دِيكَ نِسْبَةٌ * هِيَ الْفَخْرُ لَا يَحْشَى انْتِقَالًا مُقِيمَةٌ !
 وَكَانَ يُودَى أَنْ أُرْوَرَ مَبُوءًا * بِكَ أَفْخَرْتُ أَطْلَالَهُ وَرُؤُومَهُ !
 وَقَدْ يُجْهِدُ الْإِنْسَانُ طَرْفَ أَصْطَرَامِهِ * وَيُعَوِّزُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَرُومُهُ .
 وَعُدْرِي فِي تَسْوِيفِ عَزَمِي ظَاهِرٌ * إِذَا ضَاقَ عُذْرُ الْعَزَمِ عَمَّنْ يَلُومُهُ .
 عَدَّتْ بِي أَفْصَى الْغُرْبِ عَنْ تَرْكِ الْعِدَا ، * جَلَالَتُهُ النَّفَرِ الْغَرِيبِ وَرُومُهُ ،
 أَجَاهِدُ مِنْهُمْ فِي مَبِيلِكَ أُمَّةً * هِيَ الْبَحْرُ يَمِي أَمْرَهَا مَنْ يَرُومُهُ !
 فَلَوْلَا أَعْتَنَاءُ مِنْكَ يَا مَلْجَأَ الْوَرَى ! * لَرَجَحَ حِمَاهُ ، وَأَسْتَيْجِ حَرِيمُهُ !
 فَلَا تَقْطَعِ الْحَبْلَ الَّذِي قَدْ وَصَلْتُهُ ، * فَجَبَلُكَ مَوْفُورُ النَّوَالِ عَمِيمُهُ !
 وَأَنْتَ لَنَا الْيَتِيمُ الَّذِي تَسْتَدِرُّهُ ، * وَأَنْتَ لَنَا الظِّلُّ الَّذِي تَسْتَدِيئُهُ !
 وَلَمَّا نَأَتْ دَارِي وَأَعُوذَ مَطْعَمِي * وَأَقْلَقْنِي شَوْقِي تُسَبِّحُ جَبِيمُهُ ،
 بَشَتْ بِهَا جُهْدَ الْمُقِلِّ مُعَوَّلًا * عَلَى جَبَلِكَ الْأَعْلَى الَّذِي جَلَّ خِيمُهُ !
 [وَكَلْتُ بِهَا هَمِّي وَصَدَّقَ قَرِينِي * فَسَاعَدَنِي هَاءُ الرُّوَى ^(١) وَمِيمُهُ !]
 فَلَا تَنْسَنِي يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى * فِيمَشْلُكَ لَا يُفْنِي لَدَيْهِ خَدِيمُهُ !
 عَلَيْكَ صَلَاةُ أَهْلِ مَانَرِ شَارِقٍ ، * وَمَا رَاقَ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ وَسِيمُهُ !

إلى رسول الحق، إلى كافة الخلق، وغمام الرحمة الصادق البرق، والحائز في ميدان
 اصطفاة الرحمن قصص السبق؛ خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة السماء، ومن وجبت له
 النبوة وأدم بين الطين والماء؛ شفيع أرباب الذنوب، وطبيب أدواء القلوب،
 ووسيلة الخلق إلى علام النبوت؛ نبي الهدى الذي طهر قلبه، وغفر ذنبه، وختم به

(١) الزيادة من فتح الطيب "ج ٤ ص ١٧٥" وكذا هو في رخصة الكتاب

الرسالة ربّه، وجرى في القُوس تجرى الانفاس حُبّه؛ [الشَفِيع^(١)] المشفّع يوم الرّض،
الحمود في مَلَأِ السماء والأرض؛ صاحب اللّواء المنشور يوم النُّشور، والمؤتَمِن على
سَرِّ الكلاب المَسْطُور، ومُخْرِج النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ؛ المؤيّد بِكَفَايَةِ الله
وعِصْمَتِهِ، الموفّور حِفْظَهُ مِنْ عَنَائَتِهِ وَحُرْمَتِهِ، الظَّلَّ الخَفَّاق على أُمْتِهِ؛ مَنْ لَوْ حَازَتْ
الشَّمْسُ بَعْضَ كَلَامِهِ مَا عَدِسَتْ إِشْرَاقًا، أَوْ كَانَ لِلْأَبَاءِ رَحْمَةٌ قَلْبُهُ ذَابَتْ نَفْسُهُمْ
إِشْفَاقًا؛ فَائِدَةُ الْكَوْنِ وَمَعْنَاهُ، وَسِرُّ الْوُجُودِ الَّذِي يَهْرُ الْوُجُودَ سَنَاهُ، وَصِفَى حَضْرَةِ
الْقُدُّسِ الَّذِي لَا يَنَامُ قَلْبُهُ إِذَا نَامَتْ مَعِينَاهُ؛ الْبَشِيرِ الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ الْبُشْرَى، وَرَأَى
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، وَزَلَّ فِيهِ سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى؛ مِنْ الْأَنْوَارِ مِنْ عُنْصُرِ نُورِهِ
مُسْتَمَدَّهُ، وَالْآثَارِ تَحَقُّقُ وَأَثَرُهُ مُسْتَجِدُّهُ؛ مَنْ طَوَى بِسَاطِ الْوَحْيِ لَفَقْدَهُ، وَسُدَّ بَابُ
الرَّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْتَى جَوَامِعَ الْكَلِمِ فَوْقَتِ الْبَلَاغِ حَضْرَى دُونَ حَدِّهِ؛
الَّذِي أُنْقَلِ فِي الْفُرَرِ الْكَرِيمَةِ نُورُهُ، وَأَضَاعَتْ لِمِيلَادِهِ مَصَانِعُ الشَّامِ وَقُصُورُهُ،
وَوَقِفَتِ الْمَلَائِكَةُ تُحِيَّةً وَوُودَهَا وَتَرَوْرُهُ؛ وَأَخْبَرَتِ الْكُتُبُ الْمُنْتَزِلَةَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ، وَأَخَذَ عَهْدُ الْأَنْبِيَاءِ بِهِ عَلَى مَنْ آتَصَلَتْ بِمَعْنَتِهِ مِنْهُمْ أَيَّامُ حَيَاتِهِ؛ الْمَفْزَعُ
الْأَمْنِي يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَالسَّنَدِ الْمَعْتَمِدِ عَلَيْهِ فِي أَهْوَالِ الْمُخْشَرِ. ذِي الْمُعْجَزَاتِ
الَّتِي أَثْبَتَهَا الْمَشَاهِدَةُ وَالْحِسُّ، وَأَقْرَبَهَا الْخُنَّ وَالْإِنْسُ: مَنْ جَادَ يَتَكَلَّمُ، وَجِدَّعَ لِقِرَاقِهِ
يَتَأَلَّمُ، وَقِيلَ لَهُ يَنْشَقُّ، وَشَجَرٌ يَشْهَدُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ؛ وَشَمْسٌ بَدَاهَتْ عَنْ سَبِيلِهَا
تُحْبِسُ، وَمَاءٌ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ يَتَجَبَّسُ؛ وَغَمَامٌ بِاسْتِسْقَانِهِ يَصُوبُ، وَطَوَى بِصَقِّ
فِي أَجَاجِهَا فَأَصْبَحَ مَأْوَاهُ وَهُوَ الْعَذْبُ الْمَشْرُوبُ. الْمُخْصُوصُ بِمَنَاقِبِ الْكَمَالِ وَكِلَالِ
الْمُنَاقِبِ، الْمُسَمَّى بِالْخَاشِعِ الْعَاقِبِ، ذِي الْمَجْدِ الْبَعِيدِ الْمَرَامَى وَالْمَرَاقِبِ؛ أَكْرَمَ مِنْ

(١) الزيادة من قح الطيب (ص ١٧٥، ج ٤) المطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٧٩ هـ .
وكذا هو في الريحانة .

(٢) في النسخ " الإيمان به " وكذا هو في ريحانة الكتاب .

رَفَعَتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةُ الْمُعْتَرِفِ الْمُغْتَرِبِ، وَنَجَحَتْ لَدَيْهِ قُرْبَةُ الْبَعِيدِ وَالْمُقْتَرِبِ، سَيِّدِ
الرُّسُلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ الَّذِي فَازَ بِطَاعَتِهِ الْمُحْسِنُونَ، وَأَسْتَقْبَذَ
بِشَفَاعَتِهِ الْمُذْنِبُونَ، وَسَعِدَ بِاتِّبَاعِهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَبْقَ، وَهَمَّعَ وَدَّقَ؛ وَطَلَعَتْ شَمْسُ، وَنَسَخَ الْيَوْمَ أَمْسُ.

من عتيق شفاعته، وعيد طاعته؛ المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به؛ المستشفئ
بذكره كلما تألم، المفتاح بالصلاة عليه كلما تكلم؛ الذي إن ذكر تمثل طلوعه بين
أصحابه وآله، وإن هب اللسيم العاطر وجد فيه طيب خلاه؛ وإن سمع الأذان
تذكر صوت ياله. وإن ذكر القرآن استشعر تردد جبريل بين معاهده وحلاله؛
[لا يحمر ثوبه فمؤمل قربه، ورهين طاعته وجبه^(١)] المتوسل به إلى رضا ربه؛
«يوسف بن إسماعيل بن نصر».

كاتبته [إليك] يا رسول الله والدمع ماح، وخيل الوجد ذات جراح؛ عن شوق
يزداد كلما نقص الصبر، وأنكسار لا يتأخ له إلا بدؤ مزارك الجبر؛ وكيف لا يعني
مشوقك بالأمر، ويوطئ على كيد الجبر، وقد مطلت الأيام بالقُدوم على تربتك
المقتمية القُد، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد؛ وأنصرفت الرفاق والعين
بنور صبريحك ما اكتسحت، والركائب إليك ما رحت، والعزائم قالت وما فعلت؛
والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تسرح، وطبور الآمال عن وكور العجز لم تفرج؛
فيا لك من معاهد فاز من حياها، ومشاهد ما أعطر رايها؛ بلاد نيطت بها عليك
التائم، وأشرقت بنورك منها النجود والثائم؛ ونزل في عجراتها عليك الملك، وأنجل
بضياء قرقانك فيها الحلك؛ مدارس الآيات والسور، ومطالع المعجزات السافرة

الْغُرْدَ ؛ حَيْثُ قُضِيَتِ الْفُرُوضُ وَحُتِمَتِ ، وَأُفْتُحَتِ سُورَةُ الْوَحْيِ وَخُتِمَتِ ؛
وَأُبْتَدِئَتِ الْمَلَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ وَتَمَّتْ ، وَنُسِخَتِ الْآيَاتُ وَأُحْكِمَتْ . أَمَا وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ هَادِيًا ، وَأَطْلَمَكَ لِحَقَائِقِ نُورِ بَادِيَا ؛ لَا يُطْفِئُ عَقْلِي إِلَّا شَرِبُكَ ، وَلَا يُسَكِّنُ لَوْعَتِي
إِلَّا قُرْبُكَ ؛ فَمَا أَسْعَدَ مِنْ أَفَاضٍ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ إِلَى حَرَمِكَ ، وَأَصْبَحَ بِمَسَدِ أَدَاءِ
مَا غَرَضْتَ عَنْ اللَّهِ ضَيْفَ كَرَمِكَ ؛ وَعَقَّرَ الْخَلْدَ فِي مَعَاهِدِكَ وَمَعَاهِدِ أَمْرِكَ ، وَتَرَدَّدَ
مَا بَيْنَ دَارَتِي بِعَتِكَ وَهَجَرَتِكَ !

وإني لما عاقتني عن زيارتك العوائق وإن كان شغل عنك بك ، وعدتني الأعداءُ
فيك عن وصل سببي بسببك ، وأصبحتُ ما بين بحر تسلط أمواجه ، وعدوتك تكانث
أنواجه ، ويحجب الشمس عند الظهيرة تجاجه ؛ في طائفة من المؤمنين بك وطئوا
على الصبر نفوسهم ، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم ؛ ورفضوا إلى مصارعك
رءوسهم ، واستغذبوا في مرضاة الله تعالى ومرضاة بك بوسهم ؛ يطيطون من هيئة
إلى أخرى ، ويتفتنون والمخاوف يمتنى ويسرى ، ويقارعون - وهم الفئة القليلة -
جموعاً بجموع فيصر وكسرى ؛ لا يلبثون من عدو كالذر عند انتشاره ، معشار معشاره ؛
قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا ، لأن تكون كلمة الله تعالى هي العليا ؛ فبالله من
سرب مروع ، وصرخ إلا عنك ممنوع ، ودعاء إلى الله وإليك مرفوع ؛ وصبيحة حمر
الحواصل ، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل ؛ والصليب قد تخطى ومد ذراعيه ،
ورفعت الأطناع بضبعيه ؛ وقد حجب بالفتام السماء ، وتلاطمت أمواج الحديد
والباس الشديد فالتقى الماء ؛ ولم يبق إلا النماء ، وعلى ذلك فما ضعفت البصائر
ولا ساءت الظنون ، وما وعد به الشهداء تعقده القلوب حتى تكاد تراه العيون ،
إلى أن تلقاك غدا إن شاء الله تعالى وقد ألبينا العذر ، وأرغمتنا الكفر ، وأعملنا
في سبيل الله وسبيلك اليسر والسمر .

استنبت رُفْعِي هذه لَطِيفَ إِلَيْكَ [من شوق] بِمُتَاجِ خَافِقٍ ، وَتُسَدُّ مِنْ نَبِيٍّ الَّتِي
تَصَحُّبُهَا بِرَفِيقٍ مُوَافِقٍ ؛ فَتَوَدَّى عَنْ عَيْلِكَ وَتَبَلَّغَ ، وَتَعَفَّرَ الْخَدَّ فِي تُرْبَتِكَ وَتَمَرَّغَ ؛
وَتَطِيبُ بَرِيًّا مَعَاهِدِكَ الطَّاهِرَةَ وَيُيَوِّتِكَ ، وَتَهْفُفُ وَقُوفُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ مُجَاهَةً بِأُيُوتِكَ ؛
وَقَوْلٍ بِلِسَانِ التَّمَلُّقِ ، عِنْدَ التَّشَبُّثِ بِأَسْبَابِكَ وَالتَّعَلُّقِ ، مَنكِسَةِ الطَّرْفِ ، حَذَرًا بِهَرَجِهَا
مِنْ عِلْمِ الصَّرْفِ : بِإِغْيَاثِ الْأُمَّةِ ، وَنَعَامِ الرَّحْمَةِ بِأَرْحَمِ غُرَبَائِي وَأَقْطَاعِي ، وَتَعَمُّدِ
بَطْلُوكَ قَصْرَ بَاعِي ، وَقَوِّ عَلَى هَيْبَتِكَ خَوَرِ طَبَاعِي ؛ فَكَمْ جُرْتُ مِنْ مَلْجِ مَهُولٍ ، وَجُبْتُ
مِنْ حُزُونٍ وَمُهُولٍ ؛ وَقَايِلُ بِالْقَبُولِ نِيَّائِي ، وَتَعَجَّلُ بِالرَّضَا إِبْرَائِي . وَمَعْلُومٌ مِنْ كَالِ
تِلْكَ الشَّيْمِ ، وَبِجَايَا تِلْكَ الدَّيْمِ ؛ أَنْ لَا تُحْيِبَ قَصْدَ مَنْ حَطَّ بِغَنَائِهَا ، وَلَا يَنْظُمَا
وَارِدُ أَكْبَ عَلَى إِيَّائِهَا .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ جَعَلْتَهُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ بِالْمَعْنَى وَأَحْرَمَ بِالصُّورَةِ ، وَأَعْطَيْتَهُ لُؤَاءَ الْحَمْدِ يَسِيرَ
أَدَمُ مِنْ دُونِهِ تَحْتَ ظِلَالِهِ الْمُنْشُورَةِ ؛ وَمَلَكْتَ أَمْتَهُ مَا زُورَى لَهُ مِنْ زَوَايَا الْبَسِيطَةِ
الْمَعْمُورَةِ ، وَجَعَلْتَنِي مِنْ أَمْتِهِ الْمُجْبُولَةِ عَلَى حُبِّهِ الْمَقْطُورَةِ ؛ وَشَوَّقْتَنِي إِلَى مَعَاهِدِهِ الْمُبْشُورَةِ ،
وَمُشَاهِدِهِ الْمَزُورَةِ ؛ وَوَكَّلْتَ لِسَانِي بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَقَلْبِي بِالْحَيْنِ إِلَيْهِ ، وَرَغْبَتِي
بِالْتِمَاسِ مَا لَدَيْهِ ؛ فَلَا تَقْطَعْ عَنْهُ أَسْبَابِي ، وَلَا تَحْرِمْنِي فِي حُبِّهِ أَجْرَ تَوَاقِي ، وَتَمَارُكُنِي
بِشَفَاعَتِهِ يَوْمَ أَخَذَ كَلَامِي .

هذه يا رسول الله وسيلةٌ من بَعْدَتْ دَارُهُ ، وَشَطَّ مَرَّأَرُهُ ، وَلَمْ يُحْمَلْ بِيَدِهِ آخِيَارُهُ ؛
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْقَبُولِ أَهْلًا فَانْتَ لِلْإِغْضَاءِ وَالْمَحَاحِ أَهْلًا ، وَإِنْ كَانَتْ أَلْفَاظُهَا وَغَرَّةُ لُجْنَابُكَ
لِلْقَاصِدِينَ سَهْلًا ؛ وَإِذَا كَانَ الْحُبُّ يُتَوَارَثُ كَمَا أَخْبَرْتُ ، وَالْعُرُوقُ تَدُسُّ حَسَبَ مَا
إِلَيْهِ أَقْرَبَتْ ؛ فَلْيَ بِانْتِسَابِي إِلَى (سَعْدِ) عَمِيدِ أَنْصَارِكَ مَرْيَمَ ، وَوَسِيلَةَ أَثَرِهِ خَفِيَّةَ ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي عَمَلٌ تَرْفِضُنِي فِي نَيْهِ ؛ فَلَا تَنْفَسِي وَمِنْ بِهِذِهِ الْجُزْءِ الْمَفْتَتَحَةِ بِسِيفِ

كلمتك، على أيدي خيَارِ أَمَتِكَ؛ فإنما نحنُ بها وديعةٌ تحتَ بعضِ أفعالِكَ، نعوذُ بوجهِ رَبِّكَ منِ إغفالك؛ وَنَسْتَشِقُّ من رِيحِ عَنَابِكَ نَفْسَهُ، وَنَرْجُبُ من نُورِ حَيَاةِ قَبُولِكَ لِحْمَهُ؛ نُدَافِعُ بها عَدُوًّا طَغَى وَبَغَى، وَبَلِّغْ من مُضَاهَاةِنَا مَا آتَيْتَنِي؛ فَوَاقِفُ التَّحْيِصِ قَدْ أَعَيْتَ مِنْ كِتَابِ وَرَخٍّ، وَالبَحْرُ قَدْ أَصَحَّتْ مِنْ أَسْتَصْرَخٍ؛ وَالطَّاغِيَةُ فِي الْمُدُونِ مَسْتَبْصِرٌ، وَالدُّوْحُ عَلَى الْوَلِيِّ مَقْصَرٌ. وَيَجَاهُكَ نَدْفَعُ مَا لَا نَطِيقُ، وَبِعَنَابِكَ نَعَالِجُ سَقِيمَ الدِّينِ فَيُفِيقُ؛ فَلَا تُفَرِّدْنَا وَلَا تُهْمِلْنَا، وَنَادِ رَبَّكَ فِينَا: رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا؛ وَطَوَائِفُ أَمَتِكَ حَيْثُ كَانُوا عَنَابُهُ مِنْكَ تَكْفِيهِمْ، وَرَبُّكَ يَقُولُ لَكَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ طَافَ وَسَعَى، وَأَجَابَ دَاعِيًا إِذَا دَعَا؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ أَحْزَابِكَ وَأَئِكَ، صَلَاةٌ تَلِيقُ بِجَلَالِكَ وَتَحِقُّ لِكَمَالِكَ؛ وَعَلَى تَجَمُّعِكَ وَصِدْقِكَ، وَحُسَيْنِكَ وَرَفِيقِكَ: خَلِيفَتِكَ فِي أَمَتِكَ، وَفَارُوقِكَ الْمُسْتَخَلَفِ بَعْدَهُ عَلَى حِلَّتِكَ، وَصِيْرِكَ ذِي النُّورَيْنِ الْمَخْصُوصِ بِرُكِّ وَنَحْلَتِكَ، وَأَبْنِ عَمِّكَ سَيِّدِكَ الْمَسْلُوبِ عَلَى حِلَّتِكَ، بِدَرِّ سَمَائِكَ وَوَالِدِ أَهْلَتِكَ؛ وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكَ وَطَيْبُهُ [كثيراً بشيراً] ^(١) وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

من حضرة جزيرة الأندلس غُرَاطَةَ صَانِهَا اللَّهُ وَوَقَّاهَا، وَدَفَعَهَا بِرُكَّتِكَ كَيْدَ عَدَاةَا.

(١) الزيادة عن "فتح العليب".

الطرف الثاني

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العُمال وأُمراء السَّرايا، إلى الخلفاء
من الصعابة رِضوان الله عليهم، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في ترتيب هذه المكاتبات على سبيل الإجمال)

كانت المكاتبَةُ إليهم تُفَتَّحُ تارةً بلفظ « من فلان إلى فلان » ويؤتى في الصدر
بالسلام والحمد على نحو ما تقدم في المكاتبَةُ عن الخلفاء . ويقع التخلُّص
إلى المقصود بـ «أما بعد» وتارةً يقع الافتتاحُ بـ «أما بعد» ويؤتى بالمقصود يَلَوْنِلكَ ؛
وبعد المكتوب عنه فيها عن نفسه بلفظ الأفراد ، وعن الخليفة بأمير المؤمنين ،
وتختتمُ بالسلام على أمير المؤمنين .

الجملة الثانية

(في صورة هذه المكاتبات، وهي على أسلوبين كما تهتمت الإشارة إليه)

الأسلوب الأول

(أن تُفَتَّحَ المكاتبَةُ بلفظ «فلان من فلان»)

وكان الرسم فيها أن يُكْتَبَ : «لعبد الله فلان أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فأني
أحمدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو أما بعدُ فإن كذا» .

كما كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه
في جوابِ الكتاب منه إليه المقدم ذكره في المكاتبَةُ عن الخلفاء من الصعابة ، وهو :
«لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فأني أحمدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو .
أما بعدُ ، فإنه أتاني كتابُ أمير المؤمنين يذكر فيه فاشيةٌ مالٍ قسبالي ، وأنه يعرفني قبل

ذَلِكَ وَلَا مَالٌ لِي، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي بَيْلِدُ السَّعْرِفِيهِ رَخِصٌ، وَأَتَى أَطَاغُ
 مِنَ الزَّرَاعَةِ مَا يُعَالِجُهُ النَّاسُ، وَفِي رِزْقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَعَةً. وَوَاللَّهِ لَوِ رَأَيْتُ خِيَانَتَكَ
 حَلَالًا مَا خُتِكَ، فَأَقْصِرْ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّ لَنَا أَحْسَابًا هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ لَكَ، إِنْ
 رَجَعْنَا إِلَيْهَا عِشْنَا بِهَا! . وَلَعَمْرِي إِنْ عِنْدَكَ مَنْ لَا يَدُمُ مَعِيشَةً وَلَا تَكُمُ لَهُ، فَإِنْ
 كَانَ ذَلِكَ فَلَمْ يَفْتَحْ قُفْلَكَ وَلَمْ يَشْرَكَكَ فِي عَمَلِكَ؟

الأسلوب الثاني

(أَنْ تُمْتَحِنَ الْمَكَاتِبُ بِفِظِ «أَمَّا بَعْدُ» وَتَتَوَصَّلَ مِنْهُ إِلَى الْمَقْصُودِ)

كَمَا كَتَبَ الْغُبَيْرَةُ بْنُ شُعْبَةَ إِلَى مَعَاوِيَةَ - وَهُوَ عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِهِ - يَسْتَعْفِيهِ
 عَنْ الْعَمَلِ .

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ كَرِسْتَنِي وَرَقَّ عَظْمِي وَأَقْتَرَبَ أَجَلِي وَسَقَمَنِي مُسْهَأُ قُرَيْشٍ، فَرَأَى
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَمَلِهِ .

الطرف الثالث

(فِي الْمَكَاتِبِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْأُمَرَاءِ مِنَ الْعَمَالِ، وَأُمَرَاءِ الْمَرَايَا أَيْضًا
 إِلَى خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَهِيَ فِي تَرْتِيبِهَا عَلَى مَا تَهْتَمُّ فِي الْمَكَاتِبِ إِلَى الْخُلَفَاءِ
 مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَهِيَ عَلَى أَسْلُوبَيْنِ)

الأسلوب الأول

(أَنْ تُنْتَحَنَ الْمَكَاتِبُ بِفِظِ «مَنْ فَلَانٍ إِلَى فَلَانٍ» عَلَى نَحْوِ مَا تَهْتَمُّ فِي الْمَكَاتِبِ
 عَنْهُمْ إِلَى الْخُلَفَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعَ زِيَادَةِ الدُّعَاءِ بِطَوَّلِ الْبَقَاءِ)
 كَمَا كَتَبَ الْجِجَاعُ بْنُ يُوْسُفَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي جَوَابِ كِتَابِهِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ
 مِنْهُ، فِي تَوْبِيخِهِ لَهُ بِسَبَبِ تَعَرُّضِهِ لِأَنْسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى مَا تَهْتَمُّ ذِكْرَهُ.

«لعباد الله عبد الملك أمير المؤمنين، [أصلح الله] أمير المؤمنين وأبناه، وسهل خطه وحاطه ولا عذمتاه؛ وقد وصلي كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وجعلني من كل مكروه فداء؛ يذكر شئى وتوحيى بأبائى، وتسيرى بما كان قبل [تُرْوَل النعمة بي] (١) من عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه، وإحصائه إليه. ويذكر أمير المؤمنين استظالة منى على أنس بن مالك، وأمير المؤمنين أحق من أقال عترتى، وعفا عن ذنبي وأمهلي ولم ينجلي عند هفوتى؛ للذى جبل عليه من كريم طبائعه، وبما قلده الله من أمور عباده؛ فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - في تسكين روعى، وإفراج كرتي؛ فقد ملئت رعباً وقرعاً من سطواته، وفتات نهاته؛ وأمير المؤمنين - أقاله الله العثرات، وتجاوز له عن السيئات؛ وضاعف له الحسنات، وأعلى له الدرجات - أحق من صقع وعفا، وتعمد وأبى؛ ولم يُسمِت بي علواً مُكبّاً، ولا حصوداً مضبّاً؛ ولم يُجرِ عصى غضباً. والذى وصف أمير المؤمنين من صبيته إلى، وتوهدى بها أسند إلى من عمله؛ وأوطانى من رقاب رعيته، فصادق فيه تجزئ عليه بالشكر، والتوسل منى إليه بالولايه، والتقرب له بالكفايه؛ وقد خضعت عند كتاب أمير المؤمنين، فإن رأى [أمير المؤمنين] - طوقى الله بشكره، وأطانى على تأدية حقه، وبلغنى إلى ما فيه موافقة مرضاته، وملئ فى أجله - أن يأمر بالكتاب إلى من رضاه، وسلامة صدره، ما يؤمنى به من سفك دمي، ويرد ما شرد من نومي، ويطمئن به قلبي فعل، فقد ورد

(١) فى الأصل "سلام على أمير الخ" والتصحيح عن مفتاح الأفكار (ص ١٨٢) .

(٢) رياض بالاصول، والتصحيح عن مفتاح الأفكار . وفيه بعد فقط أنس بن مالك مانسه .

"خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراً على أمير المؤمنين وحره بمرقة غيره وقماته وسلطاته على من خلف سيله وعمد إلى ضم حبه ونزل عند خطه، وأمير المؤمنين أصلحه الله من قرابه من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الهدى وخاتم النبيين أحق الخ" .

(٣) الزيادة عن مفتاح الأفكار .

على أمر جليل خطبه، عظيم أمره، شديد كثره . أسأل الله أن لا يسيط أمير المؤمنين على، وأن يئله في حزمه، وعزمه، وسياسته، وفراسته، وموالية، وحشمه، وعمله، وصناعه، ما يمد به حسن رأيه، إنه ولي أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه، والصانع له في أمره، والسلام .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بلفظ «أما بعد» ويتوصل منه إلى المقصود)

كما كتب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى عبد الملك بن مروان في خلافته :
أما بعد، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر . سلام عليك فإني
أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأصرني بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة
نبيه فيما أستطعت .

الطرف الرابع

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم إلى خلفاء
بنى العباس، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات العامة من الملوك إلى الخلفاء، ولها حالتان)

الحالة الأولى

(ما كان الأمر عليه في ابتداء دولة بنى العباس وأوصاؤها)
أما ابتداء دولتهم، فكان الأمر فيه على ما تقدم في مكاتبات العمال ونحوهم إلى خلفاء
بنى أمية، وقد تقدم تمثيله . إلا أنه زيد فيه في صُور المكاتبات سؤال الصلاة

على النبي صلى الله عليه وسلم من حين رتبته المأمون في صدور الكتب، وتكثيرة الخليفة من حين أحدثه الأمين في كتبه على ما تقدم بيانه في المكتبات عن الخلفاء فيما سلف .



وأما أوساط دولتهم من حين ظهور ملوك بني بويه وظببتهم على الأمر ، فالكاتب فيه أسلوبيان :

الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكتبة بلفظ «فلان من فلان» وتصدّر بالسلام والتحميد وسؤال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويختص إلى المقصود بأما بعد) والرسم فيه على ما ذكره قدامة في كتاب الخراج أن يكتب : «لعبد الله فلان أبي فلان - بأسمه وكنيته ونسبه - أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ، إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على عبيده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد ، أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وكرامته وحراسته ، وأتم نعمته عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضله عنده وجميل بلائه لديه ، وجزيل خطائه له » .

وزاد في «صناعة الكتاب» : في السلام «ورحمة الله وبركاته» . قال في «صناعة الكتاب» : ثم يقال : أما بعد فقد كان كذا وكذا ، حتى يأتي على المعاني التي يحتاج إليها . وتكون المكتبة : - وقد فعل عبد أمير المؤمنين كذا - فإن زادت حاله لم يقل عبد أمير المؤمنين ، فإذا بلغ إلى الدماء ترك فضاء وكتب : أتم الله على أمير المؤمنين نعمته وهنائه وكرامته ، وألهمه بقوة وعافيته وأمنه وسلامته : والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم كذا وكذا من شهر كذا من سنة كذا .

وقال الفضل بن سهل: يُدعى للخليفة :

أما بعد، أطل الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام عزه وتأييده، وأتم نعمته وسعادته وتوفيقه، وزاد في إحسانه إليه وموآبه له . ولا يكتب إليه « وجعلني فداءه » ويكون أول فصوله : أخبر أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - أن كذا وكذا . ثم يوالى الفصول بـ « أيده الله وأدام عزه » . ونحو هذا .

وإن شئت كتبت : أما بعد أطل الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام عزه وتأييده وكرامته، وأتم نعمته عليه، وزاد فيها عنده وحاطه وكفاه، وتولى له ما ولّاه .

وإن شئت كتبت : أطل الله بقاء أمير المؤمنين في العز والسلامة، وأدام كرامته في السعادة والزيادة، وأتم نعمته في السبوح والنبطه، وأصلحه وأصلح على يديه ونصره، وكان له في الأمور كلها ولياً وحافظاً .

وإن شئت كتبت : أطل الله بقاء أمير المؤمنين في أعز العز، وأدوم الكرامة والسرور والنبطه، وأتم نعمه في علو من الدرجة، وشرف من التفضيلة، ومُتَابِع من العائدة، ووهب له السلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

والذي كانت عليه قاعدة ملوك بني بويه فمن بعدهم إن كان الكتاب في معنى حدوثِ نعمة من فتح ونحوه، أتى بعد ذلك بالتحديد ما بين مرة واحدة إلى ثلاث مرات . ويسمى المکتوب عنه عن نفسه بلفظ الأفراد، وعن الخليفة بأمر المؤمنين، ويُختم الكتاب بالإنهاء وما في معناه .

وهذه نسخة كتاب كتب به أبو إسحاق الصائبي عن عز الدولة بن بويه إلى المطبع لله عند قسمة الموصل، وهزيمة أبي تغلب بن حمدان صاحب حلب في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وهي :

لَعَبْدِ اللَّهِ الْفَضِيلِ [الإمام] الْمُطِيعِ لِلَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ عِبْدِهِ وَصِيْعَتِهِ عَنِ الدَّوْلَةِ
أَبْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . سَلَامٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَإِنِّي أَحَدُ
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

أَمَا بَعْدُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ لَهُ الْعِزَّ وَالْتَأْيِدَ، وَالتَّوْفِيقَ وَالتَّسْلِيدَ؛
وَالْعُلُوَّ وَالْقُدْرَةَ، وَالظُّهُورَ وَالنُّصْرَةَ - فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، الْأَزَلِّ الْقَدِيمِ؛ الْمُنْفَرِدِ
بِالْكِبَرِيَاءِ وَالْمَلَكُوتِ، الْمَتَّوِّحِ بِالْعَظَمَةِ وَالْجَبُّوتِ؛ الَّذِي لَا تُحْتَسِبُ الصِّفَاتُ،
وَلَا تُحْزَنُ الْجِهَاتُ؛ وَلَا تُحْصَرُ قَرَارُهُ مَكَانًا، وَلَا يُغَيَّرُ مَرُورُ زَمَانٍ؛ وَلَا تُنْتَقَلُ الْعُيُونُ
بِنَوَاطِرِهَا، وَلَا تُنْقَبِلُ الْقُلُوبُ بِخَوَاطِرِهَا . فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَمَا تَحْتَهَا، وَخَاطِقِ الْأَرْضِ
وَمَا تَحْتَهَا؛ الَّذِي دَلَّ بِطَلِيفِ صَنْعَتِهِ، عَلَى جَلِيلِ حِكْمَتِهِ؛ وَبَيِّنَ بِجَلِيِّ بُرْهَانِهِ، عَنْ
خَفِيِّ جِوَدَانِهِ؛ وَأَسْتَفْنَى بِالْقُدْرَةِ عَنِ الْأَعْوَانِ، وَأَسْتَعْلَى بِالْعِزَّةِ عَنِ الْأَقْرَانِ . الْبَعِيدِ
عَنْ كُلِّ مُعَادِلٍ وَمُضَارِعٍ، الْمُتَمَتِّنِجِ عَلَى كُلِّ مُطَوَّلٍ وَمُقَارِعٍ؛ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَزُولُ
وَلَا يَحُولُ، الْعَادِلِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ وَلَا يَحْزَنُ؛ الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَبْضُنُّ وَلَا يَخْجَلُ، الْحَلِيمِ الَّذِي
لَا يَسْجَلُ وَلَا يَحْجَلُ؛ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، مُتَرَلِّ
الرَّحْمَةِ عَلَى كُلِّ وَلِيٍّ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ؛ وَأُثْمَرَ لِأَوَامِرِهِ، وَأَزْدَجَرَ بِزَوَاجِرِهِ،
وَحَمَلَ النِّقْمَةَ بِكُلِّ صَدَقَ عَنْ سَبِيلِهِ وَسُنَّتِهِ، وَصَدَفَ عَنْ فِرَاقِضِهِ وَسُنَّتِهِ، وَحَادَهُ
فِي مَكْسَبِ يَدِهِ وَمَسْعَاةِ قَدَمِهِ، وَخَاشَتِهِ عِنْدَ خَافَةِ صَدْرِهِ؛ وَهُوَ رَاتِعُ رَقْمَةِ النِّعَمِ
السَّامِعِ، فِي أَشْكَالِ النِّعَمِ السَّابِقِ؛ وَجَاهِلُ جَهْلَهَا بِشُكْرِ آلَتِهَا، ذَاهِلُ ذُهُومِهَا عَنْ
طُرُقِ اسْتِيفَاتِهَا؛ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يُتَرَعَّ مَرَايِلُهَا صَافِرًا، وَيَتَعَوَّى مِنْهَا حَاسِرًا؛ وَيَحْمِلُ

الله كَيْتَهُ فِي تَضَلُّيلٍ ، وَيُورِدُهُ شَرَّ الْمَوْرِدِ الْوَبِيلِ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِثِينَ .

والحمد لله الذي أصطفى للنبوّة أحقّ عباده بحمل أعبائها ، وأرتداء ردائها ؛ «عجدا» صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ، وعظّم خطره وكرّم ؛ فصّدع بالرسالة ، وبألغ في الدلالة ؛ ودعّا إلى الهداية ، ونجّى من الغواية ؛ ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم ، إلى طاعة الرحمن الرحيم ؛ وأعلّقهم بجبال خالفهم ورازقهم ، وعصمة تحميهم ومحييهم ؛ بعد استحالة الأكاذيب والأباطيل ، واستشعار المحالات والأضاليل ؛ والتّهوك في الاعتقادات الدائمة عن النعم ، الساتمة إلى العذاب الأليم ؛ فصلّى الله عليه من ناطق بالحق ، ومُنقذ الخلق ؛ وناصح للرّب ، ومؤدّ للقرض ؛ صلاة زاكية نامية ، رائعة فادية ؛ تريد على اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الأعوام والأدوار .

والحمد لله الذي اتّجب أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] ^(١) من ذلك السّخّ الشريف ، والمُنصرّ المنيّف ؛ والعزّة الثابت أصلها ، المتمدّد ظلّها ؛ الطيّب جناها ؛ المنوع حماها ؛ وحازله مواريث آبائه الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين ؛ واختصّه من بينهم بتطاول أمد الخلافة واستحصال حبّها في يده ؛ ووقّعه لإصابة القرض من كل مرعى يريه ، ومقصد يتّجه ؛ وهو - جل شأوه - الحقيق بإتمام ذلك عليه ، والزّيادة فيه لديه . وأحمد سبحانه حمدا أبديّه ثم أعيده ؛ وأكرّره وأستريده ؛ على أن أهل ركن الدولة أبا علي ، وعصبة الدولة أبا شجاع مولى أمير المؤمنين ، وأهلتي للأثرة عنده التي بلدنا فيها الأكفاء ، وقتنا فيها القرناء ؛ وقطعت دونهما أنفاس المنافسين ، وتضرمّت عليها أحشاء الحاسدين . وأن أولاني في كل مغزى في خدمة

أمير المؤمنين أغزوه، ومنحى أنحوه؛ وتأي أرايه، وشعت ألمه؛ وعدوا أرغمه،
وزائع أقومه؛ أفضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم، النعية جوبهم؛ المامونة
ضمايرهم، المشحودة بصائرهم؛ من تمكين يده، وثبيت قدمه؛ ونصرة رايه، وإعلاء
كلمته؛ وتقريب بقية، وإنالة أمنيته؛ وكذلك يكون من إلى [ولاء] أمير المؤمنين^(١)
أعتاروه، وبشعاره أعتارزه؛ وعن زناده قدحه، وفي طاعته كدحه؛ والله ولي
[بإدامة] ما خولنيته من هذه المقبة، وسوغنيته من هذه الموهبة؛ وأن يتوجه
أمير المؤمنين في جميع خدمته النائيين عن حوزته، المتشين إلى دعوته؛ يمين الطائر،
وسعادة الطالب، ونجاح المطلب، وإدراك الأرب؛ وفي أعدائه الناطمين لنعته،
النافضين مواثيق بيعته؛ بإضراح الخلد، وإحساس الجلد؛ وإخفاق الأمل، وإحباط
العمل، بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] ينكر قديما من "فضل الله" بن
ناصر الدولة أحوالا حقيقا مثلها بالإنكار، مستحقا من أرتكبا الإعراض؛
وأنا أذهب في حفظ غيبه، وإجمال محضره؛ وتحمل مجبجه وتلقيها، وتأليف
معاذيره وتبقيها؛ منهي الذي أعم به كل من جرى تجراه من ناشئ في دولته،
ومعتد بنعمته؛ ومنسب إلى ولايته، ومشتهر بصنيعته؛ وأقدر أن أستصلحه
لأمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وأصلحه لتبسه بالتوقيف على مسالك الرشد،
ومتاح السداد؛ وهو يريني أن قد قيل وأرعوى، وأبصر وأهتدى؛ حتى رغبت
إلى أمير المؤمنين فيما شفعني مفضلا فيه، من تقليد أعمال أبيه، والفتاعة منه
في الضمان بمسور بئله، وإشاره به على من هو فوقه من كبراء إخوته وأهله .

فلمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْحَالِ، أَلَطَ بِالْمَالِ، وَخَاسَ بِالْعَهْدِ، وَطَرَّقَ لِنَسْخِ الْعَقْدِ؛ وَأَجْرَى إِلَى أُمُورٍ كَرِهَتْهَا، وَتَقَدَّ الصَّبْرُ مِنِّي عَلَيْهَا؛ وَخَفْتُ أَنْ أَسْتَمِرَّ عَلَى الْإِغْضَاءِ عَنْهَا وَالْمَسَاعِدَةِ فِيهَا، فَيَطْلِعَ اللَّهُ مِنِّي عَلَى إِضَاعَةِ الْأَحْيَاطِ فِي أَمْرِ قُلْدَنِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زِيَادَتِهِ، وَتَمْنَنِي دَرَكَهُ، وَإِرْخَاءِ لَبِّ رَجُلٍ قَبِيلٍ فِي الْأَعْتَادِ عَلَيْهِ رَأْيِي، وَعَوَّلَ فِي أَخِيهِ بِمَا يَلْزَمُهُ عَلَى نَظَرِي وَأَسْتَيْفَانِي - فَتَنَاوَلْتُهُ بِأَطْرَافِ الْعَدْلِ مُلَوِّحًا، ثُمَّ بَأْتِيَا جِهَةً مُفَصِّصًا مُصَرِّحًا .

وَرَسَمْتُ لِعَبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاسِجِ أَبِي طَاهِرٍ أَنْ يُجِدَّ بِهِ وَبُوسَطَائِهِ وَسُفَرَائِهِ فِي حَالٍ، وَيَدْخُلَ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَشُورَةِ وَالرَّقِّقِ فِي أُخْرَى، وَيَتَنَقَّلَ مَعَهُ بَيْنَ الْحُشُونَةِ الَّتِي يَشُقُّو فِيهَا آخِرَى، وَاللَّيْنِ الَّذِي لَا يَحْجُوزُ أَنْ يُحِصَّه مِنِّي، تَقْدِيرًا لِأَكْثَانَتِهِ، وَزَوَالِ أَلْتَوَاتِهِ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى رَسْمِهِ فِي الثَّانِي لِكُلِّ فَاسِدٍ حَتَّى يَصْلُحَ، وَلِكُلِّ آبٍ حَتَّى يَسْمَحَ؛ وَلَمْ يَدَعْ التَّيَاهِيَّ فِي وَعْظِهِ، وَالتَّمَادِيَّ فِي نَصَحِهِ وَتَعْرِيفِهِ سُوءَ عَاقِبَةِ الْجَبَّاحِ، وَمَغْبَةِ الْإِخْرَاجِ؛ وَهُوَ يَزِيدُ طَمَعًا فِي الْأَمْوَالِ وَشَرًّا، وَعَمَى فِي الرَّأْيِ وَعَمَّهَا؛ إِلَى أَنْ كَادَ أَمْرُنَا مَعَهُ يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْأَنْتِظَارِ، إِلَى حَدِّ الرِّضَا بِالْإِصْرَارِ؛ فَاسْتَأْنَفْتُ أَدْرَاعَ الْحَزْمِ، وَأَمْتَطَاءَ الْعَزْمِ؛ وَنَهَضْتُ إِلَى أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ وَعِنْدِي أَنَّهُ يُفَتِّنُنِي عَنِ الْإِيمَانِ، وَيَتَلَقَّانِي بِالْإِغْثَابِ وَيُنْقَادُ إِلَى الْمُرَادِ، وَيَتَجَبَّبُ طُرُقَ الْعِتَادِ .

فَخِينَ عَرَفَ خَبْرَ مَسِيرِي، وَجَدَّنِي فِيهِ وَتَشَمِيرِي؛ بَرَزَ بِرُوزِ الْخَالَفِ الْمَكَاشِفِ، وَتَجَزَّدَ تَجَرَّدَ الْمَوَاقِفِ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ إِذَا أَرَدَدْتُ مِنْهُ قُرْبًا، أَزْدَادَ مِنِّي رُجْبًا؛ وَإِذَا دَلَقْتُ إِلَيْهِ ذُرَا، نَكَّصَ عَنِّي بِأَمَّا .

وتوافقت إلى حضرتي وجوه القبايل من عُقِيلَ وشَيْبَانَ وغيرهما في الجمع الكَثِيفَ من صَمَالِيكهما ، والعديد الكثير من صَنَادِيدِهما ؛ داخِلِينَ في الطاعة ، متصَرِّفِينَ في عَوَارِضِ الخِلعة .

فلما شارفتُ الحَدِيثَةَ ، اُنْتَقَضَتْ عزائمُ صَبْرِهِ ، وقَوَّضَتْ دعائمُ أُخْرِهِ ؛ وبَطَلَتْ أمانِيهِ ووساوسُهُ ، وأضْمَحَلَّتْ خَوَاطِرُهُ وهوَاجِسُهُ ؛ وأضْطَرَبَ عليه من تَهَانِيهِ وغلْبانِهِ مَنْ كَانَ بهم يَتَّصِدُ ، وعليهم يَتَّعِمِدُ ؛ وبدعوا بِجَذْلَانِهِ والأَخَذَ لثُومَهُمْ ، ومُفَارَقَتِهِ والظَّلْبَ بِمَحْظُوظِهِمْ ؛ وحَصَلَ منهم بِحضرتي إلى هذه النِّسَابَةِ زُهَاءُ خَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ ذَوِي خَيْلٍ مُخْتَارَةٍ ، وأَمْلِحةٍ شَاكِةٍ ؛ فصادَفُوا عِنْدِي مَا أَمَلُوا مِنْ فَائِضِ الإِحْسَانِ ، وَظَامِرِ الْإِئْتِمَانِ ؛ وَذَكَّرُوا عَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ نُظَرَائِهِمُ التَّعَرَّى إِلَى الْإِجْتِذَابِ ، وَالْحَرِصَ عَلَى الْإِسْتِثْنَانِ ؛ وَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ ، وَيُؤَدِّرُونَ وَلَا يَتَوَلَّوْنَ .

ولَمَّا رَأَى ذَلِكَ ، لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ مَضَى هَارِبًا عَلَى طَرِيقِ سِجِّار ، مَنَكْشِفًا عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ قَائِمًا مِنْ تِلْكَ الْآمَالِ الْخُلَابِيَةِ ، وَالظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ ؛ بِسَلَامَةِ حُسَّاشِيَةِ هِيَ رَهِينَةُ خِيَّتِهَا ، وَصَرِيعةُ بَقِيَّتِهَا .

وَكَانَ أَنَهْزَأَهُ بَعْدَ أَنْ فَعَلَ الْفِعْلَ السَّخِيفَ ، وَكَادَتْ الْكِدَ الضَّعِيفَ ؛ بِأَنْ أَغْرَقَ مُسْقِنَ الْمَوْصِلِ وَعَرَوْهَا ^(١) ، وَأَحْرَقَ جَسْرَهَا وَأَسْتَلَمَتْ ^(٢) إِلَى أَهْلِهَا ؛ وَتَزَوَّدَ مِنْهُمْ اللَّعَنَ الْمُطِيفَ بِهِ أَبْنِ يَمٍّ ، الْكَائِنَ مَعَهُ حَيْثُ خَيَّم .

وَدَخَلَتْهَا يَوْمِي هَذَا - أَيْدُ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - دُخُولَ الْفَائِضِ الظَّافِرِ ، الْمُسْتَعْلِي الظَّاهِرِ ؛ فَسَكَنْتُ نَفُوسَ سُكَّانِهَا ، وَشَرَحْتُ صُدُورَ قُطَّانِهَا ؛ وَأَعْلَمْتُهُمْ مَا أَمَرَنِي

(١) نوع من السفن الرواكد كان في دجلة ولكنه عبر عنها في القاموس بالربيات . أى فواحدها

عربة بالتحريك .

(٢) أى فعل ما يقيم عليه .

به أمير المؤمنين - [أدام الله عزه] وأعلى الله أمره - من تأييد وحشتم، ونظم أفئتهم، وضمت نهرهم، ولم شعثهم؛ وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعلاقاتهم، وصنوف متصرفاتهم ومعاملاتهم؛ فكثرت منهم النماء والدعاء؛ والله سامع ما رفعوا، ومجيب ما سألوا.

وأجلى حال هذا الجاهل - أيد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمه، وأذل هضمه، وأسوأ رأي، وأنكر اختيار؛ لأنه لم يقني لقاء البايخ بالطاعة، المعتذر من سائب التفریط والإضاعة؛ ولا لقاء المصدق لدعواه بالاستقلال بالمقارعة، المحقق لرغمه في الثبات للدافعه؛ ولا كان في هذين الأمرين بالبر التقي، ولا الفاجر النوي، بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره، وقضية جبنه وخوره، متنبجا للصلاح، عادلا عن الصواب؛ قد ذهب عنه الرشاد، وضربت بينه وبينه الأسناد، وأزله الله منزلة مثله ممن أساء حفظ الوديعه، وجوار الصليحه؛ واستوجب زعمهما منه وتمويلهما عنه.

وتأملت - أيد الله مولانا أمير المؤمنين - أمره بالتجرب، وتصفحته على التقلب؛ فإذا هو الرجل الذي أطاع أبوه فيه هوى^(١) أمه، وعصى دواعي رأيه وحزمه؛ وقدمه من ولده على من هو أس رُشدا، وأكبر سنا؛ وأثبت جأشا، وأجرأ جنانا؛ وأخضع قلبا، وأوسع صدرا؛ وأجدر بخايل التجابه، وشماثل اللبابة.

فلما اجتمعت له أسباب القدرة والثروة، وأمكنته مناهز الغزاة والفرصه، وثب عليه وثبة المرحان، في ثلة الضان؛ وجراه جزاء أم عامر لمخيرها، إذ قوته بأنبيائها وأظافيرها؛ واجتمع [هو] وأخوه من الأم، المرتضيع معه لبان الإثم؛ المكثي

(١) هي طامة بنت أحمد الكردية وكانت مالكة أمر ناصر الدولة. من هاشمي بخانات الصابئ الطوبوعة.

أبا البركات - وليس باب لها ، ولا حريّ بنى منها - على أن نَسَزَا عنه وعَقَاه ، وقَبَضَا عليه وأَوْتَقَاه ؛ وأَقْرَاه من قَلْعَتَيْهَا بِحَيْثُ تَقَرَّ الْعَتَاه ، وَتَقَابَّ الْجَنَاه ^(١) ؛ ثم أَتَبَعَا ذلك باستحلالِ دمه ، وإفاضة مُهْجَتِهِ ، غَيْرَ رَاعِيَيْنِ فِيهِ حَقَّ الْأَبُوَّة ، ولا حَانِيَيْنِ عَلَيْهِ حَقَّ الْبُتُوَّة ؛ ولا مُتَذَمِّمَيْنِ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَى مِثْلِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَتْ عِنْدَ سُلْطَانِهِ قَدْسُهُ ، وَتَوَكَّدَتْ أَوَاصِرُهُ وَعِصْمُهُ ؛ ولا رَاحِمَيْنِ لَهُ مِنْ ضَعْفِ شَيْخُوخَتِهِ ، وَذَهَلِ كِبَرَتِهِ ؛ ولا مُضْغِنَيْنِ إِلَى وَصِيَّةِ اللَّهِ لِأَهْلِيهَا ، الَّتِي نَصَّهَا فِي حَكْمِ كِتَابِهِ ؛ وَكَرَّرَهَا فِي آيِهِ وَبَيِّنَاتِهِ إِذْ يَقُولُ : ﴿ أَشْكُرُ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ ، وَإِذْ يَقُولُ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا فِئَافَ وَلَا تَتَّبِعُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ .

فَبَأَى وَجْهَ يَلْقَى اللَّهَ قَائِلُ وَالِدِ حَدِيدٍ قَدْ أَمَرَ أَنْ لَا يَنْتَهَرَهُ ؟ وَبَأَى لِسَانَ يَنْطِقُ يَوْمَ يُسْأَلُ عَمَّا اسْتَجَازَهُ فِيهِ وَفَعَلَهُ ؟ وَتَأَفَّهُ ! لَوْ أَنَّ بِمَكَانِهِ عَدُوًّا لَهَا قَدْ قَارَضَهَا الدُّحُولُ ، وَقَارَعَهَا عَنِ النَّفُوسِ ؛ لَصَبَحَ بِهِمَا أَنْ يَلُومَا ذَلِكَ اللَّوْمَ عِنْدَ الظُّفْرِ بِهِ ، وَأَنْ يَرْكَبَا تِلْكَ الْخَطْلَةَ الشَّنَاءَ فِي الْأَخْذِ بِنَاصِيَتَيْهِ ؛ وَلَمْ يَرْضَ « فَضْلُ اللَّهِ » بِمَا أَنَاهُ إِلَيْهِ حَتَّى اسْتَوْفَى حُدُودَ قَطْعِ الرَّحِمِ ، بَانَ تَتَبَعَ أَكْبَرَ إِخْوَتِهِ السَّالِكِينَ خِلَافَ

(١) فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ قَبِضَ أَبُو نَعْبٍ بَنُ تَامِرِ الدَّوْلَةِ بَنُ حِمْدَانَ عَلَى أَبِيهِ وَجَبِهِ فِي قَلْعَةٍ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ حَتَّى وَصَّاهُ أَخْلَافَهُ وَضَيَّقَ عَلَى أَوْلَادِهِ وَخَالَتِهِمْ فِي أَهْوَالِهِمْ فَضَمُّوا مِنْهُ وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ مَا خَالَتَهُمْ فِيهِ أَنَّهُ عِنْدَ وَفَاةِ مَرْءِ الدَّوْلَةِ وَوَلَايَةِ ابْنِهِ بِخِتَارِ عَزَمُوا عَلَى قَصْدِ الْمَرَاقِ فَتَنَّهُمْ قَاتِلًا أَنْ مَرْءُ الدَّوْلَةِ قَدْ خَلَفَ لَوْلَاهُ مِنَ الْمَالِ مَا يُمْكِنُ مِنْهُ مِنَ الظُّهُورِ فَاصْبَرُوا حَتَّى يَفْرُقَ مَالَهُ فَوُثِبَ عَلَيْهِ أَبُو نَعْبٍ وَرَوْضُهُ فِي مَجْلِسٍ فَغَضِبَ بِضَى إِخْوَتِهِ وَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ وَاشْتَرَأَ أَمْرَهُمْ . وَكَانَ تَامِرُ الدَّوْلَةِ يُسْتَمَرُّ بِأَبِي حِمْدَانَ عَلَى أَبِي نَعْبٍ وَأَبِي بَرَكَاتٍ فَقَلَّاهُ الْقَلْعَةَ كَوَاضِي وَتَوَقَّى فِي الْأَعْقَالِ فِي رِيحِ الْأَوَّلِ سِتَّةً ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ إِدْمَانَ هَاشِمِ الْخَتَارَاتِ الْمَطْبُوعَةِ .

سَيِّلِهِ ، الْمُتَّبِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَظِيمِ مَا كَتَبَ ، وَوَحِيمِ مَا أَحْتَقِبُ ؛ لَمَّا غَضِبُوا
لَهُمْ ، وَامْتَعَضُوا مِنَ الْمَسْخَلِ فِيهِ وَفِيهِمْ : فَقَبِضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ حِيلَةً
وَعِيْلَةً ، وَغَدَّرُوا وَمَكِيدَةً ؛ وَنَابَذَ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مُنَابَذَةً خَارِ اللَّهُ لَهُ فِيهَا ، بَانَ
أَصَارُهُ مِنْ فِتْنَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَانِبِ الْعَزِيزِ ، وَالْحَرْزِ الْحَرِيزِ ؛ وَأَنْ أُجْرِيَ اللَّهُ عَلَى
يَدِهِ الْحَرْبُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ بِكُنْيَتِهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ، الَّتِي لَقَّاهُ اللَّهُ فِيهَا نَحْسَهُ ،
وَأَتْلَفَ نَفْسَهُ ؛ وَصَرَّمَهُ بِعُقُوقِهِ وَبَنِيهِ ، وَقَنَعَهُ بِمَارِهِ وَخَزِيرِهِ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَتَنَعَّظُ ،
وَلَا يَتَزَعُّ وَلَا يَقْلَعُ وَلَا يَزْدَحِرُ ؛ إِصْرَارًا عَلَى الْجَرَائِرِ الَّتِي اللَّهُ ضَمَّنَهَا حَسِيئَتُهُ ، وَبِهَا طَلِيئُهُ ؛
وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ مُرْصَدَتَانِ لَهُ بِالْجَزَاءِ الْمَحْقُوقِ عَلَيْهِ ، وَالْعِقَابِ الْمَسْئُوقِ إِلَيْهِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - خَطْبًا ، وَأَوْعَرُ مَسَلَكًا وَكِبًا ، أَنْ
مِنْ شَرَائِطِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ عُمِدَ إِلَيْهِ ، وَالْعَقْدِ الَّذِي عُقِدَ لَهُ ؛ وَالضَّمَانِ الْمُخَفَّفِ
مَبْلَغُهُ عَنْهُ ، الْمَأْخُودِ عَقْوُهُ مِنْهُ ؛ أَنْ يَتَنَاهَى فِي صَبْطِ النُّفُورِ وَجِهَادِ الرُّومِ وَحِفْظِ
الْأَطْرَافِ ، وَرَمِّ الْأَكْثَافِ ؛ فَمَا وَفَى بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى الْأَسْتِثْنَاءِ
بِالْأَمْوَالِ وَأَقْطَاعِهَا ، وَإِحْرَازِهَا فِي مَكَامِنِهَا وَقِلَاعِهَا ؛ وَالضَّنِّ بِهَا دُونَ الْإِنْخِرَاجِ
فِي وُجُوهِهَا ، وَالْوَضْعِ لَهَا فِي حُقُوقِهَا ؛ وَأَنْ تَرَانِخُ فِي أَمْرِ عَظِيمِ الرُّومِ مُهْمَلًا ، وَأَطْرَحَ
الْفِكْرَ فِيهِ مُتَفَلِّحًا ؛ حَتَّى هَجَمَ فِي الدِّيَارِ ، وَأَثَرَ الْآثَارِ ؛ وَنَكَى الْقُلُوبَ ، وَأَبْكَى الْعُيُونَ ؛
وَصَدَعَ الْأَكْبَادَ ، وَأَحْرَّ الصُّدُورَ ؛ فَمَا كَانَ عِنْدَهُ فِيهِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْمُسْلِمِ الْقَارِئِ لِكِتَابِ
اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى
بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِلَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ بَلْ صَدَفَ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ لَاهِيًا ، وَعَدَلَ عَنْ كِتَابِهِ سَاهِيًا ؛ وَأَسْتَفْسَخَ ذَلِكَ الْبَيْعَ وَالْعَقْدَ ، وَتَجَيَّزَهُ
الْوَعْدَ لَا الْوَعْدَ ، وَلَا طَلَفَ طَائِفَةِ الرُّومِ وَهَادَاهُ ، وَمَارَهُ وَأَعْطَاهُ ؛ وَصَانَهُ بِمَالِ

المسلمين الذى يَلْزِمُهُ - إن سَلِمَ دِينُهُ وَصَحَّ حَقِيقَتُهُ - أَنْ يُنْفِقَهُ فِي مَرَابِطِهِمْ ، وَيَلْبَسَ بِهِ
 عَنْ حَرَمِهِمْ ؛ لَا أَنْ يَحْكِسَهُ عَنْ جِهَتِهِ ، وَيُفْلِتَهُ عَنْ جِهَتِهِ ، بِالنَّقْلِ إِلَى عَدُوِّهِمْ ،
 وَإِدْخَالِ الْوَهْنِ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ . وَقَادَ إِلَيْهِ مِنْ الْخَلِيلِ الْعِنَاقِ مَا هُوَ الْآنَ عَوْنٌ لِلْكُفْرِ
 عَلَى الْإِيمَانِ ، وَتَجِدُهُ لِلطَّاعِيَةِ عَلَى السُّلْطَانِ ؛ وَكَانَ فِيهَا اتِّخَافُهُ بِهِ الْخَمْرُ الَّتِي حَظَرَ اللَّهُ
 عَلَيْهِ أَنْ يَشْرَبَهَا وَيَسْقِيَهَا ، وَتَعَبُّدُهُ بِأَنْ يَحْتَنِيَهَا وَيَحْتَوِيَهَا ؛ وَصُلْبَانُ ذَهَبٍ صَاغَهَا لَهُ
 وَتَقَرَّبَ بِهَا إِلَيْهِ تَقَرُّبًا قَدْ بَاعَهُ اللَّهُ فِيهِ عَنِ الْإِصَابَةِ وَالْأَصَالَةِ ، وَأَذْنَاهُ مِنَ الْجَهَالَةِ
 وَالضَّلَالَةِ ؛ حَتَّى كَأَنَّهُ عَامِلٌ مِنْ عُمَّالِهِ ، أَوْ يَطْرُقُ مِنْ بَطَارِقَتِهِ .

فَأَمَّا فَشْلُهُ عَنْ مَكَايِفَتِهِ ، وَهَجْجُهُ بِمَلَاطِفَتِهِ ، فَضِدُّ الَّذِى أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِئُوا فِيكُمْ غِظَةً وَاعْتَدُوا أَنْ
 اللَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَأَمَّا قَتْلُهُ مَا قَتَلَ مِنَ الْخَلِيلِ مِنْ دِيَارِ الْمَسَامِينِ إِلَى دِيَارِ أَعْدَائِهِمْ ، فَتَقْيِصُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ
 ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَلِيلِ يُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .
 وَأَمَّا إِهْدَاؤُهُ الْخَمْرَ وَالصُّلْبَانِ ، فَخِلَافٌ عَلَيْهِ تَبَارَكَ أَسْمُهُ ، إِذْ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ
 وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴾ .

كُلُّ ذَلِكَ عِنَادًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَطَمَسًا لِأَعْلَامِ الدِّينِ ، وَضِيًّا بِمَا يُحَاجِي عَلَيْهِ مِنْ
 ذَلِكَ الْخُطَامِ ، الْمَجْمُوعُ مِنَ الْحَرَامِ ، الْمُتَمَرِّعُ مِنَ الْآثَامِ ، الْمُقْتَطَعُ مِنْ قِيَّةِ الْإِسْلَامِ ؛
 وَقَدْ فَصَلَ الْآنَ بَيَّ بِالْعَسَاكَرِ الَّتِي مَعِيَ وَمَنْ نَصَّحَ مِنْ أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ
 إِخْوَتُهُ وَصَحْبُهُ - إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا ، وَأَنْصَارُهُ وَحَزْبُهُ - إِنْ كَانَ مُؤَقِفًا ؛ مِنْ تَوْعِيرِ
 الْمَسَالِكِ وَتَغْرِيقِ الْعُرُوبِ ، وَتَضْيِيقِ الْأَقْوَاتِ ، وَاسْتِهْلَاكِ الْأَزْوَادِ ؛ لِيُوصَلَ إِلَيْنَا
 الضَّرُّ ، وَيُلْحَقَ بِنَا الْجَهْدُ ؛ فَعَلَّ الْعَدُوَّ الْمَيِّينَ ، الْمُخَالَفَ فِي الدِّينِ ؛ فَهَلْ يَحْتَسِبُ

[في أحد من المَسَاوِي - أيد الله أمير المؤمنين - ما اجتمع^(١)] في هذا التَّادُّ العائِد ،
والشَّادُّ الشَّارِد ؟ ، وهل يُطَمَع مِن مثله في حقِّ يَفْضِيهِ ، أو فَرَضَ يُوَدِّيهِ ؛ أو عهد
يَرَّطَهُ ، أو ذِمَّامٍ يَحْفَظُهُ ؛ وهو لله طامس ، وإمامه غائِبٌ ، ولوالديه قاتِل ،
ولرحمه قاطِع ؟ كَلَّا والله ! بل هو الحَقِيقُ بأن تُثْبِتَ إليه الأَعْنَةُ ، وتُشَرِّعَ نحوه الأَسْنَةُ ؛
وتُصَيِّبَ له الأَرْصَادُ ، وتُشَحِّذَ له السُّيُوفُ الحِدَادُ ؛ لَيَقْطَعَ اللهُ بها دَارَهُ ، ويَجِبَ
غَارِبَهُ ؛ وَيَصْرَعَهُ مَصْرَعُ الأَيْمِ المَكِيمِ ، المستحقُّ للعذاب الأليم ؛ أو يُقَيَّءَ إلى الحقِّ ،
إِفَاءَةً الدَّاخلِ فيه بعدَ خُرُوجِهِ ، العائِدِ إليه بعدَ مُرُورِهِ ، التَّائِبِ المُتَنِيبِ ، النَّازِعِ
المُسْتَقْبِلِ ؛ فيكون حُكْمُهُ شَبِيهاً بِحُكْمِ الرَّاجِعِ عن الرَّدَّةِ ، المحمولِ على ظاهِرِ الشَّرِيعَةِ ؛
والله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا لم كنا لنهتدي لَهَذَا السَّبِيلِ المُتَجِيةِ لنا ؛ والمَقَاصِدِ
المُفَضِّلَةِ إلى رِضَاهِ ، البعيدَةِ من سَطَاهِ .

والحمد لله الذي أعزَّ أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه لَوَاهُ القَهَرِ ؛ وجعل أوليائه
العَالِينَ الظَّاهِرِينَ ، وأعداءه السَّافِلِينَ الهَاطِلِينَ ؛ وهَنَاءَهُ الله هذا الفَتَحَ ولا أُخْلَاهُ من
أَشْكَالِ لَه قَهْفِهِ وتَبَعِهِ ، وأَمثالِ نَتْلُوهُ وَتَشْفَعُهُ ؛ وأَصْلًا فيها إلى ما وَصَلَ فيه إليه من
حِجَازَتِهِ مُهَنَّا ؛ لَمْ يَسْفِكْ فيه دَمٌ ، ولم يُتَهَكَمْ حَرَمٌ ، ولم يُنَلَّ جَهْدٌ ، ولم يَمَسَّ نَصَبٌ .
أُنْهِيتُ إلى أمير المؤمنين ذلك ، لِيُضَيِّفَ صُنْعَ الله له فيه ، إلى السَّالِفِ من عَوَارِفِهِ
عِنْدَهُ وإيَادِيهِ ، وَلِيَجِدَّ من شُكْرِه جَلٌّ وعِلَا ما يَكُونُ دَاعِيَا إلى الإِدَامَةِ والمَزِيدِ ،
مُقْتَضِيَا لَعَوْنِ والتَّائِيدِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

^(٢) [وكتب يوم الجمعة لتسع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة]

(١) الزيادة عن غنارات رسائل الصابي المطبوعة (ج ١ ، ص ٩١) وهي لازمة لانتظام الكلام .

(٢) الزيادة عن غنارات رسائل الصابي .

الأسلوب الثاني

(أن تَمْتَحَ المكتبة بلفظ «كاتب الخليفة والحال على كذا وكذا» ويُدعى الخليفة

بطول البقاء في أثناء ذلك ، وسبب الملك المكتوب عنه عن نفسه

بلفظ الأفراد مع التصدير بالعبودية ، ويخاطب الخليفة

بأمر المؤمنين ويختم بالثناء ونحوه)

كما كتب أبو الفرج البينا عن السلطان أبي تغلب بن ناصر الدولة أحد ملوك بني
حمدان بطلب وما معها ، جواباً للكتاب الوارد عليه من الطامع أو المطيع بالكُنية
والخلف ماصوره :

«كاتبى - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - وعبد أمير المؤمنين مستديم بشكر الله تعالى
مدد النعم المتظاهرة عليه ، والمنح المتناصرة لديه ، بجمل رأيه أدام الله علوه
وتقدمه - معترف بما طوّقه به السعادة من عوارف تشرّفه ، متمسك من الطاعة
بما أحله كنف إحسانه ، متوصل بالطرف إلى الاستزادة من طوله وأستانه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، محمد وآله الطاهرين .

ووصل كاتب أمير المؤمنين - أدام الله نصره - مستملاً على فوائد الإرشاد
والتوفيق ، مقترناً بخصائص التكرمة والتشريف ، فاقتدت من أوامره - أعلاها
الله تعالى ! - بأهدى دليل ، وسلكت في شكر ما أعمدني من إشارته أوضح سبيل ؛
وبرزت لسائر من اختارنى - أيد الله - لسياسته من الخاصة والعامة في الحلال
الحالية يسائر تشرّفه وإكرامه ، متدبراً توبى هديته وسكنته ، وغضلاً منها من كفى
دفاعه ومعونته ؛ ومتقلداً غضبه الذى هز النصر غير آره ، وأطلق المضاء شفاؤه .

وعالياً على عتق الزمان، بامتطاء ما حَبَّأَني به من الحملان، مسترِقِّ النية بالرغبة إليه،
ومستخِدمِ النطق بالثناء عليه؛ ومقتصبا أثر أسلافِي في خِلمته وخدمة آتاله المؤمنين،
من الخلقاء الراشدين، صلوات الله عليهم أجمعين؛ وأقتفاء مذهبهم في الذنب عن فِتنة
الخلافه والمُرَاماة دُونَ المِلَّة، والاجتهاد في طاعة الأئمة .

فالحمد لله الذي جعل صنائع أمير المؤمنين مستغفرةً عند مَنْ يربطها بعلائق الشكر،
ويحرُسها بالتوقُّر على ما أفاد الإجماع وجميل الذكر؛ وأدام علو أمير المؤمنين ! وأيدنا
بِعِزِّ دولته، وبَسَطَ بالتمكين قُدْرته، وحرَّس من الغير سلطانه، وقرنَ بِنَفَازِ الأمرِ يَدَه
ولسانه؛ ولا أخلاه من وليٍّ ينشيه ويصنعه، وشكورٍ يُعليه ويرفعه؛ وعِزِّم بِحِمدِ أَمْرِهِ
ويرتضيه، ورأي بالتوفيق يُبرِّمه ويُخْصِيه . ووقفني من القيام بحقوق خدمته،
والتشكُّ بفرائض طاعته؛ والمعرفة بمواقع أصطناعه وتفضله، والاعتداد بِمَنَحِ إنعامه
وتطوُّله؛ لما يستريُّني من أيَّديه والآله، ويحرُسُ عليَّ مَكَانِي من جميل أرائه،
إنه جواد كريم .

وقد آذنتُ مَنْ بَعْدَ وَقُرْبَ برفع أمير المؤمنين . - أدام الله بَسْطَته - ذِكْرِي عن
تعريف الأسم بنباهة الكُنيَّة، وإصدار ذلك إلى الأسماع من شريف عبارته،
والإذن فيه لاسار مَنْ يذكُرُنِي بِحَضْرَتِهِ، زادَ الله في جلالها . وتقدَّمتُ بإثبات ذلك
على عُنوانات الكُتُب استئلاً لأمره، وأخذنا بإذنه، ووقُوفاً عند رِسمه؛ عارفاً قَدَرِ
النعمة والموهبة فيه . واعتدْتُ بما أحاط به أمير المؤمنين من نِياية فلان عِده
وما توجَّاه من مجود السَّفارة، وحُسن الوَساطة، ووجدتُ ما يجمعني وإياه من
الإخلاص في ولاء أمير المؤمنين أقرب الأنساب، وأوكد الأسباب؛ في تأكُّد
الألفة، وتشبُّه قواعِد الطاعة؛ والله يحرُسُ أمير المؤمنين في كافَّة رعيته، وخاصَّة
أوليائه وصنائع دولته؛ من اختلاف الآراء، وتشبُّب الأهواء؛ ويُعيني من النهوض

بمقتضات أياديه ، وواجبات ما يُسنديه إلى ويُوليه ؛ [على] ما قَرَّب منه وإليه ،
وأزَلَّف عنده ولَدَيْهِ ؛ بمنه ومَشِيئته ، وحَوْلِه وقُوَّتِه .



الحالة الثانية — من مكاتبات الملوك إلى خُلفاء بني العباس ما كان عليه الأمر
في آنحدولتهم ببغداد .

والحال فيه مختلف : فتارة يَفْتَحُ بالدعاء للديوان العزيز ، وتارة بالدعاء لما يعود
عليه ، وتارة بالصلاة ، وتارة بالسلام . وربما أَفْتَحَتْ المكتبةُ بآية من القرآن
الكريم مناسبة للحال .

قال المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التمرif " : والصدرُ نحو العبد
أو المملوك أو الخادم يُقْبَلُ الأرض ، أو العتبات ، أو مواطنَ المواقف أو غير ذلك .
ويُخاطَبُ الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز ، وبالمواقف المقدسة أو المُشْرِفة ،
والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ،
وبأمير المؤمنين مجزدة عن سيدنا ومولانا ، ومرّة غير مجزدة مع مراعاة المناسِبة
والتسديد والمقاربه . ويختم الكتاب تارة بالدعاء ، وتارة بطلّح أو أنهى أو غيرهما مما
فيه معنى الإنهاء .

قال : وأخْلِفَ فيما يخاطبُ به المكتوب عنه عن نفسه : فكتب صلاحُ الدين
أبن أيوب « الخادم » وكتب بنوُه والعاذل أخُوُه « المملوك » وكتب الكاملُ بن العادل
« العبد » وجرى على هذا أبْنُه الصالح . وكتب الناصرُ بن العزيز « أقلُ المالك »
وكتب الناصرُ داود « أقلُ العبيد » ؛ وكان علاء الدين خوارزم شاه يكتب « الخادم
المطواع » وتبعه على ذلك أبْنُه جلالُ الدين ، وكانت أمُ جلال الدين تكتب
« الأمة الداعية » . هنا على شتم أنوف الخوارزمية وعلو شأنهم .

وعنوان هذه المكاتبات على اختلافها « الديوان العزيز، العالي، المولوى، السيدى، النبوى، الإمامى، الفلانى (يلقب بالخلافة) أدام الله أيامه، أو خلد الله أيامه، أو أدام الله سلطانه » على مناسبة ما فى صدر الكتاب .
ثم هو على ستة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتابة بالدعاء للديوان العزيز)

قال فى "التعريف" : والمراد بالديوان ديوان الإنشاء، لأن المكتبات عنه صادرة وإليه واردة . قال : وسبب مخاطبتهم بالديوان الخضوعان عن مخاطبة الخليفة نفسه ، ويكون الدعاء للديوان بما فيه معنى دوام العز والسلطان وبسط الظل وما أشبه ذلك . مثل : أدام الله أيام الديوان العزيز، أو أدام الله سلطان الديوان العزيز، أو خلد الله أيام الديوان العزيز، أو خلد الله سلطان الديوان العزيز، وأدام الله ظل الديوان العزيز، وخلد الله ظل الديوان العزيز، وبسط الله ظل الديوان العزيز، وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة كتاب كتب به القاضى الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» صاحب الديار المصرية ، إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد ، بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيدي الفرنج وإعادةه إلى ما كان عليه من الإسلام، وهى :

«أدام الله أيام الديوان العزيز النبوى الناصرى ، ولا زال مظفر الحجد بكل جاحد ، [غنى] التوفيق عن رأى كل رائد ، موقوف المساعى على اقتناء مطلقات

الحامد، مستَقِظُ النَّصْرِ وَالسَّيْفِ فِي جَفْنِهِ رَاقِدٌ، وَارِدَ الْجُودِ وَالسَّحَابِ عَلَى الْأَرْضِ
غَيْرُ وَّارِدٍ، مُتَعَدِّ مَسَاعِي الْفَضْلِ وَإِنْ كَانَ لَا يَلْقَى إِلَّا بُشْكِيَّ وَاحِدٍ، [مَضَى حُكْمُ
الْقَوْلِ بِعَزْمٍ لَا يَمُضِي إِلَّا بِشَلِّ غَوِيٍّ وَرَيْشٍ رَاشِدٍ] وَلَا زَالَتْ غُبُوثُ فَضْلِهِ
[إِلَى الْأَوْلِيَاءِ] أَنْوَاءٌ إِلَى الْمَرَاجِعِ وَأَنْوَارًا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَبُعُوثُ رُغْبِهِ إِلَى الْأَعْدَاءِ
خَيْلًا إِلَى الْمَرَاتِبِ وَخَيْالًا إِلَى الْمَرَاقِدِ .

كتب الخادمُ هذه الخِدْمَةَ تِلْوَ مَا صَدَّرَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجْرِي بِجَرَى التَّبَاشِيرِ بِصُحْبِ
هذه الخِدْمَةِ، وَالْمُنَوَّانِ لِكِتَابِ وَصْفِ هَذِهِ النِّعْمَةِ ؛ فَإِنَّهَا بَجَرٍّ لِلْأَقْلَامِ فِيهِ سَبْحٌ
طَوِيلٌ، وَلُطْفٌ الْحَقِّ لِلشُّكْرِ فِيهِ عِبٌّ ثَقِيلٌ، وَبُشْرَى لِلخَوَاطِرِ فِي مَشْرِحِهَا مَآرِبٌ ،
وَيُسْرَى لِلأَمْرَارِ فِي إِظْهَارِهَا مَسَآرِبٌ ؛ وَفِيهِ إِعَادَةُ شُكْرِهِ رِضًا، وَلِلنِّعْمَةِ الرَّاهِنَةِ بِهِ دَوَامٌ
لَا يُقَالُ مَعَهُ هَذَا مَضَى . وَقد صَارَتْ أُمُورُ الْإِسْلَامِ إِلَى أَحْسَنِ مَصَابِرِهَا، وَأَسْتَبْتَتْ
عَقَائِدُ أَهْلِهَا عَلَى بَصَائِرِهَا ؛ وَتَقَلَّصَ ظِلُّ رِجَاءِ الْكَافِرِ الْمُسْتَوْطِ، وَصَدَّقَ اللَّهُ أَهْلَ دِينِهِ
فَلَمَّا وَقَعَ الشَّرْطُ حَصَلَ الْمَشْرُوطُ ؛ وَكَانَ الدِّينُ غَرِيبًا فَهُوَ الْآنَ فِي وَطْنِهِ، وَالنُّوُزُ
مَعْرُوضًا فَقَدْ بَدَلَتْ الْأَنْفُسُ فِي ثَمَنِهِ ؛ وَأَمَرَ أَمْرُ الْحَقِّ وَكَانَ مُسْتَضْعَفًا، وَأَهْلُ رُبْعِهِ
وَكَانَ قَدْ عَيْفَ حِينَ عَفَا ؛ [وَجَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَتَوْفَ أَهْلُ الشَّرْكِ رَاغِمًا] فَأَذْجَلَتْ^(١)
السُّيُوفُ إِلَى الْأَجَالِ وَهِيَ نَائِمَةٌ، وَصَدَّقَ وَعْدُ اللَّهِ فِي إِظْهَارِ دِينِهِ عَلَى كُلِّ دِينٍ ،
وَأَسْتَطَارَتْ لَهُ أَنْوَارُ أَبَانَتْ أَنْ الصَّبَاحَ عِنْدَهَا حَيَانُ الْحَيِّ ؛ وَأَسْتَرَدَّ الْمَسَامُونَ تَرَاتُا
كَانَ عَنْهُمْ آثِقًا، وَظَلَمُوا بِقِظَلَةٍ بِمَا لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُمْ يَظْفَرُونَ بِهِ طَيْقًا عَلَى النَّاسِ طَارِقًا ؛
وَأَسْتَفْتَرَتْ عَلَى الْأَعْلَى أَعْدَائُهُمْ ، وَخَفَّتْ عَلَى الْأَقْصَى أَعْلَامُهُمْ ، وَتَلَقَّتْ عَلَى
الصَّخْرَةِ قُبُلُهُمْ ، وَثُفِفَتْ بِهَا وَإِنْ كَانَتْ صَخْرَةً كَمَا تُسْنَى بِالْمَاءِ غُلَاهُمْ .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل القوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية سنة ١٢٢٩هـ أدب ص ٣٥ .

ولما قَدِمَ الدين عليها عرف منها سُوءَئاً قلبه ، وهنَّا كَفَرُوهَا الجُرَّ الأسودَ بِتَّ
عِصْمَتِهَا من الكافر بِحَرْبه ؛ وكان الخادم لا يَسْعَى سَعِيَهُ إِلَّا لِهَذِهِ التَّعْلِي ، ولا يُقَاسِي
تِلْكَ الْبُؤْسَى إِلَّا رَجَاءَ هَذِهِ التَّعْنَى ؛ ولا يُتَاجَز من أَسَمَطَلَه في حَرْبه ، ولا يُعَاتِب بِأُطْرَافِ
الْقَنَّا من تَمَادَى في عَتَبَه ؛ إِلَّا لَتَكُونَ الْكَلْبَةُ بِمَجْمُوعِهِ ، والدَّعْوَةُ إِلَى سَامِعِهَا مَرْفُوعِهِ ؛
فَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وليَفُوز بِجَوْهَرِ الْآخِرَةِ لَا بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى من الدُّنْيَا ؛
وكانت الْأَكْسَنَةُ رَجْمًا سَلَقَتْهُ فَانْضَجَّ قُلُوبُهَا بِالْاِحْتِقَارِ ، وكانتِ الْخَوَاطِرُ رَجْمًا غَلَّتْ
عَلَيْهِ مَرَاجِلُهَا فَاطْفَاها بِالْاِحْتِمَالِ وَالْاِصْطِبارِ ؛ وَمَنْ طَلَبَ خَطِيئَةً خَاطِرًا ، وَمَنْ رَامَ
صَفْقَةً وَاجِبَةً تَجَاسَّرَ ، وَمَنْ سَمَّا لِأَنْ يُحِلَّ عُثْرَةً غَامِرَةً ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْقُعُودَ يُلِينُ تَحْتَ نِيُوبِ
الْأَعْدَاءِ الْمَعَاجِمِ قَتَعَتْهَا ، وَيُضْعِفُ فِي أَيْدِيهَا مَهْرَ الْقَوَائِمِ فَتَقْضُهَا ؛ هَذَا إِلَى
كَوْنِ الْقُعُودِ لَا يَقْضِي فَرَضَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ ، وَلَا يُرْعَى بِهِ حَقُّ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ ؛ وَلَا يُوفَى
بِهِ وَاجِبُ التَّقْلِيدِ الَّذِي تَطْلُقُهُ الْخُدَامُ مِنْ أَيْمَةٍ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ،
وَحَفَاءُ اللَّهِ كَانُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ قَدْ يَسْأَلُونَ ؛ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا سُورَتَهُمْ وَسِرِّيَهُمْ
خَلْفَهُمُ الْأَطْهَرِ ، وَتَجَلَّهَمُ الْأَكْبَرُ ؛ وَبَقِيَّتُهُمُ الشَّرِيفَةُ ، وَطَلَعَتْهُمُ الْمُنِيفَةُ ، وَعُلُوانُ صَحِيفَةِ
فَضْلِهِمْ لِأَعْدِمِ سَوَادَ الْعِلْمِ وَبَيَاضَ الصَّحِيفَةِ ؛ فَاظْبُؤْا لِمَا حَضَرَ [وَلَا غَضَبُوا^(١)] لِمَا
نَظَرَ ، بَلْ وَصَلْهُمْ الْأَجْرُ لِمَا كَانَ بِهِ مَوْصُولًا ، وَشَاطَرُوهُ الْعَمَلُ لِمَا كَانَ عَنْهُ مَقْضُولًا
وَمِنْهُ مَقْبُولًا ؛ وَخَلَّصَ إِلَيْهِمْ إِلَى الْمَضَاجِعِ مَا أَطْمَأْنَنْتَ بِهِ جُنُوبَهَا [وَالِى الصَّفَاحِ
مَاعَبَقَتْ بِهِ جُيُوبَهَا^(١)] وَقَازَ مِنْهَا بِذِكْرِ لَا يَزَالُ اللَّيْلُ بِهِ سَمِيرًا ، وَالتَّهَادُّ بِهِ بَصِيرًا ؛ وَالشَّرْقُ
يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ ، بَلْ إِنْ أَبْدَى نُورًا مِنْ ذَاتِهِ هَتَفَ بِهِ الْقَرَبُ بِأَنْ وَاَرَهُ ؛ فَإِنَّهُ نَوْرٌ
لَا تَكُنْهُ أَغْسَاقُ السُّدُفِ ، وَذَكَرَ لِأَنْوَارِهِ أَوْرَاقُ الصُّبْحِ .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل القوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية نمرة ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥ .

وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا، وطارث فرقه
 فرقا، وفل سيفه فصار عصا، وصديعت حصاته وكان الأكثر عددا وحصا، فكلت
 حملاته وكانت قدرة الله تُصرف فيه العنان بالبيان، عقوبة من الله ليس لصاحب يديها
 يدان، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفه، وغضبت عينه وكانت عيون السيوف
 دونها كسيفه، ونام جفن سيفه وكانت يقظته تُريق نطف الكرى من الجفون، وجذعت
 أنوف رباحه وطالما كانت شاحمة بالثني أو راعقة بالثنون، وأخصت الأرض المقدسة
 الطاهرة وكانت الطامث، والرب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث في بيوت
 الشرك مهذومه، ويؤوب الكفر مهتومه، وطوائفه المحامية، مجمعة على تسليم البلاد
 الحامية، وشجعائه المتوافيه، مُدعنة يبذل المطامح الراقية، لا يرون في ماء الحديد
 لهم غصره، ولا في فناء الأثنية لم تُصره، وقد ضربت عليهم النلة والمُسكنة،
 وبذل الله مكان السيئة الحسنة، وتقل يث عبادته من أيدي أصحاب المشامة إلى
 أيدي أصحاب اليمين.

وقد كان الخادم لقيهم اللقاء الأولى فأمته الله بمداركة، وأئجده بملائكة،
 فكسرهم كسرة ما بعدها جبر، وصرعهم صرعة لا يعيش معها بمشيئة الله كفر،
 وأسروهم من أسرت به السلايل، وقتل منهم من قُتلت به المنايل،
 وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح [والكفار، وعن أنصاف محيل
 فانه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكرار، فنبلوا بنار من السلاح ونالوه
 أيضا بشار^(١)]، فكم أهلة سيوف تهاضن الضراب بها حتى طابت كالعرايين،
 وكم أئجيم رماح تبادلت الطعان حتى صارت كالمطامير، وكم فارسية ركض عليها
 فارسيها السهم إلى أجل فاختلته، وفترت تلك القوس فاها فإذا قوها قدنش القرن

على بُعد المسافة فافترسه ؛ وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ؛ وكان الكفر مفقودا ، والإسلام مولودا ، وجعل الله ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا ، وأسر الملك وبيده أوثق وثاقه ، وأكد وصليه بالدين وعلاقته : وهو صليب الصليوت ، وقائد أهل الجبروت ؛ وما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دعائهم ينسط لهم باعة ، ويمحضهم وكان مد الدين في هذه الدفعة ودأعه ؛ لا جرم أنهم تهاقت على نارهم فرأشهم ، وتجمع في ظل ظلامه خشايشهم ؛ فيقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدق ، ويرونه ميثاقا ينون عليه أشد عقد وأوثق ، وسدونه سورا تحفر حوافر الخيل خنقه .

وفي هذا اليوم أسرت سرائهم ، ونعبت دعائهم ؛ ولم يفلت معروف إلا القومص وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال ، ويوم الخلدان بالاحتيا ، فنجبا ولكن كيف ، وطار خوفا من أن يلحقه ميسر الرشح وجناح السيف ، ثم أخذه الله بعد أيام بيده ، وأهلكه لمومده ؛ فكان لعنتهم فذلك ؛ وانتقل من ملك الموت إلى مالك .

وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء صبغا ، البيضاء صنما ، الخلقه هي وقلوب أعدائها الغالبة هي [وعزائم أولياتها^(١)] المستضياء بأنوارها إذا فتح عينها البشر ، وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر ؛ فافتتح بلد كذا وكذا وهذه أمصار ومدن ، وقد تسمى البلاد بلادا وهي منارح وفدن ؛ وكل هذه ذوات معاقل ومعاقير ، وبحار وبحائر ، وجوامع ومناير ، وجميع وعساكر ؛ يتجاوزها الخادم بعد أن يحرزها ، ويتركها وراءه بعد أن يتجزها ؛ ويحصد منها كفرا ويذرع إيمانها ، ويحط من منارحها صلبانا ويرفع أذانا ؛ ويبدل المنائج

منابر والكائنات مساجد، ويؤتى بعد أهل الصلابة أهل القرآن للذب عن دين الله
مقاعد، ويقر عينه ويعون أهل الإسلام أن تعلق النصر منه ومن عسكره بجار
وتجور، وأن ظفر بكل سور ما كان يحاف زلزاله وزياله إلى يوم النفخ في الصور.
ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد، وأعصم بمنعها
كل قريب منهم وبعيد، وظنوا أنها من الله مانعهم، وأن كنيسة إلى الله شافعهم؛
فلما نازها الخادم رأى بلداً كالأبد، وجمعاً كيوم التناد، وعزائم قد تآلفت وتآلفت
على الموت فزلت برصته، وهان عليها مورد السيف وأن تموت بفصته؛ فزاول البلد
من جانب فإذا أودية عميقة، ولحج وعرة غريفة، وسور قد انعطفت عطف السوار،
وأبرجة قد زلت مكان الواسطة من عقد الدار؛ فدل إلى جهة أخرى كان للطامع
عليها مخرج، وتخلل فيها متوجج؛ فترك عليها، وأحاط بها وقرب منها؛ وضربت
خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه، ويزاحمه السور بكافه؛ وقابلها ثم قاتلها،
وتزكأ ثم نازها، وبرز إليها ثم بارزها، وحاجزها ثم ناجزها؛ فضمها صمة أرهب
بعدها الفتح، وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون على عبودية الجدة عن عتق الصفيح؛
فراسلوه ببذل قطيعة إلى مده، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لتجده؛ ففرقهم
في سجن القول، وأجابهم بلسان الطول؛ وقدم المتجنقات التي تتولى عقوبات
الحصون عصبيتها وجبالها، وأوترهم قسيها التي تضرب فلا تحارفيها مهايتها ولا يبارق
سهايتها نصائها؛ فصالح السور بكافه فإذا منهم في شيا شرفاتها سواك،
وقدم النصر تئرا من المتجنق يخلد إخلاده إلى الأرض ويسلو عله إلى السماء؛
فشج مرادع أبراجها، وأسمع صوت عجيجها، ورفع مئارجها، فأخلى السور من
السيارة، والحرب من النظارة؛ فأمكن الثقاب، أن يسفر لهرب الثقاب، وأن يبعد

الحجر إلى سيرته من التراب؛ فتقدم إلى الصخر فضع سرده، بأنياب مِعُولِهِ، وحلَّ عَقْدَهُ، بَصْرِيهِ الأخرق الدالَّ على لُطَافَةِ أَمَلِهِ، وأسمع الصخرة الشرفة حَيْنَتَهُ واستفاته إلى أن كادت ترق لمُعْبِلِهِ؛ وتبَّأ بعض المجازة من بعض، وأخذ الخراب عليها مَوْقِفًا فلن تبَّح الأرض؛ وفتح في السور باب سد من تجأتهم أبوابا، وأخذ قُبَّ في حجره قال عنده الكافر: يَا لَيْتِي كُنْتُ تُرَابًا؛ فينثذ ينس الكفار من أصحاب الدور، كما ينس الكفار من أصحاب القُبُور، وجاء أمر الله وغرَّهم بالله الغرور.

وفي الحال نرج طاغية كُفْرهم وزمائم أصرهم ابن بارزان ساعلا أن يُؤخذ البلد بالسلم لا بالسوة، وبالأمان لا بالسطوة؛ وألقى بيده إلى التهلكة، وعلاه ذل الملكة بعد عز الملكة؛ وطرح جبينه في التراب وكان حينا لا يتعاطاه طريح، وبذل مبتغا من القطيعة لا يطمح إليه طرف أمل طامع؛ وقال: ها هنا أسارى مؤمنون يتجاوزون الألوف وقد تعاقد القرنيح على أنهم إن هُجِمت عليهم الدار، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار؛ يبدئ بهم فُجُّوا، وتُحَّى بنساء القرنيح وأطفالهم فقتلوا، ثم استقتلوا بعد ذلك فلم يقتل خصم إلا بعد أن يتصيف، ولم يسَل سيف من يده إلا بعد أن تنقطع أو يتصيف؛ وأشار الأمراء بالأخذ بالميسور، من البلد المأسور؛ فإنه إن أخذ حريا فلا بد أن تفتح الرجال الأعماد، وتبدل أنفسهم في آخر أمر قد نيل من أوله المُرَاد. وكانت الجراح في العساكر قد هتدم منها ما اعتقل الفتنكات، واعتاق الحركات، فقبل منهم المبلول عن يدهم صاغرون، وأنصرف أهل الحرب عن قُدرة وهم ظاهرون، وملك الإسلام خطة كان عهد بها دمنة سكان، تغدما الكفر إلى أن صارت روضة جنان؛ لا جرم أن الله أخرجهما منها وأهبطهم، وأرضى أهل الحق

وَأَسْخَطَهُمْ، فَزَنَّهُمْ - خَنَزَمَهُمُ اللَّهُ - حَمَّوْهَا بِالْأَسَلِ وَالصَّفَاحِ [وَبَنَوْهَا بِالْعَمَدِ وَالصُّفَاحِ] ^(١)
وَأَوْدَعُوا الْكَنَنَاسَ بِهَا وَبَيَّوتَ الدِّيُوبَةَ وَالْإِسْتَبَارِيَّةَ مِنْهَا كُلَّ غَرِيَّةٍ مِنَ الرُّحَامِ الَّتِي
يَطْرُدُ مَأْوَهُ، وَلَا يُطْرِدُ إِلَّا لَأَوَّاهُ، قَدْ لَطَفَ الْحَلِيدُ فِي تَجْزِيعِهِ، وَخَفَّنَ فِي تَوْشِيعِهِ،
إِلَى أَنْ صَارَ الْحَلِيدُ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، كَالنَّهَبِ الَّذِي فِيهِ نَعِيمٌ عَتِيدٌ، فَمَا تَرَى
إِلَّا مَقَاعِدَ [لِلرِّيَاضِ لَهَا مِنْ بِيَاضِ التَّرْخِيمِ رَفَاقٌ، وَعَمَدًا كَالْأَشْجَارِ لَهَا مِنْ
التَّنْبِيهِ أَوْرَاقٌ] .

وَأَوْزَعَ الْخَادِمُ بَرْدَ الْأَفْعَى إِلَى عَهْدِهِ الْمَعْهُودِ، وَأَقَامَ لَهُ مِنَ الْأَثْمَةِ مِنْ يُوقِيهِ
وَرَدَهُ الْمَوْرُودِ، وَأَقِيمَتِ الْخُلْعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ شَهْرِ شَعْبَانَ، فَكَادَتِ السَّمَوَاتُ
يَتَفَطَّرْنَ لِلْجُحُومِ لَا لِلْوُجُومِ، وَالْكَوَاكِبُ يَتَثَرَّنَ لِلطَّرَبِ لَا لِلرُّجُومِ، وَرُفِعَتْ إِلَى اللَّهِ
كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَكَانَتْ طَرَاتِقُهَا مَسْدُودَةً، وَظَهَرَتْ قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَتْ يَتَنَّهُمُ بِالْجَبَاسَاتِ
مَكْنُودَةً، وَأَقِيمَتِ الْخُمْسُ وَكَانَ التَّثْلِيثُ يُقْعِدُهَا [وَجَهَرَتِ الْأَلْسُنُ بِاللَّهِ أَكْبَرُ وَكَانَ
سِحْرُ الْكُفْرِ يُعْقِدُهَا] ^(٢) وَجْهٌ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قُطْبِهِ الْأَقْرَبِ مِنَ الْمُنْتَبَرِ، فَرُحِبَ بِهِ
تَرْحِيبَ مَنْ بَرَّ بِرَّ، وَخَفَقَ عِلْمَاءُ فِي خِفَافِهِ، فَلَوْ طَارَ بِهِ سُرُورًا لَطَارَ بِجَنَاحِهِ .

وَكَاذِبُ الْخَادِمِ وَهُوَ مُجِدِّ فِي اسْتِفْتَاكِ بَقِيَّةِ الثَّنُورِ، وَاسْتِشْرَاحِ مَا ضَاقَ بِتَمَادِي
الْحَرْبِ مِنَ الصُّدُورِ، فَلَا تَقْوَى الْعَسَاكِرُ قَدْ اسْتَفْتَدَتْ مَوَارِدَهَا، وَأَيَّامَ الشِّتَاءِ
قَدْ مَرَدَّتْ مَوَارِدَهَا، وَالْبِلَادُ الْمَاخُودَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا قَدْ جَاسَتْ الْعَسَاكِرُ خِلَالَهَا،
وَنَهَتْ ذَخَائِرَهَا وَأَكَلَتْ غِلَاقَهَا . فَهِيَ بِلَادٌ تُرْفَدُ وَلَا تُسْتَفَدُّ، وَتُجْمُ وَلَا تُسْتَفَدُّ،
وَيُنْفَقُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْفَقُ مِنْهَا، وَتُجْهَزُ الْأَسَاطِيلُ لِحَرْهَا، وَتَقَامُ الْمَرَابِطُ لِبَرِّهَا، وَيَذْأَبُ
فِي عِمَارَةِ أَسْوَارِهَا وَمَرَمَاتِ مَعَاقِلِهَا، وَكُلُّ مَشَقَّةٍ فِيهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى نِعْمَةِ الْفَتْحِ

مَحْتَمَلَةٌ ، وَأَطَاعَ الْقَرْعَ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهَا بِهَا غَيْرُ مُرْجئة وَلَا مُعْتَرِلَه ، فَلَنْ يَدْعُوا دَعْوَةً
يَرْجُو الْخَلَامَ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ لَا تَسْمَعُ ، وَلَنْ تَزُولَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَطْوَاقِ الْبِلَادِ حَتَّى تُقَطَّعَ .
وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تَشَخَّصُ ، وَلَا بِمَا سِوَى
الْمُشَافَهَةِ تَتَلَخَّصُ . فَلِذَلِكَ نَهَذْنَا لِسَانًا شَارِحًا ، وَمِبْشِّرًا صَادِقًا ، يَنْشُرُ الْخَبَرَ عَلَى
سِيَاقِهِ ، وَيَعْرِضُ جَيْشَ الْمَسْرَةِ مِنْ طَلِيعَتِهِ إِلَى سَاقَتِهِ .

الأملوب الثاني

(أَنْ يَفْتَحَ الْكَاتِبُ بِالْدَّعَاءِ لِنَعْرِ الدِّيَّانَ بِمَا فِيهِ تَعْظِيمُ الْخَلِيفَةِ)

كَمَا كَتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ عَنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ « ضِلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ »
إِلَى دِيَّانِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ .

أَسْعَدَ اللَّهُ عِظَاءَ الْأَمْلَاقِ بِالِاتِّسَابِ إِلَى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَأَوْزَعَهُمْ
مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ . وَخَلَّدَ مُلْكَ الدِّيَّانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ مَا دَامَتِ الْأَفْلَاقُ قَائِمَةً ،
وَالشُّجُومُ تَاجِمَةً ، وَقَعَّ بِقَمَائِمِهَا ظِلُّ الْأَمَالِ الْحَاضِمَةِ ، وَقَسَّرَ بِكَلَامِهَا حُلْمَ الْأُمَانِيِّ^(١)
الْحَالِمَةِ ، وَرَفَّقَ بِتَسْدِيرَاتِهَا الْمَعْصُومَةَ فَتَوَقَّ النَّوْبَ الْمُتَعَاظِمَةَ ، وَأَظْهَرَ عَلَى أَيْدِي
أَوْلِيَائِهَا مَعْجَزَاتٍ تَصْرِهَا ، وَصَرَفَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ بَيْنَ الْمَرْضِيِّينَ لِلَّهِ نَهْيًا وَأَمْرًا ،
وَأَوْدَعَ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمُودَعِهَا وَمُسْتَقَرِّهَا .

الْمُلُوكُ . وَإِنْ كَانَ قَدِيسَ اللَّهِ لَهُ مَذْ أُلْطِقَتْ عَذْبَةُ لِسَانِهِ خِدْمَةَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ،
فَنَفَسَ فِي وَسِيعِ مَا تَرَاهَا ، وَتَحَيَّرَ مِنْ بَدِيعِ جَوَاهِرِهَا ، وَامْتَنَحَ مِنْ نَمِيرِ زَوَائِرِهَا .
فَإِنَّهُ لَا يَمْتَنِدِرُ عَنِ الْحَصْرِ الَّذِي اعْتَرَاهُ فِي وَصْفِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ الْخَطَابِ الشَّرِيفِ ،

(١) أَى الْخِدْمَةِ النَّبَوِيَّةِ وَالْمُرَادُ بِهَا الْخِلَافَةُ .

الذى لولا أنَّ عِصْمَةَ المِوَالَةِ تُثَبِّتُ قُوَادَهُ الخَافِقِ، وَتَسَدُّ لِسَانَهُ النَاطِقِ، لَمَا تَعَاطَى وَصَفَ مَا أَعْطَاهُ مِنْ كِتَابِهِ المَرْقُومِ، وَسَبَقَ إِلَيْهِ مِنْ سَخَابِهِ المَرْكُومِ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَسِفُ عَنْهُ الأَمَلُ نَاكِصًا وَهُوَ كَسِيرٌ، وَيَتَقَلَّبُ دُونَهُ البَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ، إِلَّا أَنْ الإِنْسَانُ الشَّرِيفُ يَبْدَأُ الأَوَّلِيَّةَ بِمَا لَوْ وَكَّلَهُمْ إِلَى أَمَانَتِهِمْ لَتَبَيَّنَتْ أَنَّ تَعَاطَى حَظَّتِهِ، وَلَوْ فَوْضَهُ إِلَى رَاحَتِهِمْ لَنَكَلَتْ عَنْ أَنْ تَتَرَفَّى نَصِيبَتُهُ، وَلَا غَرَّوَالِلسَّحَابِ أَنْ يُضَاغَ قَطْرُهُ الثَّرَى، وَالفَجْرِ أَنْ يُشْرِقَ نُورُهُ عَلَى عَيْنِ الكَرَى وَالسُّرَى .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَرَّبَ عَلَى المَمْلُوكِ مَنَالَ الآمَالِ، وَثَبَّتَ حَصَاةَ قُوَادِهِ لِمَا لَاسْتَقِيلَ بِعَمَلِهِ صُمُّ الجِبَالِ . وَيَسْتَنْبِئُ عَنْ جَهْرِ الشُّكْرِ بَيْتَ الأَذْعِيهِ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا يُفَضِّي بِهِ إِلَى المَحَارِبِ وَإِنْ لَمْ يُقَصِّرْ عَمَّا يُقْصَعُ فِي الأَثَدِيهِ، وَطَالِحُ بَانَ مَمْلُوكِ الخِلْدَةِ وَأَبْنُ مَمْلُوكِهَا أَخَذَ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ، وَتَمَثَّلَ لِحِلْمَةِ أَشْرَفِ خِلَافَةِ لِأَشْرَفِ نُبُوَّةٍ، وَتَقَاءَهُ تَلَقَّى أَبِيهِ الأَوَّلِ الكَلِمَاتِ، وَرَأَى إِطْلَاعَ أَفْقِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا فِي صَمِيرِهِ مِنْ طَاعَتِهِ لِأَحَدِي المَعْجَزَاتِ وَالكِرَامَاتِ، وَسَمِعَ المِشَافَةَ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهَا بِفَهْمِهِ سَامِيًا طَرَفُهُ مُتَطَلِّعًا .

وَلَقَدْ أَشْبَهَ هَذَا الكِتَابُ الكَرِيمُ بَيْعَةَ أُخَذَتْ عَلَيْهِ، مَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ أَخَذًا بِكِلْتَا يَدَيْهِ . وَالمَمْلُوكُ يَرْجُو بَلَّ يَتَحَقَّقُ أَنَّ هَذَا الْعَبْدَ المِشَارَ إِلَيْهِ سَيُوفِي عَلَى سَابِقِهِ مِنْ عِيدِ الدَوْلَةِ الْعَبَاسِيَّةِ فِي الزَّمَانِ، وَيَكُونُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ أَسْبَقَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ .

وَقَدْ صَدَرَتْ خِلْمَتَانِ مِنْ جِهَتِهِ وَبَعْدَهُمَا تَصَدَّرَ الخِلْمُ، وَلَا يَأْلُو جَهْدًا فِي الخِلْمَتَيْنِ مَبَاشَرًا بِيَدِهِ السِّيفِ وَمُسْتَنْبِيًا عَنْهَا العِلْمَ، وَلَهُ نُصْرَةٌ بَاقِيَةٌ فِي الوَلَاءِ وَهُوَ غَنِيٌّ بِهَا عَنِ النَّصِيرِ، وَسِرِيرَةٌ بَادِيَةٌ فِي الطَّاعَةِ هُوَ إِلَيْهَا أَسْكَنُ مِنْهَا إِلَى كُلِّ مُشِيرٍ . يَعُودُ المَمْلُوكُ إِلَى مَا لَا يَزَالُ يَفْتَحُ بِهِ الصَّلَوَاتِ المَقْرُوضَةِ، وَيَخْتِمُ بِهَ الْخَتَمَاتِ المَعْرُوضَةِ :

من الدعاء الصالح الذى [وان] أغنى الله وليه عنه فقد أحوج ذوى العقائد السليمة إليه :
لأنه مَزَكَّ لأعمالهم ؛ بل متمم لإسلامهم ، وكيف لا يدعون لمن يدعون به يوم يُدعى
كُلُّ أناس بإمامهم ؛ فيقول : - جمع الله لأمر المؤمنين طاعة خلقه ! ، وأذلَّ رقابَ
الباطل سيفُ حقه ! ، وجعل الله ما هو قبضته فى الأخرى قبضة أمير المؤمنين
فى الأولى ! من الأرض التى هى موطوءة كالسّموات العلى ، وأدام نعمه على
هذه الأمة بإمامته ، وأظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يُظاشره من كرامته ؛ وعجل
لن لا يقوم بفرض ولايته إقامة قيامته ، وردَّ بسببونه التى لا تُردُّ ما الإسلام ممطوّل
به من ظلماته ، وأقام به نتائج الدين لأهله ، وأظهره بمظاهرته على الدين كلّهُ ،
حتى يلقي الله وما خُلف فى الدنيا كافراً ، ولا ضميراً إلا بالتوحيد عامراً ، ولا بلدًا
إلا وقد بات الإسلام به أهلاً وقد أصبح منه الكفر دأثرًا ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(أن يبدأ بآية من كتاب الله تعالى تناسب الحال)

كما كتب القاضى الفاضل ، عن السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
إلى الخليفة المستضىء ببغداد بشرى بفتح بلد من بلاد النوبة والنصرة عليها :
(ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِى الصَّالِحُونَ) :
(سلامٌ قولاً من ربِّ رحيم) : (فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ) . وصلاة يُتبعها
تسليم ، وكأُسْ يمزجها تسليم . وذكّر من الله سبحانه فى الملأ الأعلى ورحمة الله وبركاته
معلومة من النشأة الأولى على مولانا الإمام « المستضىء بالله » المستضاء بأنواره ،
المستضاف بداره ، الداعى إلى الحقِّ وإلى طريق مستقيم ، الراعى لخلق كما يرعى

النسيم النسيم، العام فضله، التام عدله، المطروق مود فثاته، المصدوق في مود
شانه، المحقوق من كل ولي بولائه، ابن السادة القز، والقادة الزهر، والقادة الخمس،
والشادة للحق على الأسم، سفاة الكؤثر وزمزم والسحاب، وولة الموسم والموقف
والكتاب، والموصول الأنساب [يوم] إذا هُج في الصور فلا أنساب، والصاريون
على حساب أنفسهم فهم الذين يؤتون أجورهم بغير حساب .

مملوك العتبات الشريفة وحبها، ومن أشتمل على خاطره ولأؤها وودها، وكانت
المشاهدة لأنوار العلية التي يودها، ومن يقرن بفرض الله سبحانه فرضها، ويسابق
بطاعته إلى جنة وصفها الله تعالى بقوله (وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا) : يلم وجه ثرابها، ويرى
على بُعد دارها الأنوار التي ترى بها، ويقف لتبها وقوف الخاضع، ويضع أهمل
الآثام عن ظهره منها بأشرف المواضع للواضع، ويحث إليها إجابات الطامع الطامع،
ويرجو فضلها رجاء الطامع الطامع . ولولا أن الكتاب حجاب بينه وبين النهاية التي
تحول بين المرء وقلبه، والجلالة التي هو في تعظيمها على نور من ربه، لكان خاطره
في قبضة الملع أسيرا، ولا قلب إليه البصر خاسئا حسيما، ولكن قلبه قد تساجع،
أن كان لسانه عن الإبانة قد راجع . فيقول :

إن الله قد رفع ملة الإسلام على الملل، وكفل نصرها وكفى ما كفل، وحى ملكها
وحمل، وجعل لها الأرض في أيدي المخالفين وذائع، ومكن يده من أعناقهم فهي
إما تعقد الأغلال أو تصبغ الصنائع، والحق بها قائم السمود، والسيوف الكفاية
لازم السمود، والبشار تمسك الصباح وتخلق الدجى، وانحلي على طول ما تشتمل
الوحا تتميل الوجى، والأيام زاهرة، والآيات باهرة، وعزة أولياتها قاهرة، وذلّة
أعدائها ظاهرة، وعنايات الله لتبها متواليمة متظاهرة . إذا تقرب أسمها يوما عن

مُنْبِرٍ أُعِيدَ إِلَى وَطْنِهِ فَمَدَا ، وَإِذَا أُوقِدَتْ نَارُ قَتْنَةٍ فِي مَعْصِيَتِهَا أُوقِدَتْ فِي طَاعَتِهَا
نَارُهُدَى .

وقد كان النيلُ قدما قَرُبَ عن القُرَاتِ أَبْنَاؤُهُ ، وَتَحَصَّنَتْ غُلَلُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ
فَلَمْ يَتَغَلَّلْ إِلَيْهَا مَاءُهُ ، وَكَادَتْ السَّمَاءُ لِأَتَمِنَهُ بِمَطَرِهَا ، وَالْأَرْضُ لِأَتَوْشِيَهُ بِزَهْرِهَا ،
وَالْأَعْتَاقُ قَدْ هَاصَرُدُونِ الرَّاجِينَ بِدُوسِ مَعْصِيَتِهَا ، وَالْقُلُوبُ قَدْ لَادَتْ بِأَسْتَارِ الْجِدَارِ
مَعْصِيَتِهَا ، وَالْأَوْثَانُ مَنصُوبُهُ ، وَالْآيَاتُ مَغْصُوبُهُ ، وَالتَّجَانُّ بِغَيْرِ أَكْفَانِهَا مِنَ الْمَاهِمَاتِ
مَعْصُوبُهُ ، وَالَّذِينَ أَدْيَانَا ، وَالْمَذْكُرُونَ بِالْآيَاتِ يَجْرُونَ عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمِيَانَا ، وَالْعَادِلُونَ
بِاللهِ قَدْ وَطَنُوا الْبِسَنَةَ وَصَرَّحُوا عَقَائِدَ ، وَالْمُعْتَدُونَ قَدْ أَصْلَوْا فِعَالًا وَضَلُّوا مَقَاصِدَ ،
وَكِرَاسِيُّ خِلَافَةِ اللهِ قَدْ أُلْنِي عَلَيْهَا أَجْسَادُ كَانَتْ تَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ ، وَمِنَابِرُ كَلِمَاتِ اللهِ
قَدْ كَادَ كَيْدُهُمْ يَأْتِي بَلِيَانَهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَجَرَتْ عَلَى بَنُو النَّبُوءَةِ أَشَدُّ نَبُوهُ ، وَقَصُرَتْ
الْأَيْدِي فَلَاحِدٌ سَوَاطِطُ وَاحِدُ سَطْوِهِ ، ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبٌ (فَهِيَ كَالْجِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)
وَعَزَّتِ الْإِيَّامُ وَمَا وَعَدَتْ ، وَأُورِدَتْ الْهَيْمُ وَمَا أَصْدَرَتْ ، وَطَغَى طُوفَانُ الطُّغْيَانِ
وَلَا طَاحِمٌ ، وَسَمَاءُ بِنَاءِ الْبُهْتَانِ وَلَا هَادِمٌ ، وَضَاقَتِ الصُّدُورُ ، وَرَحَلَتْ بِغَلِيلِهَا إِلَى الْقُبُورِ ،
وَطَنَّ أَنْ طَلَى دَوْلَتُهُمْ مَعْلُوقٌ بِالنُّشُورِ ، حَتَّى إِذَا جَلَّاهَا اللهُ لَوْقِهَا ، وَأُنْجِزَ جَمُوعُ
الضَّلَالِ إِلَى مِيعَادِ شَتَائِهَا ، وَأَرَاهِمُ آيَةً مَعْلِلَتَهُ (وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا)
(وَجَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ) : (وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

كَانَتْ نِعْمَةً مِنَ اللهِ يُمْنُهَا عَلَى الْمَمْلُوكِ أَنْ أَتَجَبَّهَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ أَرْضِهِ ، وَأَتَجَبَّهَ
لِلْإِقَامَةِ مَا لَمَاتِ الْبَاطِلُ مِنْ قَرْضِهِ ، وَيَسْرَهُ لِمَا يَسْرَهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ ، وَيَسْرَهُ

بما بَثَّره من لواء النصر ومدَّ من ظِلِّه ، وألهمه الهمة التي أفرَّجَ منها بَكَرا ، ومنحه
النصرة لما يستطيع العدوُّ صرفاً ولا نصراً . مكَّنه من صياصيهم خُلُها ، ومن دِمائهم
فَطَلَّها ، ومن سيوفهم قَفَلَّها ، ومن أقدامهم فاستَرَفَلَّها ، ومن منابر دُعائهم فعبَّلَ تداعِيها ،
ومن أنفُس أعدائهم فأكثر تناعِيها ، وأبرز الذين كُتِبَ عليهم القتلُ إلى مضاجعهم ،
ويَسَّرَ الذين كُتِبَ لهم العفوُ إلى متافِعهم ، وتَرَخَّزَتِ المُلُكُ من تيجانِها ، وقَضَحَ
على يده وبلسانِه ما زورَتْه من أنسابِها ، وحاسَبَها فأظهر زَيْفَ حِسابِها ، ونَقَلَّها من
ظهورِ أَسْرَتِها إلى بَطْنِ تُرَابِها ، وعمدَ إلى أهل دَعْوِتها الذين بَسُّوا بِسُوقِ النخل
فأعلامهم على جُلُوعِها ، وحملت قلوبهم فُوفَ الحقدِ فأنرجها من أكلام طُلُوعِها ، فهل
تَرَى لهم من باقِيه ، أو تَسْمَعُ لهم من لَاقِيه ، أو تَجِدُ إليهم من صاحِبِه ، فأصبحوا
لأثرِ الأَساكِينِهم أو مَساكِينِهم ، وحَصِدوا حَصْدَ الحشيشِ ثم لَأْمُخَافِ سُيوفِهم
ولا سكاكِينِهم ، وأسْتَرَلُوا من عِقَابِ الألُوحِ ، ومُجِنُوا في ألْهَمِ من طول مُداوِمَةِ عِقَابِ
الرُّوحِ ؛ ثم تدارَكُوا إلى الدَّرَكِ ، وأشتَرَكُوا في الشَّرَكِ ، وأقْفَرَتْ منهم عِراصُ ، وزَهَدَتْ
فيهم خَواصُ ، وعلِمَ أنَّهُ ليس لله غَالِبُ ، وأنَّ ليس يَوتُهُ طالِبُ ، وأنَّ المَلِكَ لله
وحدَه ، وأنَّ الوَيْلَ لمن تجاوزَ أمرَه وحدَه .

وكان المملوكُ من عَطَلٍ من أوثانهم ، وأبْطَلٍ من أديانهم ، فأثَرًا بحسنة ينظرُ إلى
حسناتِ خليلِ الله صلى الله عليه وسلم في كَيْدِه الأَصنامِ وتكسِيرِها ، وتَضليلِها طائِفِها
وتكفِيرِها . وعمد المملوكُ إلى المحاضرِ لجمَعِها ، وإلى المنابرِ لفرَقِها ، والجمعةَ فأطاع
من شَرَعِها ، وأسماءَ صحابةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فوصَلها باسمِها وما قَطَعها ،
وعموميته رضوانُ الله عليهم ففلاها له وأتبعها ؛ وأشاد باسمِ أميرِ المؤمنين لتكون
الصلاةُ جامعَها ، والدُّعوى شاملةً والإمامةُ للجماعةِ شارعَها ، والهدايةُ للضلالةِ صارِعَها ،
فادتُ للهِ أعيادُ ، وأخضرتُ للنبرِ أَعوادُ ، وأُنجزَ للأمةِ ميعادُ .

وبعد ذلك تحاشدت أولياء الزاهدين وتنادت ، وتساعت نحو مستقر المملوك وتعادت
 ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
 فَلَمَّا تَرَ اتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقِيْبِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ﴾ وكانوا حمية حامية
 من بنى حاتم كالجراد أزجلا ، إلا أن الله أصلاها بنيرانه ، وكلساء مدا إلا أن الله
 أغرقها بطوفانه ، وكانمل لونا وطرقا إلا أن الله حطمها بسليانه ، مع من أنضم
 إليهم من ألقاف وأطراف ، وأوشاب وأوباش : من جندى كسبه سيفه ذل ، وطرده
 عن مواقف الكرام وبحال الجزى أحله ، ومن أرمى كانوا يقزعون إلى نصرة
 نصرائته ، ويعتمدون منه على ابن معمودية ، ومن طامى أجابهم لقرط عماء وتفريط
 طاميته ؛ فلا الميون سوادهم الأعظم ، ووراءهم بأس الله الذى لا يرد عن أجرم ،
 فامطرهم السيوف مطرا كانوا غناء لسيوله الجوارف ، وعصفت بهم الأنة عصفا
 كانوا هباء هوجه العواصف ؛ ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ وعوتبت الأنفس
 والأرؤس ﴿فَقَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ . وظلت تصاف بنى حاتم تحت غربان الفلا غربانا ،
 وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالا وألوانا ؛ وصفت موارد السلطان
 من القذى ، وعلقي ذلك الفخم فلا يجيد التفاق بعده ما تتماق به الجدى ، وبلغت
 الغايات فى كشف كل أذى ، لا بضرب بموعيد يقال فيه إذا .

وكانت المملوك ، واسم أمير المؤمنين قد كُتب سطره على جبين التقدين ، وسمع
 لفظه من قم المنبرين بالبلدين ، ومد كل منبريدا بل يدين ؛ فحين سمع الناس قالوا
 حقا ما قاله ذو الدين ، وصارت تلك الأسماء دبر الأذان ووراء الظهور ، وحصلت
 المحبة العباسية سرا من أمرار القلوب إذا حصل ما فى الصدور ، والحلايق مباينة
 نتابعة وافية بعهد متوافية ، داخلون فى الحق أفواجا ، سالكون منه شرعة
 ومنهاجا .

والحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين إماما تخلقه ، ووارثا لأرضه ولم يذرفوق الأرض
منازعا لحقه ، ولا مناهبا لأرضه ، وأرتجى له الحق الذى كان نادا ، وردّ عليه الأمر
الذى لم يكن له غير الله رادا ، وبلغ كل مؤمن من إعلاء كلمة الإيمان به ما كان له
وآذا ، وأخذ بيد أتقاه من كان عن سبيله صادقا ، والإسلام قد استنار ككشاته ،
والزمان قد استدار كهيمته ، والحق قد قرّ في نصابه ، والأمر قد قرّ عن صوابه .
فقد وفى الله التّرار له بضمانه ، وأخذ بيده ما روى عن أبى عمه صلى الله عليه وسلم
وأصغى من لسانه .

فالحمد لله الذى صدقه وعده ، وأورثه الأرض وحده ، ووجدت طلاه وأعل جده ،
وأسمع نجه وأنجم سعده ، ووعده نجسه وأنجم وعده ، وأورده وصفه وأصغى ورده .
المملوك ينتظر الأمثلة ليمثّلها ، والأمانة ليحمّلها ، والتقليدات المطاعة ليتلوها ،
والشرقيات الشريفة ليجلّوها ، والسواد ليحلي الخلق عن ضمائر المبطلين ، والسيف
الحالى لحكمه في رقاب المعطلين ، وللآراء الشريفة فصل برهانها ، وفضل سلطانها ،
وأمرها الذى لا يخرج حين يخرج عن عزّ الملة وتوطيد بُيانها ، وعزمها الذى يرفع
حين يرفع ظلمة أدرانها . إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الرابع

(أن يبدأ الكاتب بالصلاة)

كما كتب القاضي الفاضل ، عن الملك الناصر "صلاح الدين يوسف بن أيوب"
إلى الخليفة ببغداد ، في البشري بفتح بلد من بلاد التوبة أيضا ، وانضمام ملكها
بساكره .

صلوات الله التي أمتها لأوليائه وذخرها ، ونجاته التي قذف بسببها شياطين أعدائه وذخرها ، وبركاته التي دعا بها كل موحد فأجاب ، وأقشع بها غمام التم وظلام الظلم فأجاب عن أنجاب ، وزكاته التي هي للؤمنين سكن ، وسلامه الذي لا يعترى المؤمنين في ترديده حصر ولا لكن - على مولانا عاقد ألوية الإيمان ، وصاحب دور الزمان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب حزب الشيطان ؛ الذي زلزلت إمامته قدم الباطل ، وحلت خلاسته ترائب النهر العاطل ، واقتضت سيوفه ديون الذين من كل غريم ماطل ، وأمضت غرب كل عزم للحق مغلول وأطلعت غارب نجم كل هدى آفل ، وشفعت بقطات استغفاره إلى غافر ذنب كل غافل ؛ وعلى آياته الغاية والمفرج ، والملاذ في وقت الفرع ، والقائمين بحقوق الله إذ قدع الناس ، والحاكين بعزل الله إذ حدم التسطاس ، والمستضيئين بأنوار الإلهام الموروثة من الوحي إذا تجر الأقباس ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ؛ خزان الحكم ، وحفاظها ، ومعاني النعم ، وأفاظها ، وأعلام السلوك المنشورة إلى يوم القيامة ، وكائني السروح المنتشرة من كلا سيد الإمامة^(١) ؛ ومن لا ينفذ مهم عمل إلا إذا شحذ بمواالهم ، ولا يتألق صبح هداية إلا إذا استصبح الساري بدلالاهم .

الملك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنازله ، ومراج التجد ومعاقله ؛ ومجالس الجود ، ومحال السجود ؛ ومختلف أنباء الرحمة المترلة ، ومرعى أطواد البسيطة المترلة ؛ ومقر مباسم الإمامه ، ومجر مساحب الكرامه ؛ ومكان جنوح أجنحة الملائك ، ومشتجر متاسك المتاسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ، ويتبعهم ملوك الأرض مستسلمين ؛ ومشاهد الإسلام كيوم أنزل فيه اليوم أكلت لكم دينكم - وينقذ على الولاية فاما غيره فله قوله : قاتلوا الذين يلونكم ؛ ويناجيا

(١) كذا في الأصول مضيا عليه وفي الضوء "المنتشرة بيد الامامة" .

بلسان جلى الإخلاص الصادق عِدته ، وأنشط الولاء السابق عقيلته ؛ وأرهف
الإيمان الناصع مضاربه ، وقسح المعتد الناصح مذاهبه ؛ فأعرب عن خاطر لم يحيط فيه
لغير الولاء خطره ، وقلب أعانه على ورود الولاء [أن] صفاء المصافاة فيه فطره - ويخبر
أنه ما ومن عما أوجبه الآؤه ولا وهى ، ولا أنتهى عزمه عن أن يقف حيث أظلت
سدره المنتهى ، ووصحت الآيات لأولى النهى . والله سبحانه يزيل عنه في شرف
المثول عوائق القدر وموانعه ، ويكشف له عن قناعات الأنوار التي ليست همته بما
دونه نظرها قانعه - وكان توجه منصوراً بجيش دعائه ، قبل جيش لوائه ؛ وبسكر
إقباله ، قبل عسكر قتاله ، وينصال سلطاناه ، قبل نصال أجهانه ؛ لأجرم أن كاتب
الرعب سارت أمام الكائب ، وقواضب الحذر غمضت في جفونها عيون القواضب -
وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجسّوا من كل أمه ، وتداخوا بلسان النعمة ، وتصرفوا
بيد الخلد ، وصالوا بسيف العزمه ؛ متواخية نياتهم في الإقدام ، متالفة طوياتهم
في طاعة الإمام ؛ كالبنيان المرصوص انتظاماً ، وكالغاب المشجر أعلاماً ؛ وكالتنار
المانع حديداً وهاجاً ، وكالليل الشامل عجاجاً عجاجاً ؛ وكالتنار المتدافع أفعاباً ، وكالمشط
المطرّد أصطعاباً ؛ والأرض تزيل برسلهم لما ترفعه الحوافر من غيوبها ، والسماء تزل
تزوهم لما تضعه الدواب من مجوهمها ؛ فما أنتشرت رياضها المزهره ، وغياضها
المشجره ؛ إلا دلت على أن السحاب الذى سقام كريمة ، والإنعام الذى غمرهم عظيم ،
والدنيا التى وسعهم من عزهم تظعن وتقيم .

ولما علم العدو أن الخطب المظنون قد صرح بخطابه ، والأمل المخدوع قد صفر
وطابه ؛ راسل ورأى سلّ السيوف يُفيمده ، وما كرم ما كرم لبله أن الخنف يعيمده ،
وأندفع هارباً هائياً ، وخضع كاتباً كاذباً ؛ ففضى الملوك قُدماً ، وحمله ظلمه وقد خاب
من حمل ظلماً ؛ وأجابه بأنه إن وطى اليساط برجله وإلا وطئه برأسه ، وإن قدم

على الملوك بأمله وإلا أقدمه بيأسه، وإن لم يُظهر أثر التوبة وإلا أقام عليه الحد بسكرة الموت من كأسه؛ فلم يخرج من مراوغة تحبها مغاوره، ومكاشرة وراعيها مكاشره؛ فاستخار الله في طلبه، وآتمز فيه فرصة شغل قلبه بريسه، ولم يغره ما أملي له في البلاد من قلبه؛ وسار ولم يزل مقصحا، وتقدم أول العسكر محسدا؛ وإذا الدار قد ترحل أهلها منها فباتوا، وطلعوا عن ساحتها فكأنهم ما كانوا؛ ولم يبق إلا موافد نيران رحلت قلوبهم بضرامها، وأتافى لهم أعجبت المهابة مارد ستهب عن طعامها؛ وغربان بين كأنها في الديار ما قطع من رءوس بني حامها، وعوافي طير كانت تنتظر من أشلائهم فطر صياها؛ وصادت الرسل المتقنة لاقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم؛ ذاكرة أنهم ليسوا الليل حدادا على النعمة التي خلعت، وغسلوا بماء الصبح أطباع نفيس كانت قد تطلعت؛ وأنهم طلعوا الأوتار أوعالا والعقاب عقبانا، وكانوا لمهابط الأودية سيولا ولا على الشجر قضيانا - فرأى الملوك أن الكلب فيهم قد بلغ أجله، والعزم منهم قد نال أملة، والفتك بهم قد أعمل منضلة؛ وأن سيوف عساكر أمير المؤمنين مترهة أن تريق إلا دماء أكفائها من الأبطال، وأن تلقى إلا وجوه أنظارها من الرجال؛ وأن المذكورين تمل حطمه سليمان عليه السلام وجنوده، ورمل أطاره العاصف الذي يستحقه وقوده - وأصنر هذه الخدمة والبلاد من معرفتهم عاريه، والكلمة بانخفاضهم غالية طاليه؛ ويذ الله على أعدائه عليه، وأنفس المخاذيل في وثاق مهابة العالية عاينه - فرأى الملوك أن يرتب بعده الأمير فلانا ليندل الأمانات، لسوقة أهل البلاد ومزارعيها، ويفصل المحاكات، بين متابعي السلطنة ومطاعميها، ويُسح جمال الإحسان لمعاويدي المواطنين ومراجعيها؛ فيعمر من البلاد ما قد شغره، ويُشعر بالأمن من لأشعر؛ فإن مقام الملوك ومن معه من عساكر تمتع الشمس من مظلمها،

(١) هو يلقاه من توهم خفت الريح السحاب إذا ذهب به والظاف في الأمور تصيف .

وتزدُ حَزِينَةُ البحر عن مَوَاقِعِها ؛ مما يَضُرُّ بالفلال وَيَسِفُّها ، وَيُخِيفُ بالرَّعايا وَيُسِفُّها .

فالحمد لله الذي جعل النصرَ لائِثًا بأعطافِ أَعْتامِهِ ، وَأَنَامِلَ الرُّعْبِ السَّائِرِ إِلَى الأعداءِ مُحَرَّكَةً عَذَابَاتِ أَعْلَامِهِ ؛ وَالْعَسَاكِرَ الْمُنَاضِلَةَ بِسِلَاحِ وَلَانِهِ ، تُفْنِي بِأَسْمَائِهَا عَنْ مُرَهَقَاتِهَا ، وَالْكَتَابَ الْمَقَاتِلَةَ بِشُعَارِ عِلَالَتِهِ ، تَقْرَأُ كُتُبَ النَّصْرِ مِنْ حُمَاتِهَا .

الأسلوب الخامس

(أن يتبدأ الكتاب بالسلام)

كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان "صلاح الدين" أيضا، يعتذر له عن تأخر الكتب، ويذكر له خبرَ صاحبِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وصاحبِ صِقْلِيَّةَ من ملوك النصرانية من الروم والفرنج :

سلامُ الله الأُطيب ، وبركاته التي يستندُها الحُضُر والغُيُب ؛ وزكواته التي ترفع أوليائه إلى الدَّرَج ، ونعمته التي لم تجعلْ على أهل طاعته في الدين من حَرَجٍ - على مولانا سيِّد الخلق ، وساد الخلق ، ومسند أهل الحق ؛ ولايس الشعار الأُطهر سَوَادًا ، ومستحق الطاعة التي أسعد الله من خصمه بها بدءًا ومَعَادًا ، ومولى الأُمة الذي تشابه يوم تَدَاه وبأسِهِ إن رَكَضَ جُودًا أو جَوَادًا ؛ ووَاحِدِ البهر الذي لا يُتَّى ، وإليه القلوب تُثْبِي ؛ ولا يقبلُ الله جماعًا لا يكون لولائه جمعٌ سلامية لا جمع تكسير ، ولا استقبَالٌ قَبْلَهُ من لا تكون محبته في قلبه تَهِيمُ وأَسْمُهُ في عمله إلى الله يَسِيرُ ؛ مولانا أمير المؤمنين ؛ وعلى آباءه المآلِي الأَرْض عدلًا ، المِلَاءِ أهلاً وقُضْلاً ، والضارين قِصْلاً والقائلين قُضْلاً ، ومن يقول الجنة لأهلها بهم أهلاً ؛ المخصوصين بالعناية الإلهية ،

الحاكين فكل أمة بطاعتهم مأمورة وعن معصيتهم منية ، والمشرق في الأسارى على
أسرة الشرف فكم ملأت اليهود مناظرهم البهية .

المملوك — يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بإعظامه ، والبساط المقبل
بطول استلامه ، والستر الذي أسبله الله على العباد بحجته وسلامه ؛ ويُنهى أنه آخر
الخدم عن أن ينظم الأوقات المتجددة ، ويقتضب الحالات المتجددة ؛ والرسل عن
أن تتوارد دراكا ، وتتوالى وشاكا ؛ والإنهاءات عن أن تثبت بالمقامات الشريفة
النبوية ، ومجالس العرض عليه ؛ ما آتته إليه الأقدار ، وما أفضى إليه من كثير
المنافع وقليل الأضرار ؛ فإن أدب الأمل عن المطالعة للصوم لا يفض ختامه ،
ولا يجل نظامه ؛ إلا بعيد يطلع هلاله مبشرا ، ويث خبره في الآفاق معطرا ؛ فلو أن
مكتلنا أفرط قبل مؤدعه ، وورد الماء قبل مؤدده ؛ لكان مفسدا لمقده ، ناكثا لمهده .

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبار بجانبه مشتبه ، والحقائق لديه غير
متوجهة ؛ فإن طاعني الكفر بقسطنطينية وصقلية كانا قد أوقدا للحرب نارا ، ورفعا
لها أوزارا ، واتخذها لها أسطولا جاريا وصكرا بحرارا ، وتباريا ولم يزد الله الظالمين إلا تبارا ،
وكتبا إلى الفرنج بعد أن هزمهم بالنجدة والنصرة ، وتضمننا لهم الخروج والكثرة ، ويصفان
ما استعدوا به بما لا يبرعنه إلا بالكثرة ؛ واستطارت الشناعة وتداولتها الألسن ،
ونريحت من الأقواء حتى لقد كلدت تدخل فيما رآته الأعين ؛ وورد إلى المملوك رسول
من طاعنة القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قدما ، وأكثرهم مالا متعيا ؛
فرض عليه مؤدعة يكون بها عسكر مؤدعا ، ويكون له بها مقرطا ، له ولصاحب
صقلية الذي زعم أنه أصل للشر يكون الشر منه مقرطا ؛ فلم ين ولم يجب إلى السلم ،
ولم يرعه أن عسكره خذله الله مبار في البر وفي اليم ؛ إن شاء الله تعالى .

الأسلوب السادس

(أن تُفتَحِ المَكاتِبُ بِمُخَطَبَةٍ مُفَتَّحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ)

وذلك يختص بالفتوح وغيره مما حدث فيه نعمة ، وربما بدت بآية من كتاب الله ، كما كتب الهلأ الأصفهاني عن السلطان " صلاح الدين يوسف بن أيوب " إلى الناصر لدين الله ببغداد بفتح القدس :

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) .
الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، على نُصْرَتِهِ لهذا الدين الخنيف من قَبْلُ ومن بَعْدُ ؛ وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما أشتمل على شِبْهِهَا كَرَامُ الصَّحَافِ ، ولم يُجَادَلْ عَنْ مِثْلِهَا فِي الْمَوَاقِفِ ؛ فِي الْأَيَّامِ الْإِمَامِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ زَادَهَا اللَّهُ غُرُورًا وَأَوْضَاحًا ، وَوَالِي الْبَشَائِرِ فِيهَا بِالْفَتْوحِ غُدُورًا وَرَوَّاحًا ؛ وَمَكَّنْ سُبُوقَهَا فِي كُلِّ مَازِقٍ ، مِنْ كُلِّ كَافِرٍ وَمَارِقٍ ، وَلَا أَخْلَاهَا مِنْ مَسِيرَةٍ سَرِيَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ مَصْلُحَةِ مَخْلُوقٍ وَطَاعَةِ خَالِقٍ ، وَأَطَالَ أَيْدِي أَوْلِيَائِهَا لِنَحْيِ الْحَقِيقَةِ حَيْثُ الْحَقَائِقُ ، وَأُنْجِزَهَا الْحَقُّ وَقَتَّفَ بِهِ عَلَى الْبَاطِلِ الزَّاهِقِ ، وَمَلَكَهَا هَوَادِي الْمَغَارِبِ وَمِرَامِي الْمَشَارِقِ ؛ وَلَا زَالَتْ آرَاؤُهَا فِي الظُّلُمَاتِ مَصَابِيحٌ ، وَسُبُوقُهَا لِلْبِلَادِ مَفَاتِيحٌ ، وَأَطْرَافُ أَسْتِهَا لِدِمَاءِ الْأَعْدَاءِ تَوَازِيحٌ .

والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وأيده ، وأظفر جُندَهُ الْغَالِبَ وَأُنْجَدَهُ ، وَجَلَّاهُ جَلَالِيبَ الظُّلُمَاءِ وَجَنَّدَهُ جُندَهُ ؛ وَجَعَلَ بَعْدَ عُمَيْرٍ يُسْرًا ، وَقَدْ أَهْلَتْهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَسْرًا ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي مَا كَانَ الْإِسْلَامُ يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا ، وَخُوطِبَ الدِّينُ بِقَوْلِهِ : (وَلَقَدْ مَتْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى) : فَالْأُولَى فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ ، وَالْإِثْنَى هَذِهِ الَّتِي عَتَقَ فِيهَا مِنْ رِقِّ الْكَاتِبِ ؛ فَهُوَ قَدْ أَصْبَحَ حُرًّا فَلَزِمَانُ كَهَيْئَتِهِ أَسْتَدَارَ ، وَالْحَقُّ بِمُجْهَتِهِ قَدْ أَسْتَنَارَ ؛ وَالْكَفَرُ قَدْ رَدَّمَا كَانَ عَتَدَهُ مِنْ

المستعار، وُضِلَ نوبُ الليل بما جَرَّ الفَجْرُ من أنهار النهار؛ وأتى الله ببيان الكُفْرِ من القواعد، وشفى ظِلِيلُ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ بِرُقَاقِ ماءِ المَوْرِدَاتِ البَوَارِدِ. أنزل ملائكة لم تظهر للعيون إلا لحظه، ولم تخف عن القلوب الحافظه، عزت سببا الإسلام بمسومها، وترادف نصره بمردفها، وأخذت القرى وهي ظالمة قرى مترفها كأن لم تؤو فيها؛ فكأن أقدم بها حيزوم، وركض فاتبه محاب مجاج مركوم، وضرب فإذا ضربه كتاب جراح مرقوم؛ وإلا فإن الحروب إنما عقدت بحبالا، وإنما جمعت رجالا، وإنما دعت خفافا وثقالا؛ فلما مسيوق قتال سويقا، أوزحوف قتال زحوبا؛ فيكون حد الحديد بيد مدكرا وبيد مؤنثا، ويكون السيف في اليد الموحدة يعني بالضربة الموحدة وفي اليد المثلثة لا يعني بالضرب مثلثا؛ وذلك أنه في فتتين اثنتا، وعلوتين لغير مودة اعتقتا. وإن هذه النصرة إن زويت عن ملائكة الله بحدث كرامتهم، وإن زويت عن البشر فقد عرفت قبلها مقاماتهم؛ فإكان سيف يتيقظ من جفته قبل أن يبنه الصريح، ولا كان ضرب يطير الهام قبل ضرب يراه الناظر ويسمعه المصيح، فكأنها كاتها هجرة الموت وبها التاريخ، وكأن طعنة تخرق لها هضاب الحديد ولها شماريح.

والحمد لله الذي أعاد الإسلام جديداً توبه، بعد أن كان جديداً حبلة، مئضياً نصره، مخضراً تضره، متيسماً فضله، مجتمعا تملته. والخدام يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم، والنصر الكريم؛ ما يشرح صدور المؤمنين، ويمتخ الخبور لكافة المسلمين؛ ويكرر البشرى بما أتم الله به - من يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر

(١) أى مقطوعا قال الشاعر .

أبى خي لى أن ييدا * وأسى حبلا خفا جديدا

لنا في الأصل والنص من الحاء المهمة افعال من التامع .

إلى يوم الخميس منسَلَخَه - وتلك سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حُسُوماً يَتَغَرَّها الله على الكُفَّار
(فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُتِجَازَتْحِلْ خَاوِيَةً) ورأيتها إلى الإسلام ضاحكةً كما
كانت من الكُفْرِ بآكيه ؛ فيوم الخميس الأول فَصَحَّتْ طَبِيرُهُ وَفَاضَ رِى النَصْر
من يُجِيرَتِها ، وَقَضَّتْ على جَسَرِها الفَرَجُ فَقَضَّتْ نَحْبَهَا بِحِيرَتِها ؛ وفي يوم الجمعة
والسبت كُسِرَ الفَرَجُ الكسرة التى مالم يَعدّها قائمه ، وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه
أخذ الثُرى وهى ظالمه . وفي يوم الخميس منسَلَخَ الشهر فَصَحَّتْ عَكَا بِالْأَمَانِ ، وَرُفِعَتْ
بِها أعلام الإيمان ؛ وهى أُمُ الْبِلَادِ ، وَأَخْتُ لَرَمِ ذَاتِ الْعِيَادِ ؛ وقد أصبحت كأن لم
تَقَنَّ بالكفر وكان لم تَتَفَتَّرْ من الإسلام .

وقد أصدر هذه المطالعة وصليبُ الصَّلْبُوتِ مَأْسُورٌ ، وَقَلْبُ ملكِ الكُفْرِ الْأَسِيرِ
جيشه المَكْسُورُ مَكْسُورٌ ؛ والحديدُ الكافرُ الذى كان فى الكفر يَضْرِبُ وجهه
الإسلام ، قد صار حليداً مُسْلِماً يُفَرِّقُ خُطُواتِ الكُفْرِ عن الأقدام ؛ وأنصارُ
الصليبِ وَبَكَارِهِ ، وَكُلُّ مَنْ المَعْمُودِيَّةُ تُحَمَّدُهُ وَالذِّيرْدَارُهُ ؛ قد أحاطت به يَدُ الْقَبْضَةِ ،
وَأَخَذَ رَهْناً فلا تُقْبَلُ فيه القناطيرُ المَقْنَطَرَةُ من الذهب والفضة ؛ وطَبِيرُهُ قد رُفِعَتْ
أعلامُ الإسلامِ عليها ، وَنَكَصَتْ من عَكَا مِلَّةُ الكفر على عَقَبَيْها ، وَعَمَّرتْ إلى أن
شهِدَتْ يومَ الإسلامِ وهو خيرُ يَوْمَيْها ؛ بل ليس من أيامِ الكُفْرِ يومٌ فيه خيرٌ ،
وقد غُسلَ عن بلادِ الإسلامِ بِلِماءِ الشُّرْكِ ما كان يَتَغَلَّلُها فلا ضَرَرَ ولا ضَرِبَ ؛
وقد صارت البَيْعُ مِباحَهم بها مَنْ آمَنَ بالله واليومِ الآخرِ ، وصارت المَنَاصِرُ مَوَاقِفَ
لِطُغْيَةِ المَنَابِرِ ، وَأَهْتَرَّتْ أرضُها لوقوفِ المسلمين فيها وطالما ارْتَبَجَّتْ لِمَوَاقِفِ
الكافرِ ؛ والبأسُ الإِمَامِيُّ الناصرى قد أَمْضَى مِشْكَاتَهُ على يَدِ الخِدامِ حتى بالِدِينِ
فى الكائِنِ ، وإن عَزَّ أولُ الإسلامِ بِحِطِّ تاجِ فارِسَ ، فَمِ حِطَّتْ سِوْفُهُ فى هذا
اليومِ من تاجِ فارِسَ .

فَأَمَّا الْقَتْلُ وَالْأَسَارُ فَإِنَّهَا تَرِيدُ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا .

وَأَمَّا فُرْسَانُ الدِّيْوَانَةِ فَقَدْ أَمْضَى اللَّهُ حُكْمَهُ فِيهِمْ وَقَطَعَ بِهِمْ سَيْفَ نَارِ الْجَحِيمِ ، وَوَصَلَ الرَّاحِلَ مِنْهُمْ إِلَى الشَّقَاءِ الْمُقِيمِ ؛ وَقَتَلَ بِأَفْرَسِ كَافِرِ الْكُفَّارِ ، وَمَشَيْدَ النَّارِ ، مَنْ يَدُهُ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَتْ يَدُ الْكَلِيمِ ؛ وَأَقَرَّتِ النُّصْرَةُ عَنْ قَفَرِ عَكَّا بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَسِّرُ فَتَحَهَا ، وَتَسَلَّمَهَا الْمَلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِالْإِيمَانِ وَعَرَفَتْ فِي هَذِهِ الصَّفَقَةِ رِبَّيْهَا .
وَأَمَّا طَبْرِيَّةٌ فَأَقَرَّتْهَا يَدُ الْحَرْبِ فَانْهَرَتْ الْحَرْبُ بِجُرْحِهَا .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا تُضْرَبُ عَلَيْهِ الْحُدُودُ ، وَلَا تُرْتَكَى بِأَزْكَى مِنْهُ الْعُقُودُ ؛ وَكَأَنَّهُ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَقَدْ دَنَا الْأَقْصَى مِنْ أَقْصَاءِ ، وَبَلَغَ اللَّهُ فِيهِ الْأَمَلِ الَّذِي عَلِمَ أَنْ يُخَصِّصَهُ وَأَحَاطَ بِأَجَلِهِ وَأَقْصَاءِ ؛ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَأَجَلُ الْعَدُوِّ هَذِهِ الْكَتَائِبُ الْجَامِعَةُ ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ ، وَثَوَابٌ مَنْ هَدَى لَطَاعَتَهُ جَنَاتُ نَعِيمِهِ الْوَاسِعَةِ ؛ وَاللَّهُ الْمَشْكُورُ عَلَى مَا وَهَبَ ، وَالْمَسْئُولُ فِي إِدَامَةِ مَا اسْتَيْقِظَ مِنْ جَدِّ الْإِسْلَامِ وَهَبَ .

وَقَدْ تَوَجَّهَ مِنْ جَانِبِهِ الْأَمِيرُ رُشَيْدُ الدِّينِ دَامَ تَأْيِيدُهُ فِي إِهْلَاءِ هَذِهِ الْبُشْرَى نِيَابَةً عَنِ الْخَلَامِ ، وَوَصَفَ مَا يَسَّرَهُ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْعَزَائِمِ . وَالْبِلَادُ وَالْمَعَاقِلُ الَّتِي قُصِّصَتْ هِيَ : « طَبْرِيَّةٌ ، عَكَّا ، النَّاصِرَةُ ، صَقُورِيَّةٌ ، قَيْسَارِيَّةٌ ، نَابُلُسُ ، حَيْفَا ، مَعْلِيَا ، الْقَزْلَةُ ، الطُّورُ ، الشَّقِيفُ ، وَقِلَاعُ بَيْنَ هَذِهِ كَثِيرَةٌ . وَالْوَلَدُ الْمُظْفَرُ تَقَى الدِّينَ بِصُورٍ وَحِصْنِ بَيْتَيْنِ . وَالْأَخُ الْعَادِلُ سَيْفُ الدِّينِ نَصَرَهُ اللَّهُ قَدْ أَوْفَتْ (؟) بِالْوُصُولِ مِنْ عِنْدِهِ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ فَيَنْزِلُ فِي طَرِيقِهِ عَلَى غَزَّةٍ وَعَسْقلَانِ ، وَيَهْجُزُ مَرَاكِبَ الْأَسْطُولِ الْمَنْصُورِ وَيُكْثِرُ عَدَدَهَا ، وَيَسِيرُ بِهَا إِلَى قَفَرِ عَكَّا الْمَحْرُوسِ وَيَسْتَحْضِنُ بِالرِّجَالِ وَيُوَفِّرُ سِلَاحَهَا وَعُدَدَهَا ؛ وَالنَّهْضُ إِلَى الْقُدْسِ فَهَذَا أَوَّانُ فَتَحِهِ وَلَقَدْ دَامَ عَلَيْهِ لَيْلُ الضَّلَالِ ، وَقَدْ آنَ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِيهِ الْمُهْدِيُّ مَشْكُورُ الْإِحْسَانِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الجملة الثانية

(في المكتبات الخاصة ، إلى خلفاء بني العباس)

قال أبو جعفر النعمان : وقد يكتبُ الإمامُ غير تصدير إذا لم يكن ذلك في شيء من الأمور التي سبيلها أن تُنشأ الكتبُ بها من المواوين . كما كتب القاسمُ بن عبد الله إلى المكتفي مهتئلاً بالخلافة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والسلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، وأسأله أن يعظمَ بركةَ هذا الأمرِ على أمير المؤمنين وعلى الأمة كافة .

قال : والمستعملُ في هذا الوقت في مكتبة الوزير الإمام :

أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين ! وأعزّه وأيده ، وأتمَّ نعمته عليه ، وأدام كرامته له .

ثم قال : وربما استُحسنت مكتبة المرويس إلى الرئيس على غير ترتيب الكتاب . كما كتب إبراهيم بن أبي يحيى إلى بعض الخلفاء يعزّيه :

أما بعد فإن أحقَّ من عرف حقَّ الله عليه فيما أخذ منه ، مَنْ عظم حقَّ الله عليه فيما أنبأه له ، وأعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه .

الطرف الخامس

(في المكتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

قد ذكر في "موادّ البيان" أن المستعمل في دولتهم أن يقال بعد البسملة : أفضلُ صلوات الله وبركاته ، وأشرفُ رضوانه وتحياته ، على مولانا وم سيدنا الإمام الغلاتي أمير المؤمنين ، وعلى آبابه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين - إن كان له أبناء - فإن لم

يكن له أبناء قبل مكان الأكرمين : المنتظرين . ثم يقال بعد فضاء واسع : كتب عبد الموفق النبوي خلد الله ملكه ، من مقر خدمته بناحية كذا ، وأمر ما عِدق به ورد إلى نظره منتظمة بسعادة مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى جده - والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما . ثم يقال : العبد يُنهي كذا وكذا ينص الأغراض التي بُني الكتاب على إنهاؤها وشرح حالها . قال : فإن كان الكتاب مبدئاً على المطلعة ببعض الأخبار ، قيل في آخره بعد فضاء يسير : "أنهى العبد ذلك ليستقر عليه بالموقف الأشرف" إن شاء الله تعالى . وإن كان مبدئاً على الاستمرار في بعض الأحوال ، قيل في هذا الموضع : "ولولانا أمير المؤمنين صلى الله عليه الرؤى العالی في ذلك" إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة كتاب من هذا النمط في جواب عن كتاب ورد من الخليفة بالسؤال عن المكتوب عنه في مرصه ، وهو :

صلوات الله الزاكية ، ونحياته الذكية النازكية ؛ وسلامه الذي يتنزل على الروح بالروح ، ويؤذن من رضا الله بأشرف موهوب وأكرم ممنوح ؛ وبركاته التي فيها للمؤمنين سكن ، وبشفاعتها تتقبل أعمال المؤمن بقبول حسن - على إمام الحق المنظور المنفي عن المنتظر ، وحجة الله التي أرسلها نذيراً للبشر ؛ وخليفة الله الذي نزلت بدمه مركات السور ، قبل مراتب السير ؛ وبعنه الله بالنور الذي لا يمكن الكافر من إطفائه ؛ وبرهان الله الذي لا يطعم الجاحد في إخفائه ؛ ونائب النبوة ووارثها ، وحيي القلوب وباعثها ، ومفيض أسرار الأنوار وناقضها ؛ ومولانا الإمام الغلاني : ولا زالت الأقدار له جُنوداً وجُنوداً ، والجديدان يسوقان إليه من أيامهما ولياليهما . إماماً وعتيداً ؛ وعلى آباءه الذين سبقَتْ لهم من ربهم الحسنى ، ورغبوا عن عرض هذا الأدنى ؛ ولا تتم ولا تتم على الخيائين ، ولا يتم للثقلين أن يغفلوا ما لم يكونوا منهم .

بُسْطَان - وعلى أبنائه وجوه الهدى البارزة من الأكنة ، وأيدي الندى والأعنة
والإسنة .

كتب عبد الموفق النبوى خلد الله ملكه من مقر خدمته بالمكان الفلانى ،
وأمر ماعلى به ورد إلى نظره على أتم حال وأكله ، وأحسن نظام وأجله ؛ بسمادة
مولانا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى جده وآبائه الطاهرين . العبد ينهى
أنه لو أخذ في شكر المِنَّن التى تُرْقِيهِ فى كل يوم لَهَضَابٍ بعيدة المرتقى ، وتورده بحمايت
قريبة المستقى ، وتوجب على لسانه أن يثدل جهد من استقرىل وعلى قلبه أن يثدل
جهد من آتقى ؛ لقصر به الوصف ، وأعياء من ورق الجنة الخصف ؛ وكيف يُجارى
من يده ديمة الله بقلبه ، أو كيف يقرح بحر الجود الذى يمتد سبعة أبحر نعمة ،
ولما ورد عليه التشرىف بالسؤال الذى أحياء بيسم روحه ، ونفخ فيه من روحه ؛
فوقع له ساجدا ، وثاب إلى السجود عائدا ؛ وبذل مع ضراعتة الإتهال جاهدا ،
وأخلص قرص الولاء معتقدا ورفق لواء الحمد عاقدا ؛ وكشفت عنه الغر ، وأطلعت
على وجهه النعم الغر ، وتكافت الأنثاد فى محل عيشه فخل الحلو ومر المر ؛ وأتمى
من الدعوات إلى ما أتمى به المرص ، وتقل منه الجوهر الذى عزل به العرض ،
وصاح بمُهجته السهام التى فقد بها الغرض ؛ وكاد يشاهد مرثعا به الضنى والألم ،
وفعلت أنواره فى ظلمته مبالا فعل الأنوار فى الظلم ؛ ولم يرد قبله حلو الأقول والآثر ،
مأمون المآزى والمصادر ، مضمون الشفاء فى الباطن والظاهر ، عادت القلوب
على الأجسام بفضله ، وسطت العافية على الأسقام بفضله بل بفضله ؛ والله سبحانه
يملك أعناق البلاد ، كما أجرى على يديه أرزاق العباد ، إن شاء الله تعالى . وكتب
فى يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا .

الطرف السادس

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم
إلى خلفاء بني أمية بالأندلس)

وكانت المكتبة إليهم بالافتتاح بالدعاء بطول البقاء، مع الإطناب في الإطراء في شأن الخليفة ومدحه والثناء عليه والدعاء له ، والخطاب فيه للخليفة بأمر المؤمنين متعوتاً بمولاي وسيدى ونحو ذلك ؛ والتعير عن المكتوب عنه بلفظ الوحدة من تاء المتكلم ونحوها . كما كتب أبو المطرف بن المنثني من إنشائه عن المنصور إلى هشام أبن الحكم يخبره بمرحان الصلح بينه وبين الموفق، بعد ما كان بينهما من عداوة :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! مولاي وسيدى وسيد العالمين ، وأبن الأئمة الراشدين ؛ عزيزاً سلطاناً، متبراً زماناً، ساميةً أعلامه، ماضيةً أحكامه، ظاهرًا على من ناواه، قاهرًا لمن طأه ، كما يحب . أيد الله أمير المؤمنين مولاي وسيدى على أحسن ما يكون عليه .

العبد المخلص ، والمولى المتخصص ؛ الذي حسن مضمرة ، وأستوى سره وجهره ؛ ولاح استبصاره وجده ، وتساهى سعيه وجهده ؛ في مضمار الجرى إلى الطاعة ، وبذل إذعانه وأقياده ، وأستعبد إمكانه وإجهاده ؛ فيما ينحى بتكمين الإمامة المهديّة ، والخلافة المرثية ، ويشد مبادئ المملكة المصنفة لتبشير اليمن والبركة ؛ والله سبحانه وليّ العون والتأييد ، والملى بالتوفيق والتسليد ، لأرب غيره .

وعبد . أبقى الله أمير المؤمنين . فإن كتابي إليه سلف مُعرباً عن التزعة التي كانت بيني وبين الموفق مملوكة ، وقد بما تزغ الشيطان بين المرء وصديقه ، والأخ وشقيقه ؛ وضرب ساعياً بالتشتيت والتشغب ، والتبديد والتقريب ؛ بين الأب الحاني الشفيق ،

والابن البر الرفيق ؛ ثم يعودُ ذُو البصائر والنهي ، وأولو الأحلام والنجاة ؛ إلى ما هو
للشُّخْنة أَذْهَبَ ، وبالتَّجَامِلِ أُولَى وَأَوْجَبَ . وكتابي هذا وقد نَسَخَ اللهُ بَيْنَنَا آيَةَ
الافتراق ، بالانفصال والافتراق ؛ وعاصمة التَّيَّابِينَ والخِلاف ، وبُذُو التَّأَلُّفِ والإِنْصَافِ ؛
وعادت النفوس إلى صفاتها ، وأَطَوَّتْ عَلَى وَقَاتِهَا وَخَبَّتْ نَارُ الْفِتْنَةِ ، وامتدَّ رُؤُوقُ
الْهُدْنَةِ ؛ وثَبَّتِ الأسبابُ الرَّاسِخَةَ ، والأَوَاصِرُ العاطفةَ بِأَزِمَةِ قُلُوبِنَا إِلَى مَعَاهِدِ الْخُلَّةِ
الْقَدِيمَةِ ، ومَوَاطِنِ الْعِشْرَةِ الْكَرِيمَةِ ؛ والمعروف من الامتزاج في كُلِّ الأحوال والتَّشَابُكِ
وِجْلَاءِ الشُّكِّ بِالْيَقِينِ ، وقرَّتْ بالانتظام العيونُ ، وصرنا في القيام بدعوة أمير المؤمنين
مولانا وسيدنا رَضِيْعِي لِيَّانَ ، وشريكِّي عَنَانَ ؛ واليَقِي تَأْصُرَ ، وَحَلِيْقِي تَقَاطُرَ ؛ فنحن
عن قوسٍ واحدة في نُصْرَتِهَا نَزَمِي ، وَمِنْ وَرَائِهَا نَلُوْدُ جَاهِدِينَ وَنَحْمِي ؛ قد قُتْنَا الْحِيَادَ
فِي السَّبْقِ إِلَى الطَّاعَةِ ، وأَحْرَزْنَا قَصَبَ السَّبْقِ فِي الْمَظَاهِرَةِ وَالْمَشَابِعِ ؛ فَمَا نَقْتَا نَسْعِي
فِي تَهْيِيدِهَا وَنَلْهَبُ ، وَلَا نَتَفَكُّ نَكْدُحُهَا وَنَتَصَبُّ ؛ وَاِهْ الْكَفِيلُ بِانْجَادِنَا بِعِزَّتِهِ
وَقُدْرَتِهِ ، وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

وإن الذي عَقَدَهُ اللهُ تَعَالَى لَنَا ، وَحَسَمَهُ مِنْ دَوَاعِي الْقَطِيعَةِ عَنَّا ؛ مَا أَطْرَدَ وَتَأْتِي ،
وَسَنَحَ وَتَهَيَّأَ إِلَّا بِسَعْدِ طَائِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَعَزَّهُ اللهُ ، وَيُمْنِ تَقِيْبَتِهِ ،
فَمَنْ تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِهِ وَهَادَ بِعِصْمَتِهِ ، فَقَدْ فَازَ قَدْحُهُ ، وَتَبَلَّجَ فِي ظُلَمِ الْأُمُورِ ضُبْحُهُ ؛
وَأَسْتَدَلَّ بِأَوْضَحِ الدَّلِيلِ ، وَعَرَضَ بِالرَّأْيِ الْأَصِيلِ ؛ وَاسْتَنَارَ بِأَضْوَاءِ سِرَاجِ ، وَسَبَّكَ
عَلَى أَقْصِدِ مَنَاجٍ ؛ وَلَمْ يُزَايِلِ الرَّشَادُ آرَاءَهُ ، وَصَاحَبَ السَّدَادُ أَسْمَاءَهُ . وَاللهُ تَعَالَى أَسْمَهُ
لَا يَزَالُ يَمَرِّفُنَا مِنْ سَعَادَةِ الدَّعْوَةِ الزَّكِيَّةِ مَا يُصْلِحُ بِهِ أَحْوَالَنَا ، وَيُفْسِحُ بِهِ أَمَانَتَنَا ، بِمَنَّةِ .

وَلَمَّا أُنَاحَ اللهُ مِنَ السَّلَامِ مَا أُنَاحَهُ ، وَأَزَاحَ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَا أَزَاحَهُ ؛ لَمْ أَجِدْ فِي فُسْحَةٍ
وَلَا غَنَى وَلَا سَعَةً ؛ مِنْ إِطْلَاعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلَايَ وَسَيِّدِي مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْجَلِيلَةِ .

وإعلامه بالصورة؛ فأنهضت إلى حضرته العالية ذا الوزارتين عبد الرحمن بن مطروح
رسولى وعبدى وخاصتي مملوكه لينهى إليه الحال على حقيقتها، ويوفىها بكليتها؛
وأقرن به رسول الموفق، متحملاً مثل ما تحمله رسولى، ومتقلداً كالذى تقلده؛
ولأمر المؤمنين مولاي ومسيدي الفضل العميم في الإصغاء إليهما، والوعى عنهما،
والسماح منهما جميع ما يوردانه ويوصحانه، ويستوفيانه ويشرحانه، والتطوّل
بالمراجعة فيه، بما يستوجب ويقتضيه، وأصلاً لعزّ منته وأيديه؛ إن شاء الله تعالى.

الطرف السابع

(في المكتبة الصادرة إلى خلفاء الموحّدين بالمغرب، القائم بقاياهم الآن بتونس
وما معها من سائر بلاد أفريقيا . وفيه ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تفتّح المكتبة بالدعاء، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(أن تكون المكتبة من ملك آخر)

والرمم فيه أن تفتّح بالدعاء المناسب للحال، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بنون
الجمع ويخطب المكتوب إليه بأمر المؤمنين . كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان
«صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن :
أحد خلفائهم في سنة خمس وثمانين وخمسمائة، يستعينه على الروم الفرنج القاصدين
بلاد الشام والجزيرة المصرية، وهو :

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين ، سيد العالمين ، وقسم الدنيا والدين ؛
أبواب الميادين ، وأسباب المحاسن ؛ وأحلّه من كفايته في الحرم الآمن ، وأنجزه
من نُصرة الحق ما الله له ضامن ، وأصلح به كلّ رأى عليه الهوى واتن ؛ ومكّن له
في هذه البسيطة بسطه ، وزاده بالعلم غبطه ؛ حتّى يكون للأنياء بالعلم وللأرض
بالعزم وإرتاء ، وحتّى يُشيد بمجديّ قديما من مجده الذي لا يزال بنصّ الحديث حادثا .

كان من أوائل عزّتنا وفوائح رأينا عند وُردنا الديار المصرية مفتوحة دولة سيدنا ،
وأن تنيّن بمكاتبها ، وتزيّن بمخاطبتها ؛ وتنبّض إليها أمائل الأصحاب ، وتستسقي
معرفتها استسقاء السحاب ؛ وتلتجّجها بالخواطر ويجعل الكتب رسائلها ، وأيدي الرسل
سبلها ؛ وتُمسك طرفا من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالمة طرفه ، وتُمسح
عُرة سبقي وارثها ووارث ثورها سلفه ؛ وتجنّذب أعداء الله من الجانحين ، لاسيما
بعد أن بُنينا عنه نيابتين في نوبتين : فالأولى تطهير الأرضين المصرية واليمينية من ضلالة
أغضت عيون الأيام على قذائها ، وأنامت عيون الأنام بالعمّة يقطّنها يكرّها ؛ ونياية
ثانية في تطهير بيت المقدس من كان يعارض برجسه تهديسه ، ويُزجّج ببناء ضلاله
تأسيسه ؛ وما كان إلاّ جنة إسلام فخرج منها المسلمون خروجا أبيض آدم من الجنة ،
وأعقبهم فيها إبليس الكفر وما أجارته مما أعقبه اللبنة ، وما كانت لنا بذلك قوة
بل لله القوة ، ولا لنا على الخلق منّة بل لله المنّة .

ولما حطّت لدين الكفر يعبان ، وحطّمت لذويه صُلبان ، وأُخسّس النافوس
الأذان ؛ ونسخ الإنجيل القراءان ؛ وقُكّت الصخرة من أسرها ، وخفّ ما كان على
قلب الحجر الأسود بخفة ما كان على ظهرها ؛ وذلك أن يد الكفر غطّتها وعمرتها .
فله الحمد أن أحرمت الصخرة بذلك البُيان المحيط ، وطهرها ما طهر من دم

الكُفْر وما كان يُطَهِّرها البحرُ المحيط ؛ فُهنا لك غلبُ الشُّركِ وأقلبُ صاغِرا ،
 واستجاشُ كافِرٍ من أهله كافرا ؛ واستغضبُ أنفاره النافره ، واستصرخُ نصرا نيتَه
 المتناصره ؛ وتظاهروا علينا وإن الله مولانا ، وطاروا إلينا زرافاتٍ ووحدانا ؛ فلم يبق
 طاغيةٌ من طواغيمهم ، ولا أنفةٌ من أنافيمهم ؛ إلا ألجمُ وأسرج ، وأجلبَ وأرجح ، ونُخرج
 وأنخرج ، وجاد بنفسه أو بولده ، وبُعدده وبُعدده ؛ وبذات صدره وبذات يده ،
 وبكائيه برأ ، وبمراكبه بجرا ؛ وبالأقوات لِقيل والرجال ، والأسلحة والجُنن اليمين
 والشمال ؛ وبالنقدين على اختلاف صنفيهما في الجمع ، وأستلاف وصنفيهما في التفرع ؛
 وأنقضُ أبطالُ الباطل ، من فارسٍ وراجلٍ ؛ ورايحٍ ونابلٍ ، وحافٍ وناعِلٍ ،
 ومواقِفٍ ومقاتِلٍ ؛ كلٌّ نخرج متطوطا ، وأهطعَ مُسيرا ، وأتى متبرِّعا ، ودعا نفسه قبل أن
 يُستدعى ؛ وسعى إلى حَفْظها قبل أن يُستسعى ؛ حتى ظننا [أن] في البحر طريقا يسرا ،
 وحتى تيقنا أن ما وراء البحر قد خلا وصا ؛ وقلنا : كيف تترك ، وقد علم أنه يترك ؛
 وزادت هذه الحُشود المتوافيه ، وتجاقت عنها الهِممُ المتجافيه ؛ وكثرت إلى أن خرجت
 من بين حَصَرها ، ومستقر كُفْرها ، وبقية ثُغرها - وهو صور - فنازلت ثُغَرَ عَمَّا
 في أسطولٍ ملكٍ بحره ، وجمع مَلِكٌ برّه - فنهضنا إليه ، وزلنا عليهم وطيه ؛ فضرب
 معنا مصافَ قُتِلت فيه قُرسائه ، وجذلت شُججائه ، وخذلت صُلبانه ؛ وساوئى الضربُ
 بين حاسِرِ القومِ ودارعهم ، وبرز الذين كُتِبَ عليهم القَتْلُ إلى مَضاجعهم ؛ فهناك
 لاذُوا بالخنادق يَحْفَرُونها ، وإلى الساتر يتصبُّونها ؛ وأخذوا إلى الأرض متناقلين ،
 وحملوا أنفسهم على الموت متعاملين ، وظاهروا بين الخنادق ، وراوحو بين المجانيق ؛
 وكلما يُجِنُّ القَتْلُ من عددهم مائةٌ أوصلها البحرُ من يَصِلُ وراءه بالف ، وكلما قلوا
 في أعيننا فزحف ، قد كُثِّروا فيما يليه من الزحف ؛ ولو أن دُرْبَةَ عساكرنا في البحر

كُدْرَتِهَا فِي البرِّ، لَعَجَلُ اللهَ مِنْهُمْ الْإِتِّصَافُ وَأَسْتَقَلَّ وَاحِدُنَا بِالْعَشْرَةِ وَمَا نُنَا بِالْأَلْفِ ؛
وقد أَشْهَرَ خُرُوجُ مَلُوكِ الْكُفَّارِ فِي الْجَمْعِ الْجَمِّ ، وَالْعَدَدُ الدُّمِّ ؛ كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصَيْبٍ يُوفُضُونَ ،
وَعَلَى نَارٍ يُعْرَضُونَ ؛ وَوَصُولُهُمْ عَلَى جِهَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - يَسِرُّهُ فَتَحَهَا - عَلَى عِزِّمِ الْإِتِّمَامِ
إِلَى الشَّامِ فِي مُنْسَلَخِ الشِّتَاءِ وَمُسْتَهْلِ الصَّيْفِ ؛ وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَمْ تَسْتَقْبِلْ ،
وَالْحُرُوبُ تَنْقَلِبُ ؛ فَلَا يُؤْمَنُ عَلَى ثُغُورِ الْمَسَامِينِ أَنْ يَتَطَرَّقَ الْعَدُوُّ إِلَيْهِمْ وَالْيَمَّا ،
وَيَفْرُغَ لَهَا وَيَسْلُطَ عَلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ . وَإِذَا تُسِمَتِ الْقُوَّةُ عَلَى تَلْقَى
الْقَادِمِ وَتَوَقَّى الْمُقِيمِ ، فَرُبَّمَا أَضْرَبَ الْإِسْلَامُ انْقِسَامُهَا ، وَلَلَّهَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ انْتِلَامُهَا .

وَلَا تَحْضُ النَّظَرُ زُبْدَهُ ، وَأَعْطَى الرَّأْيَ حَقِيقَةَ مَا عِنْدَهُ ؛ لَمْ تَزَلْ كَاثِرَةُ الْبَحْرِ إِلَّا
بِحَرِّهَا مِنْ أَسَاطِيلِهِ الْمَنْصُورَةِ فَإِنْ عَنَدَهَا وَافٍ ، وَشَطَرُهَا كَافٍ ؛ وَيُمْكِنُهُ - أَدَامَ اللهُ
تَمَكِّنَتِهِ - أَنْ يُمَدَّ الشَّامَ مِنْهُ بَعْدَ كَيْفٍ ، وَحَدَّ رَيْفٍ ، وَيَعْهَدَ إِلَى وَالِيهِ أَنْ يُقِيمَ
إِلَى أَنْ يَرْتَبِعَ وَيَصِيفَ ؛ وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَكُفَّ شَطَرًا لَأَسْطُولِ طَاغِيَةِ صَبِيلَةٍ لِيَحْصُ
جَنَاحَ قُلُومِهِ أَنْ تَطِيرَ ، وَيَعْقِلَ حُبَابَ بَحْرِهِ أَنْ يُغِيرَ ، وَيَسْتَقِلَّ فِي جَزِيرَتِهِ ، وَيَحْجِرَ
إِلَيْهِ قَبْلَ بَحْرِ يَرْتَهُ ؛ فَيَنْهَبُ سَيِّدُنَا وَعَقْبَهُ بِشَرَفٍ ذِكْرٍ لَا تُرَدُّ بِهِ الْمَحَامِدُ عَلَى عَقِبِهَا ،
وَيُقِيمُ عَلَى الْكُفْرِ قِيَامَةً يُطْلِعُ بِهَا شَمْسَ النَّصْرِ مِنْ مَغْرِبِهَا ؛ فَإِذَا نَفَذَ طَرِيقَهُ وَعَلِمَ
النَّاسَ بِمَوْفِدِهِ ، أَوْرَدُوا وَأَصْدَرُوا فِي مَوْرِدِهِ ؛ وَشَخَّصَ الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ : هَذَا يَنْتَظِرُ
بُشْرَى الْبِدَارِ ، وَهَذَا يَسْتَطْلِعُ لِمَنْ تَكُونُ عَقْبَى الدَّارِ ؛ وَخَافَ وَطْأَةً مَنْ يَصِلُ
مِنْ رِجَالِ الْمَاءِ مَنْ وَصَلَ مِنْ رِجَالِ النَّارِ . وَلَوْ بَزَقَتْ عَلَيْهِمْ بَازِقَةٌ غَرِيبَةٌ لِأَغْرَقَهُمْ
طُوفَانُهَا ، وَلَوْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ جَارِيَةٌ لِنَعَقَتْ فِيهِمْ بِالشَّتَاتِ غَرَبَانُهَا .

وَمَا رَأَيْنَا أَهْلًا لِهَذِهِ الْعَزْمَةِ إِلَّا حَضْرَةَ سَيِّدِنَا أَدَامَ اللهُ صِدْقَ حُبِّهِ الْخَلِيفَةِ فِيهِ ،
إِذْ كَانَ مَنْعَهُ غَادَةً فِي الرِّضَى بِهِ وَقُدْرَتُهُ عَلَى الْإِجَابَةِ ، وَرَغْبَتُهُ فِي الْإِنَابَةِ ؛ وَلَا يَلَاةَ لِأَمْرِ

(١) كَذَا فِي الْأُمُودِ وَلَمْ نَمْرُطْ عَلَيْهَا فِي رِسَالَتِي الْقَائِلِ الْفَاضِلِ .

المسلمين ، ورياسة للدنيا والدين ، وقيامًا لسلطان التوحيد القائم بالموحدين ؛
وَغَضَبًا لله ولدينه ، وبَدَلًا لِمُتَخَوِّره في الذَّبِّ عنه دون ما عوده ؛ والآنَ فقد خَلَا
الإسلام بِلَا مَلَكْتِه ، لِمَا خَلَا الكُفْرُ بِشِياطِينِه ؛ وما أَجَلَتِ السَّوَابِقُ إِلَّا لِإِطْلَاقِهَا ،
وَلَا أَثَلَتِ الذِّخَائِرُ إِلَّا لِإِغْثَاقِهَا ؛ وقد آسَتْشَرَفَ المسلمون طُلُوعَهَا من جِهته المحروسة
جَارًا من الأساطيل تَغْشَى البَحَارَ ، وَلِيَالِي من المراكب تَرْكَبُ من البحر النّهار ؛
وَإِذَا خَفَقَتْ قُلُوبُهَا خَفَقَتْ لِلْقِلَاعِ قُلُوبُ ، وَإِذَا تَجَافَتْ جُنُوبُهَا عَنِ الْمَوْجِ تَجَافَتْ
مِنَ الْمَلَاعِينِ جُنُوبُ ؛ فَهِيَ بَيْنَ تَفَرُّكُفَرٍ تَعْتَقِلُهُ وَتَحْصُرُهُ ، وَبَيْنَ تَفَرُّ إِسْلَامٍ تُفَرِّجُ
عَنْهُ وَتُفْصِرُهُ ، يَكُونُ بِهَا مَصَائِبُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ (؟) وَتَقْلَلُ قَلَائِدُ الْمُشْرِكِينَ لِغُرْبَانِ بِحْرِهِ
طَرَائِدُ ، وَيَمْضِي سَيْفُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَيُعْلَمُ مَعَهُ أَنَّ سَيْفَ اللَّهِ خَالِدٌ ؛
أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِمَا يَزِيدُ حَضْرَةَ سَيِّدِنَا مِنْ عِزِّهَا ، فَيَا مَدَّةَ عَلَيْهَا مِنْ ظِلِّهَا ،
وَبِمَا يُسَكِّنُهُ مِنْ حِرْزِهَا ، فَيَا يَنْسُطُ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِهَا مِنْ بَأْسِنَا وَيُنْزِلُ بِهِمْ مِنْ
رَجْزِهَا ، وَبِمَا يَجْرِدُهُ مِنْ سِيُوفِهَا الَّتِي تَقْطَعُ فِي الْكُفْرِ قَبْلَ سَلِّهَا وَهَزْهَا .

وقد أوفدناه على باب حضرة سيدنا ، وهو الداعي المسموع ، والمبلغ المقيع ،
والمجمع المستجمع ؛ طابناه أحرًا يسرًا ، وبوأناه الصدر فكان وجهًا ، وأودعناه السرر
فكان صدرا .

الضرب الثاني

(أن تكون المكتبة صادرة عن بعض الأرباع)

والرسم فيه أن تُفْتَحَ المكتبةُ بالدعاء بطول البقاء ، مثل أن يكتب أحد أتباعه
إليه ، ويَعِدُّ المكتوبُ عنه عن نفسه بلفظ الأفراد ، وعن الخليفة بأمر المؤمنين .
كما كتب أبو الميمون عن بعض أهل دولتهم إلى بعض خُلفائهم جوابَ كتاب ورد
بالكشف عن حامل تفر شُقُورَة .

«أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وناصر الدين والدنيا بفضله العَظيم؛ ولا يَرِحُ مصالِحُ العباد بباله الكريم جائلةً مائله، وسيرته المجيدة لدانهم وقاصيهم شاملةً كافيته، ولا زال الله في أرضه بالقسط قائماً، وعلى ما ينفع الناس محافظاً دائماً .

كتبته -أيّد الله أمره!- صدر جمادى الأولى، سنة أربع وعشرين وخمسمائة، بعد أمثال ما حده، والاكتهاء إلى ماوجب الكتهاء عنده؛ من أمر نحر شقوة حرسه الله!

على ما أنص مَنَاقِلَه، وأعرض مرآتيه ومنازلَه؛ وذلك أن كتابه العزيز وافاني على يد رجل من أهلها فيه فصول رفعها، وأحاديث سطرها وجمعها؛ وأندرج الكتاب المرفوع بذلك طيه، لينظر إليه من أدعى عليهم رفعه، ويستبين حقيقته أو وضعه؛ ويأبط هذا الرافع سبقتة الأنبياء، واستقرت عند جمعها الأقراض والأبحاث؛ فاجتمعوا إلى عاملهم فلان وقفه الله، وحضرهم حاكم الجهة أبياه الله؛ وتبعوا تلك الوجوه بالرد لها، والإنكار على القائم بها؛ وعقد وافى كل عقد منها عقداً يناقضه، واستظهروا بشهادات تنافيه وتعارضه؛ وأندرجت العقود، ثابتة في كتاب الحاكم على السبيل المعهود في إثبات العقود؛ ثبتت عندي لثبوتها عنده، وخاطبوني مع ذلك متبرين من هذا الرافع، واضمين له في عقله ودينه بأحط المواضع؛ وصرّحوا بارتضايتهم بسيرة عاملهم وأغبياطهم بجماعته وسداد نظره، وعلى تفتة ذلك وصل هذا الرافع بالكتاب العزيز وما أندرج طيه على ما قدمت ذكره؛ فاستأنفت النظر، وأعدت العمل، وخاطبت الحاكم والأعيان والكافة هنالك بما ورد في أمرهم؛ وأردفت الكتاب المرفوع ليقفوا على نغته، وينظروا إلى شخصه؛ فراجعوني أنه لا مزيد عندهم على ما قدموه، ولا خلاف فيما قلّده وأحكمه، وأحالوا على ما تثبت به العقود، وهى من الناس المقاطع والخدود؛ فآقتضى النظر إعلام أمير المؤمنين وناصر الدين أعلى الله أمره . حسَب ما حمله، بما وقعت عليه الحال، ليرفع الإشكال،

ولا يتعلق بهذه الحيلة البال ؛ وقد أدرجت إلى حضرته السامية الكتب المذكورة
لترص عليها ، وتستقر الحيلة منها لسيا ؛ إن شاء الله .

وأندرجت العقود إلى الفقيه فلان قاضي الحضرة وفقه الله ، والله يشكر لأمير المؤمنين
وناصر الدين تحريره وأجهاده ، وتوفيقه وسداده ؛ ويوالي من والاه ، ويكيد
من عاداه . ولو كانت الحال بسقورة على ماصوره هذا الراجح لما أنطوت عن أسرارها ،
ولا [خفيت على] على البعد أخبارها ؛ وصقوف إلى فلانة ^(١) ، وهو متشرع متدين ،
وعضده على ما هو بسبيله في ذلك الثغر متمين ؛ والله يسر الجميع إلى ما يقضي
حقوق النعمة ، ويقيم فروض الخدمة ؛ بعونه وقدرته ! .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بألقاب الخليفة نفسه ثم يؤتى بالصدر معبرا عن المكتوب
عنه البعد . وعاطبا للخليفة بيمين الجمع للتعظيم ، ويمتص الكتاب
بالسلام . وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يوصف الخليفة بالمقام)

كما كتب أبو الميمون أيضا عن بعض أهل دولتهم إلى الناصر لدين الله أحد
خلفائهم :

المقام الأعلى ، المقدس ، المكرم ، الإمامي ، الطاهر ، الزكي ، مقام الخليفة
المؤيد بنصر الله ، الإمام « الناصر لدين الله » كلاً الله جلّالهم ، وقياً ظلالهم ، وبواً
وُقود السعود ووجود الظهور والسعود مواظهم المقدسة وجلالهم .

(١) كنا في الأصول عليه علامة توقف ولله وتعفف والى غلاة الخ والمراد برأيه ما نسب إليه .

عبدكم المتقلب في نعمتهم ، المتقرب إلى الله عز وجل بالمناسحة في خدمتهم ،
المتسبب إلى الزلفى عندهم بالتزام طاعتهم ، والاعتصام بعبادتهم ، فلان .

كتب عبدُ المقامِ الأعلى ، والنَّدَى الذى أُسِّسَ بِنِائِهِ على تقوى من الله ورضوان
وأخوى على الفضائل وأستولى ، من موضع كذا حماه الله تعالى ؛ وجنَّاه لطاغتك
قُطْب ، ولسانهُ بشكر نعمتكم رَطْب ؛ فبتلك رِجْلُ القَوْز ، وبها أبتغاءُ نَيْلِ الآمال
والْحَوْز ؛ وكيف لا يطاوعه الجَنان ، وشكر اللسان مستمِدَّ لإدراج الإحسان ؛ وللمقام
الأسنى عَوَارِف ، لا يتقلَّص ظلُّها الوارف ، وقطراتُ بالرحمة مسطَّراتٌ يمدِّرارٌ يحياها
الواكف ؛ وقد كانت للعبد مِمَّام ، فاضت عليه بها من النعمة رِهام ؛ ثم جَزَّ الماءُ
باسترجاعها الآن ، وسقى العبدُ باقتراعها كأسَ الحُزنِ مَلَأَتْ ؛ وردت لك بهذه
الجهة أقطاع المواساة ؛ وأمتناع الألسن بالمكابدة لشُظف العيش والمقاساة ؛
ولمَّا إلى المقام الأعلى الأسنى نفزع حين نفزع ، ونذهب حين نرجو ونهرب ، ونلجا
فلا تَنَحَّر طلباتنا ولا تُرْجَا ، وخدمةُ العبد هذه تتوبُّ عنه في تقبيل ذلك المقامِ الأسمى ،
والتعرض لما عهد لديه من فعات الرضى ، والتضرُّع في إدراج ما جَرَدَ من تلك
المنَّة ، وغِيض من فيض تلك النعمى ؛ ويُنهى من رغبته في بركة تلك الأدعية ،
التي هي الخيرات كالأدعية ؛ ما يرجوه بشفاعته تأكُّد الامتنان ، ويجرِّد عوارف الرأفة
والحنان ؛ إن شاء الله تعالى .

والرب تعالى يُقِيِّ المقامَ الأعلى والنصرُ له مظاهر ، والخيرُ لديه مظاهر ،
والسعدُ لوليِّه ناصر ، ولعمدته قاهر ، بحول الله تعالى وقوته لا ربَّ غيره ، ولا خير
إلا خيره ؛ والسلام .

الضرب الثاني

(أن يعبر عن الخليفة بالحضرة)

كما كتب أبوالمطرف بن عمية عن صاحب أرغون من الأندلس إلى المستنصر بالله أحد خلفائهم ، يستأذنه في وفاة صاحب أرغون من الأندلس أيضا على أبواب الخلافة مُغاضِباً لأهل مملكته :

الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام ، الناصرة للإسلام ، المخصوصة من العدل والإحسان بما يحلونه متراكم الإظلام ؛ حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، أبي يعقوب ابن سادتنا الخلفاء الراشدين ؛ وصل الله لها إسعاد القدر ، وإنجاد النصر والظفر ، ولا زال مقامها الأعلى سائى النظر ، مبارك الورد والصدور ، ويفيض منه الجود ، فيض المطر ، ويحيط به السعود ، إحاطة الهالة بالقمر .

نشأة أيامها الغز ، وربي إنعامها المواظب على الحمد والشكر ، المشرف باستخدامها البذى هو نعم العون على التقوى والبر ، عبثها وآبن عبثها فلان .

سلام الله الطيب المبارك وتحياته ، تخص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته . وبعد فكتب العبد - كتب الله للقام الأعلى فتوحا يعم جميع الأمصار ، وسعدا يقضى بقل الشمر الطوال والبيض القصار - من بليسية ، وبركاته تظهر ظهور النهار ، وتفيض على البلاد والعباد فيض الأنهار ، فأنلق من واري في سلسالها المعين ، ورايح للذى منها وهو من رجائه على أوضح مراتب اليقين ، والله سقى عز الإسلام ببقائه ، ويعيننا على امتثال أوامره المباركة معشر عبيده وأرقائه ! بمتة .

(١) وقد تقرر له من المقام الكريم - أدام الله طوّه ، وكَبَتَ عدوّه ؛ أمر بالسك -
وطال ماله في البلاد الأرغونية من زعامية في شأوها برز ، ولغايتها أحرز ؛ وكان
قد كفّل صاحب أرغون في الزمان المتصّلم كفالة دار أمرها عليه ، وألّقي زمامها
إليه ؛ وتقرّض منها بسبب وحمله ، وخُطّة بلغ منها أمله ؛ ثم إنه حطّ من رُتبته ،
وتأكّدت المبالغة في تكبّته ؛ بقضية عرّضت له مع أهل أرغون ، فلفظته تلك
الجنّات ، وأزعجه أمر لم يمكنه عليه الثبات ؛ ورأى أن يلجأ بحاله إلى المقام الباهر
الأنوار ، العزيز الجوار ؛ فواصل هذا الموضع قبل مقدّم العبد عليه ، مقرراً ما تزل به ،
ومستأذناً في الوجه الذي تعرّض لطلبه ؛ فأذن له في مقصده ، وأنصرف عن التناهب
للحركة من بلده ؛ ثم لما وصل العبد هذه الجهة وفرّغ هو من شأنه أقبل متوجّهاً إلى
الباب الكريم ، ومتوسّلاً بأمله إلى فضله العميم ؛ والظاهر من حقه على أهل أرغون
وشدة عداوته لهم ، وما تأكّد من القطيعة بينه وبينهم ؛ أنه إن صادف وقت فتنة
معهم ووجد ما يؤمّله من إحسان الأمر العالی أيّده الله فيلتهى من نكايتهم والإضرار
بهم إلى غاية غريبة الآثار ، مُقضية به إلى ذلك السار ؛ وكثير من زعماء أرغون
ورجالها أقاربهُ وفُرسانه ، وكلّهم في حبّله حاطب ، ولا ينجده متى أمكنه حاطب ؛
وللقام الكريم أعلى الرأي فيه أبقاء الله شافياً للملّ ، وكافياً طوارق الخطب الجلل ،
مأمولاً من ضروب الأمم وأصناف الملل ، وهو سبحانه يديم سعادة جدّه ، ويخصّه
من البقاء الذي يسرّ أهل الإيمان ويضاعف بهجة الزمان بأطوله وأمدّه ،
والسلام .

الأسلوب الثالث

(أن تُفتَح المكتبةُ بأوصاف الخلافة والنشاء عليها، والخطابُ فيه بأمر المؤمنين

وعن المكتوب عنه بنون الجمع)

وهذه المكتبة من المكتبات البديعة المُسفرة عن صُبح البلاغة .

ونسختها بعد البسملة على ما كتب به ابن الخطيب عن سلطانِه ابن الأحمر صاحب الأندلس إلى المستنصر بالله أبي إسحاق إبراهيم خليفة الموحدين يومئذ بالأندلس . والافتتاح :

الخلافةُ التي ارتفع عن عقائد فضلها الأصل القواعد الخلاف ، واستقلت مباني
نغرها الشائع وعزها الدائع على ما أسسه الأسلاف ؛ ووجب لحقها الجازم وقضها
اللازم الاعتراف ؛ ووسعت الآملين لها الجوانب الرحية والأخفاف ، فامتراجنا بعلاتها
النييف ، وولآتها الشريف ، كما أمتزج الماء والسلاف ؛ وشاؤنا على جمدها الكريم ،
وقضيلها العميم ، كما تأرجت الرياض الأفواف [لما زارها الغمام الوكاف] ^(١) ودعأونا بطول
بقائها ، وأتصّل علائها ، يسمو به إلى قرع أبواب السموات الملاء الاستشراق ؛
وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة ، وفواضيلها العميمة ، لانهصره الحدود ولا تذكركه
الأوصاف ؛ وإن عذّر في التقصير ، عن نيّل ذلك المرام الكبير ، الحق والإنصاف . خلافة
وجهة تعظيمنا إذا توجهت الوجوه ، ومن قوّته إذا همّنا ما نرجوه ، ونفديّه ونبديّه
إذا استمنح المحبوب واستدفع المكروه ؛ السلطان [الخليفة] ^(١) الجليل ، الكبير ، الشهير ،
الامام ، الهام ، الأعلى ، الأوحّد ، الأصعد ، الأسعد ، الأسمى ، الأعدل ، الأفضّل ،
الأسنى ، الأطهر ، الأظهر ، الأرضى ، الأحفل ، الأكل ، أمير المؤمنين أبي إسحاق

(١) الزيادة من كتاب "ريحانة الكتاب" المخطوط المحفوظ بدار الكتب الخديوية تحت نمرة ٤
أدب ش .

أبن الخليفة الإمام البطل المهام؛ عين الأعيان، وواحد الزمان؛ الكبير، الشهير؛
الطاهر، الظاهر؛ الأودح، الأعلى، الحسيب، الأصيل، الأشمى، العادل،
الحافل، الفاضل، المعظم، الموقر، الماجد، الكامل، الأرضي، المقدس، أمير المؤمنين
أبي يحيى أبي بكر، أبن السلطان الكبير، الجليل، الرفيع، الماجد، الظاهر، الطاهر،
المعظم، الموقر، الأشمى، المقدس، المرحوم أبي زكريا، أبن الخليفة الإمام، المجاهد المهام
[الكبير الشهير، الخطير، بطل الميدان، مخفر الزمان، الطاهر الظاهر، الأمضى المقدس
الأرضي أمير المؤمنين أبي إسحاق أبن الخليفة^(١) المهام الامام ذى الشهرة الجاه، والمفخر
الواضح، علم الأعلام، نهر السيوف والأقلام؛ المعظم، المعجذ، المقدس، الأرضي،
أمير المؤمنين، المستنصر بالله أبي عبد الله بن أبي زكريا أبن عبد الواحد بن أبي حفص
أبقاه الله. ومقامه مقام إبراهيم رزقا وأمانا، لا يخص جلب الثروات إليه وقتا ولا عين
زمانا، وكان على من يتخطف الناس من حوله مؤيدا بالله معانا. معظم قدره العالى
على الأقدار، ومقابل داعى حقه بالآستدار، المثني على معاليه المخلدة الآثار،
في أصونية النظام والنتار، ثناء الروضة المطار على الأمطار؛ الناعى إلى الله بطول
بقائه في عصمة منسيلة الأستار، وعزّة ثابتة المراكز مستقيمة المدار، وأن ينجم له
بعد بلوغ غايات الأجل ونهايات الأعمار، بالزلفى وعقبي الدار.

سلام كريم كما حلت سمات الإسماع، أحاديث الأزهار، ورويت ثور الأفاقي
والنهار، عن مسسلات الأنهار، وتجلّى على منصة الأشتهار، وجه عروس النهار،
[يخص خلافتكم الكريمة^(١) التجار] العزيرة الجار، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذى أخفى حكيمه البالغة عن أذهان البشر، فصجرت عن قياسها،
وجعل الأرواح كما ورد في الخبر، أجنادا مجنسة نمن إلى أجناسها. منجد هذه

الملة ، من أوليائه الخلة ، بمن يروض الآمال بعد شتمها ، وييسر الأغراض قبل آتئها ، ويُعنى ' بتجديد المودات في ذاته وأبتقاء مرضاته على ' حين إخلق لباسها ، الملك الخلق واصل الأسباب بحوله بعد انتكاث أمراسها ، ومُعنى النفوس بطوله بعد إفلاسها - نَحْمَلُ يَدُ أَخْلَافِ النَّعَمِ بعد إنباسها ، ويُنبش رَمَّ الآمال من أرماسها ، ويُقدِّس النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إبلاسها .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله سراج الهداية ونيراسها ، عند أفتئاء الأنوار وأفتباسها ، مطهر الأرض من أوضارها وأدناسها ، ومُصطفى الله من بين ناسها ، ومسيد الرُّسل الكرام ما بين شيتها وإلباسها ، الآتى مُهمِّنا على آثارها في حين قترتها ، ومن بعد فضرتها وأستئناسها ، مُرغم الضراغم في أخياسها ، بعد أقرارها وأقراراسها ، ومَعْرِ أجرام الأصنام ومُصِمت أجراسها .

والرضا عن آله وأصحابه وصتره وأحزابه حُماة شرعته البيضاء وحرَّاسها ، ومُلقحى غراسها ، لِيُوثِّ الوغى عند احتلام مَرَّاسها ، ورُهبان الرجا تتكفل بمناجاة السميع العليم ، في وحشة الليل البهيم ، بإنباسها ، وتقاوح نواصمُ الأحمجار عند الاستغفار بِطِيب أنفاسها .

والدعاء لخلافكم العلية المستنصرية بالسعادة التي تشمُّع أيدى العزة القعساء من أكواسها ، ولا زالت العصمة الإلهية كفيلاً باحترامها واحتراسها ، وأنباء الفتوح ، المؤيدة بالملائكة والروح ، رِيحَانُ جُلَّاسها ، وآياتُ المفاتيح ، التي ترك الأوثل للآخر ، مكتنبة الأسطار بأطراسها ، وميادينُ الوجود بحالاً لجياد جودها وباسها ، والعزُّ والعدلُ منسوين لقسطاطها وقسطاسها ، وصفيحةُ النصير العزيز تُقيضُ كفتها المؤيدة بالله على زياسها ، عند أحتاج أضدادها وشرة إنكاسها ، لآتهاب البلاد وأتئاسها ، وهبوب رياح رياحها وتمرد مَرَداسها .

فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من كاتب نصره أمداداً تُدعِنُ أغناق الأثام ،
لطاعة ملككم المنصور الأعلام ، عند إحساسها ، وآتاكم من آيات العنايات آية
تضرب الصخرة الصماء بمن عصاها بصاها فتبادر بانجاسها - من حمراء غر ناطة -
حرمها الله - وأيام الإسلام ، بعناية الملك العلام ، تحتفل وفود الملايكة الكرام
لولايمها وأعراسها ، وطواعين الطعان ، في صدق الدين الممان ، تجتد عهدها
يعام عمواسها .

والحمد لله حمداً يُعيد شوارِد النعم ، ويستدرّ مواهب الجود والكرم ، ويؤمن من
انتكاب الجسود وأحكامها ، ولّى الآمال ومكاسها . وخلافكم هي المثابة التي
يزهى الوجود بحاسن مجدها زهو الرّياض بورديها وآسها ، وتُسند أضواء الفضائل من
مقباسها ، وتروى روعة الإفادة والإجادة غريب الوجادة عن صحّاكها وعباسها ،
ولمّا هذا أعلى الله معارج قدركم وقدّ فعل ، وأطلق بحجج نفركم من أحسن وأتعل ؛
فإنه وصلنا كتابكم الذي حسبناه على صنائع الله لنا تيممة لا تُلَقَّع بعدها عين ، وجعلناه
على حلّ مواهبه قلادة لا يُحتاج معها زين ، ودعّوانه من جيب الكفاية آية بيضاء الكتابة
لم يبق معها شك ولا مّين ، وقرأنا منه وثيقة ودّهضم فيها عن غريم الزمان دين ؛
ودأبنا منه لإنشاء ، خدم اليراع بين يديه وثناء ، وأخترع بهيمان عقده مشاء ، وسئل
عن معانيه الاختراع فقال : إنا أنشأناهنّ لإنشاء ؛ فأهلاً به من عربى أتى يصف
السائح والبانة ، ^(١) ويبين فبحسن الإبانة أدنى الأمانه ، وسئل عن حية فانتفى إلى كئانه ؛
وأفصح وهو لا ينيس ، وتهلّت قمماته وليل حيره يعيس ؛ وكان خاتمهُ المُقفل على
صوّانه ، المُتحبب بياكر الورد في غير أوّانه ، رُغف من مسك عوّانه . وقله من قلم

(١) ضب عليه في الأصول بعلامة التوقف ولم تهتد الى تحقيقه .

دَجَّجَ تِلْكَ الْحُلَّالَ ، وَفَقَّ يُحَاجُّ النُّوَاةَ الْمُسْتَمِتَةَ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ الْغُلَّالَ ؛ فَقَدْ تَخَارَقَ
فِي الْجُودِ ، مُقْتَدِيًا بِالْخِلَافَةِ الَّتِي خُلِّدَتْ فِيهَا فِي الْوُجُودِ ؛ فَبَادَ بِسِرِّ الْيَّانِ وَلُبَّابِهِ ،
وَسَمَحَ فِي سَبِيلِ الْكَرَمِ حَتَّى بَمَاءِ شَبَابِهِ ؛ وَبَجَعَ لِقَرطِ بَشَاشَتِهِ وَقَهَامَتِهِ ، بَعْدَ شَهَادَةِ
السَّيْفِ بِشَهَامَتِهِ ، فَمَشَى مِنَ التَّرْحِيبِ فِي الطَّرْسِ الرَّحِيبِ عَلَى أُمِّ هَامَتِهِ .

وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ حَكِيمٍ أَنْصَحَ بِمَلْفُوزِ الْإِكْسِيرِ ، فِي اللَّفْظِ الْيَسِيرِ ، وَشَرَحَ بِلِسَانِ
الْخَيْرِ ، سِرَّ صِنَاعَةِ التَّدْيِيرِ ؛ كَأَنَّمَا خَدَمَ الْمَلَكَةَ السَّاحِرَةَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ، قَبْلَ اشْتِجَارِ
الْخِلَادِ ، فَأَثَرَتْهُ بِالطَّارِفِ مِنْ مِغْرَاهَا وَالتَّلَادِ ؛ أَوْ عَثَرَ بِالْمَلَقَةِ ، وَتِيكَ الْقَدِيمَةِ الْمَطْلَقَةِ ؛
بِدَفْنِيَةِ دَارِ ، أَوْ كَتَرَمَحَتْ جِدَارِ ، أَوْ ظَفِرَ لِبَانِ الْحَنَائَا ، قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَ بِهِ عَنْ أَمَانِيَةِ
الْمَتَائَا ، بِبِدْيَةِ ، أَوْ خَلَفَ جَرِيرَ الرُّومِ ، قَبْلَ مَنَازِلَةِ الْقُدُومِ ، عَلَى وَدَيْعِهِ ؛ أَوْ أَسْهَمَهُ
أَبْنُ أَبِي سَرَحٍ ، فِي نَسَبِ الْفَتَحِ وَسَرَحٍ ؛ أَوْ حَسَمَ لَهُ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ بِلُؤْغِ الْمَطْلَبِ ،
أَوْ غَلَبَ الْخَطُوطَ بِمُخْذَمَةِ آلِ الْأَغْلَبِ ؛ أَوْ خَصَّه زِيَادَةُ اللَّهِ بِزَيْدٍ ، أَوْ شَارَكَ الشَّيْمَةَ
فِي أَمْرِ ابْنِ أَبِي يَزِيدٍ ؛ أَوْ سَارَ عَلَى مِنْهَاجٍ ، فِي مُنَاصَحَةِ بَنِي صِنْجَاجٍ ، وَفَضَّحَ بِتَحْقِيدِ
إِمْدَاحِهِمْ كُلِّ هَاجٍ .

وَأَعْجَبَ بِهِ ! وَقَدْ عَزَّزَ مِنْهُ مَثْنَى الْيَّانِ بِثَالِثٍ ، بِجَلَبِ مِغْرَ الْأَسْمَاعِ ، وَأَسْتَرْقَاقِ الطَّبَاعِ
بَيْنَ مَثْنَى الْإِبْدَاعِ وَمَثَالِثِ . كَيْفَ أَقْتَدَرَ عَلَى هَذَا الْمُجِيدِ ، وَنَاصَحَ مَعَ التَّثْلِيثِ مَقَامَ
التَّوْحِيدِ ؛ نَسْتَفْغِرُ اللَّهَ وَلِيَّ الْعَوْنِ ، عَلَى الصَّمْتِ وَالصُّوْنِ ، فَالْقَلَمُ هُوَ الْمَوْحَدُ قَبْلَ
الْكُؤُنِ ، وَالْمُتَصِفُ مِنْ صِفَاتِ السَّادَةِ ، أَوَّلِي الْعِبَادَةِ ، بِضُمُورِ الْجَمْعِ وَصُفْرَةِ
اللونِ ؛ إِنَّمَا هِيَ كَرَامَةٌ فَأَرْوِقِيهِ ، وَأَثَارَةٌ مِنْ حَدِيثِ سَارِيَّةٍ وَبَقِيَّةٍ ؛ سَفَرٌ وَجْهَهَا
فِي الْأَعْقَابِ ، بَعْدَ طُولِ الْإِتْقَابِ ، وَتَدَاوُلِ الْأَحْقَابِ ، وَلِسَانُ مُنَابٍ ، عَنْ كَرِيمِ
جَنَابٍ ؛ وَإِصَابَةُ الشَّهْمِ لِسِوَاهُ مُحْسُوبَةٍ ، وَلِإِلَى الرَّامِي الَّذِي سَدَّدَهُ مَنَسُوبَةٍ ؛ وَلَا تُشْكِرُ

على النعام بآرقه ، ولا على المصحقين بمقام التوحيد كرامة خارقه ، فإشياء الفضل من غرائب برّوجده ، وعجائب خلقي كريم ركن الشكر فيها وسجد . حقيقة بيان استنارت نوايسم الإبداع من مهبطها ، وأستارات غمام الطباع من مصبها ، فأنشأ كلها مرثين بإذن ربها ؛ لا ، بل كتيبة عز طاعت بقنا الألفاظ سطورها ، فلا يرومها التقند ولا يطورها ، وزعت عن قسي التونات خطوطها ، وأصطفت من بياض الطرس وسواد النقس بليق تحوطها .

فما كس المدبر ، على القدير ، بين الخورق والسدير ؛ فقامر بقد الحباب ، عقول ذوى الألباب ، وتفرق كسرى في العباب ، وتهدى وهى الشمطاء أساط الشباب ؛ وقد أخرج ابن سريج وألجم ، وأفصح القرئص بعد ما جمجم ، وأعرب الناسي الاتجم ؛ ووقع معبد بالقضيب ، وشرعت في حساب العقد بنان الكف الخضيب ؛ وكان الأمل فوق مثالك العود ومثانيه ، وعند إغراء الثقل بثانيه ؛ وإجابة صدى الغناء بين مغايه ؛ المراود تشرع في الوشى ، أو العناكب تسرع في المشى ؛ وما الخبر بذي الرغائب ، أوقنوم الحبيب الغائب ؛ لا بل إشارة البشير ، بكم المشير على العشير . بأجلب للمرور ، من زائره المتلق بالبرور ؛ وأدعى للخبور ، من سفيره المبعج للسفور ؛ فلم ترملة من كتيبة كتاب تجنب الجود [تمرح] ^(١) في الأرسان ، وتنشوف بجالي ظهورها إلى عرائس القُرسان ؛ وتهز معاطف الأرتياح ، من صيلها الصراح ، بالنفثات الحسان ، إذا وجدت الصريح نازعت أنشاء الأعيه ، وكاثرت بأسيه آذانها مشرمة الأسنه ، فإن أدعى الظلم أشكالم فهو ظالم ، أونازعها الظمي هواديها وأكفالمها فهو هادي أوحالم ، وإن سئل عن حبوب الغرر والأوضاع ، قال مشيرا إلى وجوها الصباح ، جلدة بين العين والأنف سالم ؛ من كل جبل الشوى ،

مُشَارِقٍ لِلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، سَامِي التَّلِيلِ، عَرِيضِ مَاتِحِ الشَّلِيلِ، مَسْجُوحِ أَعْظَافِهِ
 بِمَنْدِيلِ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ : مِنْ أَحْمَرَ كَالْمَدَامِ، مُجَلِّ عَلَى التَّدَامِ عَقِبَ الْفِدَامِ، أُخِيفَ
 لَوْنُهُ بِالْوَرْدِ، فِي زَمَنِ الْبَرْدِ، وَحَيَّ أَفْقُ نُجْيَاهُ بِكَوْكَبِ السَّعْدِ، وَتَشَوَّفُ الْوَاصِفُونَ
 إِلَى عَدِّ تَحَاسِينِهِ فَأَعْيَتْ عَلَى الْمَدِّ، بِمَجْرٍ يَسَاجِلُ الْبَحْرَ عِنْدَ الْمَدِّ، وَرِيحٌ تَبَارَى الرَّيْحَ عِنْدَ
 الشَّدِّ، بِالذَّرَاعِ الْأَشَدِّ، حَكَمَ لَهُ مَدِيرُ فَكِّ الْكَفْلِ بِاعْتِدَالِ فَصْلِ الْقَدِّ، وَمِيزَهُ قَدْرُهُ
 الْمُخَيَّرُ يَوْمَ الْأَسْتَبَاقِ، بِقَصَبِ السَّبَاقِ، عِنْدَ آعْتَابِ الْحَدِّ، وَوُلَّدَ نَحْطُ غُرَّتِهِ أَشْكَالَ
 الْجَمَالِ، عَلَى الْكَلِّ، بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ وَتَقَاءِ الْخَدِّ، وَحَفِظَ رَوَايَةَ الْخَلْقِ الْوَجِيهَ
 [عَنْ جَدِّهِ الْوَجِيهِ ^(١)] وَلَا تُشْكِرُ الرِّوَايَةَ عَلَى الْحَافِظِ بْنِ الْجَدِّ - وَأَشْقَرُ أَبِي الْخَلْقِ وَالْوَجْهَ الطَّلَاقِ
 أَنْ يَحْقِرَ كَأَنَّمَا صَبِغَ مِنَ الْعَسْجَدِ، وَطُوفَ بِاللُّزِّ وَأَتَمَّلَ بِالزَّرْجَدِ، وَوُسِمَ فِي الْحَنِيثِ
 بِسِمَةِ الْيَمْنِ وَالْبِرْكَ، وَأَخْتَصَّ بِقَلْعِ الْخِصَامِ، عِنْدَ اشْتِجَارِ الْمَرْكَةِ، وَأَقْرَدَ بِمَضَاعِفِ
 السَّهَامِ [الْمَنْكِرَةِ عَلَى الْهَامِ] ^(١) فِي الْفَرَائِضِ الْمَشْتَرَكَةِ، وَاتَّصَفَ فَكَّ كَفَلِهِ بِمَحَرَكَتَيْ
 الْإِرَادَةِ وَالطَّبْعِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَرَكَةِ، أَصْنَى إِلَى الْمَاءِ بِأُذُنِ الْمُتَلَهِّمِ، وَأَعْرَبَ لِسَانُ
 الصَّيْلِ، عِنْدَ التَّبَاسِ مَعَانِي الْهَمْزِ وَالتَّمْجِيلِ، بَيَانِ الْمُتَهَمِ، وَقُنْتُ الْعَيُونُ مِنْ ذَهَبِ
 جِسْمِهِ، وَخَلَجِنِ تَجَمُّهُ بِحُبِّ السِّنَارِ وَاللِّزَامِ، فَإِنْ انْقَضَ فَرَجَمَ أَوْ رِيحٌ لَهَا هِمَمٌ،
 وَإِنْ آعْتَرَضَ فَشَفَقَ لَاحَ بِهِ النَّجْمُ نَجْمٌ - وَأَصْفَرَ قَيْدَ الْأَوَائِدِ الْحَوَّةَ، وَأَمْسَكَ الْحَاسِنَ
 وَأَطْلَقَ الْفُرَّةَ، وَسُئِلَ مَنْ أَنْتَ فِي قُوَادِ الْكَتَابِ، وَأَوَّلِي الْأَخْبَارِ الْعَجَائِبِ،
 فَقَالَ أَنَا الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، نَزَجَسَ هَذِهِ الْأَلْوَانِ، فِي رِيَاضِ الْأَكْوَانِ،
 تَحِيَا بِهِ وَجْهُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ، أَظَارَ بِخَفْوَةِ الصَّائِلِ، عَلَى مُعْصَفَرَاتِ الْأَصَابِلِ فَارْتَدَاهَا،
 وَتَعَمَّدَ إِلَى خُيُوطِ شُعَاعِ الشَّمْسِ، عِنْدَ جَانِحَةِ الْأَمْسِ، فَالْجَمَ مِنْهَا حُتَّةً وَأَسْلَدَاهَا،
 وَأَبْتَسَعَتْ عَلَيْهِ مَلِكُ الْحَاسِنِ فَا أَعْلَدَاهَا، فَهُوَ أَصْيَلُ تَمَسَّكُ بِذَيْلِ اللَّيْلِ عُرْفُهُ

وذيله ، وكوكب يُطلعه من القتام ليله ، فيحصله فرقد الأثق وسهله - وأشهب
تغشى من لونه مضاضه ، وتسربل منه لامة فضفاضه ، قد أحفل زينه ، لما رُقم
بالنبال لجينه ، فهو الأشمط ، الذي حقه لا يقطع ، والذراع المسارع ، والأعزل
الدارع ، وراقى المضباب الفارع ، ومكتوب الكتبية البار ، وأكرم به من مراتض
سالك ، وبجته على غايات السائقين الأولين متهالك ، وأشهب يروى من الخليفة ،
ذى الشيم المنيعة ، عن مالك - وجباري كلما سابق وباري ، أستمع جناح الجباري ،
فإذا أعملت هذه الحسبه ، قيل من هنا جاءت النسبه ، طرد النمر ، لما عظم
أمره وأمر ، فسحق وجوده بدمه ، وأبتره القروة ثم لطحه بدمه ، وكان مضاعف
الوردئير عليه من طبقه ، أو الفلك ، لما ذهب الحلك ، مُزج فيه بياض صبغه بحمرة
شفقه - وقرطاسي حقه لا يجهل ، حتى ماترق العين فيه تشهل ، إن تُزع عنه جله ،
فهو نجم كله ، أنهد بمادة الألوان ، قبل أن تشوبها يد الأكوان ، وتمزجها أقلام
المألوان ، يتقدم منه الكتبية المقلية لواء ناصع ، أو أبيض ماصع ، ليس وقار
المشيب ، في ريمان العمر القشيب ، وأنصبت الأذن من صيله المطيل المطيب ،
لما أردت بالياض إلى نعمة الخطيب ، وإن تعبت منه للتأخير المتعيب ،
قلنا الأو لا ترتب ، ما بين فحل وجره ، وبرمانه ودره ، وياقه من أبتسام غره ،
ووضوح يئن في طره ، وبهجة للعين وقره ، وإن ولع الناس بامتداح القديم ،
وخصوا الحديث بقري الأديم ، وأوجب المتعصب ، وإن أبى المنصب ، مرتبة
التقديم ، وطمح إلى رتبة المخدم طرّف الحديث ، وقرن المثري بالقديم ، وبخس
في سوق الحسد الجبل ، ودجى الليل ، وظهر في فلك الإنصاف التيل ، لما تكوكت
الخييل ، بغى بالوجه والخطار ، والذائد وذى النمار ، وداحس والسكب ،
والأبحر وزاد الركب ، والجئوح والحموم ، والكيث ومكثوم ، والأغوج وحلوان .

ولاحِظي الغَضبان ، وغفور (٩) والزَّعفران ، والمجهر ، واللَّعاب ، والأُغرُ والغُرَاب ،
 وشُعْلَةُ العُقَاب ، والفيَاض واليَعُوب [والمنهَب واليعسوب ، والصَّموت
 والقَطِيب ، وهيدب والصيب وأهلوب ^(١١)] وهَدَاج ، والحُرُون ونَجَاج ، وجَلَوَى ،
 والجنَاح والأخوَى ، ومُجَاج والعَصَا ، والنَّعام ، والبقاء والحَمَامَة ، وسَكَّاب والجُرَّادَة ،
 وحَوْصَاء ، والعرَادَة . فكم بين الشاهد والغائب ، والفُرُوض والرَّغَائِب ؛ وفَرَقٌ ما بين
 الأَثَرِ والبيان ، غَيٌّ عن البيان ؛ وشَتَانٌ بين الصَّريح والمُشْتَبِه ، وقه القائل في مثلها
 « خُذْ ما تَرَاهُ ودَعْ شَيْئًا تَمَيَّنَتْ بِهِ » والتامع يَخْتَلِفُ به الحكم ، وشَرُّ الدوابِّ عند
 التفضيل بين هذه الدوابِّ الصَّمُّ البُكْم ؛ إلا ما ركبهُ نبي ، أو كان له يوم الافتخار برهان
 خبي ؛ ومُقَضَّل ما سَمِعَ على ما رَأَى غَيٌّ ، فلو أنصَفَتْ حاسنُها التي وصَفَتْ
 لأَقْضِمَتْ حَبَّ القلوب عَقَا ، وأوردت ماء الشَّيْثَةِ نَظْفًا ؛ وأُخِيت لها من عُذْر
 الخُدود المِلاج عُذْر مَوْشِيه ، وطَلَّتْ بصَفير الحانِ القِيَانِ كُلِّ عَشِيه ؛ وأُنِيت
 بالأهْلَة ، وعُطِيت بالرياض بَدَلِ الأَجَلَة .

إلى الرقيق ، الخليق بالحسن الحقيق ، تسوقه إلى مثوى الرماية روقة الفتيان
 رعاته ويَهْدِي عَقِيْقُها من سَبَجِه أشكالا تشهد للختَرِ سبمانه بإحكام غمراته ،
 وقَفَّتْ ناظرُ الأَمْسَحان لا يَرِم ، لَمَّا بهرَ منظرُها الكريم ، وتحامل الظلم ونضامَل
 الرِّيم ، وأحسَّ مقولُه اللسان وهو بملكات البيان الحفيظ العليم ، وناب لسانُ الحال ،
 عن لسان المَقال ، عند الاعتقال ، فقال يخاطبُ المقام الذي أطلعت أزهارها غمامُ
 جوده [وأقنضت أخبارها بركة وجوده ، ^(١٢)] : لو علمنا أيُّها المَلِكُ الأصيل ،
 الذي كَرَّمَ منه الإجمال والتفصيل ؛ أنَّ الثناء يوازيها لِكُنَّا لك بِكَلِك ،

أو الشكرُ بِعَادلِها ويُجَازِئُها لِعَرضِنا بِالوَسْـلِ إلى نَيْلِ نَيْلِكَ ، أو قلنا : هـى التى أشار إليها مُستَصْرِخُ سلفِكَ المُستَنصِرُ بقوله : أَذْرِكُ بِجَنِّكَ ، حينَ شَرِقَ بِدفعِهِ الشَّرْقُ ، وأنْهَزَ الجَمْعُ وأَسْتَوَى الفَرَقُ وأَتَمَعَ فيه والحَكَمُ لله الخُرْقُ ؛ ورأى أنَ مَقامَ التَّوْحِيدِ بالمُظَاهَرَةِ على التَّثْلِيثِ ، وَحِزْبِهِ الخَلِيفَتِ ، هو الأولَى والأَحَقُّ .
والآنَ قد أَغْنَى اللهُ بِتِلْكَ النِّبَةِ ، عن إِنْجَادِ الطَّوَالِ الرَّدِّيَةِ ، وبالدَّاءِ من تلكِ المَثَابَةِ الدِّينِيَةِ إلى رَبِّ الْيَتِيَةِ ، عن الأَمْدَادِ السَّيِّئَةِ ، والأَجْوَادِ نَحْوِضِ بَحْرِ المَاءِ إلى بَحْرِ المَينَةِ ، وعن الجُرْدِ العَرِيَةِ فى مَقَاوِدِ اللُّبُوثِ الإيَّيَةِ . وَجَدَدَ بِرَسْمِ هِذِهِ الهُدْيَةِ ، مَراسِمِ المَهِودِ الوُدِّيَةِ ، وَالذَّمِّ المَوْحِدِيَةِ ، لِتَكُونَ عَلامَةً على الأَصْلِ ، وَمَكْدَبَةً لِدَعْوَى الوَقْفِ والفَصْلِ ، وإِشعاراً بِالْأَلْفَةِ التى لا تَزَالُ أَلْفُها أَلْفَ الوَصْلِ ، وَلامُها حَراماً على النِّصْلِ .

وحَضَرِينَ يَدِينَا رَسولُكُمْ فِلانَ قَـرَّرَ من فَضْلِكَ ، ما لا يُنْكِرُهُ مَنْ عَرَفَ طَـوْلَ مِقْدَارِكَ ، وأَصالَةَ دَارِكَ ، وَفَلَكَ إِبْدَارِكَ ، وَقُطْبَ مَدَارِكَ ، وَأَجْبَنَاهُ عَنْهُ يَجْهَدُ ما كُنَّا لِنَقْتَعِ مِنْ حَتَاهِ المَهْتَصِرِ ، بِالمَقْتَضِبِ المَخْتَصِرِ ، وَلِأَقْبَالِ طَـوْلِ طَـوْلِهِ بِالْقَصَرِ ، لَوْلَا طُـرُوءُ الحَصَرِ .

وقَدْ كانَ بينَ الأَسْلافِ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَ وَرِضْوانُهُ - وَدُّ أَمْرَتِ من أَجْلِ اللهِ مَعافِدُهُ ، وَوُثِرَتْ لُحُوصُ ، الجَلِيلِ النُّصُوصِ ، مُضاجِعُهُ القَازَةِ وَمَرآقُهُ ، وَتَعاهُدُهُ بِالْجَلِيلِ تَوَجُّعٌ لِقَدَرِهِ فَاقِدُهُ ؛ أبى اللهُ إِلا أنَ يَكُونَ لَكُمْ الفَضْلُ فى تَجْهِيدِهِ ، وَالْعُطْفُ بِتَوْكِيدِهِ ؛ فَتَحْنُ الآنَ لا نَدْرى أَى مِكارِمِكَ نَذْكُرُ ، أو أَى فَواضِلِكَ نَشْرَحُ أو نُشْكِرُ ، أَمَفاتِحُكُمْ التى هى عِندنا فى الحَقِيقَةِ فَتَحُ ، أَم هِدْيَتُكُمْ وَفى وَصْفِها لِلأَقلامِ سَبِحُ ، وَلَعَدُوُ الإِسْلامِ بِحِكْمَةِ حُكْمِها كَبِجُ ، إِنما تَكُلُ الشُّكْرُ لِمَنْ يُوفِّى جِزاءَ الأَعْمالِ .

البرّة، ولا يَحْسُ مثقالَ النّزّة ولا أدنى [من] مثقالِ النّره، ذى الرحمة التّره، والألطف
المُتصلة المستمرة، لا إله إلا هو .

وإن تَسَوَّقْ إلى الأحوال الراهنة، وأسباب الكُفر الواهية بقدرة الله الواهنة؛
فنحن نُطَرِّفكم بطَرَفها، ونُطَلِّعكم على سبيل الإجمال بطَرَفها؛ وهو أننا لمّا أعاد الله
من التّحيص، إلى مثابة التّخصيص، من بعد المَرَام المويص؛ كَلَمْنَا بتوفيق الله
بَصَر البصيرة، ووقفنا على سبيله مساعي الحياة القصيرة؛ ورأينا كما قُل إلينا، وكُرِّر
على مَنْ قبلنا وعلينا؛ أَنَّ الدنيا - وإن غَوَّ الغُرُور، وأنام على سُرر الغفلة السُّرُور؛
فلم ينفع الخُطور على أجداث الأحباب والمُرُور - جَسْرُ عِبَر، ومتاع لا يُبْط من حَي
به ولا يُعْبَر، إنما هو خبر يُخْبِر، وأن الحُسرة بمقدارها على تركه تجبر؛ وأنّ الأعمار
أحلام، وأنّ الناس نيام؛ ورُبَّما رَحَلَ الراحل عن الخان، وقد جَلَّه بالأذى
والدَّخان؛ أوترك به طيًّا، وشاءَ يقوم بعده للآتي خَطِيًّا؛ فجعلنا العدل في الأمور
مِلَاكًا، والتّفقّد للثغور مِسْوَكا؛ وَصَحَّح المهاد، حثيثَ الجهاد، وأحكامه مَنَاط
الاجتهاد، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾ من حُجج الامتصاد،
وبادرنا من الحصون المضاعفة وجنح التّقيّة دامن، وما كُنْها بَأْس، والأعصم
في شَعَاتِها من العِصْمة يَأْس؛ فزَيْنًا يبيض الشُّرُفات، شايها، وأفصمنا بالمُذَب
القُرَات، رَكَاياها، وَغَشِينَا بالصفيح المضاعف أبوابها، وأحتسبنا عند مَوْفَى الأجور
نَوَابِها، وبيّضنا بناصع الكَلْس أنوابها؛ فهي اليوم تُوهِم حَسَّ العيان، أنها قِطْع
من يبيض العنان، تكاد تَأْوِلُ قُرُصَ البدر بالبّنان، متكفّلةً للأمن من قَرَع الدنيا
والآخرة بالأمان؛ وأقرضنا الله قَرْضًا، وأوسعنا مَنُونَةً بالجيش عَرْضًا، وفرضنا
إنصافه مع الأهلة فرضًا؛ وأسندنا من التوكّل على الله النفي الحميد إلى ظلّ لواء،

وَبَدُّنَا إِلَى الطَّاعِيَةِ عَهْدَهُ عَلَى سَوَاءٍ ، وَقُلْنَا : رَبَّنَا أَنْتَ الْعَزِيزُ كُلُّ جَبَّارٍ لِعَزِّكَ ذَلِيلٌ ، وَحِزْبُكَ هُوَ الْكَثِيرُ وَمَا سِوَاهُ قَلِيلٌ [أَنْتَ الْكَافِي ، وَوَعْدُكَ الْوَعْدُ الْوَاقِي ، فَاقْضْ عَلَيْنَا مَوَازِعَ الصَّابِرِينَ ^(١)] وَكَثُّنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِحُظُوظِ رِضَاكَ الظَّافِرِينَ ، وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

فَصَحَّرْنَا أَوَّلَى الْحَرَكَاتِ ، وَفَاتِحَةَ مُصْحَفِ الْبَرَكَاتِ ؛ فِي خِيفٍ مِنَ الْحُشُودِ ، وَاقْتِصَارِ عَلَى مَا بَحْضَرْتَنَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَظْفُورَةِ وَالْجُنُودِ ؛ إِلَى حِصْنِ آشِ الْبَازِي الْمُطْلِ ، وَرُكَابِ الْعَدُوِّ الضَّالِّ الْمُضِلِّ ، وَمُهْدِي تَفَاتَاتِ الصَّلِّ ؛ عَلَى أَمْتِنَا وَارْتِفَاعِهِ ، وَمُتَوَقِّعِهِ ؛ وَمَا بَدَّلَ الْعَدُوِّ فِيهِ مِنْ أَسْتِعْدَادِهِ ، وَتَوْفِيرِ أَسْلِحَتِهِ وَأَزْوَاجِهِ ، وَأَتْنَحَابِ أَنْجَادِهِ ؛ فَصَلَبْنَا بِنَفْسِنَا نَارَهُ ، وَزَاخَنَا عَلَيْهِ الشَّهَدَاءُ نُصَابِرُ أَوَارِهِ ؛ وَتَلَقَّى بِالْجَوَارِحِ الْعَزِيزَةِ سِهَامَهُ الْمَسْمُومَةَ ، وَجَلَّالِمَهُ الْمَلُومَةَ ، وَأَعْجَارَهُ ؛ حَتَّى فَرَعْنَا بِجَوْلٍ مِنْ لَاحِقٍ وَلَاقٍ إِلَّا بِهِ أَبْرَاجَهُ الْمُنِيعَةَ وَأَسْوَارَهُ ، وَكَفَقْنَا عَنْ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ أَضْرَارَهُ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَضَفْنَا إِلَيْهِ حِصْنَ السَّهْلَةِ جَارَهُ ؛ وَرَحَلْنَا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ شَحْنَاهُ رَابِطَةً وَحَامِيَهُ ، وَأَزْوَادَنَا نَامِيَهُ ؛ وَعَمِلْنَا بِيَدِنَا فِي رَمِّ مَائِلَمِ الْقِتَالِ ، وَبَقَرٍ مِنْ بَطُونِ مَسَالِحِهِ الرِّجَالِ ، وَأَقْتَدَيْنَا بِنَهْيِنَا ضُلُوعَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامِهِ فِي الْخَلْدِ لِمَا حَمَى ذَلِكَ الْمَجَالِ ، وَوَقَعَ الْأَرْتِمَاجُ الْمُنْقُولُ خَبْرَهُ وَالْأَكْرَبَجَالِ ، وَمَا كَانَ لِيَقَرَّ لِلْإِسْلَامِ مَعَ تَرْكِهِ الْقَرَارِ ، وَقَدْ كَتَبَ الْجَوَارِ ، وَتَدَاعَى النَّعْرَةُ وَتَسَاوَى الشَّرَارُ .

وَكَا أَغْزَيْنَا الْجَهَنَّةَ الْغَرِيبَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَدِينَةِ بُرْغَةِ الَّتِي سَدَّتْ بَيْنَ الْقَاعَدَتَيْنِ : مَالَقَةً وَرُتْدَةَ الطَّرِيقِ ، وَأَلْبَسَتْ قُلَّ الْفِرَاقِ ذَلِكَ الْفَرِيقَ ، وَمَتَّبَعْتُمَا أَنْ يُسَيِّفَا الرَّبْقَ ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، لَطِيفِ الْمَنَامِ فِي الْأَحْلَامِ ، وَلَا رِسَالَةَ إِلَّا فِي أَجْنَحَةِ

هَدَى الْحَمَامَ ؛ فَبَسَّرَ اللَّهُ فَصْحَهَا ، وَجَعَلَ مَتَحَهَا ؛ بَعْدَ حَرْبٍ أَتَتْ فِيهَا النُّجُودُ ،
وَتَزَيَّنَتْ الْحُورُ ؛ وَتَبَسَّعَ هَذِهِ الْأُمُّ بَنَاتُ شَهِيدِهِ ، وَبُقِعَ لِلزَّرْعِ وَالضَّرْعِ خَيْرُهُ ، فَشَفِي
الْتَفَرُّ مِنْ بُؤْسِهِ ، وَتَهَلَّلَ وَجْهُ الْإِسْلَامِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ بَعْدَ عُجُوسِهِ .

ثُمَّ أَعْمَلْنَا الْحَرَكَةَ إِلَى مَدِينَةِ الْجَزِيرَةِ عَلَى بَعْدِ الْمَدَى ، وَتَعَلَّقْنَا عَلَى بِلَادِ الْعَدَا ،
وَأَقْتَمْنَا هَوْلَ الْقَلَا وَغَوْلِ الرَّدَا ؛ مَدِينَةً بَنَتْهَا حِمصٌ فَأَوْسَعَتِ الدَّارَ ، وَأَغْلَتِ الشَّوَارَ ،
وَرَاعَتْ الْأَسْنَكَارَ ، وَبَسَطَتْ الْأَعْتَارَ ؛ رَجَّحَ إِلَيْنَا قَصْدَهَا عَلَى الْبُعْدِ ، وَالطَّرِيقِ
الْجَدِّ ؛ مَا أَسْقَتْ بِهِ الْمَسَامِينَ ، مِنْ اسْتِئْصَالِ طَائِفَةٍ مِنْ أَسْرَاهُمْ مَرُّوا بِهَا آمِنِينَ ،
وَبَطَارِيهَا الْمَشُومُ مَيِّمَتِينَ ؛ قَدْ أَنْهَكَهُمُ الْإِعْتِقَالُ ، وَالْقَيْودُ الثَّقَالُ ؛ وَأَضْرَعَهُمُ
الْإِسَارَ ، وَجَلَّلَهُمُ الْإِتْكَسَارَ ؛ بِقَلْوِهِمْ فِي مَصْرَعٍ وَاحِدٍ ، وَتَرْكِهِمْ عِبْرَةَ الرَّائِي
وَالْمُشَاهِدِ ؛ وَأَهْلَدُوا بِوَقِيعَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ تُكُلُّ الْوَاحِدَ ، وَرَبَّةَ الْمَاجِدِ ؛ فَكَسَنَاهَا
كِبْسًا ، وَبَقَانَاهَا بِالْهَمَامِ مِنْ لَا يَضِلُّ وَلَا يَنْمِي ؛ فَصَبَّحَتْهَا الْخِيلُ ، ثُمَّ تَلَحَّقَ الرَّجُلُ
كَأَجْنٍ اللَّيْلِ ، وَحَاقَ بِهَا الْوَيْلُ ؛ فَأُصِيبَ مِنْهَا الدَّمَارُ ، وَأَخْذَهَا الدَّمَارُ ، وَخَفَّتْ
مِنْ مَصَانِعِهَا الْبَيْضُ الْأَهْلَةُ وَخَسِفَتِ الْأَقْمَارُ ، وَشَفِيَتْ مِنْ دِمَائِهَا أَهْلُهَا الضُّلُوعُ
الْحِرَارَ ، وَسُلِطَتْ عَلَى هَبَا كُلِّهَا النَّارُ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْأَلَاافِ الْعَسِيدَةُ مِنْ سَيِّئِهَا
الْإِسَارَ ، وَأَتَتْهُ إِلَى إِيْشِيلِيَّةِ التَّكْلِ الْمَفَارَ ، بِخَلَلِ وَجْهِهِ مِنْهَا مِنْ بَكَارِ النَّصْرَانِيَةِ
الصَّفَارَ ، وَأَسْتَوْلَتْ الْإَيْدَى عَلَى مَا لَا يَسْعُهُ الْوَصْفُ وَلَا تَهْلُهُ الْأَوْفَارُ .

وَعُنَّا وَالْأَرْضُ تَمُوجُ سَيِّئًا ، لَمْ تَرْكُ يَعْفِرِينَ شَيْئًا وَلَا بَوَجْرَةَ خَلِيئًا ؛ وَالْعَقَائِلُ
حَسْرَى ، وَالْبَيْوُكُ تَهْرُهَا التُّشَعُّ الْأَسْرَى ، وَصُبْحُ الشَّرَى قَدْ حُدَّ مِنْ بَعْدِ بَعْدِ الْمَسْرَى ،
فُسَبْطَانُ الَّذِي أَسْرَى . [وَلِسَانُ الْحَمِيَّةِ يُنَادِي ، فِي تِلْكَ الْكَائِثِ الْخُزْبَةِ وَالنُّوَادِي ،
يَا لَتَأَارَاتِ الْأَسْرَى] ^(١) .

ولم يكن إلا أن نُقِلَت الأنفال ، ووُصِفَت بالأرضاخ الأغفال ، وتميزت الهوادي والأكفال ، وكان إلى غزو مدينة جِيَان الاحتفال ؛ فُدنا إليها الجُرد تُكَلِّب الظلال نَسَاطا ، والأبطال تَتَمَحَّم الأخطار رِضًا بما عند الله وأَغْنِيَا ، والمهندة الزرق تَسِيْق إلى الرقاب أَمْسِلَالًا واختراطا ، والرديئة السُّمُر تسترط حياة النفوس أَسْطَرَا ، وأزحنا الليل عَمَّن أراد جهادًا مُنْجِيَا غُبَارُهُ من دُخَان جهنم ورباطًا ، ونادينا الجهاد الجهاد ، يَا أُمَّة الجهاد ، راية النبي الهاد ، الجنة الجنة تحت ظلال السيوف الحداد ؛ فهز النداء إلى الله تعالى كُلَّ عامر وظامر ، وأمر الجُم من دعوة الحق إلى أمرٍ أمر ، وأتى الناس من الفُجُوج العميقة رجالًا وعلى كُلِّ ضامر ؛ وكثرت الرايات أزهار البطاح لونا وعَدا ، وسَدَّت الحُشُود مسالك الطريق العريضة سَدًا ؛ ومدَّ بحرُها الزاحِر مدًا ، فلا يحد لها الناظر ولا المناظر حَدا .

وهذه المدينة هي الأمُّ الولُود ، والجنة التي في النار لُسُكُنُها من الكُفَّار الخُلُود ؛ وكرميُّ الملك ومجنته الوسطى من الممالك بامت بالمزايَا العديدة ونجحت ، وعند الوزن بغيرها من أُمَم البُلدان رَجَحَتْ ؛ غَابَ الأُمسُود ، وبُحِرَ الحَيَات السود ؛ ومُنْصَب التماثيل الهائلة ، ومُتَعَلِّق النواقيس الصائِلَة .

وأدبنا إليها المراحل ، وعَبَّأَتْ لِنُجَار المحلات المستقلات منها الساحل ؛ ولما أَكْثَبْنَا جوارها ، وكَدْنَا نَلْمَح نَارها ، تَحَرَّكًا وَوِشَاحُ الأُفُق المرقوم ، بَزَهَر النجوم ، قد دار دائرُهُ ؛ واللَّيْل من خوف الصُّباح ، على مَرَحِه المُسْتَبَاح ، قد شابت قَدَارُهُ ، والنَّسَر يَرْقُفُ باليمن طائرُهُ ، والسَّامِكُ الرَّاح يَنَارُ قَفَر الإسلام نائرُهُ ؛ والنعام راعدة فرائص الجسد ، من خوف الأسد ؛ والقوس يُرْسِل سَهْم السعادة ، يَوَرَّ العادة ، إلى أهداف النعم المعادة ؛ والجوزاء طابرة نهر المجرة ، والزُّهرة تَنَارُ من الشَّعْرَى العُيُور بالضره ؛

وعطارد يُسبى في حِجَلِ الحروب على البلد المحروب ويُحِم ، وينظر على أشكلها
الهندسية فيفتح ، والأحر بهر ، والعلم الأبيض يقرى وينهر ، والمشتري يُبدى في فضل
الجهاد ويُعيد ، ويُرَاجِم في الخلقات على مالمساعدة من الصفات ويزيد ، وزحل
على الطالع متحل ، وعن العاشر مرتحل ، وفي زَلَق السقوط وحل ، والبدر
يُطَارح سحر المتجنين ، كيف يهوى إلى التيق ، ومطلع الشمس يرقب ، ويجدار
الأفق يكاد باليون عنها يُنقب .

ولما فتأ سر الصباح ، وأهترت أعطاف الرايات لصحيات مبشرات الرياح ؛ أطلنا
عليها إطلال الأسود على الفراش ، والفحول على العرائس ؛ فنظرنا منتظرا يروع بأسا
ومنه ، و يروق وضعا وصنعه ؛ تلقت معاقله الشم للسحاب يرود ، ووردت من
غدير المزن في يرود ، وأسرع لاختطاف أزهار النجوم والذراع بين النطاق معاصم
رود ؛ وبلدا ينجي المساح والذراع ، وينظم الحاني والأجارع ؛ قلنا : اللهم نقله أيدي
عبادك ، وأرنا فيه آية من آيات جهادك ؛ فقلنا بساحتها العريضة المتون ، زول
الغيث المتون ؛ وثمنا من فحصها الأفيج بسورة التين والزيتون ، متربة من أمان
الرحمان للبلد المفتون ؛ وأعجلنا الناس بحجة قوسهم النفيسه ، وبحجة شجاعتهم النفيسه ؛
عن أن نبوى للقتال المقاعد ، ونذني بإسماع شهير التغير منهم الأبعد ؛ وقبل أن يلتقى
الحديم بالمخدوم ، ويركم المتجنين ركعتي القدوم ؛ فدفعوا من أصغر اليهم من الفرسان ،
وسبق إلى حومة الميدان ؛ حتى أبحرهم في البلد ، وسلبوهم لباس الجلد ، في موقف
يُهلل الوالد عن الولد ؛ صارت المهام فيه عماما ، وطارت كأمراب الحمام تُهدى
حماما ؛ وأضحت القنا قصدا ، بعد أن كانت شمابا رصدا ؛ وملاج بحر القتام بأمواج
التصول ، وأخذ الأرض الرجفان لزوال الصباح الموصول ؛ فلا ترى إلا شهيدا .

تُظَلِّل مَصْرَمَهُ الحُورَ ، وَصَرَمًا تَهْدِفُ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ أَمْوَاجُ تِلْكَ البُحُورِ ، وَنَوَاشِبُ
تَبَآئِيهَا أُلُجُوهُ الوجِهُ عِنْدَ اللَّهِ وَالتَّحُورُ ؛ فَالْمَقْصِبُ ، قَوْدُهُ يُخَضَّبُ ، وَالْإِسْمَرُ ؛
غُصْنُهُ يَسْتَنْمِرُ ؛ وَالْمَغْفَرُ ، حِمَاهُ يَحْتَفِرُ ؛ وَظُهُورُ القِيَمَى تُقَصِّمُ ، وَعِصَمُ الْجُنْدِ الكَوَافِرُ
تُقَصِّمُ ؛ وَوَرَقُ اللَّيْلِ ، فِي الْمُنْقَلَبِ ، يَسْقُطُ ، وَالبَثْرُ تَكْتَبُ وَالسُّمَرُ تَسْقُطُ ؛ فَاقْتَحِمِ
الرَّيْضَ الْأَعْظَمُ لِحِينِهِ ، وَأَظْهَرِ اللَّهُ لِمَيُورِ الْمُبِصِرِينَ وَالْمُسْتَبْصِرِينَ عِزَّةَ دِينِهِ ،
وَتَبَرَّ الشَّيْطَانَ مِنْ حَلِينِهِ ؛ وَنُهْبُ الْكُفَّارِ وَخُنُلُوهَا ، وَبُكْلُ مَرَضِدِ جُدُلُوهَا ؛ ثُمَّ دُخِلَ
الْبَلَدُ بَعْدَهُ غَلَابًا ، وَجُلِّلَ قَتْلًا وَاسْتِلَابًا ؛ فَلَا تَسْلُ ، إِلَّا الظُّلُمُ وَالْأَسْلُ ، عَنْ قِيَامِ
سَاعَتِهِ ، وَهَوَّلِ يَوْمِهَا وَشَنَاعَتِهِ ؛ وَتَحْرِيبِ الْمَبَاتِ وَالْمَبَاتِي ، وَغِيْ الْأَيْدِي مِنْ خَزَائِنِ
تِلْكَ الْمَغَانِي ، وَقِيلِ الْوُجُودِ الْأَوَّلِ إِلَى الْوُجُودِ الثَّانِي ؛ وَتَحَارِقِ السَّيْفِ بِخَاءِ بَغِيرِ
الْمَعْتَادِ ، وَنَهَلَتْ الْقَنَا الرُّدِّيَّةُ مِنَ الدَّمَاءِ حَتَّى كَادَتْ تُورِقُ كَالْأَغْصَانِ الْمَغْفَرَةِ وَالْأَوْتَادِ ؛
وَمَهَّتْ أَفْلَاكُ الْقِيَمَى وَتَحَمَّتْ ، وَأَرَّتْ حَتَّى بَحَّتْ ، وَفَعَلَتْ مَوَادِّهَا فَشَحَّتْ
بِمَا أَلَحَّتْ ؛ وَسَلَّتِ الْمَسَالِكُ جُثَّتِ الْقَتْلُ فَمَنَعَتِ الْعَارِ ، وَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ
الشَّافَةَ وَقَطَعَ الدَّائِرَ ، وَأَزَلَفَ الشَّهِيدَ وَأَحْصَبَ الصَّابِرَ ، وَسَبَقَتْ رُسُلُ الْفَتْحِ الَّذِي
لَمْ يُسَمِعْ بِمِثْلِهِ فِي الزَّمَنِ الْفَارِ ، تَنْقُلُ الْبُشْرَى مِنْ أَفْوَاهِ الْحَابِرِ ، إِلَى آذَانِ الْمُنَابِرِ .
أَقْنَاهَا أَيَّامًا تَقَرُّ الْأَنْخَبَارُ ، وَنَسْتَأْصِلُ بِالتَّخْرِيبِ الْوَحَارَ ، وَلَسَانُ الْأَنْتِقَامِ ،
مِنْ عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ ، يُبَادِي بِالتَّارَاتِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ تَسْقِيًا مِنَ الْعُجَارِ ، وَرَعِيًا لِحَقِّ
الْجَارِ ؛ وَقَقَلْنَا وَأَجْنَعَةُ الرِّيَاطِ ، بِرِيَاحِ الْعِنَايَاتِ ، خَافَقَهُ ؛ وَأَوَاقِ التَّوْفِيقِ ،
النَّاشِئَةِ مِنْ خَطُوطِ الطَّرِيقِ ، مُوَافَقَهُ ؛ وَأَسْوَاقِ الْعِزِّ بَاقَهُ نَاقَهُ ، وَجِلَاءِ الرِّفْقِ
مَصَابِحِهِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مُرَاقِقَهُ ؛ وَقَدْ ضَاهَتْ قُذُوعُ الْجِبَالِ ، عَنْ أَعْنَاقِ الشَّهْبِ
السَّبَالِ ؛ وَرَفَعَتْ عَلَى الْأَكْفَالِ ، رُدْفَاءُ كَرَامِ الْأَهْوَالِ ؛ وَقَلِقْتُ مِنَ النُّوَاقِيسِ أَجْرَامُ

الجلال بالهندام والاحتياط ؛ وهلك بمهلك هذه الأم بنات كُنَّ يرتضنَّ ثلثها الحوافل
ويستورنَّ حجرها الكافل ؛ شمل التخريب أسوارها ، ونجّلت النار بوارها .

ثم تحرّكا بلحا حركة الفتح ، وأرسلنا دلاء الإدلال قبل المتح ، فبشرت بالفتح ؛
وقصدنا مدينة أبدة وهي ثانية الجناحين ، وكُبرى الأختين ، ومساهمة جيان
في حين الحين ؛ مدينة أخذت عَرْض الفضاء الأخرق ، وتمشّت فيه أرباضها تمشي
الكتابة الجاححة في المهرق ؛ المشتعلة على المتاجر والمكاسب ، والوضع المتناسب ،
والقلج المعني رعبه عمل الحاسب ، وكورة الدبر اللاسب ، المتعددة اليماسب ؛
فانأخ العقاء بروعها الماسره ، ودارت كئوس عقبار الخوف ، بنان السيوف ،
على منديريها المعافرة ، وصبّحتنا طلائع الفاقرة ، وأغرّيت ببطون أسوارها عوج
المعاول الباقرة ؛ ودخلت مدينتها عنوة السيف ، في أسرع من خطرة الطيف ،
ولا تسأل عن الكيف ؛ فلم يبلغ العقاء من مدينة حافله ، وعقيلة في حلل المحاسن
راغله ، ما بلغ من هذه البائسة التي مجلّت لآلهة النيران أبراجها ، وتضامل بالزغام
معرّجها ؛ وضفت على أعطافها ملائس الحذلان ، وأقفر من كائنها كئاس
الغزلان .

ثم تأهبنا لغزو أم القرى الكافرة ، وخزائن المزاين الوافرة ، وريّة الشهرة السافرة ؛
[والأنباء المسافرة] ^(١) قرطبة وما أدراك ماهيه ، ذات الأرجاء الحالية الكاسية ، والأطواد
الراحيّة الراسية ، واللباني المباهية والزهرء الزاهيه ، والمحاسن غير المتناهيه ؛ حيث هالة
بدر السماء ، قد أمتدّارت من السور المشيد البناء ؛ ونهر الحجرة من نهرها الفيّاض ،
المسلول حُسامه من محمود الفيّاض ؛ قد لصق بها جارا ، وفلك الثولاب المعتدل

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" -

الْإِقْلَابُ قَدْ أَسْتَقَامَ مَدَارًا، وَرَجَّحَ الْحَيْنَ أَشْيَاقًا إِلَى الْحَيْبِ الْأَوَّلِ وَأَدَّكَارًا؛
 حَيْثُ الطُّودُ كَالْتَّاجِ، يزدانُ بِلَجِينِ الْعَدْبِ الْمُجَاجِ؛ فَيُزْرَى بِنَاجِ كَسْرَى وَدَارًا؛ حَيْثُ
 قَيْسُ الْجُسُورِ الْمُدِيرِ، كَأَنهَا عَوْجُ الْمَطَى الْغَرِيرِ، تَعْبُرُ النَّهْرَ قَطَارًا؛ حَيْثُ أَثَارُ الْعَابِرِ
 الْمَجَاهِدِ، تَعْبَقُ بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ، شَدَى مِعْطَارًا؛ حَيْثُ كَرَامُ السَّعَابِ، تَرُورُ عَرَامِ
 الرِّبَاضِ الْحَبَابِ، فَحِمْلُهَا مِنَ الدَّرَنِارِ؛ حَيْثُ شَمُولُ الشَّهَالِ تُدَارِى الْأَدْوَا؛
 بِالْفُتُوقِ وَالزَّوْجِ، فَتَرَى الْقُصُونَ سُكَارَى وَمَا هِيَ بِسُكَارَى؛ حَيْثُ أَيْدَى الْأَفْتَحِ،
 تَمْتَصُّ مِنْ شَفَاقِ الْبَطَاحِ، أَبْكَارًا؛ حَيْثُ تُغَوِّرُ الْأَفْجَحِ الْبَاسِمِ، تَقْبَلُهَا بِالسَّحَرِ
 زُؤَارِ النَّوَاسِمِ، فَتَخْفِقُ قُلُوبُ النُّجُومِ الْفَيَّارِ؛ حَيْثُ الْمَصْلُ الْعَتِيقُ قَدْ رَجَبَ بَحَالًا
 وَطَالَ مَنَارًا، وَأَزْرَى بِلَاطِ الْوَلِيدِ أَحْقَارًا؛ حَيْثُ الظُّهُورُ الْمَتَارَةُ بِسِلَاحِ الْفَلَاحِ
 تُجَبُّ عَنْ مِثْلِ أَسْفَةِ الْمَهَارَا، وَبِالْطُّونِ كَأَنهَا تُدْمِثُ النَّهْمَ بِطُونِ الْعَدَارِ؛ وَالْأَدْوَا حُ
 الْعَالِيَةِ تَخْتَرِقُ أَعْلَامُهَا الْمَهَادِيَةَ بِالْجَسَدِ الْخَبَارَا؛ فَاسْتَمْتِ مِنْ جَوْ صَقِيلِ،
 وَمُعَرَّسَ لِحُسْنِ وَمَقِيلِ، وَمَالِكِ لِلْعَقْلِ وَعَقِيلِ، وَنَحْمَالِ كَمْ فِيهَا لِلْبَلَابِلِ مِنْ قَالٍ وَقِيلِ،
 وَخَفِيفِ يِمْحَاوِبُ بِتَقِيلِ . وَسَنَائِلِ تَحْكِي مِنْ فَوْقِ سُوقِهَا، وَقُضْبُ بِسُوقِهَا، الْهَمْزَاتِ
 فَوْقَ الْأَلْفَاتِ، وَالْعَصَاغِيرُ الْبَدِيعَةُ الصِّفَاتِ، فَوْقَ الْقُضْبِ الْمُؤْتَلِفَاتِ، تَمِيلُ بِهَيُوبِ
 الصَّبَا وَالْجَنُوبِ، مَائِلَةٌ الْجُيُوبُ بِدَرَرِ الْجُيُوبِ . وَبَطَاحٍ لَا تُعْرِفُ مِنْ الْحَلِّ، فَتَطْلُبُهُ
 بِالذَّحْلِ؛ وَلَا تَصْرِفُ فِي خِدْمَةِ بَيْضِ قِيَابِ الْأَزْهَارِ، عِنْدَ أَفْتَحِ السُّومَنِ وَالْبَهَادِ؛
 غَيْرَ الْعُبْدَانِ مِنْ مُودَانِ النَّخْلِ، وَبِحَرِّ الْفَلَاحَةِ الَّتِي لَا يُدْرِكُ سَاحِلُهُ، وَلَا يَنْتَعِ
 الطَّيَّةُ الْبَعِيدَةَ رَاحِلُهُ، إِلَى الْوَادِي، وَسَمَرِ النَّوَادِي، وَفَرَارِ دُمُوعِ الْفَوَادِي؛ الْمَتَجَسَّرِ
 عَلَى تَحْطِيطِهِ، عِنْدَ تَحْطِيطِهِ، الْجَسْرُ الْعَادِي؛ وَالْوَطَنُ الَّذِي لَيْسَ مِنْ عَمْرٍو وَلَا زَيْدَةَ

والقرآن الذي في جوفه كل صيد؛ أقل كرسية خلافة الإسلام، وأغار بالرصافة والجسر
دار السلام، وما عسى أن تُطَيَّب في وصفه السنة الأعلام، أو تُعَبَّر به عن ذلك الكمال
قُتِرُ الكلام .

فأعلمنا إليها السرى والسرى، وقُتِرنا إليها الخليل وقد عقد الله بنواصيا الخير .
ولما وَفَّقنا بظاهرها المُبَيَّن المُعْجَب، وأصطفَقنا بخارجها المُنَيَّب المُتَجَب؛
والقلوب تلتهمس الإحانة من مُنعمٍ يُجْزَل، وتستقرِّل مدد الملائكة من مُنْجِدٍ مُتَرَل،
والركائب واقفة من خَلْفنا بِمُزَل، لتتأشَّد في معاهد الإسلام: قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي
حَبِيبٍ وَمُتَرَل - برز من حاميتها الحاميَّة، ووَقُود النار الحاميَّة، وبقية السيف
الوافرة على الحصاد الناميَّة، قطعُ الغائم الهاميَّة، وأموأجُ البحور الطاميَّة، وأسْتَجَنَّت
بِظلال أبطال الجبال أعداءُ الرجال الناشئة والراميَّة، وتصدَّى للزَّل، من صناديدها
الصَّهْب السَّال، أمثالُ الهَضَاب الراسيَّة، تَجْمُها جُنُ السَّوَابِج الكاسيَّة، وقواميسُها
المُفَادِيَّة للصُّبَّان يوم يوسها بِنُفوسها المُواسيَّة، وخنازيرُها التي عدتها عن قبول
مُحْجِج الله ورسوله سُتُور الظُّلُم الغاشيَّة، ومُخْجُور القلوب القاسيَّة؛ فكان بين الفريقين
أمام جسرهما الذي فَرَّق البحر، وحلَّى بلُجَيْنِه ولائِي زَيْنِه منها التَّحَرُّ، حَرْبٌ لم تَنْسَج
الأزمانُ على مِثْوَالها، ولا أُنِت الأيَّامُ الحَبَالِي بِمِثْلِ أَجِنَّة أحوالها؛ مَنْ قَاسَها بِالْفَجَارِ
أَفْكَ وَبَحْرٍ، أو مِثْلها بِمُفْجَرِ الهَبَاءَةِ خَرَفٍ وَهَجَرٍ، ومن شَبَّها بِمُحَرِّبِ داحِشٍ والغَبْرَاءِ
فَما عَرَفَ الخَبْرَ، فليَسأل مَنْ حَرَّبَ وخَبَرَ؛ ومن نَظَرها بِيَوْمِ شَعْبِ جَبَلِه، فهو
دُوبَلِه؛ أو عادَها بِبُطْنِ عاقِلٍ، ففَيْرَ عاقِلٍ؛ أو أَحْجَجَ بِيَوْمِ ذِي قارٍ، فهو إلى المعرفة
دَوَاقِفَ قارٍ؛ أو ناضِلَ بِيَوْمِ الكَيْدِ، فَسَهْمُه [غير السَّيْدِ،^(١)] إِنْما كان مقامًا غير مُعْتادٍ،

ومرعى فؤوس لم يف بوصفه لساناً مُرتاد، وززال جبال أوتاد، ومتلف مذخور
 لسلطان الشيطان وعداد، أعلم فيه البطل الباسل، وتورد الأبيض الباترونأودالاسمر العاسل،
 ودوم الجلمد المتكاسل، وأنبت من حذب الحنية إلى هدف الرمية الناصر الناسل،
 وزويت لموصلات السهام المراسل، ثم أفضى أمر الرماح إلى التشابح والارتباك،
 ونسيت الأستنة في الدروع تشب السمك في الشباك، ثم أخطط المرعى بالمحمل،
 وميزل الرديني عن العمل، وعادت السيوف من فوق المفارق تيجانا، بعد أن شقت
 غدر السوانح خلجانا، وأتحدت جداول الدروع فصارت بحرا، وكان التماقق فلا ترى
 إلا تحرا يلزم تحرا، عناق وداع، وموقف شمل ذى أنصداع، وإجابة مناد إلى
 فراق الأيد وداع، واستكشفت مآل الصبر الأتس الشفافه، وهبت برج النصر
 الطلائع الميشرة الهفاه، ثم آمد السيل ذلك العباب، وصقل الاستبصار الألباب،
 واستخلص العزم صفوة اللباب، وقال لسان النصر: أدخلوا عليهم الباب، فأصبحت
 طوائف الكفار، حصائد متاجل الشفار، فقارقهم قد رضيت حرمانها بالاعفار،
 ورعوسهم مخطوطة في غير معالم الاستنفار، وطأت الرابات من فوق تلك الأبراج
 المستطرفة والأسوار، ورفرف على المدينة جناح البوار، لولا الانتهاء إلى الحد والمقدار،
 والوقوف عند اختفاء سمر المقدار.

ثم صرنا نهرها، وشددنا بأيدي الله قهرها، وضيقتنا حصرها، وأقمنا بها إياما
 نحوم عقبان البنود على فريستها حياما، وترى الأرواح بيوارها، وتسلط النيران
 على أقطارها، فلولا طاقى المطر، لحصلتنا من فتح ذلك الوطن على الوطر، فرأينا
 أن نروضها بالاجتثاث والانتساف، ونوالى على زروعها وبُوعها كرات رياح
 الاعتساف، حتى يتهيأ للإسلام لوك طعمتها، ويتهنأ بفضيل الله إرث نعيمها،

ثم كانت عن موقعها الإفاضة من بعد نحر الثُحور ، وقَذِفَ جمار الدَّمَارِ عَلَى الْعُدُوِّ
الْمَذْهُورِ ، وتدافعت خَلْقَتَا السَّابِقَاتِ الْمُسْتَقِلَّاتِ تَدَاوَعُ أَمْوَاجَ الْبُحُورِ .

وبعد أن اتَّحَنَّا عَلَى جَنَّتَاهَا الْمُصْصِرَةِ ، وَكُرِّمِيهَا الْمُشْتَجِرَةِ ، إلْحَاحَ الْفَرِيمِ ، وَعَوَضْنَاهَا
الْمَنْظَرَ الْكَرِيمَ مِنَ الْمَنْظَرِ الْكَرِيمِ ، وطاف عليها طَائِفٌ مِنْ رَبَّنَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ،
وَأَغْرَمْنَا حَلَّاقَ النَّارِ بِحَمِّ الْجَحِيمِ ، وراكمتا في أجواف أجوائها غمامِ الدُّخَانِ ، تُدَكِّرُ
طَلِيئَةَ الْبَانِ ، بِيَوْمِ النَّعِيمِ ؛ وَأَرْسَلْنَا رِيَّاحَ الْغَارَاتِ لَا تَتَدَّرُ مِنْ شَيْءٍ آتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ
كَالرَّمِيمِ ، وَأَسْتَقْبَلْنَا الْوَادِيَّ يَهْوِلُ مَدَا ، وَيُرْوِعُ سَيْفُهُ الصَّبِيلَ حَتَّى ، فَيُسِرَّهُ اللَّهُ مِنْ
بَعْدِ الْإِعْوَازِ ، وَأَنْطَلَقَتْ عَلَى الْفُرْصَةِ [بِتِلْكَ الْفُرْصَةِ^(١)] أَيْدِي الْإِتِهَازِ ، وَسَأَلْنَا مِنْ سَاعِلِهِ
أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ فَاقْبِ بُرْهَانَ الْجَوَازِ فَمِمَّ الْإِكْتِسَاحِ وَالِاسْتِبَاحِ جَمِيعَ الْأَحْوَازِ ، فَأَدْبَلَ
الْمُصُونِ ، وَأَتَيْتِ الْفُرَى وَهَلِمَتِ الْحُصُونِ ، وَاجْتَنَّتِ الْأَصُولُ وَطُكِمَتِ الْقُصُونِ ؛
وَلَمْ تَرْفَعْ عَنْهَا إِلَى الْيَوْمِ غَارَةٌ تُصَافِحُهَا بِالْبُوسِ ، وَتُطْلِعُ عَلَيْهَا غُرَرَهَا الضَّاحِكَةَ بِالْيَوْمِ
الْبُوسِ ، فَهِيَ الْآنَ تَجْرِي السَّوَابِقَ وَتَجْرِي الْعَوَالِي ، عَلَى التَّوَالِي ، وَالْجَسْرَاتُ تَتَجَدَّدُ
فِي أَطْلَالِهَا الْبَوَالِي ، وَكَأَنَّ بِهَا قَدْ صُرِعَتْ ، وَإِلَى الدَّعْوَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ قَدْ أَمْرَعَتْ بِقُدْرَةِ
مَنْ لَوْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى الْجِبَالِ لَخَشَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتَصَلَّحَتْ ، وَعِزَّةٌ مِنْ أَدْعَنَتِ
الْجَبَابِرَةُ لِمَرْءِهِ وَخَنَعَتْ ؛ وَعُلْنَا وَالْبُنُودُ لَا يَعْرِفُ اللَّفَّ نَشْرُهَا ، وَالْوَجُوهُ الْمَجَاهِدَةُ
لَا يَخَالِطُ التَّقَطُّبَ نَشْرُهَا ؛ وَالْأَيْدِي بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى مَعْتَلِقَةً ، وَالْأَلْسُنُ بِبُشْكُرِنَا أَلْفَ
مُتَطَلِّقَةٍ ، وَالسِّيُوفُ فِي مَضَاجِعِ الْغُمُودِ قَلِقَةٍ ، وَسِرَابِيلُ الدَّرُوعِ خَلِقَةٍ ، وَالْجِيَادُ مِنْ
رَبِّهَا إِلَى الْمَرَابِطِ وَالْأَوَارِي رَدَّ الْعَوَارِي حَيْثُهَا ، وَبِعِبْرَاتِ الْغَيْظِ الْمَكْظُومِ مَحْتَقَةٍ ؛
تَنْظُرُ إِلَيْنَا نَظَرَ الْعَابِ ، وَتَعُودُ مِنْ مِيَادِينِ الْمِرَاحِ وَالْإِخْتِيَالِ تَحْتَ حُلَلِ السَّلَاحِ بَعْدَ

الصَّيَّانَ إِلَى الْمَكَلَبِ ؛ وَالطَّبْلَ بِلِسَانِ الْعَزَّ هَادِرٍ ، وَالْعَزْمَ إِلَى مُنَادَى الْعَوْدِ الْحَمِيدِ
مُبَادِرٍ ، وَوَجُودُ نَوْحِ الرِّيحِ ، مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكَفَاحِ ، نَادِرٍ ، وَالْقَاسِمُ تَرْتَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
السَّبِي النَّوَادِرِ ، وَوَارِدُ مَهَلِ الْأَجُورِ ، غَيْرُ الْمُحَلِّ وَلَا الْمَهْجُورِ ، صَادِرٍ ، وَمُنَاطِرُ الْفَضْلِ
الْآتِي عَقِبَهُ أَخِيهِ الثَّانِي عَلَى الْمَطْلُوبِ الْمَوَاقِي مُصَادِرٍ ؛ وَاقَهُ عَلَى تَسْيِيرِ الصَّبَابِ
وَتَحْوِيلِ الْمَنِّ الرُّغَابِ قَادِرٍ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَمَا أَجَلَ لَنَا صُنْعُهُ الْخَفَى ! وَأَكْرَمَ بِنَا لَطْفَهُ
الْجَهِّي ! اللَّهُمَّ لَا تُخْصِي شَأْنَهُ طَلِكَ ، وَلَا تَقْطَعْ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا تَتَمَسَّ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا لَدَيْكَ ، فَاعِذْ طَلَبْنَا عَوَانِدَ نَصْرِكَ يَا مُبْدِي يَا مُعِيدَ ، وَأَعِنَّا مِنْ وَسَائِلِ
شُكْرِكَ عَلَى مَا نَتَلَّ بِهِ الْمَزِيدَ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا قَهَّالًا لِمَا يُرِيدُ .

وَقَارَنْتُ رِسَالَتَكُمْ الْمِيمُونَةَ مِنْهُ لَنَبِيَّا حَلَقٌ فَتَحَ بِعِيدِ صَيْتِهِ ، مَشْرِيبٌ لَيْتُهُ ، وَنَفَرٌ
مِنْ نَوْحِ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ مَيْتُهُ ، عَجَبْنَا مِنْ تَأْتِي أَمَلِهِ الشَّارِدِ ، وَقَلْنَا الْبَرَكَةُ فِي قُدُومِ الْوَارِدِ ،
وَهُوَ أَنَّ مَلِكَ النَّصَارَى لَا طَفَقْنَا بِجَمَلَةٍ مِنْ الْحُصُونِ كَانَتْ مِنْ مَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِ
قَدْ خُصِبَتْ ، وَالتَّمَاثِيلُ فِيهَا يُبَيِّتُ اللَّهُ قَدْ نُصِبَتْ ؛ أَدَالَهَا اللَّهُ بِمَحَاوِلَتِنَا الطَّيِّبِ مِنْ
الْخَلِيفَةِ ، وَالتَّوْحِيدِ مِنَ التَّثْلِيثِ ؛ وَادَّ إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ عَوْدَةَ الْأَبِ الْغَائِبِ ، إِلَى الْبَنَاتِ
الْجَبَائِبِ ؛ يَسْأَلُ عَنْ شُؤْنِهَا ، وَيَسْخُ نُمُوعَ الرِّقَّةِ عَنْ جُفُونِهَا ؛ وَهِيَ لِلرُّومِ خُطَّةُ
خَسْفٍ قَلَمًا أَرْتَكِبُوهَا فِيمَا نَعْلَمُ مِنَ الْمُعْهُودِ ، وَتَادِرُهُ مِنْ نَوَادِرِ الْوُجُودِ ؛ وَإِلَى اللَّهِ طَلَبْنَا
وَعَلَيْكُمْ عَوَارِفَ الْجُودِ ! ، وَجَعَلْنَا فِي مَحَارِبِ الشُّكْرِ مِنَ الرُّكْعِ السُّجُودِ ! .

عَرَفْنَاكُمْ بِجَمَلَاتِ أُمُورِ تَحْتَهَا تَخْسِيرُ ، وَيَمْنٌ مِنْ اللَّهِ وَتَيْسِيرُ ، إِذْ آسَفَاءُ الْجَزَيَّاتِ
عَسِيرُ ، لَنَسْرِكُمْ بِمَا مَنَحَ اللَّهُ دِينَكُمْ ، وَتَوَجَّ بِمِزْ الْمَلَّةِ الْخَنِيفَةِ جَبِينَكُمْ ، وَنُحْطَبُ بَعْدَهُ
دَعَاءُكُمْ وَتَأْمِينُكُمْ ؛ فَإِنَّ دَعَاءَ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بَطْهَرُ النَّيِّبِ سِلَاحُ مَاضٍ ، وَكَفِيلُ الْمَوَاقِبِ
الْمَسْئُولَةِ مِنَ الْمُتَنِيمِ الْوَهَّابِ مِيفَاضُ ؛ وَأَتَمُّ أَوْلَى مَا سَاهَمَ فِي رِزْقِ ، وَطَامَلُ اللَّهِ بِمُخْلُوضِ

سِرٍّ ، وأين يذهب الفضل عن بَيْتِكُمْ ، وهو صفة حَيْكُمْ وَثَرَاتِ مَيْتِكُمْ ، ولكم مَرْيَّةُ
الْقِدَمِ ، ورسوخُ الْقَدَمِ ، والخلافةُ مَقْرُهَا لِيَوَانِكُمْ ، وأصحابُ الإمامِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
مُسْتَقْرَاهَا قِيَرَانُكُمْ ، وهجْرُ المنابرِ ذِكْرُ إِمَامِكُمْ ، والتوحيدُ أَعْلَامُ أَعْلَامِكُمْ ، والوقائعُ
الشهيرةُ فِي الكُفْرِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى إِيَامِكُمْ ، والصحابَةُ الْكَرَامُ قَحَّةُ أَوْطَانِكُمْ ، وَسُلَالَةُ
الْفَارُوقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَائِحُ سُلْطَانِكُمْ ، ونحنُ نَسْتَكْثِرُ مِنْ بَرَكَةِ خِطَائِكُمْ ، وَوُضْلَةِ
جَنَابِكُمْ ، ولولا الأَعْذَارُ لَوَالَيْنَا بِالْمَتْرِيدَاتِ تَعْرِيفَ أَبْوَابِكُمْ .

والله عز وجل يتولى عنا من شُكْرِكُمُ الْمُحْتَمومِ ، مَا قَصَّرَ الْمَكْتُوبُ مِنْهُ عَنِ الْمَكْتُومِ ؛
وَيُثَبِّتُكُمْ لِإِقَامَةِ الرُّسُومِ ، وَيُحِلُّ عَجَبَتَكُمْ مِنْ الْقُلُوبِ مَحَلَّ الْأَرْوَاحِ مِنَ الْجُسُومِ ؛
وهو سبحانه يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيُجَرِّسُ مَجْدَكُمْ ، وَيُوَالِي نِعْمَهُ عِنْدَكُمْ .

والسلامُ الْكَرِيمِ ، الطَّيِّبِ الْبَرِّ الْعَمِيمِ ؛ يَخْصُمُكُمْ كَثِيرًا أَمِيرًا ، مَا أَطْلَعَ الصَّبِيحُ وَجْهَهَا
مُنِيرًا ، بعد أن أَرْسَلَ النِّسِيمَ سَفِيرًا ، وَكَانَ الْوَمِضُّ الْبَاسِمَ ، لَا كَوَاسَ الْفَتَامِ ،
عَلَى أَزْهَارِ الْكَأَمِ مُدِيرًا ؛ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الطرف الثامن

(فِي الْمَكْتَابَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْأَمْرَاءِ مِنَ النَّهْلِ وَأَمْرَاءِ السَّرَايَا)

فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِلَى مَنْ فِي مَعَنَاهُمْ)

وَكَانَ الْغَالِبُ فِي مَكْتُبَاتِهِمُ الْاِقْتِحَاحُ بِأَمَّا بَعْدَ وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِقَلْظِ
الْوَحْدَةِ ، وَخَطَابُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ بِالْكَافِ .

كَمَا كَتَبَ الْحَاجُّ بْنُ يُوسُفَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ نَائِبٌ عَنِ الْحَاجِّاجِ
عَلَى بَعْضِ الْأَعْمَالِ وَالْحُرُوبِ :

أما بعد، فإنك تترأخ عن الحرب حتى تأتيك رُسُلِي ويرجعون بعُدرك، وذلك أنك تُمسِك حتى تَبْرأ الجِراح وتُنسى القتلُ ويحيم الناس، ولو كنت تلقاهم بذلك الحد لكان الداء قد حُسم، والقرن قد قُصم، ولعمري ما أنت والقوم سَوَاء، لأن من ورائك رجالاً، وأمامك أموالاً؛ وليس للقوم إلا ما معهم، ولا يدركُ الوجيف بالديب، ولا الظفر بالتعذير.

وكما كتب المهلب إلى الجراح بجماله عن ذلك .

أما بعد، فإنني لم أُعطِ رُسُلَكَ على قول الحق أبداً، ولم أحتج فيهم مع المشاهدة إلى تلقين . فذكرت أني أحيي القوم، ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال المغلوب . وذكر أن في الجِسام تُنسى القتلُ وتَبْرأ الجِراح، وهيئات أن يُنسى ما بيننا وبينهم، يأبى ذلك قتل من لم يحن، وقروح لم تعرق، ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات؛ إن طمعوا حاربوا، وإن ملؤا وقفوا، ونطلب إذا هربوا، فإن تركتني فالداء بإذن الله محسوم، وإن أعجبتني لم أطعك ولم أعص وجيبي إلى بابك، وأنا أعود بالله من سخطه ومقت الناس .

الطرف التاسع

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم، إلى الملوك ومن في معانهم، على ما كان عليه مصطلح أهل المشرق، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(أن تكون المكتبة عن ملك إلى غير ملك)

ورسمهم أن يفتح الكلبُ بلفظ « كتابنا إليك في يوم كذا، ومن مكان كذا، والأمر على كذا وكذا » ويذكر الحال التي عليها المكتوب عنه حينئذ أو التي عليها

الخليفة إن كان المكتوب عنه من أتباع الخليفة، أو التي عليها الملك إن كان من أتباع الملك ونحو ذلك ؛ ويكون التعبير في هذه المكتبة عن المكتوب عنه بنون الجمع ، والخطاب للمكتوب إليه بالكاف . ولا يقال في المكتوب إليه في هذه الحالة : سيدي ومولاي ، ولا سيدنا ولا مولانا . وبذلك يكتب عن الملوك ومن في مناصبهم من سائر الرؤساء إلى المرءوسين .

ثم هو على مرتبتين :

المرتبة الأولى - أن يُراعى جانب المكتوب إليه في الرتبة بعض المراتبة . كما كتب أبو إسحاق الصبائي عن صمصام الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه ، إلى الصاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عبّاد وزير نضر الدولة ، في الشفاعة في شخص من بعض أزماته :

كأبنا - أدام الله تأييد الصاحب الجليل كافي الكفاة - وإن وثّقنا من المسؤولين بالإيجاب والإيجاب ، ومن المأمورين بالامتثال والطاعة ؛ فإننا نخش بكثنتنا الصادرة عنا في المآرب العارضة لنا ، من خصمت من كلا الفريقين نهضته إليها ، وظهّرت متابرت عليها ؛ وإذا آتينا إليه - أدام الله عزّه - في ذلك عِدَدنا مع ماقدّم الله عندنا من رتبته في الطبقة الأولى ، وميّزنا مع ماوقّر الله علينا من طاعته عن الطبقة الأخرى ؛ وأئسنا منه عادة مشكورة في أتباع محبوبنا ، والإسعاف بطلوبنا ؛ لنسلس لنا إلى مخاطبته قياد يتقاعس عن سواه ، وتنبسط منا في مكابته أنامل تتجمد من لايجري مجراه ؛ ولا سيما إذا كان ذلك في مكرمة يطيب ثأوها ، ومثبة يُشاد بناؤها ؛ وافقه يمدّه ويمدنا فيه من طيب السجيا ، وصالح العطايا ؛ بما هو الوليُّ به ، والحقيق بالشكر عليه .

وكتبنا هذا - أدام الله عزَّه - الصاحب الجليل كافي الكُفَاة - مبنًى على إذكره بحق لنا رعيته ، وذيما من أجله أوجبناه ؛ وذلك أسد لإحكامه وأثر لإيجابه ، وأوكد لأسبابه ؛ وقد عرَّف مكان أبي منصور يرداها دار بن المرزبان من خدمتنا ، وموقعه في جملتنا ، وتوفَّر حظُّه من جميل رأينا ، وخالص اعتقادنا ؛ ومن أوجه وسائله لدينا ، التي أوجبت له ذلك علينا ، أنا لا يزال عنه عليه ، من الاعتداد باحسان الصاحب الجليل كافي الكُفَاة إليه ، وإلى أبيه من قبله ، والاعتراف بأنه أيده الله أبو عُدرة صنعه ، والسابق إلى الجنب بضيعة ؛ ولئن كان أقرله من ذلك معروف لا يُنكر ، ودخل من الثناء عليه في إجماع لا يُحرق ؛ فقد بين عن نفسه أنه ممن يُطبق حمل المِنَّة ، ويُخصِّن مصاحبة النِّم ؛ ويستحق أن تُقرَّ عنده أسلافها ، وتُدرَّ عليه أخلافها ؛ إذ لم يُلْهله الرُّوع فيها عن التَّجيد من اضطرافها وانصرافها ، ولم يُلْهيه التوسُّط لها عن حيطة أطرافها وأكفافها ؛ ومن لنا اليوم بالشُّكور الذي لا يَمِيط ، والدُّكُور الذي لا ينسى ؟ والعليم بما يلزمه ، والقُوم بما يحقُّ عليه . وأعلمنا حال قريين له يقال لهما الفرکان بن حرَّاد ، ورستم بن يزد ؛ وأنهما تصرفاني بعض الخدمة تصرفا تزيلا فيه عن نهج السِّداد ، وسنَّ الرِّشاد ؛ واقتضى ذلك أن طُلبا بالتقويم والتهذيب ، ووجَّعا مَضيق القصاص والتأديب ؛ وأنه قد مضت لهما فيه مدَّة طويلة في مثلها ما صلَّح المعاقب ، واكتفى المعاقب ؛ وسؤاله لهما ، ومرادنا له فيهما ، شفاعة الصاحب الجليل كافي الكُفَاة إلى مولانا الأمير السيد شاهنشاه نغر الدولة في أن يَسَمِّهما العفو ، ويدركهما العطف إما باستخدام يتطوَّقان به المِنَّة ، ويأذن لهما بانصراف إلى الوطن ؛ وقد استظهرنا بكاتب كتيبه في أمرهما : هذا الكتاب يشتمل عليه ، حتى إذا وجب أن يجعله الصاحب الجليل كافي الكُفَاة ذريعة إلى

(١) كذا في الأصول ولعله أنه لا يزال يبتدأ عليه من الاعتداد الخـ

القرض ، ومطيةً إلى المقصد ؛ أمضى في ذلك رأيه ، وعقد عليه تديره . فإن رأى
الصاحب الجليل أن يتوصل في هذا الأمر إلى ما يُشأ كل عادته عندنا في الأمور
الواردة عليه فعل ، وتوثق في الجواب أن يكون متضمناً لذكر الفعل دون القول ،
والإنجاز دون الوعد ؛ إن شاء الله تعالى .



وكما كتب الصابي عن صمصام الدولة المقدم ذكره ، إلى الصاحب بن عباد أيضاً
في حالة أخرى ، بسبب رد إقطاع إلى أبي جعفر محمد بن مسعود قرين كتاب
إلى نحر الدولة

كلبنا والسلامة لبينا راهنه ، وعادة الله لإقرارها ضامنه ؛ والحمد لله رب العالمين ،
والصاحب الجليل كافي الكفاة - أدام الله تأييده - يعلم أنه لم يزل لهما لكأ أفنية
تقام بها أسواق المكارم ، وتحي بها سنن المحامد ؛ وقد جعله الله بتفضله الحافظ
لجمال ذلك علينا ، والضارب بسهمه فيه معنا ؛ فالحمد لله على أن قرن الحفظ التي
حوّلنا ، والمنازل التي تولنا ، بالخلاقي الخليفة بها ، الداعية إلى استقرارها ، والطرائق
المطرقة إلى ثباتها واستمرارها ، وأن زان أيامنا هذه الحاضرة ، بآثار الصاحب
كافي الكفاة أدام الله عزه فيها الناضرة ؛ ومساعيه الرشيدة ، وأفعاله المستقيمة ،
وأحاديثه الجميلة ؛ ولما نسال أن يُجربنا وكل ناصح على أفضل ما عودنا وأحسن
ما أولاه ومنحتنا بقدرته .

وإذا كان مولانا الأمير السيد شاهنشاه نحر الدولة ، وفلك الأمة ؛ بالمحل الذي
أهله الله له : من استعذاب الإحسان إلى أوليائه ، وأقراض الإفضال على نصحاته ؛
وكان الصاحب الجليل بالحال التي هو بها من القيام بما حمل به المناب فيه عنه ،

(١) في الاصل « من القيام قد كل له والمناب الخ » وهو تحطيط من الناصح .

فقد وجب أن تكون الرطية لدوى الحرمات مستحكة الأسباب ، ثابتة الأطناب ؛
واضحة الأعلام ، ماضية الأحكام ؛ ولا سيما فيمن تعلق من بالعتاية ، وأخذ
من ذمنا بالوثيقة ؛ و « أبو جعفر محمد بن مسعود » أبده الله جامع للوات ، التي
يستحق بها اجتماع العنايات ؛ سائقا صالحا في الخلسة ، وسابقة متمكنة في الجملة ؛
وأشتمالا على كل ما وجبت به الحقوق ، ولزمت به الرطيات . ودكر أنه كانت له
بنواحي الجليل تسويغات ومعايش أنعم بها مولانا الأمير السيد نغر الدولة عليه
في حال بعد حال ، وشرفه بها في مقام بعد مقام ؛ منها كذا وكذا ، وإذا جمع الجميع
كان قليلا في جنب ما يفيضه مولانا الأمير السيد شاهنشاه نغر الدولة ، وفلك الأمة
على خنمه : من جليل عوارفه الجارية على يد الصاحب الجليل كافي الكفاة أدام الله
تأييده ، والواصل إلى مستحقها بلطف توصله ، وجيل معتقده . وكان موقعه
جليلا عند أبي جعفر محمد بن مسعود أبده الله في جنب ما يفيض من شأنه ، ويُقيم
من جاهه ، ويرب من معاشه ، ويُلم من حاله . وقد كتبنا إلى مولانا في ذلك كتابا
بجملا قصرناه على الرغبة إليه ، في رد هذه المعاش عليه ؛ وعولنا على الصاحب الجليل
في إخراج أمره العالي بذلك له ، وإحكام الناشير والوثائق بجميعه ، والتقدم بمكاتبة
الأمال والولاة بتقوية أيدي أصحابه ، في استيفاء ما يجب من الأسلاف والبقايا ، على
الأكره والأزرايين ، والوكلاء والمعاملين ، وتأكيد الكتب بناية ما تؤكد به أمثالها ،
وبيلغ به أبو جعفر محابة كلها . فإن رأى الصاحب الجليل أن يأتي في ذلك كله ما يمجده
وبعده ويرعاه ويحفظه ، جاريا على المألوف من مثابرة على ما عاد علينا وعليه معنا
يطيب الذكر والبشر ، وتشاء اليوم والقدر ، فقد أفضنا بهذا الكتاب ركائب لنا دلالة
على خصوص متضمنه في تعلقه بالأهتمام منا ، فعل إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(أن تكون المكتبة من ملك إلى ملك)

ورسمهم في ذلك أن يُفَتِّحَ الكَتَّابُ بلفظ : كَتَّابِي وَالْأَمْرُ عَلَى كَذَا وَكَذَا ، وَيُؤْتَى
 بالتعبير عن المكتوب عنه في أثناء الكَتَّاب بلفظ الأفراد دون الجمع ، وهنا يَقْتَضِي
 شَأْنَ المكتوب إليه ، فيعبر عنه بمولاي وسيدى ، ومولانا وسيدنا ، ونحو ذلك .
 ثم هو على مراتب : ^(١)

المرتبة الأولى

(أن يكون المكتوب إليه مَلِكًا أيضًا)

فيخاطبه على قدر مقامه بالسيادة أو غيرها مع اللطاء بما يناسبه : من طول البقاء
 ونحوه ؛ ثم تارة يَقَعُ التَّعَرُّضُ فيها بذكر الطلب ورفُّع الحال التي هو عليها ، وتارة لا يقع
 التَّعَرُّضُ إلى ذلك - كما كتب أبو إسحاق الصَّابِي عن عز الدولة ، بن مُعِز الدولة ،
 ابن بويه ، إلى عضد الدولة بن بويه في طَلَبِ الصُّلْحِ ، وقد جرى بينهما اختلاف ..

كَتَّابِي - أطال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة - من العسكر
 بظاهر سوق الأهواز ، ومولانا أمير المؤمنين مشمولٌ بالكفاية والتأييد ، مخصوصٌ
 بالعز والتمكين ؛ يجرى على أفضل ما عوَدَ الله جُلُفَاءَهُ في أرضه ، وأجْبَاءَهُ في رعاية خلقه ؛
 من التَّكْفُلِ لهم بالإظهار والإداله ، وتوليهم بالإعلاء والإنافة ؛ وأنا مستظِلٌّ بِكَتْفِ
 طاعته ، مستَكِنٌ في حَرَمِ مشايعته ؛ شاكرٌ لله على بَلَّائه ، مُتَمِّنٌ عليه بآلائه ؛ راضٍ

(١) لم يذكر في الأصول غير الأولى ويظهر أن التقسيم سهو فان المقسم هو الكاتبة من ملك إلى ملك وهو
 عن المرتبة الأولى فامل .

إليه أن يعصمني في مولانا الملك الجليل المنصور وفي نفسي من كل مكروه
ومستحسن، ويوفقي ولأياه لكل مستحب ومستحسن، ويبيدنا من المقام على
الفرقة، والزوال عن سنن الألفه، وهو المحمود رب العالمين .

والحقوق بين مولانا الملك وبيننا فيما قررته منا ألحمه، وأكده العضمه، وأثنته
الأسلاف، ونشأت عليه الأخلاف، حقيقة بأن لا تمسح إليها دواعي النقض،
ولا تتمكن منها ملهات النسخ، ولا يتم للشيطان عليها ما يحاوله بترفه، ويتوصل إليه
بكيده، وأن تتراح العوارض عنها، وتضمحل دون التأثير فيها، وأن نعتد جميعا
أن بتقارصنا رعايتها ثبات النعم المتصلة بها، فلا يستنكف مستنكف منا أن
يخفف جناحه لأخيه، ويغض من حماحه في مقاربة ذويه، إذ كان ذلك حاييا
له في أهول الأحوال مما هو أشد خفضا، وأبلغ رضا، وأسوأ مقبة، وأنكر عاقبة .

وقد علم مولانا الملك المنصور بالشاقب من تأمله، والصحيح من تميزه وتدبره،
أن دولتنا - حرمها الله - مبينة على أسس الترافد والتعاضد، موضوعة على قاعدة التوازر
والتنظاف، وأن مشيختنا وسادتنا رضوان الله عليهم جعلوا الأسلاف راجعا بين
الأعداء وبينها، ثم إن مفتاحه هو الخلاف المتطرق لهم عليها، ولو حدث التنافر
في أيام رياسة أضعفنا منه، وأوهنت عقده، وأحدثنا سنا، وأقننا حنكة، لكان ذلك
أقل في التعجب من أن يعرض في رياسة أخصفنا رأيا، وأسدنا تدبرا، وأوفانا
حلمنا، وأكلنا حرمنا . وقد تكررت - أيد الله مولانا - على ذات بيلنا قوارض
أحتقرناها حتى آمننا بالإنامن فطرها، واستقينا منها على العظيمة التي لا تواءم بها
وما أعود على نهي بلوم في ابتداء قبح ابتدائه، ولا بمركب شنيع ركبت ولا حتى
أطرحه، ولا أستصلاح تركته، ولا أدفع مع ذلك أني قابلت لما تباعف بالأفول

الأسير، وجازيت لما ترادف بالأدوين الأثر؛ إلا أنى ما آثرت كثيره ولا قليله،
ولا آثرت دقيقه ولا جليله؛ لكنه لم يصلح في السيرة - وقد أشفينا على التراحم
للحرب، والتدألف للطن والضرب - أن أستعمل ما كنت عليه من توفية الحقوق،
 وإقامة الرسوم، فيرائى الأولياء الذين بهم تمحى البيضة، وتخط الخوزة؛ متناقص
الفعلين، متنافي المنهين؛ وكنت في ذلك الفعل الذمى، والرأى الذى ليس
بمستقيم؛ مقتدياً لا مبتدياً، ومتبعاً لا مبتلياً. ولو وقف بى مولانا الملك الجليل
قبل أواحر الجفاء، وعطف معى إلى أول شرائع الصفاء؛ لكانت عريكتى عليه آئين،
وطريقه إلى ارتباط طاعى وولائى أقصد؛ لكنه أيده الله أقام على ما لا يليق به
من مجابى ومغالظى، وبثّ الحبال لى ودسّ المكاييد لى، ومتابعته الجواسيس
والكتب إلى الأولياء فى عسكرى الذين هم أولياؤه، إن أنصف وعدل، ونصحاؤه،
إن أحسن وأجمل.

وكان الأشبه بمولانا لو كنت الفالط عليه، والباعث لهذه الأسباب إليه،
أن يسوسنى سياسة الحكيم، ويستخلصنى استخلاص الكرم؛ إذ كُأ لم قدّمه معشر
أهل البيت علينا، ونوّله أزيمة أمورنا؛ إلا لياسو جروحنا، ويحبر كسورنا؛ ويتعهد
مسيئتنا، ويستميلنا فإفرا؛ فاما أن يحاول منا استباحة الحرم، وإركاب الزك
العظيم؛ فكيف يجوز أن تؤم على هذا طاعة، أو تصلح عليه جماعة؛ أو يفضى
عليه منفض، أو يصفح عنه صاغ؟. وكان من أشدّ هذه الجفوة وأظلمها، وأقساها
وأظلمها؛ أن عاذ رسولى من حضرته خالياً من جواب بما كتبت إليه، وما أعرف
له أيده الله فى ذلك عنراً يسطه، ولا سلك منه السبيل التى تشبهه وبالله جهد القمم
ومتناها، وأجلها وأوفها؛ لقد سار مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وسررت
إلى هذا الموضع، واعتقدنا لا يحاوز حفظ الحدود والأطراف، وحياطة النهايات

والأكتاف ؛ والأغلب علينا أنَّ مولانا الملك - أدام الله تأييده - لا يتجاوز معنى
 المعاتبة اللطيفة ، والمخاطبة الجميلة ؛ والاستدعاء متى لما يسوغ له أن يطلبه لى أن
 أثله ، من تغية السالف ، وإصلاح المستأف ، وتوفية الحق فى رتبة لا أضن بها
 عليه ، ولا أستكثر التزول عنها له ؛ وتقرير أصل بيننا يكون أيد الله به معقلا
 لى وموتلا ، وأكون نائباً له ومظفراً - لى أن بدأ الأصحاب بالعبث فى هذه البلاد ؛
 وألحوا عليها بالفارات ، وأعتملوها بالنكيات ؛ وكان هذا كلر شاش الذى يؤذن
 بالانسكاب ، والوميض الذى يؤيد بالاضطرار - وأوجبت قبل المفايلة عليه والشروع
 فى مثله فى حق مولانا الملك الجليل ، الذى لا أدع أن أحفظ منه مادعائى لى
 إضاخته ، وأتمسك بما اضطرنى لى مفارقه ؛ أن أقدم أمام الالتقاء على الحرب التى
 هى بحال كما يعلم ، إبلاغ نفسى عذرها وإعطاء المقادة منها ؛ داعيا لى طاعة الخالق
 والإمام ، وصلة ألهم والأرحام ؛ وحقن السماء والمهج ، وتسكين الذمء والهج ؛
 وفتح العنان عن الموزد الذى لا يذرى وإرده كيف يصنر عنه ، ولا يبق بالسلامة منه ؛
 وتعريف ما يريد منى لأتبعه ما لم يكن ثالث لى ، وعائلا بالوهن على ؛ والله الشاهد
 على شهادة قد علم لإخلاصى فيها ، وسماحة ضميرى بها ؛ وأنى أكره أن أنال منه ،
 كما أكره أن يتال منى ؛ وأتألم من أن أظهر عليه ، كما أتألم أن يظهر على ؛ وأحب أن
 يرجع عنى وأرجع عنه ؛ وقد ألتقت قلوبنا ، وتآلف على الجميل شملنا ؛ وطرفت أعين
 الأعداى عنا ، وانحسمت مطامعهم فينا ؛ فإن فعل ذلك فحقى به الفضل ، وهو لعمر
 الله له أهل ؛ ولا عثر له فى أن لا يفعله ، وقد وسع الله ماله ، ووفر حاله ، وأغناه
 حتماً يلتمسه الصعلوك ، ويخاطر له السبوت ؛ وجعله فى جانب الغنى والثروة ،
 والحزم والحيلة ؛ وإن أبى فكأنى هذا حجة عند الله الذى كسرتل منه المعونة وعند
 الناس الذين تلمس منهم العصبية ؛ وقد ألفتت به إسفندار بن خسرويه وإبراهيم

أَبْنِ كَلَى ، وَهَمَا تَهْتَأَى وَأَمِينَاى ، لِيُؤَدِّيَاهُ وَيُسَافِهَاهُ عَنَى بِمِثْلِ مَتَضَمَّنِهِ وَيَتَجَوَّاهُ ؛
وَاللَّهُ يُعِيدُنَا فِي مَوْلَانَا الْمَلِكِ الْجَلِيلِ مَنْ أَنْ يَخْتَارَ إِلَّا أَوَّلَى الْأُمَرَاءِ وَأَلْيَقَهُمَا بِدِينِهِ
وَمُرُوءَتِهِ ، وَهُوَ وَلِيُّ مَا يَرَاهُ فِي الْأَمْرِ بِتَعْجِيلِ الْإِجَابَةِ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ ، وَأَتَسَبَّحُ
بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثالث

(أَنْ تَكُونَ الْمَكْتُوبَةُ عَنْ دُونِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ)

وَرَسْمُهُمْ فِيهِ أَنْ يُتَبَدَأَ بِلَفْظِ كِتَابِي ، وَالدَّمَاءُ لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ بِطُولِ الْبَقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ،
وَيَخَاطَبُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِمَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، وَفِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بِالسَّيِّدِ
وَالْمَلِكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَيَعْبَرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ :

كَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الْأَمِيرِ نَصْرُوحُوزِهِ فَيُرْوِزُ بِنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى
أَبْنِ عَمِّهِ شَرِيفِ الدَّوْلَةِ يَذْكُرُ لَهُ حَالَهُ مَعَ أَخِيهِ صَمْعَامِ الدَّوْلَةِ .

كِتَابِي - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، شَرِيفِ الدَّوْلَةِ ، وَزَيْنِ الْمُلْكِ ،
وَالسَّلَامَةُ لِي شَامِلَةٌ بِمَا مَنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مِنْ ظِلَّةِ الظَّلِيلِ ، وَرَأْيِهِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ؛
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ تَأَدَّى إِلَى مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ مِنْ أَخْبَارِي مَا أَسْتَفْتِي بِهِ
عَنْ تَطْوِيلِ الْمَقْصَلِ ، وَأَكْتَفِي بِهِ عَنْ إِجْمَالِ الْمُجْمَلِ ؛ وَذَلِكَ أَنْ أَسْفَارُ بِنِ كَرْدُوِيهِ
وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بِنِ بَرْسَفِ الْكَافِرِينَ لِنِعْمَاءِ اللَّهِ وَنِعْمَةِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَبْنَا
رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ قَبْلَنَا ، الْغَامِطِينَ لِمَا تَطَّاهَرَ عَلَيْهِمَا مِنْ إِحْسَانَاتِنَا وَإِفْضَالِنَا ؛ هَجَّاهُمَا حَلِينَا
يُحْدِثُ تَغَالُفًا عَلَيْهِمَا ، وَشُبْهَةً جَدَّابِي إِلَيْهَا ؛ وَأَبْرَمًا كَذِبًا مِنْ الْقَوْلِ لَمْ أَظْهَرْهُمَا يُقْدِمَانِ

على مثله ، ولا يتقوهان بإطلابه ؛ فأصغيتُ إليهما إصغاءَ الوائقي بهما لا المتصدع لهما ؛ فلما أنزلاني على حُكُهما ، وأوقاني بحيث لا أستطيع مخالفتَهما ؛ ظهرتِ الحيلة ، ووصحتِ النيلة ؛ وفاتني الاختبار ، وغلبني المقدار ؛ فجزى ما كانت عاقبته خذلانَ الله إليهما ، وإنزاله بأمره ونعمته عليهما ؛ وخلاصي بسلامة الصدر ، وانضاح الغدر ، من حبالهما المنصوبه ، وأشراكهما المبتوثه . ولما حصلتُ في كنف الملك السيد مضمّام الدولة أقالني العذر ، وقيل مني المعنر ؛ وأحلي من دراه وجماه بحيث لم أعدم عاده ، ولا أقطعت عني مائه ؛ وكانت الحال تُوجب مُقامي فيها إلى أن تنقضي آثار الفتنة التي أثارها زانكا الخيبتان الجانيان .

ثم ورد فلان في الرسالة ، وتَمَّ الله على يده عقد الصلح والمسالمة ؛ فأُخرجتُ عن الاحتجاب إلى الظهور ، وعن الاحتجار إلى البروز ؛ وأنزلتُ من الدار المعمورة في جانب يصل إلى منه سبب وصوله على العموم دون الخصوص ، وطمانى الملك السيد مضمّام الدولة بما يليق بفضله متبعا في ذلك مقاطعة السيف بينه وبينى ؛ وطاعة مولانا الملك السيد الأجل شرف الدولة في أمرى ، وجَدَدَ عندى من الإنعام والتوسعة والإيثار والتكرمة آخر ما شفع تلك الشفقة أولا ؛ ولقيتني فلان دقات ، وشافهني مرّات ؛ وتحمل عني إلى مولانا الملك موالاتي الشكر كثيرا ، وأعدادا طويلا عريضا ؛ ودعاء الله يسمعُ مرفوعه ، ويُجيبُ مسموعه ؛ بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

والآن فإذا قد جمعَ الله الكلمه ، ووَكَّدَ الألفه وحرس النعمه ؛ وحصن الدولة وأخرج عنها مَنْ كان يُشبُّ الفتنة ، ويُسدَى ويُتير في الفُرقة ؛ فأني وائقي بالله جل وعز وبما ترقى الحال إليه في غاية محبوبي ، ونهاية مطلوبي ؛ وأقاصى ماتبعه

أُمْنِيَّتِي ، وَتَسْمُو إِلَيْهِ هِمَّتِي ، وَتَقْتَضِيهِ أُخُوَّتِي وَعِصْمَتِي ؛ وَلِلَّهِ الْمَشِيئَةُ ، وَمِنْهُ الْمَعُونَةُ ؛
فَإِنْ رَأَى مَوْلَانَا الْمَلِكُ السَّيِّدُ ابْنَ يَسْكُنَ إِلَى مُسْكُونِي ، وَيَطْعَمُنِ إِلَى طُمَأْنِينَتِي ،
وَيُجَرِّى إِلَى غَايَةِ فَضْلِهِ وَطَوْلِهِ فِي الْأَمْرِ الَّذِي أَحْسَنَ فِيهِ وَأَجَلَ : لِيَشْمَلَنَا إِعْنَانُهُ ،
وَيَتَظَاهَرَ عَلَيْنَا أَمْتَانَتُهُ ؛ وَأَسْتَوْفِي بَقِيَّةَ حَقِّي مِنْ ثَمَرَةِ ذَلِكَ وَطَائِفَتِهِ ، وَجَدَوَاهُ
وَقَائِدَتِهِ ؛ وَيَأْمُرَ بِتَشْرِيفِي بِكَتَابِهِ ، وَتَاهِيْلِي بِجَلِيلِ خِطَابِهِ ؛ وَتَصْرِيفِي بَيْنَ أَمْرِهِ
وَنَهْيِهِ ، فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثم الجزء السادس . يتلوه إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الجزء السابع

رَأَوْهُ الطَّرْفَ الْعَاشِرَ

(فِي الْمَكْتُبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنْ مُلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ وَسَلَامُهُ

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

”استدراك لفات“

تُبه في صفحة (٤٥) من الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى هذا على بعض كلمات مطبوعة بالحبر لم نهند اليها عند طبع ذلك الجزء . أما وقد عُرِ الآن في بعض المكتبات الأهلية على أصل ذلك الجزء فزوى تكبلا للقاعدة إثبات المخطوس هنا ليصلحه القارئ في مواضعه إن أراد . وتسهلا لمرقة مواضع البياض من أول نظرة قد قلت الصفحة بتمامها ويحل ما كان سائطا لطمه بين قوسين هكذا () . وهي :

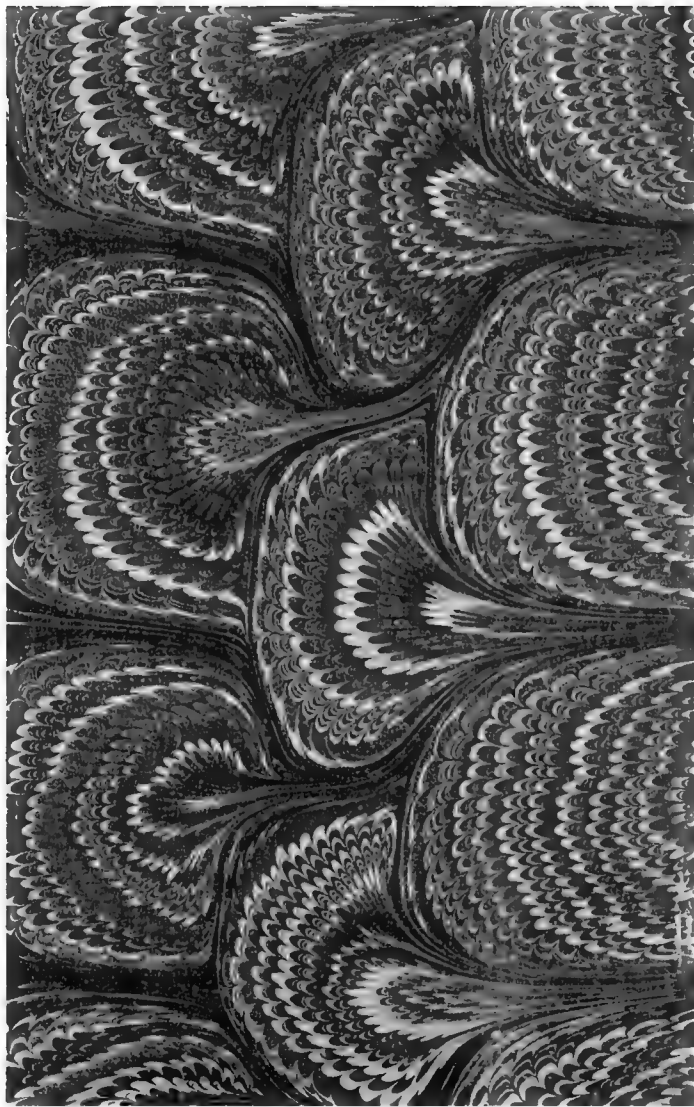
يجهز بریدی بطلب هذه الأقلام من ولّاء الوجه القبلي ، ويُؤنى بها فتحفظ عند كاتب السر ويُرئى منها ما يحتاج إليه (في كتابة السلطان و) يوضع في دواته بقدر الحاجة . قال في ”منهاج الإصابة“ : ولا بدّ فيه (من ثلاثة شقوق أو أكثر) بقدر ما يحتاج إليه في حجّ القلم الحبر في القرباس .

وأعلم أن للكُتُب فيه طريقتين : إحداهما طريقة الثُلث ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (التقوير — و) الثانية طريقة المُحقّق ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (البسط دون التقوير وسيأتى إيضاح الطريقتين وكيفية تشكيل حروفهما فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر الشَّرمسى في أرجوزته اختصاص قلم الطومار بأمور : أحدها أن مستداراته كلها تكون بوجه القلم ، والمقدّات بسنّه ، والتعاريق بوجهه مفتلا فيها على اليمين — الثاني أن الميم منه تكون مفتوحة مدوّرة (والفاء والقاف فيه (أوساطها محدّدة وجنبتاتها) مدوّرة — الثالث (أن يكون البياض بين الأحرف كمثلته بين السطور) — الرابع أن يكون (الفضل من جانبي القرباس متساويا في المقدار — الخامس أن لا يكون) فيه صاد مدوّرة (ولا) كاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته (أنه يخلط) فيه الترويس في الألف ، والباء ، والجيم ، والدال (والراء ، والطاء ، والكاف المجموعة) واللام والنون في الإفراد والتركيب عند الابتداء وأنه (لا يجوز فيه) الطمس في شيء من عقده كالصاد ، والطاء ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المحققة بحال ، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

(۳۰۰۰/۱۹۱۴/۱۳۴۵/۲۰۲)



Biblioteca Alameda



0295624